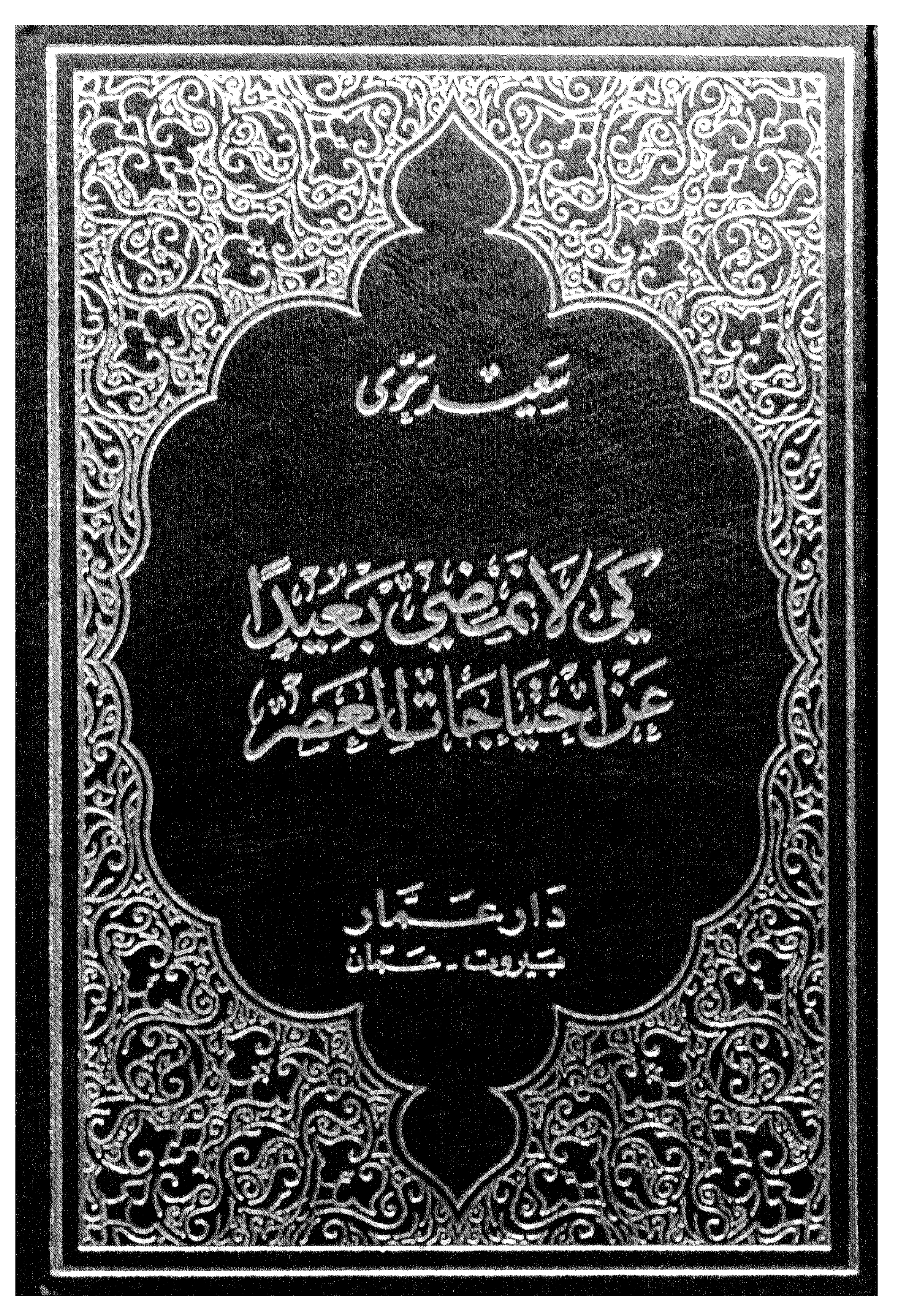

سعيد حوى
كي لا نمضي بعيداً
عن احتياجات العصر
دار عمار
بيروت - عمان






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر



دراسات منهجية هادفة
في فقه الدعوة والبناء
والعمل الإسلامي

- ٨ -

كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر

طبعة تم التصالح عليها
مع دار السلام

سعيد حوى

دار عمار
بيروت - عمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »



هذه إحدى عشرة رسالة كتبتها بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري.
أسأل الله أن يتقبلها وينفع بها، وهذه الرسائل هي :

١ ــ منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة.
٢ ــ فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً : فروض العين، فروض الكفاية، لمن تدفع صدقتك.
٣ ــ عقد القرن الخامس عشر الهجري.
٤ ــ إحياء الربانية.
٥ ــ إجازة تخصص الدعاة.
٦ ــ غذاء العبودية.
٧ ــ أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري.
٨ ــ قوانين البيت المسلم.
٩ ــ السيرة بلغة الحب والشعر.
١٠ ــ الإجابات.
١١ ــ الخمينية: شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف.



الرسالة الأولى :

مُنطَلَقاتٌ إسلاميّة لحضارةٍ عالميّةٍ جديدة



تعريف الحضارة

ماذا تعني كلمة الحضارة ؟

كثيراً ما يحدث لبس بين ثلاث كلمات : الحضارة والمدنية والثقافة، ونتيجة للّبس هذا فقد أراد بعضهم أن يحدد معاني هذه الكلمات، فقالوا : إن مدنية أمة ما تعني الجانب المادي عند هذه الأمة، وثقافة أمة ما تعني الجانب الآخر في حياة الأمة، ولا يقصدون بكلمة الثقافة هنا العلم فقط، بل يريدون التصورات والأفكار والسلوك والآداب، وكل المعاني التي لا تدخل في الجانب المادي، وحضارة أمة ما تعني مجموعة ثقافتها ومدنيتها. فإذا اعتمدنا هذا التعريف لكلمة الحضارة، تكون حضارة أمة ما هي مجموع ثقافتها ومدنيتها أي الجانب المادي فيها والجانب الآخر بآن واحد. وعلى هذا الأساس فكل أمة من الأمم يمكن أن تكون لها حضارة، إذ إن لكل أمة في هذه الحالة مدنية ما، أي جانب مادي، ولكل أمة ثقافة بصرف النظر عن مضمون هذه الثقافة، ما إذا كان حقاً أو باطلاً، ما إذا كان مقبولاً أو غير مقبول.

التقدم والتخلف

ومن الابتداء نقول : الأمة ذات الحضارة المتقدمة هي التي اجتمع لها تقدم مدني، وتقدم ثقافي، والأمة المتخلفة حضارياً هي الأمة التي اجتمع لها تخلف مدني، وتخلف ثقافي، وقد نجد أمة متقدمة مدنياً، وهي متخلفة ثقافياً، وقد نجد أمة متقدمة ثقافياً، وهي متخلفة مدنياً، ولأضرب مثلاً يتبين منه كيف أن التقدم المدني لا يعني بالضرورة تقدماً ثقافياً، ولا يعني بالضرورة إذن تقدماً حضارياً، لنفرض فرضاً أن مجموعة من اللصوص

استطاعت من خلال السرقة والغش أن توجد مجتمعاً، وأن تقيم بلداً تتوافر لديه كل أسباب الرفاهية، ويستطيع أن يستعمل كل منجزات المدنية فمجتمع هذا شأنه متقدم مدنياً، لأنه استطاع في الجانب المادي أن يستعمل كل منجزات المدنية، ولكن هل نستطيع أن نعتبر مجتمع اللصوص هذا مجتمعاً متقدماً ؟ تصور مجتمع اللصوص هذا قد اعتمد الإباحية الجنسية، واعتمد المخدرات واعتمد الأشياء التي تعتبرها الفطرة البشرية خاطئة، لو أن مجتمعاً هذا شأنه اجتمع له من ناحية أن يستعمل أعظم منجزات العلم، وفي الوقت نفسه هو قائم على اللصوصية والإباحية وغيرها مما تأباه فطرة الإنسان، ولا يرضى عنه منطق العقل ولا منطق العلم فهل نقول عن مثل هذا المجتمع : إنه متقدم ثقافياً ؟

الجواب : لا .. إنه يمكن أن نقول عنه وبشيء من التوسع إن هذا المجتمع متقدم مدنياً غير متقدم ثقافياً، وبالتالي فهو متخلف حضارياً. فإذن التقدم الحضاري إنما يكون عندما توجد ثقافة متقدمة ومدنية متقدمة، وفي ذلك درجات، والتخلف الحضاري يكون عندما تكون ثقافة متخلفة ومدنية متخلفة، وفي ذلك درجات أيضاً.

الصلة بين التخلف الثقافي والمدنية

هناك صورة من الصور ينبغي أن نفطن لها، وهي أن الأمة المتخلفة ثقافياً بأن كانت ثقافتها غير صحيحة، أو ليست حقاً، أو فيها أخطاء أو انحرافات وإن تقدمت مدنياً، فإن تقدمها المدني مطبوع بتخلفها الثقافي لأن هناك ارتباطاً بين الناتج المدني، وبين الفكر والثقافة .. بل نقول : في كثير من الأحيان لا نجد انفصالاً بين الجانب الثقافي والجانب المدني، لأن الجانب المدني عادة يكون مطبوعاً بالجانب الثقافي، فهناك ولو من الناحية الرمزية نوع ارتباط ما بين الناتج المدني وما بين الثقافة التي توجه الناتج المدني، تصوروا هذا العالم تحكمه العقيدة الإسلامية، فماذا سيكون تأثير الثقافة الإسلامية على تسخير الاكتشافات العلمية في طريقة خدمة الإنسان ؟

حتماً ستكون النتيجة غير هذه النتيجة التي نراها الآن، إنكم تروْن أن من بيدهم أزمَّة هذا العالم يحاولون أن يستفيدوا من كل اكتشاف علمي لصالح التدمير والتخريب، لصالح التأثير المستغل للشعوب الأخرى، حتى القضايا التجريبية الإدارية، والنظريات الإدارية نفسها توجه من ناحية لخدمة شعب من الشعوب ومن ناحية أخرى للسيطرة على مصالح شعوب أخرى، حتى الدراسات النفسية توجه من أجل أن تجعل شعوباً مسخرة لشعوب، وإذن فأنتم تلاحظون كيف أن ثقافة الأمم المعاصرة قد سخرت الاكتشافات العلمية في الطريق الذي يمكن أن يكون مدمراً للحياة البشرية كلها، بينما لو كان الإسلام هو الحاكم لهذا العالم فإن شيئاً آخر سيكون، وستسخر هذه الاكتشافات في طريق آخر، فالمنهج الحضاري مرتبط بالثقافة التي وراءه، وإذن فعندما تكون ثقافة أمة ما متخلفة لا بدّ أن تظهر آثار ذلك على مدنيتها، لا بدّ أن نعطي هذا المعنى اعتباراً كبيراً، ونحن ننظر إلى قضية الحضارة.

الخدعة الكبرى

أيها الإخوة : إن قضية الحضارة في عصرنا أصبحت صنماً من الأصنام ينبغي أن ننتبه إلى خطورته، فالأمة المتفوقة مدنياً يصيبها الغرور في العادة، والأمة المتخلفة مدنياً يصيبها عقدة نقص تصبح فيها تقلد الأمة المتقدمة مدنياً، هذا شيء نراه في الواقع ومن استقراء التاريخ، فعندما كان المسلمون في يوم من الأيام هم المتقدمون مدنياً، كان باباوات روما يلبسون اللباس العربي، وعندما أصبحنا في الوضع الآخر أصبحنا نلبس لباسهم، عندما كنا

متقدمين مدنياً دخلت كلماتنا في لغاتهم، وعندما أصبحوا متقدمين مدنياً دخلت كلماتهم في لغاتنا.

الأمة المتخلفة مدنياً تشعر بعقدة النقص وبالتالي تقلد.

والأمة المتقدمة مدنياً تشعر بعقدة الغرور فتحب أن تسيطر.

في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام نجد أن ملكة سبأ عندما جاءت إلى سليمان وأراها عرشها قالت : كأنه هو، هي معجزة ومع ذلك فإن هذه المعجزة لم تجعلها تدخل في الإسلام .. فمتى دخلت في الإسلام ؟ ﴿ **قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** ﴾[1].

كان مصنعاً تصنيعاً عجيباً حسبته لجة، صرح ممرد من قوارير كأنه موج لا يكاد الناظر يدرك أنه زجاج: ﴿**قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها**﴾[1] ﴿**قال إنه صرح ممرد من قوارير**﴾[2] عندئذ أسلمت ﴿**قالت: رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾[3]، ههنا تفوّق مدني أثر عليها فأدخلها في الإسلام.

أيها الإخوة: في عصرنا ونحن متخلفون مدنياً عاشت شعوبنا عقدة النقص، وأراد غيرنا أن يسيطر علينا، وأن يحكمنا، وأن يتعامل معنا بلغة الغرور، وقالت لنا كل جهة في هذا العالم : نحن متقدمون مدنياً، بسبب نظامنا، وأنتم أيها المسلمون متخلفون بسبب نظامكم، الطريق أمامكم للتقدم هو أن تسلكوا طريقنا، وأن تقبلوا نظامنا، قالت هذا الرأسمالية لشعوبنا، وتقول هذا الشيوعية لشعوبنا، ويقول هذا غيرهم وغيرهم كذلك لشعوبنا.

وشبابنا الممزق غير الواعي يستجيب لهؤلاء وهؤلاء لأنه تعبدته فكرة الحضارة، لأن عقدة النقص عنده موجودة، لأن وعيه ناقص، تكون النتائج أن ترى هذا التمزق على أرضنا، فقسم من شعوبنا خطفته مدنية أمة وأفكارها، وقسم آخر خطفته مدنية أمة وثقافتها وتفكيرها، لذلك لا بدّ أن نضع الأمور في مواضعها، لا بدّ أن نعرف أن للنظام دوره في إيجاد تقدم مدني، ولكن التقدم يمكن أن يوجد مع أكثر من نظام متى وجدت قوانين التقدم، وعلينا في الوقت نفسه كذلك أن ندرك أننا ونحن نتحدى من خلال التقدم المدني ليس أمامنا خيار إلا أن ندخل معركة التحدي استجابة لتكليف الله عز وجل إيانا

---

(١)، (٢)، (٣): سورة النمل: (٤٤).

لننقل هذا العالم من طور إلى طور، فإما أن تسحقنا الحضارة المدمرة. وإما أن نسيطر عليها ونوجهها.

إن الدعوة إلى نظام من الأنظمة من خلال التقدم المدني يغالط بها كثيرون، فإذا لم ندرك قوانين التقدم المدني ليعرفها الكبير والصغير، فإننا سنبقى في دائرة التخلف، وستبقى شعوبنا وشبابنا أسرى الخداع، إننا نلاحظ في هذا العالم تقدماً مدنياً في النظام الشيوعي كما أن هناك تقدماً مدنياً في النظام الرأسمالي، وتقدماً مدنياً في نظام محافظ كالنظام الياباني في ابتداء نهضته.

إذن قد وجد تقدم مدني مع نظام شيوعي، ووجد تقدم مدني مع نظام رأسمالي، ووجد تقدم مدني مع نظام محافظ مما يدلّ على أن قضية التقدم المدني تخضع لقوانين، فأي أمة من الأمم استطاعت أن تكتشف هذه القوانين، وأن تسير فيها، فإنها تستطيع أن تتقدم مدنياً حتى ولو كانت ثقافتها متدنية، حتى ولو كانت ثقافتها غير مناسبة، فما هي قوانين التقدم المدني ؟

قوانين التقدم وشروطه الخمسة

أولاً : لا يمكن أن نتصور تقدماً مدنياً إذا لم يوجد استغلال كامل للأرض في ظاهرها وباطنها. استغلال الأرض شرط أساسي في التقدم المدني، فعندما نرى شعباً يستغل أرضه ظاهرها وباطنها، يستغل موادها الخام استغلالاً كاملاً، ويستثمرها زراعياً استثماراً تاماً، عندما نجد شعباً يفعل ذلك فيستغل ظاهر أرضه وباطنها، وتكون الأرض معطاءةً يكون قد أخذ بأول قانون من قوانين التقدم المدني.

ثانياً : عندما يستطيع شعب أن يستغل وقته، وأن يبرمجه فلا يبقى عنده وقت ضائع، ولا يذهب وقت في غير هدف عندئذٍ تكون هذه الأمة قد عثرت على القانون الثاني من قوانين التقدم المدني.

ثالثاً : عندما يوجد في أمة اختصاصيون يغطون احتياجات أمتهم في كل شيء، تكون هذه الأمة قد عثرت على القانون الثالث من قوانين التقدم المدني.

رابعاً : ولكن لا يمكن أن تستغل الأرض، ولا أن يبرمج الوقت، ولا أن يوجد الاختصاص ويؤدي دوره إذا لم يوجد النظام المناسب الذي يستطيع أن يعبىء، أو أن

يوجد الاستقرار المناسب، وإذن عندما تستطيع أمة أن توجد نظامها المستقر فإنها تكون قد عثرت على القانون الرابع من قوانين التقدم المدني.

خامساً : عندما يوجد مع هذا كله الثقافة المناسبة للتقدم المدني عندئذ تكون الأمة قد عثرت على القانون الخامس في التقدم المدني، وهي لا بدّ متقدمة مدنياً سواء كانت شيوعية أو كانت رأسمالية أو كانت محافظة أو كانت غير ذلك، لكن لا بدّ من توافر هذه الشروط الخمسة، لا بدّ من توافر القوانين الخمسة.

الثقافة إن لم تكن مناسبة للتقدم المدني فإن التقدم المدني لا يحدث، خذوا مثالاً على ذلك : الثقافة الهندوسية إنها ليست قابلة إطلاقاً أن ينشأ معها تقدم مدني، إن الثقافة التي تحرم قتل الفأر مثلاً ـــ مع أن الفئران إذا توالدت توالداً متوالياً يمكن أن تأكل خيرات الإنسان كلها، فهذه النقطة في الثقافة الهندية فقط يمكن أن تدمر حضارة الهند، وبمناسبة ذلك ندرك عظمة النص الإسلامي الذي يأمر فيه رسول الله ﷺ بأن تقتل الخمس الفواسق التي من جملتها الفأر، ومن هنا نعرف أنه في الجزئيات والكليات يتميز هذا الإسلام.

الثقافة النصرانية فيما استقرت عليه ليست قابلة لأن يكون معها تقدم مدني، فالثقافة التي تعتبر أن الزواج ليس هو الأفضل، بل تعتبره رجساً، هذه الثقافة لو طبقها كل فرد تفنى البشرية كلها من أولها إلى آخرها خلال جيل واحد، فإذن ليست هذه الثقافة مرشحة لأن توجد تقدماً مدنياً، ولا ينبغي أن نخلط إطلاقاً بين التقدم المدني الذي وجد في الغرب وبين الثقافة النصرانية لأن الثقافة النصرانية لو أخذت مداها لقتل كل العلماء الذين كان لهم دور في تقدم المدنية المعاصرة. فلا بدّ من الثقافة المناسبة للتقدم المدني.

ولا بدّ من النظام المناسب المستقر، فالنظام غير المستقر لا يمكن أن يوجد معه شيء فلا بدّ من استقرار نظام. فمن خلال الاستقرار يأخذ الاختصاص مداه، وتستغل الأرض والوقت استغلالاً كاملاً، ويبرمج الوقت بما يحقق هدفاً، فإذن لا بدّ من الثقافة والنظام، ولا بدّ من الاختصاص، ولا بدّ من استغلال الأرض ظاهراً وباطناً، ولا بدّ من برمجة الوقت والاستفادة منه. متى وجدت هذه القضايا الخمس وجد تقدم مدني.

أمثلة

انظروا إلى هذا العالم فحيثما وجدت هذه القضايا الخمس يوجد التقدم المدني.

النظام النازي على قسوته توافرت له هذه القضايا الخمس فتمّ له تقدم مدني : وجد

نظام مستقر، ووجدت ثقافة تسمح بتقدم مدني، وكل شبر من الأرض مستغل، والوقت مبرمج، والاختصاص موجود، كانت النتيجة أن هتلر استطاع خلال ست سنوات أن يقفز ببلاده من البلد المقيد بمعاهدة فرساي إلى أن استطاع أن يجعل بلاده تخوض حرباً عالمية تكاد أن تكتسح العالم.

اليابان بدأت نهضتها عندما توافرت لها هذه القضايا الخمس، نظام راغب في التطوير وهو مستقر، ثقافة اعتمدت لصالح التقدم المدني، أرض استغلت، ووقت أحسن الاستفادة منه، اختصاص دفع إليه، كانت النتائج أن اليابان استطاعت خلال فترة قصيرة جداً أن تقفز قفزتها في عالم التقدم المدني، فالتقدم المدني مرتبط بهذه القضايا، فإذا وجدت كان.

صورة مرئية
مدنية متقدمة وثقافة متخلفة

ولكن المدنية التي هي أثر عن وجود هذه القضايا الخمس يمكن أن توجد مع تقدم ثقافي، ويمكن أن توجد مع تخلف ثقافي، من يستطيع أن يقول إن المعاني الموجودة في الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي حالياً تعني التقدم الثقافي، هل نظام الأقنان الذي يربط الإنسان بالأرض ربطاً ليس معه خيار، وليس أمام الابن إلا أن يرث عمل أبيه، هل هذا النظام متقدم ؟ كل الناس يقولون : هذا نظام متخلف، النظام القائم الآن في الشرق الشيوعي، أليس هو نظام الأقنان قد بلور وتطور بشكل ما ؟ فالإنسان هناك ليس أمام خيارات، هو مكلف أن يكون آلة والويل له إذا شكا أو اشتكى.

وهذه بولندا الآن تفرض على كل عاطل عن العمل أن يقبل الوظيفة التي تختارها له الدولة بصرف النظر عن كونها مناسبة له أو لا، من يقول : إن هذا تقدم ثقافي ؟

هذا الغرب الإباحي الذي لا تقف إباحيته عند حدود، هذا الغرب الذي يفلسف الإباحية، من يقول إنه متقدم ثقافياً، من يقول إن الذي استباح حتى اللواط والعري متقدم ثقافياً، الشهوة الجنسية عند كل الحيوانات تؤدي عرضاً، هو بقاء النوع، وذلك يكون بلقاء الذكر مع الأنثى، فعندما يلتقي الذكر مع الذكر، أو الأنثى بالأنثى فيا لهول الإنحراف، وأي تخلف ثقافي هذا. إذن يمكن أن تكون أمة متقدمة مدنياً ولكنها متخلفة ثقافياً.

الإسلام هو التقدم

وبعد : فإنه لا يمكن أن تكون أمة متقدمة مدنياً وثقافياً بآن واحد إلّا بالإسلام، لأن الإسلام يفرض قوانين التقدم المدني فرضاً، وفي الوقت نفسه يفرض قوانين التقدم الثقافي، ويوجد الشرارة التي تتفاعل بها هذه المعاني، كما يوجد الأساس الذي تنبثق عنه هذه الأمور كلها، وهو في الوقت نفسه ضابط وموجه لهذه القضايا بمجموعها، ثقافة ومدنية، وهو في كل هذا حق خالص لا يستطيع علم أن يرفضه، ولا عقل أن ينقضه، ولو أنني أردت أن أتحدث عن هذا الموضوع، أنه لا شيء في نصوص الإسلام ينقضه عقل أو علم لسارت المحاضرة مسيرة أخرى، بينما أشياء كثيرة تعتمد في هذا العالم ينقضها العقل ويرفضها العلم ويدعي أهلها التقدم وما أبعد المدعى، النظرية الشيوعية تعطل قانون السببية، فلا يمكن أن نعتبرها عقلانية، وهي ترفض الأخذ بالعلم إذا تعارض مع نظرياتها فأين التقدم ؟ لقد بقي الاتحاد السوفياتي يحارب نظريات أنشتاين ويسجن من يقول بها حتى كادت القنبلة الذرية أن تظهر لأن نظريات أنشتاين تتعارض مع فكرة الديالكتيك التي يقول بها الشيوعيون، فمن قال إن ها هنا علماً أو عقلاً فإنه يكذب على العلم والعقل. من يقول إن الحضارة الغربية تبنى على العقل ؟ هل العلم يقول إن الخمرة مباحة ؟ هل العلم يقول إن الخمرة لصالح الإنسان ؟ ومع ذلك أليست الخمرة مباحة في كل قوانينهم ؟ هذا لا يتفق مع علم، فإن نعرف القانون العلمي أو العقلي ثم لا نبني عليه. إن هذا لا يحدث في الإسلام ولذلك قلنا : إنه لا يوجد في هذا العالم على الإطلاق تقدم ثقافي إلا حيث وجد الإسلام وبالتالي : لا يوجد تقدم حضاري يجتمع فيه التقدم المدني مع التقدم الثقافي إلا حيث وجد الإسلام، لأن الإسلام كما قلنا يفرض التقدم الثقافي ويفرض التقدم المدني.

الرقي المفروض

قوانين التقدم المدني كلها مفروضة في الإسلام، ولا تقدم ثقافياً في هذا العالم إلا بالإسلام، فإذا وجدت قوانين التقدم المدني والثقافي على أساس الإسلام الذي هو وحده تجتمع فيه أنواع التقدم، عندئذ توجد حضارة متقدمة، شرارتها الإسلام، ضابطها الإسلام، موجهها الإسلام، وليس الإسلام حيادياً مع أي جانب من جوانبها، ودعونا الآن نتأمل معاني في الإسلام.

إن الإسلام قد أعطى الجواب على كل شيء يحتاجه الإنسان، والله عز وجل قال في

كتابه : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾[1]، فلا يقف الإسلام محايداً أمام شيء إلا عندما يقول عن قضية إنها مباحة ــ إن الإسلام هو التغطية الشاملة، للحياة كلها ولا يقبل شركة، وكل ذلك على أرقى ما يقتضيه عقل وعلم، إذا كانت الشيوعية لا تقبل شركة وهي باطلة، وجوابها باطل، فالإسلام لا يقبل شركة وجوابه صحيح ومن ثم نقول إن الإسلام هو الضابط لقضايا التقدم الحضاري جميعاً وهو الموجه، وهو الأساس الذي ينبثق عنه التقدم الحضاري، وهناك دليل ذلك بالنسبة لقوانين التقدم المدني، ثم بالنسبة لشروط التقدم الثقافي :

أولا ــ استغلال الأرض :

يقول الله تعالى : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾[2]، عندما تستعمل السين والتاء في اللغة العربية فالصيغة تفيد طلباً، فالآية تخاطب الإنسان : إن الله أنشأك من الأرض وطلب منك أن تعمرها، فعليك أن تعمر هذه الأرض أيها الإنسان.

وقال تعالى : ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾[3]، ما في الأرض كلها لك أيها الإنسان، خلق من أجلك، عليك أن تستفيد منه، وليس هذا فقط، بل قال تعالى : ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض** ﴾[4]، ليست الأرض مسخرة لك وحدها، بل ما في السموات وما في الأرض مسخر لك، فاستفد منه.

هذا الكون لك، فإذا استطعت أن تصل إلى القمر وأن تستفيد منه فهو مباح لك، وإذا استطعت أن تصل إلى الزهرة وتستفيد منها فهو مباح لك، السموات والأرض مسخرة لك، دين يقول هذا، من يقول إنه لا يفرض قوانين التقدم المدني فضلاً عن الثقافي. فإذا ما أردنا أيها الإخوة أن نستأنف حضارتنا من جديد، ليكون ذلك مقدمة للحضارة العالمية المتقدمة، فلا بدّ أن نضع في حسابنا الاستفادة من الكون، والاستفادة من الأرض ظاهرها وباطنها.

والآن لنتساءل : هل المواد الخام في الأرض الإسلامية يستفاد منها استفادة

---

(١) سورة النحل: (٨٩).

(٢) سورة هود: (٦١).

(٣) سورة البقرة: (٢٩).

(٤) سورة لقمان: (٢٠).

كاملة ؟.. هل الأرض القابلة للزراعة في الأرض الإسلامية تستغلّ استغلالاً كاملاً ؟.. وإذن فليس الإسلام هو المسؤول عن تخلفنا، بل الذنب ذنب المتخلفين.

ثانياً ــ الوقت :

عندما نقرأ شمائل رسولنا عليه الصلاة والسلام نقرأ في جملة ما نقرأ، أنه كان يقسم وقته : فقسم للعامة، وقسم للخاصة، وقسم لعبادة ربه، وقسم لأسرته، فليس هناك زمن مهدر .. وهكذا المسلم فإنه لا يوجد عنده زمن ضائع، ولا يوجد عنده زمن لا يحقق فيه هدفاً. لذلك قال الخليفة الراشد : إني لأكره أن أرى الرجل لا في أمر دنياه ولا في أمر أخراه.

ثالثاً ــ الاختصاص :

لنرجع إلى بعض كتب الفقه الإسلامي كحاشية ابن عابدين في فقه الحنفية مثلاً، فإننا نجد فيها أن هناك علوماً مكروهة، وعلوما مفروضة فرض عين، وعلوماً مفروضة فرض كفاية، وعلوماً مسنونة، وعندما يضرب أمثلة على العلوم المفروضة فرض كفاية على الأمة يذكر ما يدخل بعلوم الاقتصاد والتجارة وغير ذلك، وهكذا الإسلام يعتبر أن كل علم يحتاجه المسلمون فهو فرض كفاية، حتى قالوا : لو احتاج المسلمون لصناعة إبرة ولم يوجد بين المسلمين من يحسن صناعتها فكل المسلمين آثمون، لو أردنا أن نطبق هذا المبدأ بعقلية إسلامية متفتحة فماذا نفعل ؟

المفروض أن نحصي كل العلوم التي يحتاجها المسلمون، العلوم التي تحتاجها الزراعة، العلوم التي تحتاجها الصناعة العسكرية، العلوم التي تحتاجها الصناعة المدنية، العلوم التي تحتاجها صناعة البترول، العلوم التي تحتاجها صناعة البناء، إننا نجد آلاف العلوم التي يعتبر كل منها فريضة كفاية على الأمة الإسلامية، ولا يتحقق فرض الكفاية بأن يوجد الإنسان الواحد الذي يعرفها، بل أن توجد المجموعة التي تغطي احتياجات الأمة، وأن يوضع هؤلاء في الطريق الذي يحققون فيه علمهم. يعني لا يكفي أن يوجد المختص في الذرة ثم لا تقوم صناعة ذرية حتى يسقط الإثم، لا بدّ أن يوجد المختصون، ولا بدّ أن تقوم الصناعة، عندئذ يسقط الإثم عن بقية المسلمين، وفي واقعنا المرّ نجد أنه حتى إذا وجد الاختصاص فإن المختص يكلف بغير مهمته، أو لا توضع تحت تصرفه جميع الأشياء التي يحتاجها، لقد كانت الدولة العثمانية على ما فيها قبيل سقوطها تصنع كثيراً من سلاحها بل تصنع سلاحها، أي شعب في هذا العالم الإسلامي يصنع سلاحه كله، لماذا لا نصنع سلاحنا ؟ إن الاختصاص وتحقيقه على أرض الواقع من فرائض الإسلام.

رابعاً ــ النظام المستقر :

النظام المستقر يفرضه الإسلام، ولذلك يقول الحديث الشريف : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ». عندما كلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل الشورى أن يختاروا خليفة منهم أمر الأكثرية أن تقتل الأقلية إذا رفضت الإذعان، وذلك من أجل وحدة المسلمين، ومن أجل أن يكون نظامهم مستقراً.

ولكن ما هو النظام الإسلامي ؟

كان عمر بن الخطاب يصر على أن يأخذ جواباً على قضية : خليفة أنا أم ملك ؟ سأل هذا السؤال لأكثر من صحابي، وأصر على أن يأخذ جواباً .. فقالوا له : إذا كنت تأخذ المال من حله، وتضعه في محله، فأنت خليفة غير ملك.

فالمال في نظام إسلامي لا يؤخذ إلا في حله ولا يوضع إلا في محله، فإذا لم يكن النظام المالي على هذه الشاكلة فالنظام الإسلامي الكامل غائب.

النظام الإسلامي الكامل هو النظام القائم على الشورى، الذي يجعل المسلمين جميعاً شركاء في دولتهم، شركاء في قرارتها.

ليس هناك في النظام الإسلامي ناس لا يشاركون في القرار، ولا يشاركون في بناء مستقبل أمتهم.

النظام الإسلامي الكامل هو الذي يحقق العدل ويقيمه ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾[1] . فإذا لم يكن عدل ولا شورى ولا نظام مالي يؤخذ فيه المال من حله ويوضع في محله لا يكون هذا النظام هو النظام الإسلامي الكامل النظام المستقر المستمر.

إن كل نظام في العالم يمكن أن يتقدم تقدماً مدنياً ولكن لمرحلة، ثم هو يحمل في طياته عوامل تدميره، النظام النازي حوى في طياته عوامل تدميره، النظام الياباني حوى في طياته عوامل تدميره، النظام الرأسمالي والشيوعي يحويان في طياتهما عوامل تدميرهما، وكل الذين يدرسون ويفكرون يقولون هذا، فالتقدم المدني الذي نراه لا بدّ أن يعقبه في يوم

(١) سورة النساء: (٥٨).

من الأيام دمار وتخريب، لماذا؟ لأنه يوجد نظاماً مستقراً مؤقتاً وليس دائماً، أما عندما يكون النظام الإسلامي الكامل القائم على الشورى، القائم على العدل، القائم على أخذ المال من حله ووضعه في محله فعندئذ يوجد نظام مستمر ومستقر، وبالتالي فعندما يوجد مثل هذا النظام فعندئذ توجد حضارة متقدمة متطورة لا تحوي في طياتها إمكانيات دمارها، بل تحوي في طياتها إمكانية استمرارها، وإمكانيات تطورها.

خامساً ـــ الثقافة المناسبة :

إن الثقافة الإسلامية تقوم على التوحيد والعبادة وتزكية النفس، وعلى فكرة الحلال والحرام، وعلى أدب التعامل مع الله والإنسان والأشياء وهذه وحدها تناسب الإنسان وتناسب التقدم المدني وهي في الوقت نفسه أرقى صيغ الارتقاء بالإنسان، وبها وحدها توجد الحضارة الإنسانية الرفيعة والمتقدمة.

الثقافة التي تقوم على التوحيد لا يمكن أن تكون إطلاقاً لغير صالح التقدم البشري، انظروا إلى تصرفات البشر حيث يغيب التوحيد.

عندما يسخر الفراعنة ملايين البشر لصناعة قبور لهم لأنهم يعتبرون أنفسهم آلهة، وتعتبرهم شعوبهم كذلك، هل هذا لصالح التقدم البشري، أن يسخر شعب بأكمله من أجل أن يصنع قبراً لفرعون ؟ هذا أثر من آثار الشرك.

وهناك طائفة في العالم تزن من تعتبره إلهها كل عام بالذهب، وتقدمه له هدية، شعب كامل يشتغل ليلاً ونهاراً من أجل أن يقدم لإنسان هدية، هذا مظهر من مظاهر الشرك.

ماذا يعني تقديس البقر ؟ سوى أن يكون شعب بأسره مسخراً لخدمة البقر، فبدلاً أن يكون كل شيء مسخراً للإنسان وتلك عقيدة التوحيد، يجعل الشرك الإنسان أحقر الأشياء.

المشرك الذي يعبد صنماً يعتبر الصنم أرقى منه، فهو أدنى من الحجر، والذي يعبد الشمس يعتبر نفسه دون الشمس، والملحدون ما خرجوا عن كونهم مشركين، ولكن من نوع خاص.

لقد كان المشرك الساذج يعبد جزءاً من الكون، بينما الملحد الحالي أعطى الكون كله خصائص الإله وصفاته ثم عبده، قد لا يتوجه إلى الشمس والقمر بالعبادة، ولكنه يتوجه إلى ذاته التي هي جزء من الكون بالعبادة ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾[1] .

(١) سورة لقمان: (٤٣).

الثقافة الإسلامية التي تقوم على التوحيد تجعل كل شيء مسخراً للإنسان، وتدفع الإنسان ليتوجه إلى الله، والتوجه إلى الله هو الذي ينمي خصائص الإنسان.

قرأنا أو سمعنا عن أناس قتلوا أبناءهم، عن أناس قتلوا آباءهم لماذا ؟ أليست هناك رحمة ؟ أليست هناك رأفة ؟ أليست هناك عواطف إنسانية ؟ كل ذلك يغيب إذا فقد القلب حس التوجه إلى الله.

إنه بالتوجه إلى الله، تنمو عواطف الإنسان الخيرة، وبالعبادة لله فقط ترتقي هذه الإحساسات، فالله عزّ وجلّ أعطى الإنسان كثيراً من صفاته، كثيراً من أسمائه وطالبه بالعبودية له، فمن أسمائه الرحيم وطالبنا أن نكون رحماء، من أسمائه الرؤوف وطالبنا أن نكون رؤفاء، ومن أسمائه الكريم وطالبنا أن نكون كرماء، ومن صفاته الإرادة وأعطانا الإرادة، وطالبنا أن نوجهها في طريق الخير.

عندما يعرف الإنسان الله ويتقدم له بالعبادة، فهذا الذي ينمي خصائصه الإنسانية.

عندما تسجد لله عز وجل تتساقط الكبرياء عن نفسك، وتتساقط أمراض الشعور بالعظمة والرغبة في التألّه، والتعالي على الخلق.

الإنسان الذي يأبى السجود لله لا يمكن إلا أن يكون متكبراً.

الثقافة الإسلامية منطلقها التوحيد وكل ما فيها لصالح إنسانية الإنسان، والصلاة التي تعتبر رمزاً على الإسلام تحررك أيها الإنسان من كثير من المعاني، وتعمق عندك كثيراً من المعاني، وكلها تصب في تعميق إنسانية الإنسان.

تجدون في النصوص أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن نقر الديك، وعن افتراش الثعلب، وعن إقعاء الكلب في الصلاة، أليس هذا تعميقاً لإنسانية الإنسان؟

الإسلام كله تنمية لخصائص الإنسان، وبلا إسلام فلا إنسانية، ولذلك تجدون القرآن الكريم وصف غير المسلم المؤمن بأنه حيوان، أو خشب أو حجر.

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾[1] .

﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة: (٧٤).

(٢) سورة المنافقون: (٤).

﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل ﴾[1] .

﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم ﴾[2] .

إنه لا تنمو إنسانية الإنسان إلا بالإسلام، فالثقافة التي تنمي إنسانية الإنسان وتضعه في محله الصحيح في هذا الكون، وفي الوقت نفسه توجهه نحو جوانب التقدم البشري جميعها، نحو جوانب الحضارة كلها هذه ثقافة وحيدة يمكن أن تكون متقدمة، وما سوى ذلك فلا يوجد في العالم ثقافة متقدمة، ولذلك فلا يوجد الآن في العالم حضارة متقدمة، لأنه حيث الثقافة المتقدمة يوجد تخلف مدني، وحيث التقدم المدني يوجد تخلف ثقافي، وللأسف فإن المسلمين أنفسهم كما قصروا في الأخذ بأسباب التقدم المدني مع أنه مفروض عليهم فقد قصروا في الغالب أن يكونوا من الناحية الثقافية المظهر العملي للإسلام.

هل ظلمنا عندما نفينا التقدم الثقافي إلا حيث يوجد الإسلام ؟

(إننا لا ننكر أنه في كثير من أرجاء هذا العالم توجد جوانب مشرقة في الثقافة الإنسانية، فهناك شورى نقدرها، وحرمة للإنسان، نحترمها، وسيادة للقانون تحمي الإنسان حيث وجدت، وهناك أصول رائعة في أصول التعامل الرسمي، وهناك أشياء أخرى ننظر إليها بإعجاب، ولكن هذا كله لا ينطلق عن أصول صحيحة كما أنه مخلوط بأمراض وأخطاء.

إننا نقول : لقد جعل الله العقل البشري بحيث يدرك الحسن والقبيح، ولكنه لا يستغني عن تسديد الوحي وتوجيهه، لذلك قد تصل شعوب إلى اعتماد معانٍ طيبة أوصلت إليها التجربة البشرية، أو التفكير الإنساني، ولكن كل ذلك بدون الوحي يبقى قاصراً.

ومن عظمة الإسلام أنه يعتمد النتاج الصحيح للعقول والتجربة ولكنه يربطها بالأصول الصحيحة وينقحها من الدخل والغلط والخطأ، ويجعلها في محلها ضمن ثقافة متكاملة كلها خير وحق وعدل، ولذلك لم نظلم عندما قلنا : إن الثقافة الإسلامية وحدها هي التقدم).

---

(١) سورة الفرقان: (٤٤).

(٢) سورة الأنفال: (٢٢).

الثقافة التي تقول للإنسان يفترض على عقلك أن يفكر حتى يعرف الله وإذا لم تعرف الله عن طريق العقل والفكر فأنت إما آثم، على رأي بعضهم، وإما أنك لم تدخل في الإسلام أصلاً، بينما الديانة المسيحية تعتبر التثليث قضية غير خاضعة للدليل العقلي.

فارق كبير بين ثقافة هذا شأنها وبين ثقافة هذا شأنها، بين ثقافة تعتبر الجمال جمال القلب، والبياض الحسن بياض القلب، والله عز وجل ينظر إلى القلوب لا إلى الألوان والأجسام، والمؤمنون إخوة، وبين ثقافة لم تستطع حتى الآن أن تهضم فكرة إخاء الأسود مع الأبيض، وبين ثقافة لم تتحرر من فكرة أن الناس بعضهم خلق من وجه الإله، وبعضهم خلق من قدميه، هؤلاء منبوذون وأولئك مقدسون. الأولون لا يجوز أن يلمسوا الآخرين، والآخرون ليس لظلهم أن ينجس الآخرين، فلو مرّ ظلهم على الآخرين يكونون قد ارتكبوا ذنباً، ولذلك فعلى المنبوذ أن يظهر صوتاً من فمه يشبه صوت الخنزير إذا مرّ على هندوسي لإشعاره أنه مار ليتنحى عنه.

ثقافة هذا شأنها لا يمكن أن تقارن بثقافة ذاك شأنها، هذه ثقافة متخلفة، وتلك ثقافة متقدمة.

ولكن أين نحن المسلمين من قضية الحضارة ؟

لقد رأينا أن الإسلام يفرض على المسلمين كل ما يجعلهم في مقدمة الأمم، وقد رأينا أن أركان ذلك بالنسبة للأمة الإسلامية خمسة، أرض مستغلة، وقت مستغل ومبرمج، واختصاص يغطي احتياجات الحياة جميعاً، ثقافة إسلامية شاملة كاملة : حق، ربانية، نظام مستقر ومستمر.

فأين نحن من هذا كله ؟

(لا يعتبر العالم الإسلامي الآن من المناطق المستقرة في العالم، ثم إن أوضاعه لا تعتبر النموذج التطبيقي للثقافة الإسلامية، وقسم كبير من وقته ضائع، ولو قلنا : إن جزءاً بسيطاً من طاقاته يستغل ما بالغنا، ثم أن الأمة الإسلامية حجة على الإسلام عند عامة الشعوب، بدلاً من أن تكون حجة للإسلام.

لقد قال الله تعالى :

﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ﴾[1] .

دلت الآية على أن المسلمين إذا أخلوا بواجب الوفاء بالعهود فذلك يكون عاملاً من عوامل الصد عن سبيل الله، فكيف إذا عطلوا الكثير من الفرائض ؟ ألا يكونون عامل صد عن سبيل الله بدلاً من أن يكونوا دعاة له بأقوالهم وأفعالهم، فيكونوا بذلك حجة الله على خلقه ؟

لقد قال تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم. لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيءٍ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾[2] .

فسر المفسرون هاتين الآيتين بأنكم أيها المؤمنون عندما تتقون وتؤمنون تقيمون الحجة على أهل الكتاب فيعلمون أنهم لا يحولون دون وصول فضل الله إلى أمة أخرى.

وإذن فتصرف المسلمين يجعلهم حجة للإسلام، أو حجة عليه من الناحية الواقعية العملية. فكم نحن مقصرون فيما نحن عليه وفيه ؟

أهم أنواع التقصير

أيها الإخوة : المجتمع الإسلامي الآن يفقد خصائصه إلا قليلاً، أين خصائص حزب الله كما ذكرها في القرآن؟ أين هي **﴿يحبهم ويحبونه﴾**[3] ، **﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾**[4] **﴿ يجاهدون في سبيل الله ﴾**[5] ، **﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾**[6] .

أين هذه إلا عند القليل ؟ أين خصائص جماعة المسلمين ؟

---

(١) سورة النحل: (٩٤).
(٢) سورة الحديد: (٢٨، ٢٩).
(٣) ، (٤) ، (٥) :، سورة المائدة: (٥٤).
(٦) سورة المائدة: (٥٥).

﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾[1] .

﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ﴾[2] ، ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾[3]

﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾[4] .

﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾[5]

أين هذه الخصائص إلا قليلاً ؟

أين خصائص وراث الأنبياء ؟

كان رسول الله ﷺ إذا وقف للصلاة يسمع من جوفه أزيز كأزير المرجل من خشية الله عز وجل.

بالكلام وحده لايتغير نظام
ولا يتحقق هدف

أيها الإخوة : حتى الآن يتصور بعضنا أننا بمجرد الكلام نستطيع أن نغير نظام العالم، وحتى الآن يتصور بعضنا أننا مكلفون ضمن عالم الخوارق، ولسنا مكلفين ضمن عالم الأسباب، وهذا عكس الواقع فنحن مكلفون ضمن عالم الأسباب، ولسنا مكلفين ضمن عالم الخوارق، الخارقة نؤمن بها وقد وقعت للرسل عليهم الصلاة والسلام، وتقع للأولياء ونحن نؤمن بها، ولكن لسنا مكلفين على أن هناك خوارق، نحن مكلفون بعالم الأسباب، أين نحن من عالم الأسباب في تطلعاتنا ؟ وفي ما نريده لأنفسنا ولأمتنا ؟ أين نحن من هذا ؟

أرى كثيرين منا يقولون : إذا طبق الإسلام حلّ جميع المشاكل، وهذا صحيح،

---

(١) سورة الشورى: (٣٦).

(٢) ، (٣) سورة الشورى: (٣٧).

(٤) سورة الشورى: (٣٨).

(٥) سورة الشورى: (٣٩).

فالإسلام هو حلّ لجميع المشاكل ولكن هل يحلّها بمجرد الكلام ؟ هل بمجرد أن نادى الصحابة بالإسلام وقبلوه حلّت جميع المشاكل، أو أن كل قضية من القضايا عرفوا لوازم التكليف فيها وساروا في الطريق الموصل إليها ؟

لن تحلّ مشكلة هذا العالم إلا إذا عرفنا الأسباب التي توصل إلى حلها.

لن نصل إلى هدف إلا إذا عرفنا الأسباب التي توصل إلى هذا الهدف.

يقول الله عزّ وجل في القرآن.

﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾[1] .

﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾[2] .

نحن لم نكلف بالخوارق، نحن كلفنا ضمن عالم الأسباب، أنت مكلف بكذا فما هي الأسباب الموصلة إليه، قد يفترض علينا أن نوجد خمسين ألف مقدمة من أجل أن نصل إلى نتيجة مفروضة.

لقد قال الله عز وجل :

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾[3] ترى كم مقدمة علينا أن نصنعها في عصرنا للوصول إلى تحقيق هذه الفريضة.

إنه ما لم نوجد عشرات الألوف من فروض الكفاية الضائعة فلن نستطيع تحقيق هذا الأمر على مستوى العالم، ولماذا نذهب بعيداً فهل يظن إلا أحمق أن حلّ القضية الفلسطينية يمكن أن يكون بلا مقدمات كثيرة أبسطها السيطرة على التكنولوجيا المعاصرة، وإعادة صياغة المسلم، وإيجاد علاقات عربية وإسلامية مناسبة، وربط مصالح العالم كله بنا حتى يتخلى عن إسرائيل.

لقد وصف الله عز وجل ذا القرنين بقوله :

﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً ﴾[4] .

أي آتاه الأسباب الموصلة إلى الغايات، وقد سار وراءها حتى ملكها فتم له التمكين.

---

(١) سورة محمد: (٤٧).

(٢) سورة محمد: (٣١).

(٣) سورة الأنفال: (٣٩).

(٤) سورة الكهف: (٨٤).

ونحن نريد أن يتم لنا التمكين في الأرض، أو الوصول إلى أهداف دون دفع ثمن وبلا تقديم مهر لذلك. أليس لسان حالنا يشبه لسان حال من قال: ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾[1] . إن كل من يريد تحقيق أهداف مفروضة دون السير في الطريق الموصل لذلك، لا يعدو عن كونه كذلك.

وقفة مراجعة للذات

إن تاريخنا نحن المسلمين لا يمثل إسلامنا فقد انتقل نظام الحكم من كونه خلافة راشدة إلى أن أصبح ملكاً عضوضاً بعد ثلاثين سنة من وفاة الرسول ﷺ، ثم إنه حتى في مرحلة الخلافة الراشدة فقدنا الاستقرار في النظام السياسي فحدثت الفتنة الكبرى ووجد الصراع الداخلي، وعبر أربعة عشر قرناً جدت أمور، ووجدت ظروف، أوصلت الأمة الإسلامية إلى أنظمة سياسية متعددة، وهذا كله يقتضي من أهل الفكر والاجتهاد والإخلاص أن يفكروا فيه فيستفيدوا من دروس الماضي لمعالجة الحاضر، وصياغة المستقبل من أجل إيجاد نظام سياسي على الأرض الإسلامية، واقعي ومستقر وقابل للاستمرار، وينبغي أن يتم هذا بأقل قدر من الصراع، وبأكثر ما يكون من الحكمة.

وبسبب من سياسات عالمية مرسومة، ولظروف عالمية معقدة، ولقصور كبير في التفكير والتدبير واللوازم لم تستطع الأمة الإسلامية حتى الآن أن تستوعب التكنولوجيا العالمية بحيث تصبح شريكاً فيها كما لم تستطع أن تقفز قفزة نوعية في التطور الزراعي والصناعي المتكامل المكافىء لأوضاع الشعوب المتقدمة.

وبسبب من قصور الكثيرين من الدعاة وتقصيرهم حيث لم يتقدموا بنظريات صحيحة وشاملة في الثقافة والتربية الإسلاميتين، وإذا تقدموا فإنهم لم يستطيعوا إيصالها إلى كل شعب وإلى كل فرد.

وبسبب من عدم استغلال الوقت بحيث لا يضيع زمن إلا على طريق تحقيق هدف.

بسبب من ذلك كله فنحن لسنا في الوضع الأفضل عالمياً وما لم نصل إلى أن نكون نحن الأفضل عالمياً فلن تعمّ الثقافة الإسلامية هذا العالم، وفي ذلك خسارة للإنسان أي خسارة، وبسبب من ذلك فلن توجد على هذه الأرض الحضارة المثلى.

---

(١) سورة المائدة: (٢٤).

تصحيح مفاهيم

هل الوصول إلى حضارة مثلى على أساس الإسلام مجرد تطلع، أو مجرد حلم أو خيال ؟ أهو من النوافل في حق المسلم ومصدر خوف وتخوف في حق غيره ؟

إن من يظن مثل هذه الظنون لمن أكثر الخاطئين، فكل عاقل في هذا العالم مكلف بالإسلام، وإيصال الإسلام لكل إنسان فريضة على المسلمين، وصبغ هذا العالم بصبغة الإسلام فريضة ربانية على كل من يستطيعها. ولا يظن أحد أن ذلك مظنة ظلم أو تخلف بل الإسلام هو العدل والتقدم، وعلى المسلمين من خلال الأقوال والأفعال أن يطمئنوا هذا العالم : إن شيئاً صالحاً من نتاج العقول والتجربة البشرية لن يضيع بسبب من الإسلام، ولا بسبب من قصور التفكير عند المسلمين، لأنه يستحيل في منطق الأسباب في عالمنا المعاصر أن يستطيع المسلمون صبغ هذا العالم بالإسلام إلا إذا اطمأن سكان هذا العالم إلى عدلهم وسلامة تفكيرهم، وثقله وعمقه.

الجديد المطلوب

لقد قامت حركات إسلامية قوية في القرن الرابع عشر للهجرة، بعضها أدى دوره وانتهى، وبعضها أداه ولا يزال يؤديه، فجزى الله محسنهم خيراً وغفر لمسيئهم، والمطلوب للمستقبل تحرك متعدد الجوانب يشارك في جزء من أجزائه أو الكثير من أجزائه من يستطيع، سواء تمّ ذلك كله عن طريق حركات شعبية قائمة أو مؤسسات حكومية مخلصة فالعبرة للمضمون.

هذا التحرك المطلوب يشمل :

١ ــ دائرة الدعوة والثقافة والتربية على ضوء نظريات شاملة ومستوعبة تصل إلى كل مسلم ثم إلى كل إنسان.

٢ ــ دائرة تطوير القرية أو البلدة أو الحي اقتصادياً واجتماعياً : في السكنى والنظافة والجمال وتأمين الأعمال واستثمار رؤوس الأموال.

٣ ــ دائرة تطوير المؤسسات والمرافق والاختصاصات.

٤ ــ دائرة التطوير السياسي لشعوب الأمة الإسلامية ولعلاقاتها.

إن العمل الفعال في هذه الدوائر الأربع، وعلى مستوى الأمة الإسلامية نرجو أن يكون مقدمة قوية لمرحلة جديدة لهذه الأمة تناسب القرن الخامس عشر الهجري.

من مذاكرات الحج

في حجة عام (١٤٠٢ هـ) شاركت في ندوة حول الحج وقد تحدث المشاركون عن أمور كثيرة، ولما طلب إليَّ أن أتكلم قلت: إني سأتكلم عن تطلعات وتخيلات وكان من كلامي : إن الحج هو مرآة الأمة الإسلامية، فيه يظهر تقدمها وتخلفها، كما تظهر فيه مواطن الضعف والقوة عندها.

ومن تأمل في حال الحجاج وجد الكثير من المظاهر التي لا ترضي، لذلك يتطلع كثير من الناس إلى أن تتحقق للحاج أعلى درجات الراحة والنظافة بتيسير الوسائل وتسهيل المرافق، وإني لأتمنى أن لا تبقى وسيلة عالمية معروفة للإنسان تساعد على ذلك إلا واستحدثت :

أن تتحرك قطارات متعددة تحت الأرض، أن توجد سلالم وسيور متحركة من مكان إلى مكان، أن توجد المراحيض النظيفة، وأن تتيسر وسائل الطهارة حيث تنقل الحاج، أن يوجد سكن من نوع ما يرتاح به الحجيج حيث تنقلوا، أن تسهل إجراءات السفر، أن تنظم الاستفادة من الذبائح.

أحلام كثيرة تراود الإنسان وهو يرى الزحام أثناء الرمي وفي الطواف، وهو يرى كيف ينام الحجاج.

إنه ليتمنى أن تتجمع كل العقول الهندسية العبقرية، وكل العقول العلمية الشرعية وغيرها وأن توضع كل أموال الأمة الإسلامية لإيجاد نوع من الأوابد الحضارية في مكة والمدينة، ولا نغمط جهداً حالياً قدره، فما أكثر ما نراه وأطيبه وأجمله وأكثر واقعيته.

لنفترض أننا استطعنا أن نفعل ذلك كله بأن نقلنا كل ما استحدثه الإنسان من وسائل الراحة ومن التسهيلات إلى مكة والمدينة، ولكن هذا المسلم الوافد رفض ذلك، وظن أن هذه التسهيلات هرطقة، وأن القائمين على ذلك أفسدوا الحج، وغيروا المعالم فخالفوا السنة، فعندئذ تنقلب الآية وتحدث الفتنة، وإذن فتطوير الأمة الإسلامية مرتبط بعضه ببعض، فمهما طورت في جانب فذلك لا يغنيك عن التطوير في الجوانب الأخرى، فالتطوير في الوسائل التي تساعد على إقامة المناسك تقتضي تطويراً في عقلية المشاركين.

ومن هنا فالمفكرون الإسلاميون لا بدّ أن تكون نظرتهم شاملة وهم يتحركون للتطوير، وهذا الذي دعانا إلى اقتراح العمل في الدوائر الأربع التي ذكرناها في الفقرة السابقة.

عوداً إلى فكرة الدوائر الأربع

دعونا نتصور أنه وجد في كل مسجد مجموعة من المسلمين أخذت على عاتقها عمارة المسجد بالعلم والثقافة والذكر، وأخذت على عاتقها إيصال الثقافة الإسلامية الشاملة والمتكاملة إلى كل فرد في دائرة المسجد، ونظمت ذلك ورتبته في سجلات، وتعاونت معها في ذلك حكومة ذلك البلد ومؤسساتها كوزارة الأوقاف وغيرها.

ثم دعونا نتصور أنه وجد في كل حي وفي كل قرية ناد لتطوير هذا الحي، فلا فقير إلا وسوعد، ولا عاطل عن العمل إلا وهيىء له عمل، ولا عاجز عن السكن إلا وهيىء له السكن، واستثمرت أموال الحي أو القرية بمشاريع معينة، ودفع في طريق إنشاء الحدائق والمباني، وتعوون على تأمين الجمال والنظافة، ووجد في دائرة الحي أو القرية المساجد مع النوادي الرياضية مع النوادي الكشفية.

ثم لنتصور أنه وجد لكل مؤسسة مفقودة أو موجودة ناد مهمته تطويرها، أو إيجادها بإيجاد المختصين أو بترقيتهم.

ثم لنتصور بعد ذلك أنه وجد في كل قطر إسلامي ناد مهمته تطوير وضع القطر سياسياً على ضوء الإسلام.

إن مجموعة الأمور هذه إذا أمكن استحداثها وبتعاون بين الناس وحكوماتهم ألا يمكن أن تحدث شيئاً كبيراً.

حلم آخر

دعونا الآن نحلم حلماً آخر:

في العالم الإسلامي الآن أقطار فقيرة وأقطار غنية، ترى لو أن كل قرية أو بلدة أو ناد في قرية وبلدة من الأقطار الغنية عقد صلات مع ناد في قرية أو بلدة من الأقطار الفقيرة، كم يترتب على ذلك من شعور بأخوة الإسلام ؟ ثم دعونا نحلم أنه وجد ارتباط بين القائمين على الدعوة في المساجد في القطر الواحد، وفي مجموعة الأقطار الإسلامية حتى أغنوا بعضهم بتجاربهم، ثم دعونا نحلم أن نوادي التطوير للمؤسسات والمرافق صار بينها صلات ومواصلات وحاولت أن تفيد وتستفيد : الأطباء المسلمون، والمهندسون

المعماريون المسلمون، العسكريون المسلمون، التجار الصناعيون، الناشرون، المؤلفون، ثم دعونا نحلم أن النوادي السياسية في الأقطار الإسلامية في العالم تواصلت.

إن قفزة كبيرة حتماً ستنشأ نتيجة لهذا كله.. ولكن هل هذه أحلام قابلة للتطبيق ؟ إذا فكرنا بعقلية أن كل شيء ينبغي أن يتم في يوم، فهذا حلم وخيال. أما إذا فكرنا بأن هذا ينبغي أن يتم في قرن أو بعد قرن، فإن المسألة لا تكون خيالاً.

وعلى كل حال

على كل حال فإن العالم يحتاج إلى إعادة صياغة، وهذا الجانب لا يكاد يماري فيه أحد، فالحوار بين الشمال والجنوب من سكان الكرة الأرضية، والبحث عن نظام اقتصادي عالمي يكون أكثر استقراراً، والتفتيش عن صيغة للتعايش السلمي، والبحث عن مخارج للأزمات العالمية، واحتمالات الدمار العالمي كل ذلك يدل على إجماع عالمي على أن هذا العالم يحتاج إلى إعادة صياغة، هذه الصياغة يجب أن تكون على ضوء معالم صحيحة لا يرفضها إلا عقل مكابر.

ترى هل هناك غير الله يقدر على أن يهدي البشرية سواء السبيل ؟ ترى أليست المعجزة القرآنية حجة الله على كل إنسان أن هذا القرآن من عند الله. وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ فإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يصح لعاقل أن يتصور صياغة مستقبل البشرية إلا من خلال هذا القرآن.

ولكن دون ذلك جهداً يجب أن يبذل، وأمة يجب أن تتجدد وتجدد. ترى أي شعب، أو أي حكومة، أو أي جماعة ترشح نفسها لتأخذ على عاتقها هذا العمل الضخم ؟

المنطلقات للحضارة الجديدة

لعله من خلال ما مر تحدث كثير من المنطلقات الإسلامية لهذه الحضارة العالمية الجديدة :

١ ـــ التسليم بالنتاج الصحيح للعقل، وللتجربة البشريين والميزان الحاكم هو كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٢ ـــ التطوير المتدرج للأمة الإسلامية، ثم للعالم بأدنى جهد وبأكثره ربحاً وإنتاجاً.

٣ ــ حيثما وجد تعاون بين الشعب والحكومة على التطوير فذلك الذي لا يجوز التفكير في غيره، أما إذا وجد على الأرض الإسلامية النظام الذي يريد استئصال الإسلام فعلى أبناء الإسلام وقتذاك أن يوقفوا الطغيان عند حده.

٤ ــ لا بدّ أن يوجد نظام عالمي مستقر، ولعل تجربة الأمم المتحدة تكون رائدة فيه ومقدمة له بعد تطوير ميثاقها ولوائحها التنظيمية وآلية العمل فيها.

٥ ــ لا بدّ من نظام اقتصادي عالمي تنوب فيه شركات الاستثمار عن البنوك الربوية، يضمن فيه رأس المال العالمي الفقراء والعاطلين عن العمل والعاجزين.

٦ ــ لا بدّ من الإعتراف بحاكمية الله لهذا العالم ويتمثل ذلك بقبول الاحتكام للكتاب وللسنة على ضوء أوسع الإجتهادات الفقهية، فالعالم اليوم لا يسعه مذهب فقهي واحد. بل أوسع الاجتهادات الفقهية، وأكثرها ملاءمة لأوضاع العصر هي التي تحكم هذه المرحلة والإنسان بعد ذلك حرّ في نفسه أن يأخذ بالأحوط.

٧ ــ لا بدّ من تطوير العلاقة بين شعوب الأمة الإسلامية وأنظمة الحكم فيها، كما لا بدّ من تطوير العلاقة بين الشعوب الإسلامية وشعوب هذا العالم، بحيث يجد العالم نفسه مضطراً للإعتراف بزعامة المسلمين على العالم حسياً ومعنوياً، وهذا كله يتوقف على إيمان عدد من الحكومات والشعوب الإسلامية في القيام بهذا الدور الرائد الدافع.

واجب الساعة

لندع التفكير في التقصير التاريخي جانباً، ولندع التفجع والتحسر على الواقع جانباً ولنفكر : ما تكليف الله لنا في هذه اللحظة ؟ ما هي نقطة البداية ؟ ما هي الخطوة التي بعدها ؟

عندما يوجد المسلم الذي يفكر بذلك، ويوجد المسلم الذي يلتزم، ويوجد المسلم الذي يبدأ السير في الطريق الصحيح فيخطو في كل يوم خطوة إلى الأمام عندئذ يكون المسلمون قد بدأوا سيرهم الجاد الطويل وما لا يتم اليوم يتم غداً.

إن من سنة الله أن من أراد شيئاً وصدق فيه أعطاه الله إياه : **﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم**

مشكوراً. كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾[1] .

نحن لسنا مكلفين بالنتائج لكنا مكلفون أن نسير في الطريق المناسب لذلك، علينا أن نعرف نقطة البداية. علينا أن نسير في الطريق الذي يحقق الهدف الأول، ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، ونحن أمة موعودة من ربها بالنصر، ونحن على أبواب مرحلة جديدة. هذه المرحلة الجديدة وجدت فيها مبررات، هذه المرحلة الجديدة أروي فيها حديثا :

(إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله)، هذه المرحلة الأولى في الأمة الإسلامية.

(ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله)، النصوص الصحيحة تثبت على أن هذه المرحلة انتهت برأس الثلاثين سنة من وفاة رسول الله ﷺ لأن الحديث الآخر يقول : « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً ».

(ثم يكون ملكا عضوضاً يكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله، ثم يكون ملكاً جبرياً يكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه ثم تكون خلافة على منهاج النبوة يرضى عنها ساكن الأرض وساكن السماء).

أيها الإخوة : نحن الآن في مرحلة مخاض جديدة ونحن فيها بإذن الله منطلقون، بروح الإخلاص وبعقلية أهل الإيمان.

والذي لا يعرف ما يحدث الآن من تفاعلات سيندم كثيراً، ستندم القوى الكبرى في العالم، وسيندم الذين يحاربون الإسلام، وسيندم الذين لا يجرؤون أن يقيموا الإسلام كاملاً، سيندمون في الدنيا قبل الآخرة.

إن هناك تفاعلات جديدة تحدث في هذا العالم قد يصاب عبرها كثيرون، ما بين مشرد ومعتقل وشهيد، ولكنها مرحلة لا بدّ أن تصل في النهاية بإذن الله إلى شاطىء السلام.

---

(١) سورة الإسراء: (١٨).

إن القوى الكبرى في هذا العالم إذا لم تعرف ماذا يجري من تفاعلات مع الإسلام وتعرف كيف تتعامل معه، إن الذين لا يعرفون ما هي القوة النفسية الهائلة التي يعطيها الإسلام لأبنائه إذا حملوه، إن على هؤلاء جميعاً أن يفكروا طويلاً.

فهرس الرسالة الأولى

منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة



الرسالة الثانية :

فَلْنَتَذَكَّرْ في عَصْرِنَا ثَلاثًا :

فروض العين
فروض الكفاية
لمن تدفع صدقتك



مقدمة

أحببنا أن نذكر في هذه الرسالة بموضوعات يغفل عنها الكثيرون من المسلمين، مما الغفلة عنه تؤدي إلى كثير من الخلل في الحياة الإسلامية العامة.

وقد اخترنا موضوعات ثلاثة نتصور أنها من أهم الموضوعات التي وقعت فيها الغفلة أو أصابها نسيان أو أن النظر في شأنها قاصر.

إن الإسلام بفضل الله مستمر ومستقر في هذه الأرض، ولكن تطرأ على أهله طوارىء من النسيان أو الغفلة، وقد يغلب الجهل أو النسيان، ثم إن هناك ظروفاً خاصة لكل عصر، ومستجدات طارئة تحدث في كل قرن تقتضي فهماً جديداً أو عملاً مستحدثاً، ومن ههنا كان من سنة الله عز وجل أن يبعث على رأس كل قرن من يجدد الإسلام، إن فكرة التجديد هذه توحي أن هناك معاني تغفل أن تنسى أو تندرس ومن ههنا نقول : إن هناك معاني في عصرنا تحتاج إلى تذكّر.

ومع قلة البضاعة ووعورة الطريق ومعرفة الحدود وعدم التجاوز على أهل التجديد فضلاً عن ادعاء مقاماتهم، فقد رأيت أن أذكّر أهل العصر بمعان يترتب على نسيانها مفاسد، لذلك حاولت أن أقدم بعض هذه المعاني في هذه الرسالة ورسائل أخرى، وهذه الرسالة أصابت الكثير مما يجب أن يعرفه كل مسلم في عصرنا.

١ ــ ٢ فروض العين وفروض الكفاية

من أهم الأفكار الموجهة للمسلم في حياته وللأمة الإسلامية في سيرها فكرة فروض العين وفروض الكفاية، فمن خلال استقراء لنصوص الشريعة معانيها ومبانيها وروحها، وصل العلماء إلى أن الفروض قسمان : فروض عينية يطالب بها المسلمون كل مسلم، وفروض كفائية يطالب بها المسلمون ...

وكلا النوعين من الفروض ينقسم إلى قسمين :

إلى فروض عملية وفروض علمية :

فالصلاة مثلاً لها جانب نظري علمي هو من باب فروض العين وكذلك الجانب التطبيقي منها وهو من فروض العين وإتقان علم الطب فريضة كفائية وأن يقوم الطبيب المختص بالخدمة فرض كفائي آخر.

إن فهم فكرة فروض العين وفروض الكفاية من أهم ما يطالب به الفرد وتطالب به الأمة، لأنه بمقدار ما يستوعب المسلم ما هو مفروض عليه فرض عين، وبمقدار ما يستوعب فروض الكفاية التي تطالب بها الأمة ويعمل لإقامتها، وبمقدار ما تستوعب الأمة فروض الكفايات وتعمل من أجل تحقيقها يقوم الإسلام قياماً كاملاً، وأي قصور في إقامة فروض العين وفروض الكفايات من الناحية النظرية أو العملية يترتب عليه ضرر للأمة وللأفراد.

إن بعض فروض العين له طابع الاستمرار والديمومة وقد تطرأ على أصل الحكم

طوارىء بسبب العوارض، وبعض فروض العين يستجد بسبب من بعض المستجدات أو بسبب من بعض الظروف، وقل مثل ذلك في فروض الكفايات، فكثير من فروض الكفايات تطالب بها الأمة بسبب من مستجدات تحدث.

فمثلاً عندما تكون الفطرة سليمة والقلب صالحاً فإن ما يطالب به المسلم في باب تزكية النفس كفريضة عينية أقل مما يطالب به مسلم وجد في بيئة مريضة فوجدت بسبب ذلك أمراض نفسية عنده، مثل هذا فريضة العين في حقه نظرياً وعملياً تختلف عن الإنسان الأول، وفروض الكفاية في بيئة بدوية تختلف عن فروض الكفاية في بيئة مدنية، وفروض الكفاية في عصر الطيران والذرة والكهرباء تختلف عن عصر آخر... ومن ههنا فإن فهم فروض العين وفروض الكفاية في كل عصر وبيئة مهم لأهل كل عصر وبيئة.

ولنبدأ الموضوع من أوله :

لاحظ العلماء أن هناك نصوصاً تتحدث عن فرائض يطالب بها الفرد من مثل قوله عليه السلام :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم »، ومن مثل قوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم الصيام** ﴾[1] فقد أكدت المطالبة الفردية بذلك في قوله تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾[2] بينما هناك فرائض لا يمكن أن ينفذها كل فرد فهي مطلب تطالب به الجماعة ككل من مثل قوله تعالى : ﴿ **سورة أنزلناها وفرضناها** ﴾[3] فقد ذكر في هذه السورة بعض الحدود، وبالضرورة العقلية فإنه لا يطالب كل فرد بإقامة حدّ الزنى على كل من زنى، وأمثال ذلك في الشريعة كثير من مثل قوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾[4] ومن مثل قوله تعالى : ﴿ **فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف** ﴾[5] ومن مثل قوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** ﴾[6].

من مثل ما ذكرناه استنبط العلماء أن هناك فروضاً عينية يطالب بها كل مكلف وهناك فروض كفائية تطالب بها الأمة.

---

(١) سورة البقرة: (١٨٣).
(٢) سورة البقرة: (١٨٥).
(٣) سورة النور: (١).
(٤) سورة البقرة: (١٧٨).
(٥) سورة البقرة: (٢٣٤).
(٦) سورة البقرة: (٢١٦).

إن إحصاء فروض الكفاية ومعرفة فروض العين من أهم الأمور في حق الفرد أو في حق الأمة، بل يجب أن يكون ذلك هو البداية ولذلك فإنه من المهم بالنسبة للدعاة والعاملين للإسلام بل وللعاملين في حقل تطوير الأمة أن يحصوا هذه الأمور وأن يعمموها وأن يعملوا على تحقيقها في أرض الواقع، هذا مع ملاحظة أنه لا يستطيع فرد في الغالب أن يحيط بفروض الكفاية فلا بدّ من تضافر جهود كثيرة ليصار إلى الإحصاء والتحديد.. وأنا سأحاول في هذه الكلمة القصيرة أن أضع اليد على نقاط علام.

* * *

هناك عدد من القواعد نستطيع أن نستهدي بها في موضوع فروض الكفايات :

أولاً : إن كل ما تحتاجه إقامة الدين والدنيا هو من فروض الكفايات.

ثانياً : كل ما تحتاجه عملية أداء الحقوق إلى أصحابها هو من فروض الكفايات.

ثالثاً : كل ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب. ومن ذلك فروض الكفاية فالوسائل الموصلة إلى كل فرض منها تدخل في الفروض الكفائية، فإذا اعتبرنا هذه القواعد الثلاث وهي من البدهيات عند العلماء هادية لنا في بحثنا عن فروض الكفايات فكم هي فروض الكفايات ؟

إن باستطاعتنا من خلال هذه القواعد الثلاث فقط أن نسجل عشرات الألوف من فروض الكفاية، فإذا عرفنا أن بعض فروض الكفايات لها جانب علمي نظري ولها جانب عملي تطبيقي وأن الجانب العلمي تدخل فيه عشرات العلوم وأن الجانب التطبيقي يحتاج إلى عشرات الاختصاصات ندرك سعة دائرة المطلوب... ولنضرب أمثلة تخدم ما نحن فيه :

العلوم التي تحتاجها عملية استخراج البترول كثيرة، والأدوات التي تحتاجها هذه العملية كثيرة، والعلوم والصناعات التي تؤمن هذه الوسائل كثيرة واستخراج البترول من البر أو البحر له علومه ووسائله، وإذا استخرج البترول فهناك تكريره وتسويقه وهناك المواد المتفرعة عنه، وكل مادة لها استعمالاتها وتتوضع حول ذلك صناعات كثيرة والصناعات تحتاج إلى أسواق وتسويق، وكل ذلك يحتاج إلى اختصاصات، وأنابيب البترول وصناعتها وتركيبها والاستفادة منها وتثمير الأموال واستثمارها بما يحقق مصلحة الأمة، كل ذلك فروض متتالية يأخذ بعضها برقاب بعض.

حاول أن تستقصي هذه السلسلة من المطلوبات والخبرات والأدوات والوسائل التي

تتوضع حولها فإنك تصل إلى مئات من فروض الكفاية في هذا الجانب فقط، وعلى مستوى قطر من الأقطار.

فإذا نظرت إلى هذا كله من خلال احتياجات الأمة الإسلامية كلها في واقعها وأقطارها، فإنك تصل إلى أنه يجب أن يوجد عشرات الألوف من المختصين وأهل الخبرة في هذا الشأن وحده لتغطية احتياجات الأمة الإسلامية في كل مكان.

فإذا عممت مثل هذا التحليل على الزراعات والصناعات والتجارات عسكرياً ومدنياً وأدخلت في الصناعات صناعة الأدوية، وصناعة أدوات الصحة، وصناعة السلاح، وصناعة وسائل النقل الجوية والبحرية والبرية.. فهل تستطيع أن تحصي إحصاء دقيقاً هذه الفروض ؟

فإذا عرفت أن العلم سابق للعمل فكم من فروض الكفايات أنت بحاجة إليها علمياً ؟!

وكم ينبغي أن تكون برامج التعليم والتنمية ضخمة ومتعددة لتغطي مثل هذا ؟!

وهذا كله بعض ما تحتاجه إقامة الحياة الدنيا.

* * *

دعنا الآن نضرب أمثلة على بعض ما تحتاجه إقامة الدين من فروض الكفايات :

إن الدين لا يقوم قياماً كاملاً إلا إذا قام كل مسلم بواجبه ووجدت دولة مسلمة تقيم الإسلام لأن مهمة الدولة المسلمة في تعريفات الفقهاء إقامة الدين والدنيا، وقد ضربنا أمثلة على بعض فروض الكفايات التي تحتاجها إقامة الدنيا ولنر بعض ما تحتاجه إقامة الدين.

هناك علوم لا بدّ منها لبقاء الإسلام واستمراره، من ذلك علوم اللغة العربية، المنطق، أصول الفقه، علم العقائد، علم الفقه، علم الأخلاق والسلوك، علم التفسير وعلوم القرآن، علم السنة وعلوم الحديث، السيرة وحياة الصحابة، رواة الحديث وطبقات العلماء، التاريخ الإسلامي، علم القراءات، العلوم التي تقتضيها إقامة الحجة على الآخرين، حاضر الأمة الإسلامية وواقع المسلمين، العلوم التي يحتاجها الوعي السياسي الإسلامي... هذه العلوم وأمثالها تحتاج إلى مختصين يغطون احتياجات المسلمين فيها ـــ لا في قطر واحد بل على مستوى العالم ـــ على حسب الضرورة والحاجة. فهناك علم يكفي البلد أن يوجد فيه واحد، وهناك علم يجب أن يكون في البلد الواحد عشرات من المختصين فيه، وهذه العلوم لا يكفي أن يوجد فيها المختص، بل لا بدّ أن تصل إلى العامة، وههنا تأتي فروض

الدعوة وفروض التعليم، وعن هذه تنبثق فكرة المدارس وفكرة الكتاب والجريدة والمجلة والإذاعة وأن تقوم كل من هذه بما يملأ ساحة هذه الدوائر كلها بالعمل ثم أن توجد أدوات ذلك ووسائله واحتياجاته، كل ذلك يدخل في باب فروض الكفايات.

هذا كله في الجانب الإعلامي والتعليمي من أجل إقامة الدين فقط.

* * *

ومن أجل أن يقوم الدين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أنت بحاجة إلى اختصاصيين كثر وإلى التزام كثير، وهذا يحتاج إلى سياسة وقانون وقضاء فكم من مختصين أنت بحاجة إليهم لتملأ ساحة العمل بما يغطي احتياجات الأمة في كل ساحات العمل هذه.

فإذا عرفت أن المجتمع الإسلامي تحرسه الدولة، وهذا يقتضي وجود أجهزة، ويسهر عليه الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر والدعاة، وهذا يحتاج إلى عاملين، وإذا عرفت أن حياة المجتمع الإسلامي منوطة بالجهاد، والجهاد يحتاج إلى مقاتلين وعتاد ونظريات وتدريب وتخطيط وأن هذا في عصرنا معقد وأن ذلك كله يدخل في باب فروض الكفايات.. عرفت بعض فروض الكفايات التي تحتاجها الأمة في عصرنا لإقامة دينها.

دعنا الآن نفكر على مستوى جزء من واقعنا، كأن نفكر على مستوى قطر لم يبق فيه نظام إسلامي وعم فيه الجهل، أو غلب، فما هي فروض الكفايات في مثل هذه الحالة؟.

أول الواجبات هي تغطية فريضة الدعوة إلى الله في القطر، وهذا يقتضي ملاكاً عريضاً لتصل الدعوة إلى كل دوائر القطر، وكل ما يقتضيه ذلك فهو من فروض الكفايات : الدعاة في صفوف الرجال والنساء، وفي صفوف العمال والفلاحين والمثقفين، وفي الأحياء والمؤسسات، والمدارس والجامعات، وفي المساجد والمقاهي، الدعاة الذين يغطون هذا كله والجهاز الإداري الذي يدير عجلة الدعوة وينسق بين الدعاة كل ذلك من فروض الكفاية.

ثم إن الدعوة هي باب التربية والتكوين والتعليم، فمن استجاب للدعوة فقد وجب عليه أن يتعلم، وأن يأخذ التربية الإسلامية التي يقتضيها قيام المسلم بواجباته في عصره، فأن يوجد المسلمون والمربون الذين يغطون احتياجات الأمة في هذا الباب وأن يوجد الجهاز الإداري الذي ينظم هذا كله وينسق بين جهود المعلمين والمربين بحيث يصبح كل مسلم

وقد أخذ حظه على الكمال والتمام من العلوم الإسلامية ومن الثقافة والتربية اللتين يقتضيهما وجوده في هذا العصر من خلال الحلقات والمذاكرات والدراسات فذلك كله من فروض الكفاية.

والدعوة الإسلامية تقتضي عملاً إعلامياً ضخماً فالحديث يقول : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ». أخرجه أبو داوود بإسناد صحيح.

والحديث الآخر يقول :

« فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ». أخرجه مسلم.

إن في العالم أجهزة إعلام ضخمة تنشر مبادىء أو تدافع عن مواقف أو تهاجم مبادىء ونصيب الإسلام من عداء هذه الأجهزة ليس قليلاً، ثم إن الإسلام يجب أن ينشر ويعمم وللمسلمين مواقف يجب أن تعرف وأن يقنع بها المسلمون على الأقل، وهذا كله يقتضي جهازاً إعلامياً، والإعلام في عصرنا : جريدة ومجلة وفيديو وشريط مسجل وإذاعة وتليفزيون ورسالة وكتابة وخطابة ومحاضرات وتعليقات، وهو مع هذا كله اختصاص وفن وعلم، وإذا ما أنشأت جريدة فأنت بحاجة إلى ملاك كاتب وطابع وإداري، وإذا ما أنشأت مجلة، فالأمر كذلك ويتوضع حول هذا نشر وتوزيع وتعميم وهذا يرتبط به أن يكون هناك مراسلون ووكالات أنباء ومحللون ومحررون واستراتيجيون وكل ذلك إذا تعين يدخل في فروض الكفايات.

والإعلام بطبيعته هو الوجه الآخر للعمل السياسي، والعمل السياسي جزء من العمل الإسلامي، ألا ترى أن أهم صراعات الإسلام في عصرنا هي الصراعات الفكرية والصراعات السياسية، فالنظريات السياسية العالمية تصارع الإسلام على أرضه. ومن هنا لا بدّ أن يوجد عمل سياسي إسلامي سواء ارتبط بالعمل الدعوي أو لم يرتبط، سواء كان من خلال عمل حزبي أو من خلال توجيهات عفوية.. المهم أن وجود العمل السياسي الإسلامي هو من باب فروض الكفايات بالقدر المتاح والممكن.

وعندما نقول : عمل سياسي إسلامي فهذا يحتاج إلى اختصاصيين كثر في شئون كثيرة : التوعية السياسية، الإدراك السياسي، القدرة على استيعاب الموقف السياسي، القدرة على اتخاذ القرار السياسي الحكيم المستوعب للزمان والمكان، المشاركة في العمل السياسي المتاح، نقل الأوضاع السياسية إلى أطوار متقدمة ومنسجمة مع الإسلام أو تحقق أهدافه أو تبعد العمل السياسي عن الإنحراف، التخطيط للتطوير السياسي الإسلامي

في المؤسسات والنقابات، السير المتدرج نحو الأهداف السياسية الكبرى التي لا تتحقق بسرعة، كل هذه القضايا وأمثالها تدخل في باب فروض الكفايات، والجهاز الإداري الذي ينسق بين هذا كله وينظم هذا كله هو من باب فروض الكفايات كذلك، وإذا سقط قطر من أقطار الأمة الإسلامية بيد الكفر والكافرين وتعين الجهاد للإنقاذ فالتحريض والتدريب وتركيز النيات وتأمين السلاح وإيجاد الملاكات القيادية ووجود الخطط العملية وتأمين الشبكات التنظيمية التي تخدم الحاضر والمستقبل والتي تصب في خدمة الجهاد وإنضاج نظريات المعركة والسير المتواصل نحو الهدف، ووجود الجهاز الإداري والقيادي الذي يضع هذه الأمور كلها موضع التنفيذ، كل ذلك من فروض الكفايات، ولما كان المال هو الوسيلة الضرورية لإقامة فروض الكفايات المذكورة، فوجود الجهاز الإداري الذي يقود عملية تأمين المال اللازم ووجود شبكة قوية لجمع التبرعات والوصول إلى كل فرد قادر على الدفع وإقناعه بذلك كل ذلك من باب فروض الكفايات.

وفي الحالة التي نتحدث عنها تكون فروض الكفايات التي يطالب بها المسلمون في القطر مضيعة لا تجد من يقيمها، وههنا تأتي مهمة القائمين على العمل الإسلامي أن يوجهوا المحبين لدعوة الله وخاصة الطلاب بحيث يكون لكل فرد اختصاص حياتي يقيم به فريضة كفائية وهؤلاء لا بدّ من التنسيق فيما بينهم، ومن ههنا يأتي تنظيم أمر الاختصاصات الحياتية وترتيبها في قطاعات الحياة، والتوجيه نحو ذلك.

فالأطباء المسلمون والصيادلة المسلمون والمهندسون المسلمون بل والرياضيون المسلمون، والتجار المسلمون والحرفيون المسلمون ثم الاختصاص المتفرع عن اختصاص أصيل، والجهاز الإداري الذي ينظم ذلك كله، كل ذلك من فروض الكفايات.

ويوضع حول الجوانب الدعوية والإعلامية والسياسية والمالية والفنية أشياء كثيرة، فإن وجود المختصين فيها والقائمين عليها والمقيمين لها كل ذلك من فروض الكفايات، وعلى هذا فالقائمون على العمل الإسلامي في قطر من نوعية الأقطار التي ذكرناها عليهم أن يرعوا ذلك.

من ههنا ومما تقدم ندرك أهمية حصر العلوم المفروضة فرض كفاية في حق المسلمين في أقطارهم، إذا كانوا في السلطة أو لم يكونوا، إذا كانوا في مجتمع غريب أو كانوا في مجتمع قريب، لأن ذلك يؤثر تأثيراً جوهرياً على سير العمل فإذا اتضحت هذه الأمور فقد آن الأوان لنتحدث عن فروض العين :

* * *

إن المحصلة الكبرى لإقامة فروض الكفاية تظهر في وجود المسلم الذي يقيم فروض العين والمختص بفرض من فروض الكفاية، فالمسلم ينبغي أن يكون له اختصاص حياتي، وأجود أنواع الاختصاص الحياتي هو ما يحقق به المسلم فرض كفاية، هذا مع ملاحظة أنه إذا تعين مسلم لفرض من فروض الكفاية فقد أصبح هذا الفرض في حقه فرض عين فلو تعين إنسان للقضاء أو للفتوى أو لتعليم علم بعينه أو لإتقان اختصاص بعينه فعندئذ يكون هذا في حقه فريضة عينية.

١ ــ أن أول فروض العين في حق المسلم أن يعرف الإسلام معرفة إجمالية وأن يؤمن به، وأن يقر بذلك بإعلانه الشهادتين.

٢ ــ وثاني فروض العين في حقه أن يعرف تفصيلاً من الإسلام ما يستطيع أن يؤدي فرائض التكليف المطالب به.

٣ ــ ومن فروض العين في حق المكلف: التوحيد والعبادة وزكاة النفس.

٤ ــ ومن فروض العين في حقه أن يعرف المحرمات وأن يتركها وأن يعرف المطلوبات ويقوم بها.

٥ ــ ومن فروض العين أن يقيم حق الله في والديه وأرحامه وجيرانه.

٦ ــ ومن فروض العين أن يؤدي حق الله في طاعة الإمام ولزوم الجماعة.

٧ ــ ومن فروض العين أن يكون كسبه حلالاً وأن ينفق على من تجب عليه نفقته بالمعروف، وإذا كان له مال فالزكاة في حقه فرض عين، والحج في حقه فرض عين، والجهاد بالمال ــ إذا تعين ــ فريضة عينية، وإذا أصبح الجهاد فريضة عينية فعليه أن يقوم بذلك نية وتدريباً وإعداداً واستعداداً ومباشرة.

وجماع فروض العين أن يكون الإنسان تقياً، فالتقوى هي مطلب الله من العبد، والتقوى كما صورتها مقدمة سورة البقرة إيمان وصلاة وإنفاق واتباع للقرآن وخلاص من الكفر والنفاق.

وبعض فروض العين واحدة في الأوضاع العادية في حق المسلمين جميعاً، وبعضها يختلف سعة وضيقاً من شخص لشخص، فما يطالب به صالح الفطرة من زكاة النفس أقل من إنسان عنده أمراض نفسية.

وما يطالب به خالص الإيمان أقل مما يطالَب به إنسان في قلبه مرض من أمراض النفاق، وما يطالب به عامل بسيط أقل مما يطالب به تاجر غني واسع الثراء واسع العلاقات.

وما يطالب به إنسان في بيئة غير ما يطالب به إنسان في بيئة أخرى، فإنسان يعيش في أرض بدعة وأرض كفر يطالب بما يحصن به نفسه وأهله.

وإذا ثارت شبه مضلة يجب على المكلف أن يحصن نفسه من هذه الشبه، وإذا وجدت تيارات ضالة وتيارات هادية فعلى المسلم أن يحصن نفسه من التيارات الضالة ويكون جزءاً من التيار الهادي.

وإذا وجدت في الشريعة نوافل لتحصين الفرائض، وإذا وجدت في الشريعة فكرة الورع والاحتياط من أجل عدم قربان الحرام فهذا يوصلنا إلى أن المسلم عليه أن يفعل الكثير ليطمئن على قيامه بفروض عينه، وقبل أن نذكرُ بعض التفصيلات المطلوبة من مسلم معاصر نحب أن نذكّر بنوعين من الفروض :

١ ــ فرض الوقت.

٢ ــ فرض العصر والظرف.

١ ــ فرض الوقت :

لا تغيب الفرائض والمحرمات القطعية عمن يعيشون في البيئات الإسلامية، والتذكير بها مفيد، وهذه مهمة ضرورية متجددة، يقوم بها الوعاظ في مجال الوعظ ويتذاكر بها المسلمون في مذاكراتهم، وقوة الواعظ تظهر في قدرته على التأثير والإقناع واستجاشة العواطف فهو يجذب إلى الفرائض المقصرين ويأخذ بحجز المذنبين فيبعدهم عن الذنب، وهو يبعث على الإرتفاء الحثيث، دافعاً بعد الفرائض نحو الواجبات والسنن والآداب، منفراً عن المخالفات ولو لم تصل إلى درجة التحريم، وما أعظمها مهمة الواعظ فهي جزء من مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن استهان بها أو حقرها فهو على جهل عظيم، وليس غرضي في هذا البحث أن أذكّر فيما هو مذكور أو محل تذكر، إنما الغرض أن أذكّر فيما عنه غفلة، ومن ههنا جاء هذا العنوان : فرض الوقت.

* * *

لنتصور أن إنساناً أراد الدخول في الإسلام فما هو فرض وقته ؟ لا شك أن فرض وقته المباشر هو أن يعرف بإجمال الشهادتين وأن ينطق بهما مسلّماً فإذا دخل في الإسلام مثلاً بعد أن دخل وقت الظهر فما هو فرض وقته المباشر ؟ لا شك أن فرضه المباشر هو أن يتعلم الصلاة بإجمال وأن يمارس صلاة الظهْر، إذن فالمراد بفرض الوقت هو ما يطلب من الإنسان في لحظته التي هو فيها.

لنتصور أنني رأيت إنساناً يغرق وأنا قادر على إنقاذه أو جائعاً وأنا قادر على إطعامه، أو مرتكباً منكراً وأنا قادر على تغييره، فههنا يفترض علي فوراً أن أفعل ما أستطيع فعله فهذه

كلها فرائض وقت وجبت علي بسبب ظرف طارىء، افترض علي الإسلام أن أتعامل معه نوع تعامل.

إن فرض الوقت هذا يغفل عنه الكثيرون، وقد يقعون بسبب ذلك في محظورات كبيرة، فمثلاً لو أن إنساناً أراد الدخول في الإسلام وطلب من مسلم أن يصفه له فواجب الوقت في حق المسلم أن يبادر فوراً للوصف، حتى قال بعضهم : لو أن المسلم وقتذاك طلب إلى هذا الراغب أن يؤجل فإنه يرتد بذلك.

مما مر تعرف المراد في قولنا: فرض الوقت وتعرف أهمية ذلك، وخطورة عدم القيام بفرض الوقت، وخطورة تأجيله عن وقته، ومن ههنا توضع حول هذه الفكرة أمور كثيرة :

ففي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك فرائض وقت، وفي باب الجهاد هناك فرائض وقت، وفي باب الأسرة والجوار هناك فرائض وقت، وفيما يطرأ على الإنسان أو يعرض له فرائض وقت، والمسلم كما يحاسب نفسه على الفرائض الثابتة فإنه يحاسب نفسه على التقصير في فرائض الوقت، ولما كان العلم يسبق العمل فالعلم بقيمة فرض الوقت هو البداية الصحيحة للقيام بهذا النوع من الفرائض.

٢ ــ فرض العصر وفرض الظرف :

من المعلوم أن هناك فرائض عينية في الشريعة الإسلامية كالصلاة في حق المكلف، وهناك فروض كفائية تطالب بها الأمة فإذا فعلها بعضهم سقطت عن الأمة، وإلا فإن الأمة كلها تأثم، ويسقط الإثم عمن أمر ونهى وبذل استطاعته. فروض الكفاية هذه تكون فرض عين في حق من تعين لها فلا يستطيعها غيره، وكذلك هي في حق من يعلم شيئاً عنها يجهله غيره، إذا اتضح هذا نقول :

كل علم تحتاجه الأمة الإسلامية فهو فرض كفاية، والعلوم متوسعة متنامية متطورة، وكل عصر له مستحدثاته التي هي أثر عن علم من العلوم، فالكهرباء والذرة وما تفرع عنهما من مخترعات ومستحدثات هذه كلها وليدة عصرنا وبالتالي فهذان بالنسبة للمسلمين في عصرنا فرضان بينما هما في عصور سابقة لم يكونا موجودين أصلاً فلا مطالبة بهما فهذا نموذج على ما أسميناه فرض العصر.

الجهاد في شريعتنا يكون أحياناً فرض عين وأحياناً فرض كفاية، وأحياناً تكون مباشرته فرض عين إذا توافرت شروط، وأحياناً يكون فرض عين ولا تجب مباشرته لعدم توافر شروط، وأحياناً تكون مقدماته الموصلة إلى الغايات فرائض كفائية أو فرائض عينية، وهناك

حالات من الغلبة تصيب المسلمين لا يستطيعون التغلب عليها من خلال معركة جزئية بل تحتاج إلى جهود متواصلة طويلة قد تستغرق جيلاً أو جيلين أو أكثر مثل هذه الأمور تدخل في فرائض العصر من مثل القضية الفلسطينية في زمن الحروب الصليبية وفي عصرنا، وقد يكون هذا النوع من الفرائض واجبات عصر في حق مسلمي العالم وقد تكون فرائض عصر في حق أهل قطر.

* * *

والمسلمون مكلفون أن تكون كلمة الله هي العليا في العالم، وهذا الصراع منهم يقتضي في مرحلة من المراحل نوعاً من العمل الخاص، تدخل فيه الاقتصاديات والإداريات والاستراتيجيات والتحركات السياسية وغيرها، فالجديد الذي يحتاجه الصراع المستمر بين الحق والباطل يدخل في فرائض العصر.

* * *

وكل قرن جديد يحتاج معه الإسلام إلى تجديد، وهذا التجديد قد يقتضي أساليب وأسباباً تناسب القرن، فالتنظيم الممتد الواحد الذي يغطي العالم مثلاً تحتاجه الأمة الإسلامية في كل حين ولكنه في عصرنا يعتبر سبيلاً وحيداً لإقامة فرائض كثيرة، فكل ما يحتاجه هذا التنظيم الذي هو شرط لحسن المواجهة يدخل في فرائض العصر.

هذه النماذج على فرائض العصر تعطينا تصوراً عنه ويبقى تحديد كل ما يدخل في فرائض العصر واجب أهل الفتوى، وتذكير المسلمين بذلك ودعوتهم وتفجير طاقاتهم واجب كل من يستطيع ذلك من وعاظ ودعاة وقادرين.

* * *

والمسلم الذي لا يدرك واجبات عصره مقصر وقد يكون آثماً، وهو في كل الأحوال يعيش في غير عصره، ولعل من أهم فروض عصرنا : محاولة إنقاذ الأمة الإسلامية من تفرقها، والعمل من أجل وحدتها وتقدمها المدني، والعمل لإعادة الأقطار المسلوبة والخلافة المفقودة.

إذا اتضح ما مر فقد آن لنا أن نتحدث تفصيلاً عن بعض فروض العين في عصرنا

ولنجعلها تحت ثلاثة عنوانات : العلم، والعمل، والحال.. ملاحظين فروض العصر والوقت وتيارات العصر وتعقيداته وتأثير ذلك على العقل والقلب والنفس.

أولاً ـــ في العلم :

أ ـــ أخذ حظ من علم أصول الفقه على قدر استطاعة الإنسان لأنه ما لم يحصل المسلم ذلك فإنه يكون معرضاً للوقوع في خطر الرفض للأحكام أو في خطر الوقوع في براثن الغلاة.

ب ـــ أخذ حظ من علوم اللغة العربية على قدر استطاعة الإنسان لأنه ما لم يكن ذلك فقد يقع الإنسان فريسة الخطأ بيد الحرْفيين أو بيد المؤولين.

جـ ـــ أخذ حظ من علم الأصول الثلاثة بحيث يكون عند الإنسان تصور عن أدلة وجود الله عز وجل وأدلة رسالة الرسول ﷺ وبحيث يكون عنده تصور شامل عن الإسلام.

د ـــ أخذ حظ من علم العقائد حتى لا يكون فريسة الوقوع في أسر فرقة ضالة أو في أسر أفكارها.

هـ ـــ أخذ حظ من الفقه عامة، ومن الفقه المذهبي خاصة، الأول ليعرف كيف يتصرف أمام الوقائع والثاني ليعرف كيف يراجع عويصات المسائل.

و ـــ حفظ شيء من القرآن وإتقان تلاوته.

ز ـــ حفظ شيء من السنة والاطلاع على ما أمكن من متونها ويدخل في ذلك التعرف على السيرة النبوية ومعالم في حياة الصحابة.

ح ـــ الاطلاع على فقه الدعوة والحركة المعاصرين بحيث يطمئن إلى الكينونة في الجماعة التي يعطيها ولاءه وينطلق بالدعوة على بصيرة.

ط ـــ الاطلاع على بعض الدراسات الإسلامية الحديثة التي تحتاجها بيئته أو تحتاجها مناعة وحصانة.

ي ـــ الاطلاع على شيء من التاريخ الإسلامي وواقع المسلمين يحصنه ويطلق طاقاته في الخدمة الإسلامية.

ك ـــ الاطلاع على الثقافة العسكرية الحديثة بحيث يكون عنده شيء من الإلمام بالكيفية التي يمكن أن يمارس بها الجهاد في هذا العصر.

ل ـــ أخذ حظ من علوم تزكية النفس والسير إلى الله.

م ـــ المطالعة والمدارسة في كل ما ينمي الوعي الإسلامي بحيث يعرف الإنسان مشكلات المسلمين وكيفية حلها.

ن ـــ الاطلاع على ما ينمي حسه الأمني بحيث لا يتصرف تصرفا يضر أمته.

ثانياً ـــ العمل :

أ ـــ أول ما يطالب به العبد من العمل بعد التعرف على الله عبادته والفروض مقدمة على النوافل ويدخل في ذلك الصلاة والصوم والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

ب ـــ الكسب الحلال وأداء الحقوق فيه.

جـ ـــ القيام بحقوق الوالدين والأرحام والجوار.

د ـــ نية الجهاد والتدريب على أدوات القتال ووسائله.

هـ ـــ الكينونة في الصف الإسلامي وحسن التعامل مع المسلمين ويدخل في ذلك لزوم إمام المسلمين وجماعتهم إن كان لهم جماعة وإمام.

ح ـــ القيام بالحقوق الطارئة والعارضة.

ط ـــ اجتناب المحرمات وما قاربها وإقامة الفرائض والواجبات.

و ـــ القيام بفروض الكفاية التي يتعين لها.

ز ـــ مباشرة الجهاد إذا أصبح فرضاً عينياً وتوافرت شروط فرضية مباشرته.

ي ـــ نية المتابعة لرسول الله ﷺ والالتزام بالأحكام.

ثالثاً ـــ الحال القلبي والنفسي :

ويدخل في ذلك أن يكون قلبه سليماً وفطرته مستقيمة ونفسه مزكاة، وههنا نلفت النظر إلى أن ما يوصل إلى مثل هذه المعاني المفروضة فهو فريضة، ومن ههنا نقول : قد تكون بعض الأمور في الأصل مندوبة فإذا تعينت كطريق للوصول إلى هذه الأحوال الشريفة فإنها تصبح فريضة ومما يدخل في مثل هذه الفريضة :

أ ـــ التحقق بالإيمان والإخلاص والتوكل والزهد في الدنيا ومحبة الله ورسوله.

ب ـــ الخلاص من الكفر والنفاق والفسوق والعصيان والإثم والأمراض القلبية من مثل الحسد والرياء والغل والحقد وأمثال هذه الأمراض.

هذه نماذج عن فروض العين والكفاية وهاك نقولاً من كتب أهل العلم توضح لك هذا الأمر المهم:

قال الشيخ أبو زهرة في كتابه (أصول الفقه) :

ـــ تقسيم الواجب من حيث تعين من يجب عليه :

ـــ ينقسم الواجب من حيث تعين من يؤديه وعدم تعينه إلى قسمين : واجب عيني

وواجب كفائي ــ فالواجب العيني هو الذي يوجه فيه الطلب اللازم إلى كل واحد من المكلفين بعينه، بحيث إذا تركه هو أثم، واستحق الذم، ككل الفرائض التي يأثم تاركها من صلاة وزكاة ووفاء بالعقد، وإعطاء كل ذي حق حقه.

والفرض الكفائي هو الفرض الذي يكون المطلوب فيه تحقق الفعل من الجماعة، فإذا وقع الفعل من البعض سقط الإثم عن الباقين، ولا يستحق أحد ذماً، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع، كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة على الميت، وإقامة الإمامة الكبيرة التي توحد بين المسلمين، وغير ذلك من الواجبات التي لا تجب على شخص بعينه، بل يجب على الجماعة تحقيقها متعاونة في أدائها، ويقول جمال الدين الحلي : وفي الكفاية فعل كل واحد يقوم مقام فعل الآخر، فكان التارك فاعلاً، أي أن الطلب على الجميع، ولكن فعل الواحد يقوم مقام فعل غيره، فيكون من لم يقم بالفعل فاعلاً بهذا الاعتبار، إذ من فعل له علاقة بمن لم يفعل جعلته في عمله بمنزلة النائب عنه، وذلك بالتعاون بين الجماعة في أداء الواجبات الكفائية. لأن هذه الواجبات تتعلق أكثر أحوالها بمصلحة الجماعة، والجماعة باعتبارها كلا يتعاون آحاده مخاطبة بهذا الواجب، ولكن لا يقوم به إلا البعض، ولذا يقول الشافعي رضي الله عنه : إن الواجب الكفائي، مطلوب على العموم، ومراد به وجه الخصوص، فقد ذكر في الرسالة في باب العلوم أن من أقسامه عامّاً يراد به العموم ويدخل فيه الخصوص، وضرب له مثلاً قوله تعالى : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما** ﴾[2].

و« ما كان » في الآية الأولى : أحتملت أن يكون الجهاد كله على كل مطيق لا يسع أحداً التخلف عنه كما كانت الصلوات والحج والزكاة.. واحتملت أن يكون قُصدَ بالفرض فيها قصد الكفاية فيكون من قام بالكفاية في جهاد من جاهد من المشركين مدركاً تأدية الفرض، ونافلة الفضل، ومخرجاً من تخلف من الإثم.. وهكذا كل ما كان الفرض فيه مقصوداً قصد الكفاية فيما ينوب، فإذا قام به من المسلمين من فيه الكفاية خرج من تخلف عن الإثم، بل لا أشك إن شاء الله لقوله تعالى : ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: (١٢٠).

(٢) سورة الكهف: (٧٧).

(٣) سورة التوبة: (٣٩).

ـــ وإن تعبير الشافعي عن الفرض الكفائي بأنه عام يراد به الخصوص تعبير دقيق محكم، إذ الجماعة كلها مطالبة به، ولكنه بطبيعته في أكثر الأحوال لا يؤديه إلا بعض الجماعة، والحرج يقع على الجميع، إذا لم يؤده هذا البعض، لأن المقصود أن الخطاب موجه لجميع القادرين على أداء الواجب الكفائي، وكلّ ميسر لما خلق له.

وإذا فهم أن خطاب الآية بالواجبات الكفائية عام، وإن كان يقوم به البعض على سبيل التعاون بين الجميع، فمؤدى ذلك أن فروض الكفاية جملة مطلوبة من الجميع، ولكنها موزعة على الطوائف والآحاد، فالتفقه في الدين فرض كفاية، وعلم الهندسة فرض كفاية، والزراعة فرض كفاية، وكذلك الجهاد والطب، وكل صناعة أو عمل لا تستغني عنه الجماعة، ويقوم به نظامها الإجتماعي والإقتصادي يخاطب به الكافة ويطالب به على الخصوص من الخاصة من عنده قدرة عليه، فالجماعة كلها مطالبة بتهيئة الأسباب، ليكون من بينها الأطباء والمهندسون والزراع والصناع والقضاة، ومن كانت عنده الكفاية لأن يكون قاضياً أو مهندساً أو طبيباً أو قائداً أو متفقهاً في الدين، مطالب على الخصوص فيما هو أهل له، وبذلك يتحقق الطلب العام ويتحقق الطلب الخاص، ويتبين السبب في إثم الجميع إن لم يتحقق الفعل المطلوب، وثبت أيضاً أن من لم يقم بالفرض الكفائي يعد قائماً به بقيام من أدى، لأنه دخل في تهيئة الأسباب.

ـــ وقد وضح الشاطبي في الموافقات ذلك المعنى القيم فقال :

إن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة، هم مطالبون بسدها على الجملة، فبعضهم قادر عليها مباشرة، وذلك من كان أهلاً لها، والباقون وإن لم يقدروا عليها ـــ قادرون على إقامة القادرين، فمن كان قادراً على الولاية فهو مطالب بإقامتها، ومن لا يقدر عليها مطالب بأمر آخر هو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها، فالقادر إذن مطالب بإقامة الفرض، وغير القادر مطالب بتقديم ذلك القادر، إذ لا يتوصل القادر إلى القيام إلا بالإقامة من باب (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

ولقد بين الشاطبي أن مواهب الناس مختلفة، وقدرهم في الأمور متباينة ومتفاوتة، فهذا قد تهيأ للعلم، وهذا للإدارة والرياسة، وذلك للصناعة أو الزراعة، وهذا للصراع، والواجب أن يربى كل امرىء على ما تهيأ له، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه، ومال إليه، ويقول :

وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم، لأنه سير أولاً في طريق مشترك، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كانت به

قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية، وبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة، فأنت ترى أن الترقي في طلب الكفاية ليس على ترتيب واحد ولا هو على العامة بإطلاق، ولا هو على البعض بإطلاق، ولا هو مطلوب من حيث المقاصد دون الوسائل، ولا بالعكس، بل لا يصح أن ينظر فيه نظر واحد حتى يفصل بنحو من التفصيل، ويوزع في أهل الإسلام بمثل هذا التوزيع وإلا ما انضبط القول فيه بوجه من الوجوه.

وبهذا يتبين أن تحقيق الفروض الكفائية واجب على الجميع. وكل بقدر ما تهيئه له قدرته، فالقادر عليه أن يقوم بالعمل بالفعل، وغير القادر عليه أن يمكن القادر، وبذلك يكون تحقق العمل قد وقع من الجماعة في الجملة، وتصدق كلمة جمال الدين الحلي من أن من لم يقم بالفعل يعد قد قام به بقيام غيره بهذا الفعل. ا هـ كلام أبي زهرة.

ومن كلام الغزالي في إحيائه عن فروض العين

« والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد، وفعل، وترك، فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول : (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان، إذ اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل. فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما، وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له، وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص، بل يتصور الأنفكاك، وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الإعتقاد.

أما الفعل : فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة وهكذا في بقية الصلوات، فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم، فإن تجدد له مال، أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة، ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام، وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين.

وأما الترك : فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال، وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر، ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن، فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير، أو جالساً في الغصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم، فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه، حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه.
وأما الإعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر، فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك، فإن كان في بلد شاع فيه الكلام، وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق، فإنه لو ألقي إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك، كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا، وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه.

وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» ولا ينفك عنها بشر، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات، وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، والعلاج هو مقابلة السبب بضده، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب، وأكثرها ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان، وقد تركها الناس كافة اشتغالاً بما لا يعني. ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه اليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى : الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق، وهو من تتمة كلمتي الشهادة، فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها: وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة، ومن عصاهما فله النار، فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا.

ثم إن ما يطرأ عليه في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عبادته

ومعاملاته تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً ».

(أقول: ومن أوائل فروض العين أن يكون عنده تصور عام عن الإسلام لأنه بدون ذلك يمكن أن ينكر معلومات من الدين بالضرورة وذلك كفر).

ولنعد للغزالي.. قال رحمه الله :

وأما القسم الثاني : من علم المعاملة، فهو علم أحوال القلب : أما ما يحمد منها فكالصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والرضا، والزهد، والتقوى، والقناعة، والسخاء، ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال، والإحسان، وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة، والصدق، والإخلاص. فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة.

وأما ما يذم، فخوف الفقر، وسخط المقدور، والغل، والحقد، والحسد، والغش، وطلب العلو، وحب الثناء، وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع، والكبر، والرياء، والغضب، والأنفة، والعداوة، والبغضاء، والطمع، والبخل، والرغبة، والبذخ، والأشر، والبطر، وتعظيم الأغنياء، والإستهانة بالفقراء، والفخر، والخيلاء، والتنافس، والمباهاة، والإستكبار عن الحق، والخوض فيما لا يعني، وحب كثرة الكلام، والصلف، والتزين للخلق، والمداهنة، والعجب، والإشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس، وزوال الحزن من القلب، وخروج الخشية منه، وشدة الإنتصار للنفس إذا نالها الذل، وضعف الإنتصار للحق، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر، والأمن من مكر الله سبحانه وتعالى في سلب ما أعطى، والإتكال على الطاعة، والمكر، والخيانة، والمخادعة وطول الأمل، والقسوة، والفظاظة، والفرح بالدنيا، والأسف على فواتها، والأنس بالمخلوقين، والوحشة لفراقهم، والجفاء، والطيش، والعجلة، وقلة الحياء، وقلة الرحمة، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة. وأضدادها.

ـــ وهي الأخلاق المحمودة ـــ منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة أ هـ. من الإحياء.

ومن كلام الغزالي في العلوم المفروضة فرض كفاية :

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما أستفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة : فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة : أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد ممن يقوم بها حرج أهل البلد. وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة.

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة، فالتعمق في دقائق وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه، أما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محمودة كلها، ولها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب :

(**الضرب الأول**) **الأصول** : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله عليه السلام، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة.

(**الضرب الثاني**) **الفروع** : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لا يقضي القاضي وهو غضبان » أنه لا يقضي إذا كان خائفاً أو جائعاً أو متألماً بمرض. وهذا على ضربين : أحدهما : يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء. والثاني : ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى.

(**والضرب الثالث**) **المقدمات** : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو، فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتابة الخط.

(**الضرب الرابع**) **المتممات** : وذلك في علم القرآن، فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير، فإن اعتماده أيضاً على النقل، إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر. وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً. وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة في الرواة، والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به، فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة، بل كلها من فروض الكفايات، فإن قلت : لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا؟، فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم، وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذ تنازعوا بحكم الشهوات، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا، ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين، لكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا. وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه. وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به، فكذلك معرفة طريق السياسة، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة.

فإن قلت : لم سويت بين الفقه والطب، إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق، وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه علم شرعي، إذ هو مستفاد من النبوة، بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع.

والثاني : أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض. وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون.

والثالث : أن عدم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب.

ومن كلام الغزالي في العلم :

فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل وكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً لا لمن يتخذها مستقراً ووطناً، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين. وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام :

أحدها : أصول لا قوام للعالم دونها، وهي أربعة : الزراعة، وهي للمطعم. والحياكة، وهي للملبس. والبناء، وهو للمسكن. والسياسة، وهي للتأليف والإجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها.

الثاني : ما هي مهيئة كل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها : كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها.

الثالث : ما هي متممة للأصول ومزينة، كالطحن والخبز للزراعة، وكالقصارة والخياطة للحياكة.

وأشرف هذه الصناعات أصولها، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والإستصلاح، ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع.

والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب :

الأولى : وهي العليا : سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهرهم وباطنهم.

والثانية : الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً، ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم.

والثالثة : العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء، وحكمهم على باطن

الخاصة فقط، ولا يرتفع فهم العامة على الإستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع والشرع.

والرابعة : الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط، فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم ».

وهكذا أعطانا الشيخ الغزالي تصوراً عن فروض العين وفروض الكفاية فإذا ما عرفت مستجدات عصرنا وفروضه وفروض الوقت فيه أدركت أن ما ذكرناه من فروض العين وفروض الكفاية لم نأت فيه بجديد وإنما هو كلام العلماء جيلاً بعد جيل.

ولقد قال الشاطبي رحمه الله في الموافقات :

« الحقوق الواجبة على المكلف على ضربين ـــ كانت من حقوق الله، كالصلاة، والصيام، والحج، أو من حقوق الآدميين كالديون، والنفقات، والنصيحة، وإصلاح ذات البين، وما أشبه ذلك :

أحدهما حقوق محدودة شرعاً، والآخر حقوق غير محدودة.

فأما المحدودة المقدرة فلازمة لذمة المكلف، مترتبة عليه ديناً، حتى يخرج عنها، كأثمان المشتريات، وقيم المتلفات، ومقادير الزكوات، وفرائض الصلوات، وما أشبه ذلك، فلا إشكال في أن مثل هذا مترتب في ذمته ديناً عليه، والدليل على ذلك التحديد والتقدير، فإنه مشعر بالقصد إلى أداء ذلك المعين، فإن لم يؤده فالخطاب باق عليه، ولا يسقط عنه إلا بدليل.

وأما غير المحدودة فلازمة له، وهو مطلوب بها.

ومثاله الصدقات المطلقة، وسد الخلات، ودفع حاجات المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وإنقاذ الغرقى، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويدخل تحته سائر فروض الكفايات.

فإذا قال الشارع : « **أطعم القانع والمعتر** » أو قال : اكسوا العاري، أو « **أنفقوا في سبيل الله** » فمعنى ذلك طلب رفع الحاجة في كل واقعة بحسبها، من غير تعيين مقدار، ما يحتاج إليه فيها، بالنظر لا بالنص. فإذا تعين جائع فهو مأمور بإطعامه وسد خلته،

بمقتضى ذلك الإطلاق، فإن أطعمه ما لا يرفع عنه الجوع، فالطلب باق عليه، ما لم يفعل من ذلك ما هو كاف ورافع للحاجة التي من أجلها أمر ابتداء.

وربما انضبط الضربان الأولان بطلب العين والكفاية، فإن حاصل الأول أنه طلب مقدر على كل عين من أعيان المكلفين. وحاصل الثاني إقامة الأود العارض في الدين وأهله إلا أن هذا الثاني قد يدخل فيه ما يظن أنه طلب عين، ولكنه لا يصير طلباً محتماً في الغالب إلا عند كونه كفاية، كالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وأما إذا لم يتحتم فهو مندوب، وفروض الكفايات مندوبات على الأعيان ».

وهاك نقولاً أخيرة عن فروض العين وفروض الكفاية من حاشية ابن عابدين وهو من فقهاء الحنفية لتعلم أن كلاً من الفقهاء يواطىء الآخر في هذا.

قال في الدر المختار وهو من كتب الحنفية :

« واعلم أن تعلم العلم يكون فرض عين وهو بقدر ما يحتاج لدينه، وفرض كفاية وهو ما زاد عليه لنفع غيره ومندوباً وهو التبحر في الفقه وعلم القلب ».

قال ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار :

١ ــ (قوله واعلم أن تعلم العلم الخ) إي العلم الموصل إلى الآخرة أو الأعم منه قال العلامي في فصوله من فرائض الإسلام : تعلم ما يحتاج إليه العبد في إقامة دينه وإخلاص عمله لله تعالى ومعاشرة عباده وفرض على كل مكلف ومكلفة بعد تعلمه علم الدين والهداية تعلم علم الوضوء والغسل والصلاة والصوم وعلم الزكاة لمن له نصاب والحج لمن وجب عليه والبيوع على التجار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات في سائر المعاملات وكذا أهل الحرف وكل من اشتغل بشيء يفرض عليه علمه وحكمه ليمتنع عن الحرام فيه أ هـ. وفي تبيين المحارم لا شك في فرضية علم الفرائض الخمس وعلم الإخلاص لأن صحة العمل موقوفة عليه، وعلم الحلال والحرام، وعلم الرياء، لأن العابد محروم من ثواب عمله بالرياء وعلم الحسد والعجب إذ هما يأكلان العمل كما تأكل النار الحطب، وعلم البيع والشراء والنكاح والطلاق لمن أراد الدخول في هذه الأشياء وعلم الألفاظ المحرمة أو المكفرة ولعمري هذا من أهم المهمات في هذا الزمان لأنك تسمع كثيراً من العوام يتكلمون بما يكفر وهم عنها غافلون والإحتياط أن يجدد الجاهل إيمانه

كل يوم ويجدد نكاح امرأته عند شاهدين في كل شهر مرة أو مرتين إذ الخطأ وإن لم يصدر من الرجل فهو من النساء كثير.

٢ ــ (قوله وفرض كفاية الخ) عرفه في شرح التحريم بالمتحتم المقصود حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله قال : فيتناول ما هو ديني كصلاة الجنازة ودنيوي كالصنائع المحتاج إليها وخرج المسنون لأنه غير متحتم وفرض العين لأنه منظور بالذات إلى فاعله أ هـ قال في تبيين المحارم : وأما فرض الكفاية من العلم فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدين والدنيا كالطب والحساب والنحو واللغة والكلام والقراءات وأسانيد الحديث وقسمة الوصايا والمواريث والكتابة والمعاني والبديع والبيان والأصول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكل هذه آلة لعلم التفسير والحديث وكذا علم الآثار والأخبار والعلم بالرجال وأساميهم وأسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواية والعلم بأحوالهم ليتميز الضعيف من القوي والعلم بأعمارهم وأصول الصناعات والفلاحة كالحياكة والسياسة والحجامة أ هـ.

(تنبيه): فرض العين هو أفضل من فرض الكفاية لأنه مفروض حقاً للنفس فهو أهم عندها وأكثر مشقة بخلاف فرض الكفاية فإنه مفروض حقاً للكافة والكافر من جملتهم، والأمر إذا عم خف وإذا خص ثقل وقيل فرض الكفاية أفضل لأن فعله مسقط للحرج عن الأمة بأسرها وبتركه يعصى المتمكنون منه كلهم ولا شك في عظم وقع ما هذه صفته أ هـ والمعتمد الأول.

٣ ــ (قوله وهو التبحر في الفقه) أي التوسع فيه والإطلاع على غوامضه وكذا غيره من العلوم الشرعية وآلاتها.

٤ ــ (قوله وعلم القلب) أي علم الأخلاق وهو علم يعرف به أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها أ هـ وهو معطوف على الفقه لا على التبحر لما علمت من أن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين ومثلها غيرها من آفات النفوس كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمداهنة والإستكبار عن الحق والمكر والمخادعة والقسوة وطول الأمل ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات من الإحياء قال فيه : ولا ينفك عنها بشر فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجاً إليه وأغلبها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه..

* * *

وقال في الدر المختار :

« وحفظها (أي آية من كتاب الله) فرض عين متعين على كل مكلف (وحفظ جميع القرآن فرض كفاية) وسنة عين من التنفل (وحفظ فاتحة الكتاب وسورة واجب كل مسلم) ».

قال ابن عابدين تعليقاً على ذلك :

١ ـــ (قوله وحفظها) أي الآية فرض عين أي فرض ثابت على كل واحد من المكلفين بعينه كما أشار إليه في شرح التحرير حيث فرق بينه وبين فرض الكفاية بأن الثاني متحتم مقصود حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله بخلاف الأول فإنه منظور بالذات إلى فاعله حيث قصد حصوله من عين مخصوصة والظاهر أن الإضافة فيهما من إضافة الاسم إلى صفته أي فرض متعين أي ثابت على كل مكلف بعينه وفرض الكفاية معناه فرض ذو كفاية أي يكتفي بحصوله من أي فاعل كان.

٢ ـــ (قوله وحفظ جميع القرآن الخ) أقول : لا مانع من أن يقال جميع القرآن من حيث يسمى فرض كفاية وإن كان بعضه فرض عين وبعضه واجباً، كما أن حفظ الفاتحة يسمى واجباً وإن كانت الآية منها فرضاً أي يسقط بها الفرض فافهم.

* * *

٣ ـــ (قوله وسنة عين) أي يسن لكل واحد من المكلفين بعينه وفيه إشارة إلى أن السنة قد تكون سنة عين وسنة كفاية ومثاله ما قالوا في صلاة التراويح إنها سنة عين وصلاتها بجماعة في كل محلة سنة كفاية.

وكنموذج على فروض الكفاية القضاء ومن كلام صاحب الدر المختار في ذلك :

« (وكره) تحريماً (التقلد) أي أخذ القضاء (لمن خاف الحيف) أي الظلم (أو العجز)، (وإن تعين له أو أمنه لا) يكره ثم انحصر فرض عيناً وإلا كفاية (والتقليد رخصة) أي مباح (والترك عزيمة عند العامة) فالأولى عدمه (ويحرم على غير الأهل الدخول فيه قطعاً) من غير تردد في الحرمة ».

قال ابن عابدين معلقاً على كلام صاحب الدر :

١ ـــ (قوله لمن خاف الحيف) فلو كان غالب ظنه أنه يجور في الحكم ينبغي أن يكون حراماً.

٢ ــ (قوله أو العجز) يحتمل أن يراد به العجز عن سماع دعاوى كل الخصوم بأن قدر على البعض فقط وأن يراد العجز عن القيام بواجباته من إظهار الحق وعدم أخذ الرشوة.

٣ ــ (قوله وإن تعين له) أي مع خوف الحيف قال في الفتح : ومحل الكراهة ما إذا لم يتعين عليه فإن انحصر صار فرض عين عليه وعليه ضبط نفسه.

(تنبيه) لو تعين عليه هل يجبر على القبول لو امتنع؟ قال في البحر : لم أره والظاهر نعم وكذا جواز جبر واحد من المتأهلين أ هـ.

٤ ــ (قوله والترك عزيمة الخ) وقيل إن الدخول فيه عزيمة والإمتناع رخصة فالأولى الدخول فيه، قال في الكفاية : فإن قيل إذا كان فرض كفاية كان الدخول فيه مندوباً لما أن أدنى درجات فرض الكفاية الندب كما في صلاة الجنازة ونحوها، قلنا نعم كذلك إلا أن فيه خطراً عظيماً بأمر مخيف لا يسلم في بحره كل سابح ولا ينجو منه كل طامح إلا من عصمه الله تعالى وهو عزيز الوجود، ألا ترى أن أبا حنيفة دعي إلى القضاء ثلاث مرات فأبى حتى ضرب في كل مرة ثلاثين سوطاً فلما كان في المرة الثالثة قال حتى أستشير أصحابي فاستشار أبا يوسف فقال : لو تقلدت لنفعت الناس فنظر إليه أبو حنيفة رحمه الله نظر المغضب وقال : أرأيت لو أمرت أن أعبر البحر سباحة أكنت أقدر عليه وكأني بك قاضياً، وكذا دعي محمد رحمه الله إلى القضاء فأبى حتى قيد وحبس واضطر فتقلد أ هـ.

٥ ــ (قوله ويحرم على غير الأهل) والمراد به هنا ما مر في قوله وينبغي أن يكون موثوقاً به في عفافه وعقله الخ.

ومن كلام صاحب الدر في كتاب الجهاد وهو نموذج على ما يكون فرض عين تارة وفرض كفاية أخرى :

« هو (أي الجهاد) كل ما فرض لغيره فهو فرض كفاية إذا حصل المقصود بالبعض وإلا ففرض عين، وإن لم يبدأونا (إن قام به البعض) ولو عبيد أو نساء (سقط عن الكل وإلا) يقم به أحد في زمن ما (أثموا بتركه) أي أثم الكل من المكلفين وإياك أن تتوهم أن فريضته تسقط عن أهل الهند بقيام أهل الروم مثلاً بل يفرض على الأقرب فالأقرب من العدو إلى أن تقع الكفاية فلو لم تقع إلا بكل الناس فرض عين كصلاة وصوم ومثله الجنازة والتجهيز ». (لا) يفرض (على صبي).

قال ابن عابدين في حاشيته شارحاً ما مر :

١ ـــ (قوله هو فرض كفاية) قال في الدر : وليس بتطوع أصلاً هو الصحيح فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته فإن لم يبعث كان كل الإثم عليه وهذا إذا غلب على ظنه أنه يكافئهم وإلا فلا يباح قتالهم بخلاف الأمر بالمعروف. عن الزاهدي.

(أقول : الكلام ههنا عن القتال الذي هو فرض كفاية).

٢ ـــ (قوله إذا حصل المقصود بالبعض) يعني أنه يكون فرض عين على من يحصل به المقصود وهو دفع العدو فمن كان بحذاء العدو إذا لم يمكنهم مدافعته يفترض عيناً على من يلهيهم، وهكذا.. ولا يخفى أن هذا عند هجوم العدو أو عند خوف هجومه.

(أقول : فضلاً عن سيطرته فالقتال في هذه الأحوال فريضة عينية، ولكن يمكن أن تتصور عموم الكسل والإهمال والجهل، فعندئذ لا يجب على الإنسان أن يباشره إلا إذا توافرت شروط ذلك وأسبابه، وما تحتاجه المقدمات فمباشرته تكون من باب فروض الكفايات وإن كان الجهاد في الأصل فرض عين، فالجميع يأثمون إذا لم يوجد من يقوم بهذه المقدمات. ولكن إذا سقطت فرضية المباشرة فالندب موجود وشهداء هذا الحال أرقى الشهداء).

٣ ـــ (وقوله إن قام به البعض) هذه الجملة وقعت موقع التفسير لفرض الكفاية وحاصله أن فرض الكفاية ما يكفي فيه إقامة البعض عن الكل لأن المقصود حصوله في نفسه من مجموع المكلفين كتغسيل الميت وتكفينه ورد السلام بخلاف فرض العين لأن المطلوب إقامته من كل عين أي من كل ذات مكلفة بعينها فلا يكفي فيه فعل البعض عن الباقين، وإن كان أفضل كما مر لأن العناية به أكثر، ثم إن فرض الكفاية إنما يجب على المسلمين العالمين به سواء كانوا كل المسلمين شرقاً وغرباً أو بعضهم، قال القهستاني : وفيه رمز إلى أن فرض الكفاية على كل واحد من العالمين به بطريق البدل، وقيل إنه فرض على بعض غير معين والأول المختار ولأنه لو وجب على البعض لكان الآثم بعضاً مبهماً وذا غير مقبول وإلى أنه قد يصير بحيث لا يجب على أحد وبحيث يجب على بعض دون بعض فإن ظن كل طائفة من المكلفين أن غيرهم قد فعلوا سقط الواجب عن الكل وإن لزم منه أن لا يقوم به أحد وإن ظن كل طائفة أن غيرهم لم يفعلوا وجب على الكل وإن ظن البعض أن غيرهم أتى به وظن آخرون أن غيرهم ما أتى به وجب على الآخرين دون الأولين وذلك لأن الوجوب ههنا منوط بظن المكلف لأن تحصيل العلم بفعل الغير وعدمه في أمثال ذلك في حيز التعسر فالتكليف به يؤدي إلى الحرج.

٤ ــ (قوله في زمن ما) مفهومه أنه إذا قام به البعض في أي زمن سقط عن الباقين مطلقاً وليس كذلك، لما تقدم من أنه يجب على الإمام في كل سنة مرة أو مرتين وحينئذ فلا يكفي فعله في سنة عن سنة أخرى.

٥ ــ (قوله من المكلفين) أي العالمين به كما مر ونظيره أنه لو مات واحد من جماعة مسافرين في مفازة فإنما يجب تكفينه والصلاة عليه كفاية على باقي رفقائه العالمين به دون غيرهم.

٦ ــ (قوله بقيام أهل الروم مثلاً) إذ لا يندفع بقتالهم الشر عن الهنود المسلمين وقوله تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾[1] يدل على أن الوجوب على أهل كل قطر : والآية تدل على أن الجهاد فرض على كل من يلي الكفار من المسلمين على الكفاية فلا يسقط بقيام الروم عن أهل الهند وأهل ما وراء النهر مثلاً كما أشرنا إليه أ هـ قال في النهر : ويدل عليه ما في البدائع ولا ينبغي للإمام أن يخلي ثغراً من الثغور من جماعة من المسلمين فيهم غناء وكفاية لقتال العدو، فإن قاموا به سقط عن الباقين وإن ضعف أهل ثغر عن مقاومة الكفرة وخيف عليهم من العدو فعلى من وراءهم من المسلمين الأقرب فالأقرب أن ينفروا إليهم وأن يمدوهم بالسلاح والكراع والمال لما ذكرنا أنه فرض على كل الناس كلهم ممن هو من أهل الجهاد ولكن سقط الفرض عنهم لحصول الكفاية بالبعض فما لم يحصل لا يسقط أ هـ، قلت : وحاصله أن كل موضع خيف هجوم العدو منه فرض على الإمام أو على أهل ذلك الموضع حفظه وإن لم يقدروا فرض على الأقرب إليهم إعانتهم إلى حصول الكفاية بمقاومة العدو ولا يخفى.

٧ ــ (قوله بل يفرض على الأقرب فالأقرب) أي يفرض عليهم عيناً وقد يقال كفاية بدليل أنه لو قام الأبعد حصل المقصود فيسقط عن الأقرب، لكن هذا ذكره في الدرر فيما لو هجم العدو وعبارة الدرر : وفرض عين إن هجموا على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرض عين على من قرب منهم وهم يقدرون على الجهاد ونقل صاحب النهاية عن الذخيرة أن الجهاد إذا جاء النفير إنما يصير فرض عين على من يقرب من العدو فأما من وراءهم يبعد من العدو فهو فرض كفاية عليهم حتى يسعهم تركه إذا لم يحتج إليهم فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان يقرب من العدو عن المقاومة مع العدو أو لم يعجزوا عنها، لكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا فإنه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه ثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدريج

---

(١) سورة التوبة: (١٢٣).

ونظيره الصلاة على الميت فإن من مات من ناحية من نواحي البلد فعلى جيرانه وأهل محلته أن يقوموا بأسبابه وليس على من كان يبعد من الميت أن يقوم بذلك وإن كان الذي يبعد يعلم أن أهل محلته يضيعون حقوقه أو يعجزون عنه كان عليه أن يقوم بحقوقه كذا هنا أ هـ.

٨ ــ (قوله لا يفرض على صبي) في الذخيرة للأب أن يأذن للمراهق بالقتال وإن خاف عليه القتل، وقال السعدي : لا بدّ أن لا يخاف عليه فإن خاف قتله لم يأذن له نهر.

(أقول : أرجح في عصرنا الفتوى بالقول الأول لتكاسل الكبار عن الجهاد، وقد أذن الرسول ﷺ لبعض من لم يبلغ بالجهاد ومنع بعضهم فأمير القتال له الإذن أو عدمه بعد إذن الأب).

* * *

وبعد لعله اتضح لك بعض واجبات العصر، ولأهمية المال في إقامة هذه الواجبات فإنني رأيت أن أضيف إلى هذا البحث بحثاً آخر بعنوان :

« لمن تدفع زكاتك وصدقتك؟ »

٣ ــ لمن تدفع زكاتك وصدقتك ..

* * *

جاء قوله تعالى : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾[١] في سياق الآيات التي تأمر بالإنفاق في سورة البقرة فقد سبقت هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم..** ﴾[٢] ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء..** ﴾[٣].

وجاء بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار** ﴾[٤].

ومن مجيء الآية التي تتحدث عن الحكمة في سياق آيات الإنفاق نعلم أن من أعظم ما تظهر فيه الحكمة وضع الصدقات في محلها فتلك من أعلى مظاهر الحكمة لما يترتب على ذلك من مصالح ومن أجر.

* * *

(١) سورة البقرة: (٢٦٩).

(٢) سورة البقرة: (٢٦٧).

(٣) سورة البقرة: (٢٦٨).

(٤) سورة البقرة: (٢٧٠).

لنتصور ثلاث صور :

صورة الإنسان الذي يدفع لأصم أبكم أعمى.

وصورة الإنسان الذي يدفع لعامل لا يجد قوت يومه.

وصورة إنسان سخر زكاته لتخريج عالم داعية إلى الله.

لا شك أن من دفع لأي من الجهات الثلاث فهو حكيم مأجور، ولكن أي الثلاثة أكثر حكمة وأكثر أجراً ؟

إن داعية إلى الله على بصيرة قد يفتح الله به القلوب والعقول والجيوب فتتفجر بسببه من الخيرات والمبرات ما الله به أعلم، فتحيا به أسر، وقد تحيا به شعوب، وبوعظه يدفع أناس زكاتهم، ويقبلون على الله، ومن ههنا وغيره فإن الصورة الثالثة هي أكثر منفعة وأكثر أجراً وبالتالي فإن من اختارها على غيرها هو الأكثر حكمة، على ألا يضيع الآخران.

أرأيت لو أن أحداً أنفق زكاته في تفريغ عالم داعية إلى الله في قطر غلب عليه الجهل والفسوق والعصيان والارتداد، واستطاع هذا العالم أن يرد الناس إلى الإسلام، فيكون هؤلاء ومن يأتي بعدهم في صحيفته، وهم وهم في صحيفة ذلك المتصدق، ألا يكون هذا أكثر أجراً وأكثر حكمة من صاحبنا في الصورة السابقة مع أن كلا الاثنين أحسن الاختيار.

من أمثال هذه المعاني تدرك محل حسن اختيارك لمن تدفع زكاتك في سلم الحكمة.

ومن أمثال هذه المعاني ندرك كم يحتاج دافع الزكاة والصدقة إلى موازنات قبل أن يدفع زكاته.

هناك حالات كثيرة ندبنا إلى التصدق فيها كبناء المساجد، وهناك حالات كثيرة تجيز لنا الفتوى أن ندفع زكواتنا إليها، ومن دفع في هذا أو هذا فهو مأجور مبرور، ولكن هناك موازنات شرعية كثيرة يجب أن نضعها في حسابنا ونحن نفكر في الزكاة والصدقة، فالرحم والجار وأهل البلد مقدمون على غيرهم والأكثر احتياجاً مقدم على غيره، والآكد في الفرضية مقدم على غيره، والفروض المضيعة لها أفضلية معينة، وإحياء الفرائض الميتة مقدم على مصالح أخرى، وإقامة فروض العين وفروض الكفاية لها أولوية، وبعض فروض الكفاية لها أولوية بحسب الزمان والمكان، وكل ذلك ينبغي أن يضعه المزكي على باله وهو يفكر في دفع زكاته، وحسن اختياره مظهر من مظاهر حكمته، وبقدر ما يوفق إلى الأكثر نفعاً يكون قد وفق إلى الأكثر أجراً، وهو مأجور في كل الأحوال ما صحت النية وأجازت الفتوى.

إن المسلمين في العالم الآن يبلغون المليار وهم إلى ازدياد بفضل الله، لكن قسماً كبيراً من هذا المليار، يكاد يكون ضائعاً، وأما طاقاته فمبعثرة، وكم من فقير فيه لا يفطن له؟ وكم من جائع فيه وكم من جاهل وكم من غافل وكم من مأساة ؟ فلو أن شبكة تنظيمية قوية كانت تربط بين المسلمين جميعاً بحيث تستطيع أن تعبىء طاقاتهم وتصل فيما بينهم وتحرك الجميع نحو خدمة القضايا المشتركة، فهل يبقى شيء مما يشكوه المسلمون ؟ إلا وبالإمكان علاجه، لكن لو أن شيئاً من مثل هذا قد حدث ترى كم من المسلمين يدفع زكاته لمثل هذا النوع من الأعمال ؟ مع أن مثل هذا لا عدل له في عصرنا، إذ هو وحده الذي يمكن أن يغير المعادلات في هذا العالم.

* * *

إن هناك كثيراً من فروض الكفاية معطلة، مع أن بعض هذه الفروض يتوقف عليها مصير الإسلام والمسلمين، فعلوم الذرة والفضاء والعلوم العسكرية، وإعادة نظام الخلافة، والعودة بالمسلمين إلى الحكم بما أنزل الله، كل ذلك يدخل في باب فروض الكفايات ابتداءً وهو من فروض العين انتهاءً كما مر معنا فكم من المسلمين يدفعون زكواتهم لإقامة مثل هذه الأمور.

* * *

إن الأمة الإسلامية تواجه تحدياً حضارياً رهيباً وما لم تعرف كيف تواجه هذا التحدي فإنه يخشى عليها من الفناء أو من استمرار السيطرة السياسية عليها من القوى العالمية، وإن حسن مواجهة التحدي الحضاري يكمن في القدرة على استشراف الوضع العالمي المعقد، وفي القدرة على السير في مشروعات عملية على ضوء هذا الاستشراف وهذا وهذا يتوقفان على وجود عقول استراتيجية وعلى وجود المال، والأخيران يتوقفان على تعاون القدرات العقلية مع القدرات المالية، والأول واجب قادة الحركات الإسلامية، والثاني واجب أغنياء الأمة الإسلامية.

* * *

إن مما أتي المسلمون في عصرنا من قبله قلة المختصين في العلوم الإنسانية : الفلسفة والاجتماع والتاريخ وهي العلوم الأكثر تأثيراً في عصرنا.

وإن مما أتي المسلمون من قبله قلة المختصين في العلوم المدنية : الطبيعيات والهندسيات والطبيات.

* * *

وإن مما أتي المسلمون من قبله سيطرة غيرهم على التكنولوجيا والصناعة.

ترى لو توجهت الجماعات الإسلامية العاملة إلى إقامة مشروعات مبنية على دراسات موضوعية لسدّ هذه الاحتياجات واجتمعت العقول الفقهية على إيجاد الحلول الفقهية لتأمين تمويل هذه المشروعات، وتوجه الأغنياء للدفع على ضوء الفتوى المبصرة ألا يمكن من خلال هذه الجهود أن نتقدم إلى الأمام ولو قليلاً.

إن تطبيقاً عبقرياً لأقوال قدماء الفقهاء في باب الزكاة يأتي بالعجائب فمثلاً نص فقهاء الشافعية على أن العاجزين بسبب العاهة يمكن أن يدفع لهم سلفاً كل نفقاتهم مدى ما يمكن أن يعيشوا، واقترحوا لذلك أن يشترى لهم عقار يعيشون من ريعه.

ترى لو أنك أحصيت أمثال هؤلاء في قطر وقدرت كم يمكن أن يدفع لكل واحد منهم ثم اشتريت للجميع مصانع مما يحتاجه قطرهم وجعلت لهذه المصانع إدارات تقوم بشأنها تأخذ أجورها من الربح، وقسم الربح بين هؤلاء، ألا تكون قد حققت أكثر من هدف واحد بآن واحد.

وقد نص فقهاء الشافعية على جواز أن يدفع لأرباب الحرف رأس المال اللازم لإقامة حرفهم من مال الزكاة ترى ألا نستطيع أن ندرب العاطلين عن العمل في قطر على أنواع من الأعمال المصنعية ثم نشتري لهم مصانع نملكهم إياها يعيشون من ريعها ؟ وبذلك نكون قد حققنا أكثر من هدف بآن واحد.

إن صوراً كثيرة ذكرها قدماء الفقهاء لو أننا اعطيناها تطبيقاً معاصراً لفعلنا الكثير.

* * *

ونتيجة لموازنات شرعية كثيرة فإنني أرى أنه لا شيء في عصرنا يعدل أن تدفع الزكاة إلى جهات خمس مع مراعاة مصارف الزكاة الأخرى والفتوى والتقوى :

١ ــ الحركات الجهادية الإسلامية.

٢ ــ الحركات الدعوية والدعاة إلى الله.
٣ ــ تخريج علماء دين.
٤ ــ تخريج علماء مختصين في علوم يحتاجها المسلمون.
٥ ــ الجماعات الإسلامية العاملة.

وإذا وجدت جماعة إسلامية جامعة تستطيع أن تتولى هذه الشئون وتتوافر فيها الشروط المطمئنة بأن وجدت ثقة برجالها وأنها تعمل على مقتضى الفتوى المبصرة من أهلها، فالدفع لهذه الجهة هو أولى ما يتقرب به المتقربون إلى الله.

* * *

وها نحن ننقل لك من كلام أعلام العلماء ما تزداد فيه بصيرة فتحسن اختيار الجهة التي تقتضي الحكمة أن تدفع إليها.

قال الغزالي رحمه الله في إحيائه :

(الوظيفة الثامنة) : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة..
أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة.
أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات ما صحت النية.

وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أثناء الكلام عن سيرة عبد الله بن المبارك رحمه الله ما يلي :

(الفتح بن سخرف : حدثنا عباس بن يزيد، حدثنا حبان بن موسى، قال عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، وطلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه، لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم، ضاع علمهم ، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم).

وفي نشرة أصدرتها هيئة كبار العلماء في السعودية ونشرتها مجلة البحوث الإسلامية وردت هذه الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿ **وفي سبيل الله** ﴾ من آية الزكاة :

وقال الشوكاني في تفسيره: ﴿ **وفي سبيل الله** ﴾ هم الغزاة والمرابطون يعطون من

الصدقة ما ينفقون في غزوهم ومرابطتهم وإن كانوا أغنياء وهذا قول أكثر العلماء. ا هـ.

وقال ابن حجر العسقلاني : وأما ﴿ وفي سبيل الله ﴾ فالأكثر على أنه يختص بالغازي غنياً كان أو فقيراً إلا أن أبا حنيفة قال يختص بالغازي المحتاج. ا هـ.

وقال أبو البركات أحمد دردير في شرحه وأشار للسابع بقوله : ومجاهد، أي : المتلبس به إن كان ممن يجب عليه لكونه مسلماً ذكراً بالغاً قادراً ولا بدّ أن يكون غير هاشمي ويدخل فيه المرابط وآلته كسيف ورمح تشترى منها ولو كان المجاهد غنياً حين غزوه كجاسوس يرسل للاطلاع على عورات العدو يعلمنا بها فيعطى ولو كافراً ولا تصرف الزكاة في سور حول البلد لتحفظ به من الكفار ولا في عمل مركب يقاتل فيها العدو. ا هـ.

وقال الإمام الشافعي : ويعطى من سهم سبيل الله جلّ وعز من غزا من جيران الصدقة فقيراً كان أو غنياً، ولا يعطى منه غيرهم إلا أن يحتاج إلى الدفع عنهم فيعطاه من دفع عنهم المشركين. ا هـ.

وقال النووي في شرحه على المهذب : قال المصنف رحمه الله تعالى : وسهم في سبيل الله وهم الغزاة إذا نشطوا غزوا وأما من كان مرتباً في ديوان السلطان من جيوش المسلمين فإنهم لا يعطون من الصدقة بسهم الغزاة لأنهم يأخذون أرزاقهم وكفايتهم من الفيء. قال النووي : ومذهبنا أن سهم الله المذكور في الآية الكريمة يصرف إلى الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان بل يغزون متطوعين وبه قال أبو حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى. ا هـ.

وقال الصنعاني : في الكلام على حديث (لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة) الحديث : كذلك الغازي يحل له أن يتجهز من الزكاة وإن كان غنياً لأنه ساع في سبيل الله.

قال الشارح ويلحق به من كان قائماً بمصلحة عامة من مصالح المسلمين، كالقضاء والإفتاء والتدريس وإن كان غنياً. وأدخل أبو عبيد من كان في مصلحة عامة في العاملين. وأشار إليه البخاري حيث قال : (باب رزق الحاكم والعاملين عليها) وأراد بالرزق ما يرزقه الإمام من بيت المال لمن يقوم بمصالح المسلمين كالقضاء والفتيا والتدريس فله الأخذ من الزكاة فيما يقوم به مدة القيام بالمصلحة وإن كان غنياً (ا هـ المقصود).

وقال المباركفوري: وقيل اللفظ عام فلا يجوز قصره على نوع خاص ويدخل فيه جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير

ذلك، نقل ذلك القفال عن بعض الفقهاء من غير أن يسميه كما في حاشية تفسير البيضاوي لشيخزاده وإليه مال الكاساني إذ فسره بجميع القرب قال في البدائع : سبيل الله عبارة عن جميع القرب ويدخل فيه كل من سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات إذا كان محتاجاً. وقال النووي في شرح مسلم : وحكى القاضي عياض عن بعض العلماء أنه يجوز صرف الزكاة في المصالح العامة وتأول عليه هذا الحديث أي ما روى البخاري في القسامة أنه ﷺ وداه أي الذي قتل بخير مائة من إبل الصدقة. ا هـ.

وقال الكاساني : وأما قوله تعالى ﴿ **وفي سبيل الله** ﴾ عبارة عن جميع القرب فيدخل فيه كل من سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات إذا كان محتاجاً. ا هـ.

وقال الألوسي: ﴿ **وفي سبيل الله** ﴾ أريد بذلك عند أبي يوسف منقطعو الغزاة وعند محمد منقطعوا الحجيج وقيل المراد طلبة العلم واقتصر عليه في الفتاوى الظهيرية وفسره في البدائع بجميع القرب فيدخل فيه كل من سعى في طاعة الله تعالى وسبل الخير. ا هـ.

وقال السيد رشيد رضا، في تفسيره المنار بعد استعراضه الأقوال التي قيلت في المراد بقوله تعالى : ﴿ **وفي سبيل الله** ﴾ ما نصه :

والتحقيق أن سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد وأن حج الأفراد ليس منها لأنه واجب على المستطيع دون غيره، وهو من الفرائض العينية بشرطه كالصلاة والصيام لا من المصالح الدينية الدولية.. ولكن شعيرة الحج وإقامة الأمة لها منها فيجوز الصرف من هذا السهم على تأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة للحجاج إن لم يوجد لذلك مصرف آخر. ا هـ.

وقال أيضاً : (وفي سبيل الله) وهو يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك أمر الدين والدولة وأولاها بالتقديم الاستعداد للحرب بشراء السلاح وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة — إلى أن قال — : ومن أهم ما ينفق في سبيل الله في زماننا هذا إعداد الدعاة إلى الإسلام وإرسالهم إلى بلاد الكفار من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمال الكافي. ا هـ.

وسئل الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق عن جواز الدفع لبعض الجمعيات الخيرية الإسلامية من الزكاة. فأفتى بالجواز، مستنداً إلى ما نقله الرازي عن القفال وغيره في معنى سبيل الله.

وقد استدل أصحاب هذا القول على قولهم بما يأتي:

إن اللفظ عام فلا يجوز قصره على بعض أفراده دون سائرها إلا بدليل ولا دليل على ذلك، وما قيل بأن حديث عطاء بن يسار : (لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة) وذكر منهم : غاز في سبيل الله. يعين أن سبيل الله هو الغزو فغير صحيح، ذلك أن غاية ما يدل عليه الحديث هو أن المجاهد يعطى من سهم سبيل الله ولو كان غنياً، وسبل الله كثيرة لا تنحصر في الجهاد في سبيل الله.

وقال سيد قطب رحمه الله : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ ذلك باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة تحقق كلمة الله وفي أولها إعداد العدة للجهاد وتجهيز المتطوعين وتدريبهم وبعث البعوث للدعوة الى الإسلام وبيان أحكامه وشرائعه للناس أجمعين وتأسيس المدارس والجامعات التي تربي الناشئة تربية إسلامية صحيحة فلا نكلهم إلى مدارس الدولة تعلمهم كل شيء إلا الإسلام، ولا مدارس المبشرين تعتدي على طفولتهم وحداثتهم وهم لا يملكون رد العدوان. ا هـ.

وقال الشاطبي في الموافقات :

كل مكلف بمصالح غيره فلا يخلو أن يقدر مع ذلك على القيام بمصالح نفسه أولاً — أعني المصالح الدنيوية المحتاج إليها —.

فإن كان قادراً على ذلك من غير مشقة فليس على الغير القيام بمصالحه. وإن لم يقدر على ذلك البتة أو قدر لكن مع مشقة معتبرة في إسقاط التكليف، فلا يخلو أن تكون المصالح المتعلقة من جهة الغير خاصة أو عامة..

وإن كانت المصلحة عامة فعلى من تعلقت بهم المصلحة أن يقوموا بمصالحه.

أقول : إن كثيراً من المصالح الإسلامية العامة يغفل عن إقامتها، وإذا توجه أحد لإقامتها فإنه يضيع، أمثال هذه القضايا أمانة في أعناق المسلمين، فإذا توجه لها ناس فإن أمثال هؤلاء هم الأولى بأن تدفع لهم الأموال، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف » متفق عليه.

وفي رواية الصحيحين : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غني يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس ». فالذي لا يفطن له هو الأولى وكذلك المصالح التي لا يفطن لها هي الأولى وأصحابها هم الأولى.

لقد اختلف الفقهاء : هل يدفع الإنسان زكاته لصنف واحد من الأصناف الثمانية أو لا بدّ من تقسيمها على الأصناف الثمانية.. قال ابن رشد في بداية المجتهد :

(واختلفوا.. هل يجوز أن تصرف جميع الصدقة إلى صنف واحد من هؤلاء الأصناف أو هم شركاء في الصدقة ؟ لا يجوز أن يخص منهم صنف دون صنف.. فذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنه يجوز للإمام أن يصرفها في صنف واحد أو أكثر من صنف واحد إذا رأى ذاك بحسب الحاجة، وقال الشافعي : لا يجوز ذلك بل يقسم على الأصناف الثمانية كما سمى الله تعالى).

أقول : إن مما يمكن أن يراعيه دافعو الزكاة في عصرنا هذا الخلاف وبالتالي يجعلون جزءاً من أموالهم في سهم (في سبيل الله) إذا فاتهم أن يدفعوا زكاتهم كلها لهذا السهم.

ومما اختلفت فيه أقوال الفقهاء : هل للعامل على الزكاة إذا كان غنيّاً أن يأخذ الزكاة ؟ الجمهور على أن له ذلك.قال ابن رشد في بداية المجتهد : وأما الغني الذي لا تجوز له الصدقة فإن الجمهور على أنه لا تجوز الصدقة للأغنياء إلا للخمس الذين نص عليهم النبي ﷺ في قوله : « لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : الغازي في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني ».

(والذين أجازوها للعامل وإن كان غنياً اجازوها للقضاة ومن في معناهم ممن المنفعة بهم عامة للمسلمين وسبب اختلافهم هو : هل العلة في إيجاب الصدقة للأصناف المذكورين هو الحاجة فقط أو الحاجة والمنفعة العامة ؟ فمن اعتبر ذلك بأهل الحاجة المنصوص عليهم في الآية. قال : الحاجة فقط ومن قال الحاجة والمنفعة العامة توجب أخذ الصدقة ؟ اعتبر المنفعة للعامل والحاجة بسائر الأصناف المنصوص عليهم).

والذي أراه أن يضيق في الفتوى على الحكومات فلا تفتى بدفع الزكاة إلا للعاملين عليها مع بقية الأصناف، ويوسع في الفتوى على الجماعات الإسلامية العاملة في خدمات لا يقوم بها غيرها، فموظفو هذه الجماعات يدفع لهم من الزكاة وإن كانوا أغنياء في مقابل خدماتهم للمسلمين، وإذا لم نقل بهذا فإن كثيراً من الفرائض العينية والكفائية تضيع، خاصة وأن بعض العلماء أجازوا دفع الزكاة بما يغطي حاجات العمر، وظننا بالعاملين للإسلام ألا يأخذ أحدهم راتباً في مقابل العمل الإسلامي إذا كان عنده ما يغطي حاجات العمر، وعلى كل حال فإننا ندعو كل مسلم تجب عليه الزكاة أن يستفتي المؤهلين للفتوى من أهل العلم والعارفين بالعصر قبل أن يتخذ قراره النهائي ليكون على بصيرة من أمره.



فهرس الرسالة الثانية

لنتذكر في عصرنا ثلاثاً



الرسالة الثالثة :

عَقدُ القَرنْ الخَامِسَ عَشرَ الهِجْرِيّ



مقدمة

لم يزل الكثير من مشكلات المسلمين بلا حل ورغم ما يقال عن صحوة إسلامية، ورغم إنجازات القرن الرابع عشر الهجري، فإن احتمالات الإجهاض أو الجمود لا زالت قائمة. فالنظريات التنظيمية أو السلوكيات العملية لكثير من الجهات الإسلامية تسير في طريق قتل المبادرة الفردية، وتميل نحو التقييد الشديد لأعضائها، وتحاول أن تعمق الهوة فيما بينها وبين الفئات الإسلامية الأخرى، والكثيرون من أبناء الصحوة الإسلامية ينزلقون نحو تطرفين :

تطرف الاعتزال والتشدّد، أو تطرف العمل الذي لا يخضع للفتوى المبصرة.

ولا زال التخوف بين المسلم والحاكم قائماً في الغالب، فالحاكم يخشى مما يسمى بالتطرف الإسلامي والمسلم لا يرضى أن يسير الحكم بعيدا عن شريعة الله. ويستغل الكافرون هذا الوضع ليدفعوا ببعض الحكام للقضاء على الصحوة الإسلامية أو تقييدها أو تحجيمها. وكثيراً ما يعطي أبناء الصحوة الإسلامية للآخرين فرصاً أو حججاً لمثل هذه الأمور.

ويبدو لي أن هذا القرن يحتاج إلى تركيز على عدد من المشكلات التي يمكن أن تكون بداية لحل ما سواها من المشكلات الأخرى. قسم من هذه المشكلات حله بيد العاملين للإسلام، وقسم منها حله بيد الحكومات وقسم منها حله مشترك بين العاملين والحكومات، **وتكاد تكون المشكلات الرئيسية الحالية للأمة الإسلامية إحدى عشرة مشكلة :**

أولاً : المشكلة الثقافية.
ثانياً : مشكلة التقدم المدني.
ثالثاً : المشكلة التربوية والروحية.
رابعاً : المشكلة الجهادية.
خامساً : مشكلة التخطيط المكافيء للعصر.
سادساً : مشكلة الخطط المناسبة للزمان والمكان.
سابعاً : مشكلة النظريات التنظيمية والإدارية.
ثامناً : مشكلة الأطر التنظيمية.
تاسعاً : مشكلة الجفوة بين الشباب وعلماء الإسلام.
عاشراً : المشكلة القيادية.
حادي عشر : مشكلة توحيد المسلمين أو التنسيق بينهم.

إن تلمس الخطوات لحل هذه المشكلات هو واجب القادرين من أبناء هذا العصر، وواجب كل مسلم أن يساعد حيث أتيحت له فرصة المساعدة، وهذا هو عقد القرن، لا أقصد به عقداً لفظيّاً ولا تعاقداً شكليّاً، بل أقصد جزم القلب على العمل بالقدر المستطاع. فالمراد بكلمة العقد ما ذكرته الآية الكريمة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾[1].

وها أنا ذا أعرض لهذه المشكلات، وأحاول أن أضع خطوطاً كبرى بشأنها، لعلها تضيء السبيل لبدايات صحيحة تصل إلى نهايات سليمة بإذن الله تعالى.

(١) سورة المائدة: (١).

أولاً : المشكلة الثقافية :

يمكن أن نحدد المشكلة الثقافية المعاصرة للمسلمين بما يلي :

١ ــ إن الإخاء العام والإخاء الخاص ضعيفان، فكثيراً ما ينسى المسلم إخاءه لكل المسلمين، وكثيراً ما يغلبه الإخاء الفئوي أو الحزبي على إخائه لكل المسلمين، وكثيراً ما تجد الخصومات الفردية أو العائلية أو الفئوية أو الحزبية قائمة.

وحلّ هذا الجانب إنما يكون بالتزام كل مسلم بتعميق الإخاء الإسلامي وإصلاح ذات البين بين المسلمين، وألا يقول كلاماً باطلاً في حق مسلم أو مسلمة، أو في حق فئة إسلامية، وأن يوائم بين اجتهاداته في إقامة الدين وعدم التفرق فيه، فالله ــ عز وجل ــ جعل شريعته الدائمة ووصيته الدائمة إقامة الدين وعدم التفرق فيه: ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[1].

إن على القائمين على العمل الإسلامي أن يوائموا بين اجتهاداتهم في إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، والدين واضح، والتفرق في الغالب إنما هو أثر عن اتباع متشابه أو جهل، أو أثر عن ظلم وحسد فإذا وجد العلم وخلص القلب من الهوى ولم يكن هناك ظلم أو حسد فالاجتهاد في إقامة الدين لا ينبغي أن يكون سبباً للتفرق فيه.

---

(١) سورة الشورى: (١٣).

٢ ــ إن العلم المطلوب شرعاً بما يناسب الزمان والمكان والمستجدات لم يحدد في الغالب، ولم يصل إلى كل مسلم ومسلمة. فهناك العلوم العينية التي يطالب بها كل مسلم على حدة. من هذه العلوم ما هو فريضة عينية، ومنها ما هو سنة، ومنها ما هو مندوب. فحفظ شيء من القرآن مثلاً فريضة عينية ولكن حفظ القرآن كله سنة عين، والتفقه بالقدر الذي يحتاجه المسلم في حياته فريضة عينية ولكن التبحر في الفقه مندوب.

فإحصاء العلوم المطلوبة من كل مسلم ومسلمة ضرورة، وإيصالها إليهما ضرورة، وهناك العلوم المفروضة فرض كفاية لإقامة دين أو دنيا، فهذه ينبغي إحصاؤها ودفع المسلمين لإتقانها.

ومن ههنا فإن على المسلم أن يلتزم بأن يكون له سيره العلمي الشرعي ؛ لتحقيق المطلوب منه عيناً. وأن يكون له سيره التخصصي ليساعد في إقامة فرض من فروض الكفاية وما لم يتم هذا وذاك لا تُحَلّ مشكلة المسلمين الثقافية.

٣ ــ ومن أهم جوانب المشكلة الثقافية للمسلم ضعف الإقبال على الذكر. فلقد علّق الله على الذكر قضيتين لا تستقيم الحياة الإسلامية بدونهما :

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾(١).

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾(٢).

والمسلم ما لم يطمئن قلبه ببرد اليقين، وما لم يقتد بسيد المرسلين في قوله وعمله وهيئته وحاله وصفاته، فإن ثقافته الإسلامية أشبه بالعدم.

ومن ههنا كان لا بدّ للمسلم أن يرتب صلواته من فرائض ونوافل، وأن ينظم تلاوته للقرآن وحفظه، وأن يكثر من الأذكار فيرتب على نفسه أوراداً يومية، ويحيي سنة الاعتكاف وتكون له خلواته مع الله وانقطاعاته للعبادة والذكر.

٤ ــ ومن أهم جوانب المشكلة الثقافية عند المسلم إهماله مبدأ النصيحة الذي يدخل فيه التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الخير.

---

(١) سورة الرعد: (٢٨).

(٢) سورة الأحزاب: (٢١).

والرسول ﷺ جعل الدين هو النصيحة لتبيان أهميتها قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « الدين النصيحة. قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » أخرجه مسلم.

وقد علق الله ـ عز وجل ـ فلاح المسلم على هذا فما لم تصبح النصيحة خلقاً للمسلم في أهله وجيرانه وحيه وحرفته والدوائر التي يعيش فيها أو يعايشها لا تعم الثقافة الإسلامية ولا تبقى.

٥ ـ ومن أهم جوانب المشكلة الثقافية عند المسلم إهماله مبدأ الخدمة العامة والخدمة الخاصة. فالمسلم من أدبه ـ بل قد يكون فريضة عليه في بعض الأحوال ـ إطعام الجائع، وكسوة العاري، وإغاثة الملهوف، وفك العاني، والإعانة على نوائب الحق، وقرى الضيف، وإعارة الماعون، وقضاء حاجة المحتاج. وهذه كلها من مظاهر التراحم في المجتمع الإسلامي :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[1].

وما لم يساعد المسلمون إخوانهم، فإن إخوانهم معرضون للضياع ومجتمعهم معرض للتفكك.

٦ ـ ومن أهم جوانب المشكلة الثقافية عند المسلمين المعاصرين ـ إلا من رحم الله ـ التقصيرُ في إقامة فروض العين، والوقوع في المحرمات، وضعف التعاون على إقامة فروض الكفاية العلمية والعملية. فالمفروض في علماء الشريعة أن يتخصصوا في فروض الكفايات الدينية وأن يعمموا الثقافة الإسلامية. والمفروض في المهندسين أن يتعاونوا لتغطية حاجات المسلمين في الهندسة. وقل مثل ذلك في كل علم أو عمل تحتاجهما إقامة الدنيا، فكل ذلك من فروض الكفايات. ثم إنّ هناك فروض عين وفروض كفاية تحتاج إلى تكاتف الشعوب والحكومات، كما أنها تحتاج إلى جهة تتابعها وتحض عليها بالموعظة الحسنة والكلمة الحكيمة والتصرف الأريب.

٧ ـ ومن جوانب المشكلة الثقافية للمسلمين عدم إقبالهم على المساعدة والمساندة في المشروعات المفيدة في إطار الحي أو القرية أو القطر أو العالم. ولا شك أن هناك مبادرات جيدة، ولكن أن يصبح هذا محل اهتمام كل مسلم فهذا غير موجود. قدّر لو أن أهل كل حي أو كل قرية أوجدوا صندوقاً للاستثمار والتشغيل أشرف عليه الأكفاء

---

(١) سورة الفتح: (٢٩).

والأمناء والأقوياء، ثم بحث القائمون عليه عما إذا كان بالإمكان إقامة مشروع زراعي أو حيواني أو تجاري أو صناعي أو غير ذلك ؛ لإزالة البطالة أو لإنعاش الحركة الاقتصادية وتدريب المختصين ثم قدّر أن ذلك كان بتخطيط وبرمجة، ثم قدّر أن تتحرك بعض رؤوس الأموال لتستثمر الأموال في بلدان إسلامية تحتاجها، كم يكون ذلك مفيداً؟.

٨ ـــ ومن جوانب المشكلة الثقافية الإسلامية قلة التخصص وعدم تكامله بما يغطي احتياجات الأمة، وهو فرع عن تضييع فروض الكفاية.

٩ ـــ ومن جوانب المشكلة الثقافية ضعف الشعور بالانتساب. فالمسلم عليه أن ينتسب لأهل العلم وللربانيين وللصف الإسلامي ؛ ليكون من الطائفة الظاهرة القائمة بالحق، وأن ينتسب إلى أهل السنة والجماعة في مذاهبهم الاعتقادية والفقهية والسلوكية، وبذلك يحقق الانتساب الحق للأمة الإسلامية.

وهذه المعالم التي تشكل الأساس في المشكلة الثقافية سببها الرئيسي عدم التوجه نحو الربانية التي هي أرقى مقام بعد مقام النبوة والتي يطلب من كل مسلم أن يتطلع إليه.

قال تعالى : ﴿ **ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله** ﴾[1] لاحظ كلمة (للناس) فهي كلمة عامة يدخل فيها كل إنسان ﴿ **ولكن كونوا ربانيين** ﴾ فالضمير في كلمة (كونوا) يعود على الناس جميعاً. فإذا أضفنا إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[2] عرفنا أن كل مسلم عليه أن يتطلع إلى مقام الربانية ويعمل لها فيتحقق بحال رسول الله ﷺ وصفاته وأعماله وأخلاقه، ويرث عنه الكتاب والسنة والحكمة.

إن الربانية من خلال الاستقراء هي أن يجتمع للإنسان المسلم علم وصديقية وحكمة وتعليم وعمل، وذلك مقام الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ وهؤلاء هم المرشحون لحل مشكلة الأمة الإسلامية ثقافياً، ثم لحل مشكلاتها الأخرى. وما لم يتطلع كل مسلم إلى هذا المقام تبقى نسبة القائمين به والسائرين نحوه ضعيفة، فتبقى الكمالات الإسلامية متدنية.

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).
(٢) سورة الأحزاب: (٢١).

وبمناسبة هذا نقول :

إن هناك سؤالين بسيطين يحتاجان إلى إجابة : ما هي الثقافة التي يحتاجها كل مسلم ؟ وكيف نوصل هذه الثقافة إلى كل مسلم ؟

أقول أما الجهة المرشحة لإيصال هذه الثقافة فهم علماء الإسلام.

وأما الثقافة التي يحتاجها كل مسلم فهي باختصار :

١ ـ القرآن الكريم وعلومه.
٢ ـ السنة وعلومها.
٣ ـ علوم اللغة العربية.
٤ ـ الأصول الثلاثة والدراسات الإسلامية الحديثة.
٥ ـ العقائد.
٦ ـ الفقه.
٧ ـ التربية والسلوك وتزكية الأنفس.
٨ ـ أصول الفقه، وأصول المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.
٩ ـ السيرة والتاريخ الإسلامي وحاضر العالم الإسلامي.
١٠ ـ فقه الدعوة والبناء والعمل.

ويأتي ههنا سؤال : ما هو المطلوب من كل مادة وما هي الكتب المعتمدة ؟

إن كثيراً من الكتب المؤلفة قديماً وحديثاً يمكن أن تحقق المطلوب وأن تعتمد، ولكن هناك الكثير الذي يحتاج إلى تأليف جديد.

وها أنا ذا أضع لكل أصل من أصول الثقافة الإسلامية بعض ما يمكن اعتماده، والمهم عندي هو المضمون.

١ ـ في القرآن وعلومه :

أ ـ علم التلاوة، والكتب المؤلفة فيه كثيرة منها :
« حق التلاوة » لأخينا حسني الشيخ عثمان.
ب ـ مفردات القرآن، والكتب فيها كثيرة منها :
« كلمات القرآن تفسير وبيان » للشيخ حسنين مخلوف.

ج ـــ علوم القرآن، والكتب المؤلفة في ذلك كثيرة، قديماً وحديثاً، ومن الكتب الحديثة التي اشتهرت وانتشرت كتاب : « مناهل العرفان » للشيخ الزرقاني.

د ـــ تفسير القرآن، والكتب المؤلفة فيه كثيرة، منها المطول ومنها المختصر، وقد جمعت في كتابي « الأساس في التفسير » ما أعتبره ضرورياً لأبناء العصر.

هـ ـــ التعرف على المكتبة القرآنية.

٢ ـــ في السنة وعلومها :

أ ـــ علم مصطلح الحديث، والكتب المؤلفة فيه كثيرة، وفي الابتداء يمكن اعتماد البيقونية مع شرح مختصر عليها أو ما يقاربها، ثم اعتماد الباعث الحثيث أو ما يقاربه.

ب ـــ التعرف على المكتبة الحديثية، ويمكن اعتماد الرسالة المستطرفة.

ج ـــ تخريج الأحاديث، ويمكن اعتماد كتاب الشيخ محمود الطحان : أصول التخريج ودراسة الأسانيد.

د ـــ متون السنة : الأربعون النووية، ورسالة المأثورات، ورياض الصالحين، وكتاب جامع في الحديث النبوي وقد ألفنا كتاب « الأساس في السنة وفقهها ».

٣ ـــ علوم اللغة العربية :

لقد أحصى الغلاييني ـــ رحمه الله ـــ في كتابه « جامع الدروس العربية » علوم اللغة العربية فقال :

« علوم العربية هي العلوم التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ، وهي ثلاثة عشر علماً : الصرف والإعراب (ويجمعهما اسم النحو)، والرسم، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والقوافي وقرض الشعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللغة ».

ويدخل في الرسم علوم الإملاء والترقيم والخط، ويدخل في متن اللغة مفرداتها الموجودة في قواميسها وشعرها ونثرها وقد أغفل الشيخ فقه اللغة وهو علم يتوسع على الزمان، كذلك النقد الأدبي، وكذلك ضوابط الفهم للنصوص كما سجلها علماء الأصول، والشيء الذي يحتاجه ثقافة المسلم الرباني يمكن تقديره بما يلي :

أ ـــ دراسات في النحو والصرف، ويكفي في ذلك النحو الواضح للمرحلتين الابتدائية والثانوية وقطر الندى وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، أو ما يعادل ذلك.

ب ـــ علوم البلاغة، ويكفي فيها كتاب البلاغة الواضحة أو ما يعادله.

ج ــ كتاب في الإملاء والترقيم.
د ــ كتاب في الخط والتدريب عليه.
هـ ــ اطلاع على قاموس مختصر ككتاب مختار الصحاح.
و ــ اطلاع على كتاب في العروض والقوافي.
ز ــ الاطلاع على الأدب العربي وتاريخه وحفظ بعض نصوصه.
ح ــ المران على الخطابة والمحاضرة والتدريس والكتابة والتأليف، ويفيد في ذلك أن تقرأ كتاباً في كيفية تحضير بحث أو رسالة.
ط ــ الاطلاع على مكتبة العربية.

٤ ــ علم الأصول الثلاثة والدراسات الإسلامية الحديثة :

إن التركيز على أدلة وجود الله ــ عز وجل ــ وعلى أدلة رسالة الرسول ﷺ وعلى مفاهيم الإسلام الصحيحة عقيدة وعبادة ومناهج حياة من أهم المهمات في عصرنا، فنحن نواجه فكراً مادياً وإلحادياً، ونواجه موجة ردة عاتية، كما نواجه أنظمة ونظريات. وهذا كله يقتضي التركيز على الأصول الثلاثة، وقد كتبنا سلسلة الأصول الثلاثة لذلك :
« الله ــ الرسول ــ الإسلام ».

وقد كتب الإسلاميون المعاصرون في كثير مما يحتاجه المسلم المعاصر مما ينبغي التعرف عليه.

٥ ــ العقائد :

إنه في صراع الإسلام مع الأديان وفي صراع أهل السنة والجماعة مع غيرهم من الفرق المنشقة جعل علماء المسلمين يحرصون على تقديم العقيدة ملاحظين في التأليف هذا وذاك، وبالتالي أصبحوا يحرصون على ذكر مسائل بعينها. وفي كتابنا « الأساس في السنة » أفردنا قسماً للعقائد أدخلنا فيه كل ما لا بد أن يعرف، ولكن ذلك لا يغني عن دراسة كتب العقيدة.

ومن الكتب المفيدة في ذلك :
أصول العقائد ــ كبرى اليقينيات ــ أركان الإيمان ــ شرح جوهرة التوحيد للشيخ أديب الكيلاني.

٦ ــ في الفقه :

أ ــ يعتمد في الفقه دراسة المذهب المنتشر في كل قطر أو المذاهب المنتشرة في

كل قطر، ففي با د الشام حيث ينتشر المذهبان الحنفي والشافعي يعتمد كتابان في المذهبين كالاختيار في فقه الحنفية وككفاية الأخيار في فقه الشافعية أو ما يعادلهما.

وحيث يكون مذهب وحيد يعتمد فيه دراسة كتاب في هذا المذهب أو أكثر.

ب ــ دراسة كتاب فقهي شامل يستعرض المذاهب الفقهية كلها في أمهات المسائل كبداية المجتهد.

٧ ــ في التربية والتزكية والسلوك :

كتبنا لهذا الأصل ثلاثة كتب هي :

١ ــ تربيتنا الروحية.

٢ ــ المستخلص في تزكية الأنفس.

٣ ــ مذكرات في منازل الصديقين والربانيين.

٨ ــ أصول الفقه :

الكتب المؤلفة فيه قديماً وحديثاً كثيرة، وقد كتبنا في ذلك كتاباً لاحظنا فيه احتياجات عصرنا وهو : « الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص ». ومن المناسب الاطلاع على أحد الكتب المؤلفة حديثاً فيه لأبي زهرة أو لخلّاف أو للخضري أو لأديب الصالح، ومن المناسب التعرف على المكتبة الأصولية.

٩ ــ السيرة وتاريخ الأمة الإسلامية وحاضرها :

أ ــ يقرأ كتاب موثق مختصر في السيرة كنور اليقين أو تهذيب سيرة ابن هشام، وقد خصصنا قسماً في كتاب الأساس في السنة للسيرة وحياة الصحابة.

ب ــ سلسلة الاستقراءات والتي ذكرنا فيها شيئاً وجيزاً عن التاريخ الإسلامي وتحليل أحداثه.

١٠ ــ فقه الدعوة والبناء والعمل :

وقد كتبنا في ذلك :

أ ــ من أجل خطوة إلى الأمام.

ب ــ جند الله ثقافة وأخلاقاً.

ج ـــ جولات في الفقهين الكبير والأكبر.
د ـــ المدخل.
هـ ـــ في آفاق التعاليم.
و ـــ فصول في الإمرة والأمير.
ز ـــ كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر.
ح ـــ دروس في العمل الإسلامي.
ط ـــ هذه تجربتي وهذه شهادتي.
ي ـــ جند الله تخطيطاً.

ومن المناسب أن يقرأ في هذا الباب رسائل الأستاذ البنا ومذكراته.

* * *

إن إيصال هذه الأصول الثقافية لكل مسلم ومسلمة يعتبر ركناً أساسياً يجب أن تستهدفه حركة تعميم الربانية والثقافة الإسلامية المتوارثة والحديثة.

وفي الطب يوجد الطبيب العام والطبيب المختص، والبرنامج الذي وضعناه لحلقات طلاب الربانية يتخرج فيه الطبيب العام، ولكننا نحتاج في الحقيقة مع ذلك إلى الأطباء المختصين.

إن هناك فروضاً عينية وفروضاً كفائية، والبرنامج الذي وضعناه يوجد الإنسان الذي يتقن فروض العين وفي نفس الوقت يكون قادراً على إعطائها، ولكن الأقدر على إعطاء كل جزء منها هو المختص فيها. ثم إن فروض الكفاية أوسع من أن تكون علوماً شرعية. ثم إن البرنامج الذي ذكرناه لا يستوعب فروض الكفاية الشرعية نفسها.

والمشكلة الثقافية للمسلمين لا تحلّ إلا بإيصال فروض العين لكل مسلم، ووجود المختصين بكل فرض من فروض الكفاية، وهذا ما يقتضي إحصاءً لفروض الكفاية ومحاولة لتوجيه المسلمين نحوها وترتيب الاستفادة من ذلك بحيث نستكمل وجود المختصين في إقامة فروض العين وفي تحقيق فروض الكفاية.

* * *

إن الخطوة الثانية في حلّ المشكلة الثقافية للمسلمين هي إحصاء فروض الكفاية

المطلوبة من الأمة في كل قطر وإحصاء العدد اللازم لإقامة كل فرض منها ووضع برنامج يرتب الوصول إليها.

فمثلاً من فروض الكفاية أن يوجد دعاة مربون معلمون بالقدر الذي يسع قطراً من الأقطار، وأن توجد الاختصاصات الشرعية الكفائية لإبقاء العلم حيّاً أو لتعليمه للناس أو للدفاع عنه فيوضع برنامج للوصول إلى ذلك.

وقل مثل ذلك في الاختصاصات التي تحتاجها خدمة الإسلام كالاختصاصات في العلوم السياسية والإعلامية والإدارية والخدمات الإسلامية.

وقل مثل ذلك في الاختصاصات الحياتية.

وبهذا يتحدد التوجه التعليمي الإسلامي في كل قطر، وعلى المستوى العالمي يسار في سياسة إيجاد الدعاة الذين يغطون احتياجات كل العالم.

إن التخطيط التعليمي والدعوي للأمة الإسلامية ينبغي أن يقوم على إيصال العلوم المطلوبة شرعاً إلى كل مسلم ومسلمة سواء كانت مفروضة أو مندوبة مع محاولة إيجاد المختصين في فروض الكفايات.

وهذا بعض الواجب :

فالمطلوب العيني من كل مسلم ومسلمة أوسع من أن يكون علماً وإن كان العلم شرطه، والمطلوب الكفائي أوسع من أن يكون علماً وإن كان العلم شرطاً فيه. فالمطلوب العيني من كل مسلم ومسلمة علم وعمل وتحقق قلبي وسلوك عملي وإقامة حقوق وقيام بواجبات وآداب وسنن وترك للمحرمات والمكروهات.

والمطلوب الكفائي من الأمة: أن توجد المختصين الذين يغطون احتياجاتها وأن تقيم الاختصاص عملياً، وهناك أشياء كثيرة تعتبر فروضاً كفائية عملية تجب إقامتها.

ولا بدّ أن يكون هناك تعاون بين الحكومات والوزارات المختصة ــ كوزارة الأوقاف ــ وبين العلماء والدعاة والعاملين للإسلام ما أمكن، للوصول إلى حلّ المشكلة الثقافية للمسلمين على المستويات المحلية والعالمية.

* * *

ثانياً : مشكلة التقدم المدني

إن مشكلة التقدم المدني للمسلمين منوطة بوجود المختصين في كل جانب من جوانب الحياة، وبقدر ما يكون هؤلاء المختصون رجال قمة وتوضع تحت تصرفهم الإمكانات وتقدم لهم التسهيلات ويكون هناك أمانة وسهر ونظام حكم مستقر ومخلص ومشفق تحل مشكلة التقدم المدني. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الرسالة الأولى من هذا الكتاب. ولا تحل هذه المشكلة إلا بجهد صادق بين المسلم والعاملين للإسلام والحكومات القائمة ورؤوس الأموال الإسلامية والتعاون بين الأقطار الإسلامية فما يستطيعه قطر قد لا يستطيعه قطر آخر، فظروف الأمة الإسلامية معقدة، ووجود أجهزة ساهرة على مثل هذه الأمور تتبع المؤتمرات الإسلامية لحكام المسلمين ضروري، فكثير من الاختصاصات التي لا بدّ منها قد تقوم في قطر ولا تقوم في قطر آخر.

وحبذا لو بدأ العمل لسوق إسلامية مشتركة ولأجهزة مركزية للتكامل السياسي والصناعي والتكنولوجي والاقتصادي والعسكري بين الأقطار الإسلامية.

* * *

ثالثاً : المشكلة التربوية والروحية

إن العلم وحده قد يوجد فلاسفة ومفكرين، والاختصاص وحده قد يُوجد من يفيد، ولكن بلا قلب ولا روح ؛ ولذلك فلا بدّ من إعطاء الجانب التربوي والروحي أهمية خاصة من خلال الالتصاق بالمسجد وحلقات العلم ومجالس الذكر والأوراد اليومية والاعتكافات السنوية والخلوات الهادفة. ومن هنا نؤكد أن الربانيين هم وحدهم المؤهلون لحلّ المشكلة الثقافية والتربوية والروحية للمسلمين.

* * *

رابعاً : المشكلة الجهادية

إن العالم اليوم لا يخشى من المسلمين لأن الفارق بين قواهم وقوى غيرهم هائلة، فميزان القوة بيد غيرهم. والمسلمون اليوم في خطر في كل أقطارهم، بل إنهم في بعض

الأقطار مهددون بالانقراض، ولا بدّ من بذل جهد على مستويات متعددة لتعديل ميزان القوى ولرد العدوان إذا وقع. فمن أصعب الأمور في عصرنا الوصول إلى أسرار التفوق العسكري استراتيجياً وتكتيكيّاً وعمليّاً. ولا بدّ للحكومات القائمة على أمر المسلمين أن تبذل جهوداً مضاعفة ؛ لكي تصبح بمنأى عن أن تكون محل خضوع أو سيطرة استعمار جديد. ومن أصعب الأمور على المسلمين المهددين بالإنقراض في بعض الأقطار أو المهدد إسلامهم بالزوال أن يبلوروا نظريات معاصرة تجعل الجهاد حيث فرض ممكناً، فعصرنا لا يكفي فيه الحماس وحده للوصول إلى تحقيق هدف.

* * *

خامساً : مشكلة التخطيط المكافىء للعصر

إن الشعارات القائمة الغامضة والأهداف الكبيرة الضخمة ذكّرت المسلمين بواجباتهم الكبيرة، ولكن ندر من يستطيع أن يترجم هذه الشعارات إلى عمل، وأن يبرمج لهذه الأهداف كي تتحقق، وهذا عامل من عوامل الاضطراب والقلق لدى كثيرين من المسلمين، بل هو عامل من العوامل التي تجعلهم يعكفون على الذات ؛ هذا على مستوى الحركات الإسلامية، أما على مستوى الحكومات فقد حاولت الكثير من الحكومات أن تجعل التخطيط جزءاً من توجهاتها، ولكن ندر ما وجد التخطيط الشامل الذي يراعي الزمان والمكان والأشخاص والتاريخ والمجتمع والموقع والحاضر والمستقبل.

ثم إنه لا زالت العقول الإسلامية الاستراتيجية المخططة على المستوى الشعبي أو الحكومي أو على المستوى المحلي والعالمي قليلة، وهذا يعطي فرصاً لقوى كبرى أو صغرى داخلية أو خارجية أن تجعل المسلمين أسرى مخططات غيرهم.

وهذه الأمور من الخطورة بحيث لا يستطيع كل إنسان، بل حتى الذين يُعْطَون شهادات اختصاص بالتخطيط قد يتقنون جانباً جزئياً، أما التخطيط المراد فلا بدّ له من اختصاص ولا بدّ له من اطلاع ولا بدّ له من ممارسة، ولا بدّ له من التفريق بين التخطيط الخاص والتخطيط العام.

فالتخطيط المطلوب لا بدّ أن يكون من خلال الاستشراف لأوضاع هذا العالم، ومن خلال المواقف الحكيمة التي تلحظ التناقضات والمصالح في عالم معقد وتعرف كيف تَعْبُر بالمسلمين فلا تغرقهم ولا تميتهم ولا تجعلهم يصطدمون بغيرهم.

سادساً : مشكلة الخطط المناسبة للزمان والمكان

إن التخطيط المكافيء للعصر إذا لم ينقلب إلى خطط عملية تراعي الزمان والأشخاص والنفسيات والاستعدادات يبقى نوعاً من التخيلات، ومن ههنا فإن كل تخطيط يحتاج إلى إخراج مناسب. إن عليك أن تعثر ابتداءً على الفكرة المركزية الصالحة لكل شيء تريده، ثم إن عليك أن تخطط لإنجاز هذه الفكرة، ثم إن عليك أن تضع الخطط العملية لإبراز الفكرة إلى حيز الوجود. فالتخطيط الذي يحتاجه المسلمون في العالم ينبغي أن يترجم إلى خطط وبرامج.

وما يحتاجه المسلمون كثير، والخطط اللازمة لذلك كثيرة، والجهات التي ينبغي أن تنفذه متعددة، وبدون التعاون بين الشعوب والحكومات والأفراد لا يمكن أن تتم مجموعة الخطط التي تحتاجها الأمة الإسلامية، ولا بدّ من جهة مركزية تستشرف هذا كله، وتحاول على مستويات متعددة. ولا شك أن الأمر ليس سهلاً فكثيراً ما تكون الشعوب في واد والقيادات في واد، سواء كانت قيادات حكومية أو حزبية أو شعبية ولكن لا بدّ مما ليس منه بدّ.

* * *

سابعاً : مشكلة النظريات التنظيمية والإدارية

أقام المسلمون جمعيات وأحزاباً وتكتلات، وفي العالم الإسلامي حكومات، وكل مؤسسة لا بدّ لها من نظرية تنظيمية صحيحة تحكمها ومن نظرية إدارية تناسبها. وإذا لم يتمّ ذلك فإن جهوداً كثيرة تضيع وأموالاً كثيرة تهدر وآلاماً متنوعة تحدث وأوقاتاً كثيرة لا يستفاد منها. ثم إن ذلك كله يعقبه فقدان ثقة وضياع ولا مبالاة وعدم شعور بالمسؤولية ؛ ولذلك فإن كل جهة سواء كانت حكومية أو شعبيه لا بدّ أن تبحث عن النظريات التنظيمية المناسبة والطريقة الإدارية التنفيذية لها.

ولا زال العالم الإسلامي يتعثر على مستوى حكوماته وشعوبه وأحزابه وهيئاته وجمعياته في هذه الشؤون، فكثيراً ما تجد على مستوى الهيئات الإسلامية ضيق الأفق الذي يؤثر على الإخاء العام مع بقية المسلمين، أو نرى جمود القوالب التنظيمية يحول

دون المبادرة الدعوية والعلمية والإنطلاق، وقد تجد حزباً إسلامياً يعطي أفراده لحزبهم العصمة فما قاله الحزب لا يحتاج إلى دليل شرعي. وكثيراً ما ترى البيروقراطية تأخذ مداها على مستوى الهيئات أو الحكومات.

ومن ههنا فإن على كل جمعية أو هيئة أو حزب أو تكتل أو حكومة أن تسعى إلى الوصول إلى النظرية التنظيمية الصحيحة وإلى النظرية الإدارية المكافئة. ومن حكم الإسلام أنه أعطى حرية كبيرة للمسلمين في الإفادة من تجارب الأمم في باب الإداريات.

فهذا عمر ينقل نظام الدواوين عن الفارسية، وتتابع أمراء المسلمين على الاستفادة من تجارب الأمم.

ولقد أصبحت أرى مظاهر من الخطأ في النظريات التنظيمية والإدارية لبعض الهيئات الإسلامية، مما يجعلني أخاف، فقد يحدث في المستقبل أن تصبح الجماعات الإسلامية أحزاباً، ثم تنقلب إلى فرق جديدة منشقة عن أهل السنة والجماعة، ثم يكون فيما بينها صراعات دموية إلى غير ذلك.

كما أصبحت أخشى من الجمود على الروتين عند كثير من الحكومات أن يؤدي إلى نوع من نسيان البدهيات الإسلامية في المسارعة إلى الخير والمبادرة للإغاثة والحرص على عدم المضارّة.

إنه لا بدّ لكل جهة جماعية تعمل في الأمة الإسلامية أن يكون فيها من يسهر على السير نحو الأحسن في النظريات التنظيمية والإدارية، والسر دائماً في الإنسان.

* * *

ثامناً : مشكلة الأطر التنظيمية

أصبح من بدهيات العصر وجود الدستور للأمم، والأنظمة الداخلية للمؤسسات المالية والسياسية والاجتماعية، وذلك شيء فرضه التطور البشري والعمل الجماعي والرغبة في الاستقرار والحرص على التعامل الواضح.

ولكن هذه الشؤون تتعرض لمزالق إما في الابتداء أو في الوسط أو في الانتهاء. فالأصل في الإطار التنظيمي أن يكون منبثقاً عن نظرية تنظيمية صحيحة، وعن نظرة

اعتقادية صحيحة، وعن شعور بالاحتياج، وعن أثر من تجربة. وكثيراً ما يفتقد هذا في الابتداء فتظهر المشكلة ويجمد القائمون على الأمور متمسكين بالإطار فتحدث نتيجة لذلك المشكلات : انقلابات على مستوى الحكم، أو ثورات وانقسامات على مستوى الهيئات والمؤسسات، أو تدهور في أوضاع الأحزاب والجماعات.

وهذا كله يحتاج إلى نظرات دقيقة ومرونة كبيرة وسهر دائم وقوة مبادرة في البدايات والنهايات. ولا بدّ أن تبقى جهة ما ساهرة على مثل هذه الشؤون.

* * *

تاسعاً : مشكلة الجفوة بين علماء المسلمين والشباب وغيرهم

إنه منذ اليوم الذي وطئت فيه أقدام الاستعمار الأرض الإسلامية وجدت المحاولات لتطويق علماء المسلمين أو لإخضاعهم أو لشرائهم أو لتحجيمهم أو لتحقيرهم أو لإفقارهم، ثم تطور الأمر حتى إن كثيراً من المؤسسات جعلت شغلها الشاغل عزل العالم عن الحاكم وعزل الشاب عن العالم وعزل العلماء عن الشعوب.

وقامت الحركات الإسلامية الحديثة والأمر كذلك، ثم كانت جفوة بين شباب الإسلام وعلمائه ــ إلا ما رحم ربي ــ ؛ لأنه لا الشباب استطاعوا أن يفهموا الشيوخ ولا الشيوخ استطاعوا أن يدركوا إيجابيات الشيء الجديد الذي حدث في العالم الإسلامي. وأثر ذلك على مجريات أمور كثيرة.

فلقد حجب شباب الإسلام عن العلوم الإسلامية المتوارثة في الغالب وساءت ظنون العلماء بالفكر الإسلامي الحديث، وذلك وضع شاذ لم تسلم منه إلا بلدان قليلة.

ومهما كانت الأسباب والأعذار في الماضي فلم يعد الآن عذر للشباب والشيوخ معا ولا للشيوخ والحكام معاً إلا أن يرجعوا الأمور إلى نصابها.

فبدون تلمذة على العلماء الربانيين فلا ربانية ولا زكاة نفس، وبدون تلاحم الحكام والعلماء فالإسلام يذبل، ولا تلاحم إلا بالالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة وبحفظ حقوق كل المواطنين على ضوء شريعة الإسلام.

* * *

عاشراً : المشكلة القيادية

الأصل أن يكون المسلمون جسداً واحداً له رأس واحد، والأقوال التي أجازت تعدد الخلافة جاءت بعد إجماع وهي أقوال ضعيفة، ولكن لأسباب كثيرة وجدت أقطار إسلامية كثيرة، ووجدت حكومات في هذه الأقطار، والمسلمون ليسوا مستقرين في منطقة واحدة بل تكاد بقاع العالم كلها لا تخلو من مسلم، هذا هو الواقع الذي ورثناه.

ومن ههنا لم يبق للمسلمين جهة مركزية مسؤولة أمامهم وهم ملتزمون أمامها.

ومع قيام مؤتمرات إسلامية على مستوى شعبي، ومع قيام مؤتمرات سياسية على مستوى حكومي، ومع قيام حركات إسلامية أخذت أبعاداً عالمية، ومع قيام مؤسسات ذات امتدادات عالمية، ومع وجود محاولات جادة لأشياء كثيرة، فلا زال المسلمون في العالم لا يجمعهم جامع، وهذا واقع تجب إزالته.

وهذا واجب علماء المسلمين ؛ لأن الفراغ القيادي للأمة الإسلامية حالياً هم يتحملون مسؤولية إزالته، وعليهم أن يبذلوا جهداً، ولا شك أنها ساحة معقدة تشهد مرحلة التفوق الكاسح للمدنية الغربية.

والخريطة المتعددة الألوان للأمة الإسلامية :

دول على الأرض الإسلامية كثيرة، شعوب إسلامية كثيرة، تصورات عن الإسلام مختلفة، أنواع من النفوذ على الأرض الإسلامية كثيرة، صراعات بين أهل التدين في كل قطر وبين غيرهم، صراعات بين الأحزاب العلمانية، صراعات بين الإسلاميين أنفسهم، صراعات بين بعض الحكومات وشعوبها، تخوف من الدول الكبرى على مصالحها، رغبات حارة في التغيير تفتقر إلى ترشيد، أنواع من العمل الإسلامي المنظم العفوي، بعضه استمرار لقديم وبعضه ناشيء حديث، وهذا كله يؤكد ضرورة وجود الجهة التي تستشرف هذه الأوضاع كلها وتحسن التخطيط للأمة الإسلامية على ضوء الحكمة والمتاح والممكن وبعد النظر ؛ لتنقل الأمة من طور إلى طور، مستفيدة من كل ما يمكن الاستفادة منه، مطمئنة عقلاء هذا العالم أنها متفهمة لأوضاع العصر عارفة بالحدود التي تتحرك فيها، وأهم من ذلك كله أن يستشعر المسلمون أن هذه الجهة هي محل الاحترام والتقدير منهم، وهي محل الرضا والقبول، وأنها تستأهل الطاعة. فمن هي هذه الجهة إن لم تكن هي ربانيي هذه الأمة ممن أوقع الله لهم القبول في قلوب عارفيهم أو السامعين

لهم وعنهم من هذه الأمة؟! فقد جعل الله ــ عز وجل ــ علامة قبوله لإنسان قبول قلوب الصالحين.

إنه إذا أمكن لربانيي هذه الأمة أن يوجدوا رباطاً يربطهم فيما بينهم، وأن يبدأوا جادين بمحاولة حل مشكلات الأمة الإسلامية ويحسنوا العمل في ذلك، فذلك هو مطلوب هذا العصر إن لم يكن فرضه الأول.

ولكن نجاح هذه الخطوة متوقف على أن يتفهم المسلمون حكومات وشعوباً وأفراداً ضرورة هذه الخطوة وألا يتخوف منها مسلم.

* * *

حادي عشر : مشكلة توحيد المسلمين

لو نظرنا إلى أكبر الحركات الإسلامية العالمية ــ حركة الإخوان المسلمين، وحركة جماعة التبليغ ــ لوجدنا أن مجموع من يرتبط بكل منهما من مجموع الأمة الإسلامية قليل. ثم لو نظرنا إلى المرتبطين بشيوخ أو دعاة مستقلين أو مرتبطين بمؤسسات أو جمعيات إسلامية محلية أو قطرية أو عالمية لوجدنا مجموع المرتبطين ربطاً عضوياً قليل بالنسبة لمجموع الأمة الإسلامية، وهؤلاء لا يجمعهمَ فيما بينهم جامع، بل إن الكثيرين من هؤلاء ليعمقون الحواجز فيما بينهم. وهذا كله في النهاية لا يجعل المسلمين يتوجهون توجهاً واحداً في قضاياهم المصيرية أو في فرائض العصر المفروضة عليهم.

أما محاولات حكام الأمة الإسلامية في التقارب والاقتراب فلا زالت دون المستوى المطلوب إسلامياً ومصلحياً.

إنه من حيث المبدأ ينبغي أن يكون المسلمون جسداً واحداً، وهذا يقتضي أن يكون كل مسلم مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بجسد الأمة الإسلامية، وهذا ليس حاصلاً الآن.

لقد فشلت كثير من المحاولات التي حاولت أن تجعل المسلمين في القطر الواحد صفاً واحداً. أما المحاولات التي أرادت أن تجعل المسلمين في العالم صفاً واحداً فإنها بعيدة جداً عن أهدافها، ومع ذلك فإننا نرحب بكل خطوة مخلصة مبصرة تحاول أن توجد جهة مركزية يرجع إليها المسلمون في شيء ما، أو تقوم بدور المخطط والموجه والمرشد والمدافع عنهم.

ولكن لماذا يكون هذا الأمر على هذه الشاكلة مع أن كل مسلم يعتقد أنه فرد في أمة ؟

الواقع : أن الأمر في غاية التعقيد، والعوازل كثيرة.

فقد جاء القرن الرابع عشر والإسلام ضعيف، والمسلمون ابتعدوا كثيراً أو قليلاً عن الإسلام. ثم إن الكافرين قد سيطروا سياسياً وعسكرياً وحضارياً على معظم أقطار الأمة الإسلامية، وبدأ أهل الإسلام يتحركون. تحرك بعضهم بعفوية، وبعضهم بترتيب وتنظيم، كل حسب اجتهاده، ومن خلال فهمه، وهذا كله صبّ في خدمة الإسلام ولكنه في المال لا زال عاملاً من عوامل متعددة معقدة يمكن أن يؤثر على الربط العضوي لمسلمي العالم ويمكن أن تخدمه.

ووجدت على الأرض الإسلامية مصالح متعارضة وفجوات بين الحكم والشعب أحياناً، وفجوات بين الحكم والإسلام أحياناً أخرى، وفجوات بين الشعب والإسلام أحياناً ثالثة.

ومصالح الشرق والغرب لا تسمح للشرق أو للغرب أن يغفل عما يجري في الأمة الإسلامية.

والتخوفات من الإسلام كثيرة، ومن التطرف الإسلامي أكبر وأكثر، وندر في هذه الساحة المعقدة من يستطيع استشراف الأوضاع وينطلق بحكمة ضمن حدود المتاح والممكن إلى ما هو أحسن وأحكم دون أن يخطو بالمسلمين خطوة تكسر الاستمرار.

إنّ الرغبة في السيطرة عميقة في النفس البشرية، وإن الخوف من السيطرة عميق في النفس البشرية، والنظرية التنظيمية التي توحد المسلمين وتحتاجها الأمة الإسلامية تقتضي نوعاً من المرونة لا يخشى فيها أحد من سيطرة، ولا يستطيع فيها أحد السيطرة التي تقهر فتحرج فتخرج.

إن المشكلة التنظيمية للمسلمين التي توحدهم ولا تفرقهم لن تحل إلا إذا توافرت شروط :

أولاً : أن يتولى الدعوة إلى الوحدة التنظيمية ربَّانيُّو هذه الأمة، ممن عرف عنهم علم وعمل واستقامة ونزاهة.

ثانياً : أن تأخذ الوحدة التنظيمية ــ بعين الاعتبار ــ التدرج في الخطوات والبعد عن الإثارات، وأن توائم بين مصالح الأمة الإسلامية ومصالح الأمم الأخرى ــ ما أمكن ــ

وأن تتفهم أكثر حكومات العالم الإسلامي أمرها فلا تقف ضدها، وأن تستفيد من مناخ الحرية في الأقطار الديمقراطية.

ثالثاً : أن يكون الإطار التنظيمي مرناً لا يضر مشاركاً ولا يقيده بل يفيده ويزيده من طاقاته.

رابعاً : أن تضم الوحدة التنظيمية كل من له دور مؤثر في مجموعة من المسلمين ترتبط به ارتباطاً عضوياً أو ارتباطاً رسمياً، كما تضم العلماء الربانيين والدعاة والمخلصين والمختصين المؤثرين.

إن مشكلة التخطيط لمستقبل الأمة الإسلامية لا تحل بدون حل للمشكلة التنظيمية التي توحّد المسلمين، ففروض الكفايات مثلاً التي تحتاجها الأمة الإسلامية لا تحلّ إلا إذا كان هناك إحصاء دقيق للموجود ومعرفة بالمفقود ثم كانت هناك جهات مركزية مستشرفة ومستوعبة تخطط وتدفع على ضوء ذلك.

وإن احتياجات قطر ما لفائض موجود في قطر آخر أو موجود خارج العالم الإسلامي لا تعرف بدون حلّ للمشكلة التنظيمية التي توحّد المسلمين.

وحماية المسلمين لبعضهم بعضاً لا تتمّ بدون حلّ للمشكلة التنظيمية التي توحدهم.

بل إنّ حل المشكلة التنظيمية هو الذي يجنب المسلمين في بعض الأقطار الاستئصال، وهو الذي يحافظ على المواقع المتقدمة للمسلمين في كل قطر ويعممها، وهو الذي بدونه تبقى كثير من الفروض مضيعة وكل ذلك لا يتمّ بدون حلّ لمشكلة توحيد المسلمين في إطار مرن واقعي ؛ ليكون ذلك مقدمة لخطوات متلاحقة على طريق توحيد المسلمين بالتقريب بين أقطارهم وبالدفع نحو فتح حدود بعضهم لبعض، وبإيجاد سوق مشتركة منفتحة على العالم وبإشعار هذا العالم بأن وحدة المسلمين بركة على هذا العالم كله.

وعلى ضوء المتاح ومن خلال النصيحة والمصلحة ومن خلال تعقل العقلاء وحكمة الحكماء نصل إلى ما هو أكبر وأعظم مما يحقق كل الفروض الإسلامية.

كيف تحلّ هذه المشكلات؟

لا شك أن هناك أعمالاً كبيرة وكثيرة قد أنجزت حتى الآن، ولا شك أن هناك جهات كثيرة تساهم في حل هذه المشكلات. فالآثار الطيبة للأزهر ولكليات الشريعة والجماعات الإسلامية وللمؤتمرات الإسلامية وللمنظمات الطلابية وللجمعيات الخيرية وللأحزاب ولرابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي ولمؤسسة آل البيت لأبحاث الحضارة الإسلامية وللعلماء ولشيوخ التربية وللتيارات الإسلامية ولمؤسسات النشر والصحافة الإسلامية وللحركات الجهادية ولوزارات الأوقاف ولجهود كثير من الحكومات في العالم الإسلامي، لكل هؤلاء إسهامات في حلّ الكثير من المشكلات المذكورة. والعالم الآن يزخر بالمحاولات لسدّ كل نقص ولإيجاد كل خير، ولا يكاد يوم يمرّ دون أن تسمع بمبادرة ما يقوم بها أهل الخير لسدّ نقص أو لتلافي قصور أو لعمل إيجابي، وكل ذلك يحتاج إلى متابعة ودعم ما لم يتبين ضرره، ونرجو إلّا يكون في شيء من ذلك ضرر.

إنه لا يكاد شيء من الأشياء يحتاجه تجديد الإسلام إلا وتجد من يفطن له ويعمل له، ومع ذلك فإن أشياء كثيرة لا بدّ أن تتمّ ولا بدّ أن تقوم فلا زالت كثير من الأعمال تحتاج إلى إنجاز.

فإن يظن ظان أن هذه المشكلات التي مرت يمكن أن تحلّ ببساطة فذلك جهل كبير، وأن يظن ظان أن جهة واحدة قادرة على حلّ هذه المشكلات فذلك وهم كبير، فحل هذه المشكلات متوقف على تضافر جهود كبيرة منها الحكومية ومنها الشعبية ومنها

جهود أصحاب أختصاص ومنها جهود الناضجين سياسياً والناضجين عسكرياً ومنها ومنها..

وهذا يقتضي وجود جهة تستشرف كل شيء وتأخذ على عاتقها أن تعمل لاستكمال الذي لا يزال مفقوداً.

* * *

إن هذه الرسالة هي الرسالة الثالثة في كتاب « كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر » وإذن فنحن نحتاج إلى جهة تأخذ على عاتقها الدفع نحو كل ما مرّ معنا في هذه الرسالة وغيرها، فكل شيء لا تتمحض لإقامته جهة بعينها لا يقوم، وإذا قام فإنه لا يستمر، وإذا كانت الجهة الوحيدة التي إذا قامت بهذا الأمر فإن المسلمين يستقبلون ذلك بالقبول الحسن وهي العلماء الربانيون فإنني أرشح للقيام بدور المرجع والدافع نحو هذه الشؤون علماء الأمة الإسلامية، وأقترح أن تقوم من أجل ذلك جمعية اسمها « الجمعية العالمية لعلماء الإسلام ودعاته ».

فلم يزل ــ كما سنرى في رسالة إحياء الربانية ــ كثير من الأعمال ينبغي أن تنجز، ولا زال هناك فراغ في العمل الإسلامي العالمي يجب أن يسد. هذا الفراغ هو الفراغ الناتج عن أن علماء الاسلام لم يشكلوا التيار العالمي الذي يأخذ دور الأبوة لجميع المسلمين ودور الناصح المشفق للحكومات وللجماعات وللشعوب ولا أرى لهذه الجمعية حال قيامها أن تأخذ دور المهيمن على النشاطات الإسلامية، بل ينبغي أن يكون دورها دور الوسيط الذي يوجد التفاعل ودور المعرف على الإيجابيات حتى يوجد شيء مفقود فدورها دعم الموجود وإيجاد المفقود بالحنان والرحمة والشفقة والنصيحة السرية والعمل الدؤوب والتحمل المخلص ومقابلة الاتهام والجفاء بالود والصفاء، وهذه معان لا يطيقها إلا الصدّيقون.

فهي من ناحية تسعى لإحياء الربانية وتعميمها، ومن ناحية تحاول أن تعرّف أهل الاختصاص في الأمة الإسلامية على بعضهم بعضاً، وتدفعهم نحو التشاور والتعاون على إقامة المشروعات المشتركة دون أن تتدخل في شؤونهم تدخلاً يتحسسون منه، ومن جهة ثالثة تحاول تعميم التجارب النافعة، وتعرف المسلمين على بعضهم بعضاً، وأول ما تأخذه على عاتقها تعميم الثقافة الإسلامية وإيجاد البيئات التي تساعد على النمو الروحي والصفاء القلبي.

إن عصرنا يرث مسيرة الإسلام عبر قرون طويلة، مرت فيها على الأمة الإسلامية فرق منشقة ـــ وبعضها لا زالت ـــ ومرت عليها غزوات وحدث خلالها احتكاكات بين ثقافات وتأثرات من بيئات وتم فيها سقوط أكثر بلدان الأمة الإسلامية تحت نير الاستعمار وبعضها تحرر وبعضها لا زال محكوماً بدول كافرة، كل ذلك يقتضي وجود جهة تحرر من الدخن، وتعتمد المنهاج الذي يحتاجه كل مسلم ومسلمة وتوجد البيئة والمناخ اللذين يساعدان المسلم على دراسة المنهاج وتزكية النفس، ثم إنه لا بدّ من جهة تقوم بدور مؤثر فعال لا يتحسس منه أحد في تحقيق المطلوب الشرعي.

إن وجود مثل هذه الجمعية هو المقدمة التي لا بدّ منها لترشيد السير الثقافي للأمة الإسلامية ولاستكشاف الربانيين وإيجادهم وللتنسيق بين جهود العاملين للإسلام وللإصلاح ذات بينهم ولتوظيف طاقات المسلمين جميعاً في خدمة بعضهم بعضاً وخدمة قضاياهم، وفيما يبدو فإن وجود مثل هذه الجمعية بالشروط التي ذكرناها في رسالة إحياء الربانية هو الذي يحلّ مشكلة التسيب، والظاهر أن مثل هذه الجمعية إذا وجدت لا يمتنع مسلم مخلص منصف أن ينتسب إليها.

العقبات :

ولكن دون وجود هذه الجمعية عقبات :

منها : عدم وجود الفهم الموحد للإسلام. ما هي القضايا التي يجب المفاصلة أو الافتراق بسببها ؟ وما هي القضايا التي هي محل قبول الجميع ؟ وما هي القضايا التي لا يؤثر الاختلاف فيها على وحدة القلوب ؟

ومنها : التحسسات التي يمكن أن توجد عند أشخاص أو مؤسسات أو حكومات.

ومنها : التخوفات التي تحدث عادة عند وجود أيّ عمل جديد من أطراف متعددة.

ومنها : صعوبة الوصول إلى بعض الأقطار وصعوبة الاتصالات.

ومنها : تغطية النفقات والتكاليف التي تحتاجها الفاعلية والإنجاز.

ومنها.. ومنها...

ومهما كانت كثرة العقبات فإن علينا أن نتجاوزها ما دام الشيء المطلوب مفروضاً، فكيف إذا كان فريضة هي المقدمة لإقامة مئات الفرائض ؟!

إنه لا بدّ من جهة مركزية تستوعب الموجود وتستكمل المفقود وتضع لكل مشكلة

حلاً، وترى ما إذا كان الحل عبر الموجود لتطوره أو تنصح أصحابه أو أنه لا بدّ من جديد، كما تأخذ على عاتقها دور المعدل للخطأ والمسدد له، وتتلافى المخاطر وتصلح ذات البين، كما تأخذ على عاتقها دور الدافع والمحرض لحل كل المشكلات وأحياناً تأخذ دور المنسق بين الجهود.

وتجعل الأنظمة كلها تتطور نحو إسلامية أكثر وتتجنب ما استطاعت المواجهات التي تؤدي إلى ضرر إسلامي، وتدعم المواجهات التي لا بدّ منها، وكل ذلك على مقتضى الحكمة.

إن قيادة إسلامية حكيمة راشدة هي أهم ما ينبغي أن يعطى له أولوية في هذا العصر.

هذا كله مع مراعاة الأوضاع الخاصة لكل إقليم والأوضاع والظروف الخاصة لكل دولة ولكل شعب إسلامي، فتضع مخططاتها لكل قطر وفي كل قطر على ضوء ذلك وقد تنشىء لبعض الأقطار أو في بعض الأقطار ترتيبات خاصة تحقق فروضاً عينية أو كفائية تخص هذا القطر دون ذاك، وهي في كل الأحوال تحاول أن تعبىء الطاقات الإسلامية لخدمة أوضاع المسلمين في كل أقطارهم، وتتبنى المشروعات المفيدة للمسلمين في أقطارهم، وتقوم بدور الوسيط في التعارف والتفاهم.

المطلوب من الجمعية في كل قطر

أولاً : أن توجد حركة لتعميم الربانية.

ثانياً : أن توجد جمعيات أو مجموعات تخصصية على مستوى القطر تربط بينها وبين مثيلاتها في أوطان أخرى.

ثالثاً : أن تعمق من خلال القدوة والكلمة فكرة الانتساب للأمة الإسلامية، وفكرة الإخاء الإسلامي العام والخاص، وأن تصلح ذات البين، وأن تدفع نحو المشروعات المفيدة، وتبذل النصح وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر. وهذه هي أهم واجبات المنتسب لهذه الجمعية في حال قيامها.

فصل في الواجبات

١ ــ الانتساب :

إنه بدون انتساب للربانيين فلا ربانية، وإنه بالانتساب إلى الربانيين يأخذ الإنسان

السمت والأدب، ويخرج من رعونات نفسه، ويأخذ العلم الصحيح، ولقد قالوا قديماً : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ».

فأخذ الكتاب يحتاج إلى رباني، وتزكية الأنفس تحتاج إلى رباني، وأخذ العلوم عن الربانيين هو الأخذ الصحيح.

قال تعالى : ﴿ **كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[1].

فالأصل في تعلم الكتاب أن يكون على يد الربانيين، والأصل في الدراسة الإسلامية أن تكون على يد وارثي النبوة ـــ وهم الربانيون ـــ.

وقال تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾[2].

فالعالم الرباني هو الذي يؤخذ عنه العلم والحكمة والتزكية بحق، ومن لم يتتلمذ على الربانيين فاته العلم الصحيح، وفي الحديث: « العلم علمان علم في القلب فذاك العلم النافع وعلم اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » حديث حسن[3].

وفاتته الحكمة فلا يعرف أن يضع الأمور في مواضعها. وفاتته تزكية النفس واذا فاتت هذه الثلاثة فلا ربانية.

ويدخل في الانتساب المطلوب أنواع أخرى من الانتساب :

لقد طالب الله عز وجل المسلم أن يعلن أنه من المسلمين ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾[4] فالانتساب الأول المطلوب هو الانتساب للأمة الإسلامية.

والرسول ﷺ أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فالمطلوب من المسلم أن يكون من هذه الفرقة التي هي أهل السنة والجماعة، والرسول

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

(٢) سورة البقرة: (١٥١).

(٣) الحديث: حسنه السيوطي، وصحح إسناده المنذري والعراقي، ووافقهما المناوي، وقد أخرجه ابن أبي شيبة والخطيب البغدادي .

(٤) سورة فصلت: (٣٣).

ﷺ أخبر أن هناك طائفة تحمل الحق وتعمل من أجله « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ».

فإذا وجد من يحمل الحق بحق، ويعمل من أجله، وعرف ذلك المسلم، فالمطلوب أن ينتسب إلى هؤلاء إن لم يكن هناك مانع. وعلامة هؤلاء علم وجهاد إذا تيسرت أسبابه، وعلى ذلك مدار كلام العلماء في حق هذه الطائفة. ونعود لنؤكد أنه مطلوب من المسلم أن يكون ربانياً فقد جعل الله ــ عز وجل ــ الربانية مطلباً للرسل من كل إنسان ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا** (أي أيها الناس) **ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[1]. فكل إنسان ينبغي أن يكون ربانياً، والربانية تعليم ودراسة.

فلا بدّ للمسلم أن ينتسب لأهل العلم، وأهل العلم أصناف، وأرقاهم من اجتمع له علم وصديقية وحكمة وعمل، وهم الربانيون. فهؤلاء تتأكد الكينونة معهم.

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[2] ولقد جاء في سياق هذا الأمر كلام عن المجاهدين وعن العلماء ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله..** ﴾[3]، ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم** ﴾[4]. والمطلوب من المسلم الانتساب إلى مراكز التجمع الإسلامي المطلوبة شرعاً كالجمع والجماعات.

فهذه مجموع الانتسابات المطلوبة من المسلم :

انتساب إلى أهل الجمعة والجماعة في المساجد.

انتساب إلى أهل العلم والربانية والعمل.

انتساب إلى أهل الصدق في الجهاد إن وجدوا وكانوا على بصيرة وعلى علم، فلقد قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : « لا إسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا طاعة

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

(٢) سورة التوبة: (١١٩).

(٣) سورة التوبة: (١٢٠).

(٤) سورة التوبة: (١٢٢).

ولا طاعة بلا إمرة، فإن كانت الإمرة على الفقه كانت نجاة له ولهم وإلا كانت هلاكاً له ولهم »[1].

والانتساب إلى أهل السنة والجماعة.

والانتساب إلى الأمة الإسلامية.

والانتساب إلى ما يساعد على إقامة بر وتقوى : ﴿ **وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[2].

٢ ـ تعميق الإخاء الإسلامي وإصلاح ذات البين :

جعل الله ــ عز وجل ــ المؤمن أخاً للمؤمن فقال: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[3]؛ والإخاء يقتضي محبة وألفة وتناصراً على الحق، كما يقتضي قياماً بالحقوق العامة التي نصّ عليها رسول الله ﷺ بقوله : « حق المسلم على المسلم خمس : ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس »[4].

وفي رواية لمسلم « حق المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمتّه، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه ».

كما يقتضي قياماً بالحقوق الخاصة، فمن آداب الإخاء الخاص : الزيارة والمحبة والبذل والإيثار والمسارعة لقضاء الحاجات، وذكر الأخ بالجميل، والذب عن عرضه إذا غاب، وكتمان أسراره، وعدم مماراته، والعفو عن زلاته، والدعاء له في حياته وبعد مماته، والوفاء له والإخلاص لعهده، وترك التكلف معه إلى غير ذلك من آداب وحقوق.

ومن مقتضيات الإخاء الإسلامي ألا يعكره معكر ؛ ولذلك منعنا عن الغيبة والنميمة والتجسس والاستهزاء والاحتقار والازدراء وبطر الحق ومناجاة اثنين دون ثالث، وأمرنا بالإشهاد على الحقوق، والوضوح في العقود، ومنعنا من استغلال الاضطرار وأكل الأموال بالباطل، وأمرنا إذا طرأ طارىء على الإخاء أن نصلحه فقال تعالى : ﴿ **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾[5].

---

(١) أخرجه الدرامي.

(٢) سورة المائدة: (٢).

(٣) سورة الحجرات: (١٠).

(٤) متفق عليه.

(٥) سورة الأنفال: (١).

ولقد كانت وصية الله لأولي العزم من الرسل إقامة الدين وعدم التفرق فيه : ولذلك جعلنا هذا الخلق من معالم الربانية، قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[1]، لقد رأيت صوراً أذهلتني تتنافى مع الإخاء الإسلامي ومع إصلاح ذات البين، فمثلاً حدث أن فصلت جماعة إسلامية أحد أعضائها لخلاف في وجهة نظر اجتهادية، وكان الرجل محتاجاً فتطوع بعض أبناء جماعته فجمع له التبرعات لمساعدته ولمساعدة أولاده الصغار، فما كان من قيادة جماعته إلا أن عاقبت المتطوع بالخير وحالت دون إيصال التبرعات لإنسان كان في غاية الحاجة، أين هذا من ذلك الأفق المشرق الذي نجده في مثل حسن البنا ــ رحمه الله ــ عندما انشق عليه عدد من إخوانه فأسسوا جمعية أخرى، فما كان منه إلا أن ذهب وانتسب إليها، وكان يحاضر فيها، وبقي هو وإياهم يجمعهم الإخاء الإسلامي العام.

إن الرباني يجب أن يوائم في تصرفاته بين اجتهاده في إقامة الدين وبين عدم التفرق فيه، وأن يبذل جهداً مستمراً في إصلاح ذات البين بين المسلمين، ومن مظاهر ذلك دأبه في أن يجمع الصف الإسلامي، ولو على حدٍّ أدنى، ولو على أن يحب المسلمون بعضهم بعضاً.

ولعل من أهم الأمور التي تساعد على تعميق الإخاء الإسلامي وجود الفهم المشترك للإسلام عند الجميع ولعل رسالة التعاليم للأستاذ البنا ــ رحمه الله ــ تساعد على ذلك.

كما أن من أهم أسباب تعميق الإخاء الإسلامي إزالة ما يؤدي إلى البغضاء، قال تعالى : ﴿ **فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾[2].

﴿ **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** ﴾[3].

﴿**وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾[4]. وقال عليه الصلاة والسلام:

« دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة

---

(١) سورة الشورى: (١٣).
(٢) سورة المائدة: (١٤).
(٣) سورة الحشر: (١٤).
(٤) سورة الشورى: (١٤).

الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم »[1].

إن على الرباني أن يبذل جهداً مستمراً لتعميق الإخاء الإسلامي، وعليه أن يقوم بمبادرات تجمع القلوب وتصلح ذات البين، فمهما حدث من خلاف وعرفه سارع لتلافيه، ويستغل المناسبات ليوجد أجواء طيبة بين أهل الإسلام، ولقد قالوا: « البعد حجاب » فاللقاء والكلمة الطيبة وحسن الخلق والعفو وكظم الغيظ والحلم كل ذلك يؤدي التذكير به إلى التقرب ومعالجة الأمراض النفسية والعملية وحتى معالجة الشذوذ، قال تعالى: ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾[2].

٣ ــ إقامة المشروعات المفيدة ومساندتها:

إن الاقتصاد العالمي الربوي سيزيد من فقر الفقراء، وسيزيد من ارتفاع سعر المواد المستوردة إلى أقطار العالم الثالث التي هي محل توضع الشعوب الإسلامية، وإن الاقتصاد الصناعي ــ وسبق العالم الشيوعي والرأسمالي فيه ــ وأشياء أخرى ستؤدي إلى زيادة البطالة وكثرة العطالة في العالم الإسلامي، وسترتبط المسلم إلى حد كبير بلقمة عيشه ودوائه، وقد يؤدي ذلك إلى نوع من الانسلاخ عن الإسلام، كما يحدث حالياً في كثير من البقاع، إن هذا وحده كاف لأن يجعل ربانيي هذه الأمة يفكرون في المشروعات المفيدة، لكن الأمور التي تفرض ذلك أوسع، فالاستثمار الربوي والمؤسسات العالمية غير الإسلامية والتخطيط الدقيق لإبقاء بعض الخيوط وبعض الأعمال بيد غير المسلمين كل ذلك يفرض التفكير في المشروعات المفيدة ومساندتها، ثم إن التفكير في مستقبل الحياة البشرية التي تسير نحو الدمار إذا لم يوجد البديل عن المسرى الاقتصادي الحالي لهذا العالم يفرض البحث عن البديل، فالمسرى الاقتصادي العالمي لا يمكن أن يصب في النهاية إلا في تدمير هذا العالم عبر الثورات أو الحروب ما لم يوجد البديل، وليس هناك بديل إلا الاقتصاد الإسلامي العادل، وإلا الحياة الإسلامية المتكافلة المتراحمة. إن هذا كله يفرض على ربانيي عصرنا البحث والتفتيش عن المشروعات المفيدة، سواء كانت مشروعات استثمار أو خدمات، وعليهم أن يدفعوا أصحاب الاختصاصات للتبني والعمل وهم يرتبون لوازم النجاح لذلك كله.

---

(١) رواه أحمد والترمذي، ووصفه السيوطي بالصحة.

(٢) سورة فصلت: (٣٤).

إن هناك أقليات إسلامية في أمكنة كثيرة من العالم يتوقف بقاؤها على المساندة الاقتصادية والمشروعات الاستثمارية، وإن هناك أقطاراً إسلامية يستغل فيها فقر المسلم، وهناك أقطار تضطر للخضوع لسياسات لا تريدها، كل هذا يجعلنا نفكر في المشروعات المفيدة المحلية والقطرية والإقليمية والعالمية، قال رسول الله ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله »[1].

٤ ـ النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن من مهمات الربانيين بنص القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾[2]. فالرباني مهمته النهي عن المنكر والأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير. قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[3] وتتجسد هذه المعالم بأن تصبح النصيحة لخلق الله خُلُقاً للمسلمين.

ولا زال الناس يفرقون بين النصيحة المشفقة المخلصة وبين النصيحة الفاضحة، فالأولى سرية وشفيقة ويختار لها الوقت المناسب والجو المناسب، والثانية جهرية قاسية فظّة، وهذه لا يلجأ إليها ألا في حالات وبعد مراحل، كما هو معروف في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا زال كثيرون من الناس يرون النصيحة الجهرية للحاكم هي الأقوى، ونحن نقول: إن النصيحة السرية المخلصة الشفيقة أولى أن تكون للحاكم، وهي أجدى إلا في حالات أو بعد مراحل.

على كل الأحوال فإن من أخلاق الربانيين الأساسية والرئيسية النصيحة لخلق الله عامة، وللمسلمين حكاماً ومحكومين خاصة، وإذا لم يظهر هذا الخلق بالربانيين فكيف يظهر بالأمة التي استحقت خيريتها بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وله طرق، قال السخاوي: وبعضها يؤكد بعضاً.

(٢) سورة المائدة: (٦٣).

(٣) سورة آل عمران: (١٠٤).

(٤) سورة آل عمران: (١١٠).

وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ « الدين النصيحة. قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] فهذه المعاني مع تعميم الربانية والتخصص هي أركان السير في الجمعية العالمية لعلماء الإسلام ودعاته.

الزمن جزء من العلاج

إن ما كتبته في هذه الرسالة وفي هذا الكتاب يحتاج إلى زمن، ففي العادة تطرح الفكرة أولاً، ثم يكون معها تفاعل، ثم يحدث نوع من العمل العفوي على ضوئها، ثم ينتقل ذلك إلى أنواع من الترتيب، وهذا الكتاب مؤلف في الأصل للقرن الخامس عشر الهجري وكما ذكرت : إن ما لا يتمّ في يوم يتمّ في الشهور أو في السنين، المهم أن نضع أقدامنا على الطريق الصحيح في هذا القرن. وأنا أفترض أن يوماً ما سيأتي بإذن الله يصبح ما ذكرته في هذا الكتاب حقيقة واقعة ؛ ولذلك فإنني أذكر بعض الترتيبات التي أرى أنه لا بدّ منها كما سأفعل في رسالة إحياء الربانية.

إن مما أقترحه للعمل بعض الخطوات:

خطوات متدرجة

١ ــ تشكل أمانة عامة مؤقتة لهذه الجمعية من مختلف الأقطار الإسلامية تأخذ على عاتقها إيجاد لجان للتبشير بالفكرة في كل قطر وفي العالم، وتأخذ على عاتقها مهمة الإعداد للمؤتمر التأسيسي، فتختار الزمان والمكان والأشخاص، وتعد مشروعات الأبحاث التي ستطرح على المؤتمر، وترشح الأسماء المؤهلة للأمانة العامة ولرئاسة الجمعية، وتعد مسودة النظام الأساسي والداخلي والخطة المرحلية.

٢ ــ يشكل مجلس أعلى للنهوض العلمي والروحي والدعوي بالمسلمين في كل قطر، يتبع هذا المجلس مجالس محلية على مستوى المدينة أو الحي أو القرية أو الجهة أو الفئة أو الطبقة من الناس... مهمة هذه المجالس تعميم الربانية وإحياؤها من خلال التذكير الشهري أو الأسبوعي، ومن خلال إقامة الحلقات العلمية ومجالس الذكر في المساجد

(١) سورة رواه مسلم.

والبيوت، وإذا احتاج الأمر إلى إذن حكومي فليكن، ولكن ما دام القائمون على العمل متقيدين بالشروط التي سنذكرها في إحياء الربانية فما أظن أن جهة عادلة تعارضهم.

٣ ــ تشكل هيئة تأسيسية عالمية لهذه الجمعية بعد فترة من الزمن، يحدث فيها التفاعل، ويتم فيها عمل في بعض الأقطار.

٤ ــ تحاول مجالس النهوض بالمستوى العلمي والروحي والدعوي للمسلمين على مستوى كل قطر أن تدفع نحو التخصصات الحياتية الكفائية.

٥ ــ تحاول هذه المجالس المحلية أو القطرية أن تنشىء جمعيات مأذوناً بها قانوناً : جمعيات لإعمار المساجد، جمعيات استثمارية على مستويات متعددة، جمعيات للخدمة المتخصصة.

٦ ــ تحاول هذه المجالس أن تنشىء مدارس مسجدية أو بيتية على طريقة العلماء القدامى، تعطي إجازات علمية، ولعلها تصل في النهاية إلى أن تكون أشبه بجماعة إسلامية حرة، تعطي إجازات في الربانية على ترتيب الدرجات الجامعية المعروفة.

٧ ــ تحاول مجالس النهوض العلمي والروحي والدعوي على مستوى القطر أن تجمع بين أهل الاختصاص الواحد ولو على كوب من شاي ؛ للتعارف والبحث عن مشروعات مفيدة يتلافى بها قصور.

٨ ــ أما الجمعية على المستوى العالمي فإنها تحاول أن تدعم المؤسسات العالمية القائمة وتوجد مؤسسات عالمية مفقودة، وكنماذج على هذه الجمعيات العلمية التي تحتاج إما إلى دعم وإما إلى إيجاد ما يلي:

نماذج لجمعيات تخصصية

١ ــ الجمعية العالمية للصحافة الإسلامية.
٢ ــ الجمعية العالمية لدور النشر الإسلامي.
٣ ــ الجمعية العالمية للأطباء المسلمين.
٤ ــ الجمعية العالمية للصيادلة المسلمين.
٥ ــ الجمعية العالمية للمهندسين المدنيين الإسلاميين.
٦ ــ الجمعية العالمية للمهندسين الزراعيين الإسلاميين.
٧ ــ الجمعية العالمية للأطباء البيطريين الإسلاميين.
٨ ــ الجمعية العالمية للمزارعين الإسلاميين.
٩ ــ الجمعية العالمية للصناعيين الإسلاميين.
١٠ ــ الجمعية العالمية للتجار المسلمين.
١١ ــ الجمعية العالمية للبنوك الإسلامية.
١٢ ــ الجمعية العالمية للجماعات والأحزاب الإسلامية.
١٣ ــ الجمعية العالمية للأصوليين المسلمين.
١٤ ــ الجمعية العالمية للفقهاء المسلمين.
١٥ ــ الجمعية العالمية للمحدثين.
١٦ ــ الجمعية العالمية للقراء والمفسرين.
١٧ ــ الجمعية العالمية للمؤرخين المسلمين.

١٨ ــ الجمعية العالمية للجغرافيين المسلمين.
١٩ ــ الجمعية العالمية لعلماء الاجتماع المسلمين.
٢٠ ــ الجمعية العالمية لعلماء النفس المسلمين.
٢١ ــ الجمعية العالمية للمنظمات الطلابية الإسلامية.
٢٢ ــ الجمعية العالمية للصناعات الإسلامية.
٢٣ ــ الجمعية العالمية لإعمار المساجد.
٢٤ ــ الجمعية العالمية لمساعدة المحتاجين.
٢٥ ــ الجمعية العالمية للجامعات الإسلامية والمعاهد الشرعية.
٢٦ ــ الجمعية العالمية للمحسنين المسلمين.

وبعد :

لعله اتضح من خلال ما مرّ ما نعني بعقد القرن الخامس عشر الهجري، وإنه لمن الواضح أن كل ما كتبناه في هذا الكتاب يخدم قضايا العصر.

فالأمة الإسلامية متخلفة مدنياً، مفككة ثقافيّاً وسياسيّاً، وعلى نهوضها يتوقف مصير هذا العالم وسيره في الطريق الصحيح، ولن يتغير وضع الأمة الإسلامية إلا بإقامة فروض العين والكفاية، وهذا متوقف على توجيه الصدقات والزكوات فيما يخدم ذلك، ولا بدّ أن يتمّ ذلك على أرضية أخلاقية صلبة، والمرشح لأن يقود هذه العمليات كلها هم ربانيو هذه الأمة وهذا يقتضي أن تنشأ جمعية عالمية لهؤلاء الربانيين تؤدي هذه الأدوار وغيرها.

ليس الأمر سهلاً ولكن ما لا يتمّ في سنة يمكن أن يتمّ في سنوات. وحديثنا في هذا الكتاب حديث عما ينبغي فعله في بحر هذا القرن الخامس عشر الهجري.

وأسأل الله أن يكتب لي أجر الناصحين لهذه الأمة، وأن يتقبل ويغفر الزلل، وإنني لأرجو ألا أكون قد ألوت إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات جهداً في أن أتقدم لهم بواجب الإرشاد الذي يحتاجه مسلمو هذا القرن، والله من وراء القصد هو حسبي ونعم الوكيل. وأسأله القبول.



فهرس الرسالة الثالثة

عقد القرن الخامس عشر الهجري



الرسالة الرابعة :

إحياءُ الربَّانيَّة



تقديم

هذه هي الرسالة الرابعة في كتاب « كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر » وموضوع هذه الرسالة قديم جديد، فلقد كنت كتبت كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » وأردت أن أحدِّد الأخلاق العامة لحملة الدعوة الإسلامية من خلال النصوص، والثقافة العامة لهؤلاء من خلال استقراء واسع جمعت فيه بين الاحتياج الثقافي المستمر والاحتياج المعاصر الضروري، وبعد أكثر من عشر سنين على ظهور هذا الكتاب وجدت أنه لا زالت هذه المعاني تحتاج إلى تأكيد بأسلوب جديد فكانت هذه الرسالة.

وقد سبقت هذه الرسالة الرسائل الثلاث :

١ ـــ منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة.
٢ ـــ فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً : فروض العين، فروض الكفاية، لمن تدفع صدقتك.
٣ ـــ عقد القرن الخامس عشر الهجري.

وهذه هي الرسالة الرابعة فلنتحدّث عنها :

هذه الرسالة باختصار تريد أن تذكّر ببدهية وترسم الطريق لإقامتها :
فالأمة الإسلامية في عذاب ونكد، ولن يرفع عنها هذا العذاب إلا بأن يقوم المسلمون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فترك ذلك هو الذي يؤدي إلى تنافر القلوب ونزول العذاب :

﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم** ﴾[1] فالنجاة محصورة في النهي عن الإفساد في الأرض، والطريق لذلك أن ينتدب من كل فرقة من المسلمين طائفة لطلب الفقه في دين الله، وأن يقوموا بواجبهم نحو أمتهم :

﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾[2] إن هذه العملية البدهية تحتاج إلى إحياء وتنظيم وترتيب، أن يوجد في كل حي أو منطقة أو دائرة مسجد مجموعة انتدبت نفسها لهذه المهمة : مهمة التفقه في دين الله والإنذار بهذا الدين.

هذه المهمة في الأصل هي مهمة الربانيين ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾[3] فمن هو الرباني ؟ وما هو الطريق لوجود هذا الرباني في مثل عصرنا؟ وكيف يقوم الربانيون بمهمتهم؟ وما هي الترتيبات والشروط التي ينبغي أن تلاحظ في عصرنا ليقوم هؤلاء الربانيون بواجباتهم هذه ؟

هذا هو مضمون الرسالة..

وفيما بين يديها نذكر الحديث الشريف الذي ذكره صاحب الترغيب والترهيب :

عن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً، ثم قال : ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلّمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتّعظون. والله ليعلّمنّ قومٌ جيرانهم، ويُفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلّمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون أو لأعاجلنَّهُمْ العقوبة، ثم نزل فقال قومٌ : من ترونه عنى بهؤلاءِ ؟ قال : الأشعريين هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ذكرت قوماً بخير، وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ فقال : ليعلّمنّ قوم جيرانهم، وليعظنّهم، وليأمرنّهم ولينهونّهم، وليتعلّمنّ قومٌ من جيرانهم، ويتّعظون ويتفقّهون أو لأعاجلنّهُم العقوبة في الدُّنيا، فقالوا : يا رسول الله أنفطّن غيرنا فأعاد قوله عليهم فأعادوا قولهم، أنفطّن غيرنا. فقال ذلك أيضاً، فقالوا أمهلنا سنة فأمهلهم سنة ليفقهوهم،

---

(١) سورة هود: (١١٦).

(٢) سورة التوبة: (١٢٢).

(٣) سورة المائدة: (٦٣).

ويعلموهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لِسان داود وعيسى ابن مريم**﴾[1] الآية رواه الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة.

وباختصار فإنني أقول :

أ ــ إنه لا بدّ من حلقة لإحياء الربانية في كل حي وقرية، مهمة هذه الحلقات :

أولاً : ربط الناس بحلقات العلم ومجالس الذكر وحلقات القرآن لإقامة فروض العين علماً وعملاً.

ثانياً : تنظيم الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة في دائرة الحلقة.

ثالثاً : تنظيم التكافل والخدمة فيما بين المسلمين وتشغيل العاطلين عن العمل.

ب ــ ولا بدّ على مستوى آخر :

أولاً : من إنشاء المجالس المتخصصة بمتابعة كل نشاط من نشاطات الحياة ومحاولة إصلاحه بالكلمة الطيبة والطرق المتاحة والوسائل الحكيمة.

ثانياً : من إيجاد المتخصصين بفروض العين وفروض الكفاية.

ولعله بذلك نكون قد أدينا الواجب، لكن إقامة هذه الفروض البدهية تحتاج إلى حكمة وبعد نظر وحسن تأتٍّ للأمور على ضوء نظرة شاملة لأوضاع عصرنا الذي يتميز بأنه يشهد نضجاً في تجربة الحكم عالمياً ومحلياً، والذي يشهد نوعاً من السيطرة المالية ونمو الغنى في جانب، ونمو الفقر والمشكلات الاقتصادية في جانب آخر كما يشهد نمو العمل الإسلامي وتعدد الفئات القائمة عليه وهذا كله يفرض نوعاً من الشروط لإنجاح القيام بواجب إحياء الربانية.

فالساحة الإسلامية ليست فارغة ، بل هي ملأى بمَن يحاولون القيام بواجباتهم بفضل الله، وهذا يقتضي ملاحظة من قبل العاملين لتعميم الواجبات المذكورة آنفاً، ومن ههنا تأخذ كلمة إحياء الربانية أبعاداً متعددة ولعل هذه الرسالة تحاول أن تضع النقاط على الحروف في هذا كله، ويبدو لي أنّ القارىء بحاجة إلى أن يتملى هذه الرسالة أكثر من مرة، ولا عليه من ضير في ذلك، فإنها تذكر بأكبر فروض هذا العصر، بل تذكّر بالشيء الذي تتوقف عليه نجاة الإنسان عند ربه، وتترتب عليه إقامة كل ما بعده من واجبات، وأرجو أن يعرف القارىء أنّ كل كلمة في هذه الرسالة كانت محل تأمل طويل.

---

(١) سورة المائدة: (٧٨).

الباب الأول

تقويم وحلول

لقد كان نتاج العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري عظيماً وضخماً، فبارك الله في كل من ساهم وشارك في دفعه، وجزاهم الله كل خير :

لقد تتابع سقوط العالم الإسلامي بيد الاستعمار في هذا القرن، وتم إخراج الاستعمار فيه.

وانتهت الخلافة الإسلامية الضعيفة، وحل بدلها دول كثيرة، وحكومات كثيرة، استبعد أكثرها الإسلام رسمياً من قاموس العمل السياسي، ولكن لم يكد القرن الرابع عشر ينتهي إلا وأصبح هناك تسليم شبه واقعي عند أكثر الحكومات في العالم الإسلامي بوجوب مراعاة الإسلام ولو بالإعلان والاعتراف وكان ذلك أثراً غير مباشر عن جهود العاملين، وحتى في أكثر الأشياء استعصاء على التطبيق في زعم سياسيي القرن الرابع عشر وهي قضية الربا والبنوك فقد حدث فيها تطور كبير، فقد فرضت البنوك الإسلامية نفسها.

ولقد تراجع الإسلام في دوائر المثقفين تراجعاً كبيراً في بدايات وأواسط هذا القرن، ولكنه أصبح الآن هو الأقوى في هذه الدوائر، يظهر ذلك في أي تنافس حر في الجامعات على رئاسة اتحادات الطلاب. كان هذا بعض انجازات القرن الرابع عشر الهجري، ولقد كان للدعاة على اختلاف اتجاهاتهم شرف هذه الإنجازات.

لقد ساهم في هذا الجهد الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية وجماعة الدعوة والتبليغ والاتجاه السلفي والاتجاه الصوفي والعلماء وجمعيات الخدمات والجمعيات

الإصلاحية والمؤسسات العلمية الإسلامية والأحزاب الإسلامية ودعاة أفراد انتدبوا أنفسهم للعمل، ونشاطات حكومية، وعلى ضخامة الإنجاز فهذا لا يمنع أن نقوّم الحدود التي وصل إليها العمل ونقوّم القصور ونبحث عن لوازم الحركة للقرن الخامس عشر الهجري.

إنه لمن الواضح أن التقويم الشامل للعمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري يوصلنا إلى جوانب من التقصير لا بدّ من تلافيها، كما أن استيعاب احتياجات القرن الخامس عشر يطرح علينا سؤالاً : هل العمل الإسلامي بحاجة إلى جهة مساعدة مكملة، تكمل عمل الجهات الموجودة في الساحة ؟ ومن هي هذه الجهة التي ينبغي أن تقوم بهذا الدور ؟ وإذا لم تكن موجودة فما الطريق لإيجادها؟

إن تقويم العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري يوصلنا إلى ما يلي :

أولاً : إن السقف الثقافي والتربوي والروحي والحركي والتنظيمي الذي أوصل إليه عمل القرن الرابع عشر كان منخفضاً أحياناً فبعض العاملين نجحوا نجاحات حركية ودعوية لا بأس بها ولكن الجانب الثقافي أو الروحي أو التربوي بقي وسطاً أو دون الوسط، وبعض الناس ركزوا على الجانب الروحي، ولكن افتقدوا الجانب الثقافي أو الحركي أو التنظيمي وهكذا قل. فكل جهة إسلامية عملت في القرن الرابع عشر الهجري لم تستطع في الغالب أن توصل الفرد المسلم إلى سقف مرتفع في الجوانب التي ذكرناها : الثقافة الإسلامية المتوارثة والمعاصرة، والتربية الأخلاقية المتكاملة، والتربية الروحية والقلبية العالية والفكر الحركي والتنظيمي المكافئين للعصر، ركّز بعضهم على الثقافة المتوارثة وأهمل المعاصرة، وركز بعضهم على الجانب الروحي وأهمل غيره، وركز بعضهم على جوانب وأهمل جانباً بحيث بقيت الشخصية الإسلامية التي تتبع جهة ما عندها قصور في الغالب ــ نستثني من ذلك أناساً كملهم الله عز وجل بجهود شخصية أو بأن أتيحت لهم ظروف خاصة ــ.

ثانياً : لم يكن هناك تكامل بين العمل الإسلامي الشعبي والعمل الإسلامي الحكومي ولا بين عمل الحكومات على الأرض الإسلامية، ولا بين الأعمال الإسلامية الشعبية فيما بينها ومع بعضها البعض، ولذلك أسبابه وأعذاره واعتذاراته وإنما نحن هنا نعرض واقعاً.

ثالثاً : لم يكن العمل الإسلامي الشعبي على مستوى التطلعات، ولا العمل الحكومي على مستوى التكليف.

رابعاً : مع أن القرن الماضي شهد تحرر البلدان الإسلامية فإن إقامة الإسلام لم تأخذ

مداها ولم تكن الرغبة في إقامة الجهاد وإحيائه متكافئة مع أوضاع العصر واحتياجاته.

خامساً: إنه في كثير من الأحيان ابتعد العمل الإسلامي عن فطريته التي كان عليها في عصر النبوة، فالأخلاقيات فيها نقص والحياة الروحية ضعيفة، وكثيراً ما تظهر منافسات على الإداريات ومماحكات وخصومات وانقسامات، وكثيراً ما يضيع القرار في غمرة الظواهر المرضية، وكثيراً ما يكون هناك فارق بين الشعار والواقع، وكثيراً ما يفتقد السمت النبوي على أصحاب الدعوة، ويظهر السمت المتأثر بالفكر الغريب، ومن أعظم مظاهر البعد عن الفطرية أنك لا تجد لعلماء الشريعة الإسلامية تأثيراً مباشراً في توجيه العمل الإسلامي، وأحياناً لا تجد لهم محلاً في هذا العمل، وفي كثير من الأحيان لا يكون الذنب ذنب العاملين، فالعاملون إذا وجدوا العالم العامل المحب يحبونه ويستفيدون منه ولكن الواقع أنه وجدت جفوة بين العلم بالشريعة وبين قطاع كبير من العاملين في الدعوة ووجدت جفوة بين العلماء والعاملين، حتى إنك لتجد في صف القائمين على بعض الأعمال الإسلامية نوعاً من ازدراء لعلماء الشريعة مهما كان شأنهم، حتى إن بعضهم يصدر حكماً مبدئياً على علماء الشريعة أنهم لا يصلحون للعمل العام أو للعمل المنظم وهذا يشكل كارثة في النهاية، أخرج الدارمي قال : أخبرنا وهب بن جرير وعثمان بن عمر قالا أخبرنا ابن عون عن محمد عن الأحنف قال : قال عمر : تفقهوا قبل أن تسودوا.

أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا بقية حدثني صفوان بن رستم عن عبد الرحمن بن ميسرة عن تميم الداري قال : تطاول الناس في البناء في زمن عمر، فقال عمر : « يا معشر العريب الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه على الفقه كان حياةً له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم ».

سادساً : كان التركيز على مذاهب أهل السنة والجماعة في معرفتها وتمثلها في العقائد والفقه والسلوك ضعيفاً وهذا يعطي فرصاً للآراء الشاذة أن تظهر.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع » رواه أبو داوود والترمذي وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال : رحم الله امرأً وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

ومن ههنا وجد في المجتمع الإسلامي المختصون الذين تتابعوا على العلم الواحد حتى

أغنوه وأثروه وحققوا مسائله وفرّعوا على أصوله فهم يكملون عمل جمّاع الروايات والمختصين بالقراءات، ومن ههنا وجدت لأهل السنة والجماعة مذاهبهم في العقيدة والفقه والسلوك.

وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه أمام شذوذ بسبب من جهل ذلك أو عدم التمسك به، وهذا مقتل من مقاتل العمل الإسلامي المعاصر، لأنه يمكن أن تعود الآراء الشاذة القديمة للظهور، كما يمكن أن تظهر شذوذات فكرية جديدة.

سابعاً : كثيراً ما نفتقد في العمل الإسلامي المعاصر أو الحياة الإسلامية المعاصرة التركيز على الجانب القلبي وهذه قضية خطيرة لأن صلاح أمر المسلمين هو القلب :

« إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب » أخرجه البخاري ومسلم.

ثامناً : كثيراً ما انطلق العمل الإسلامي بعيداً عن فكرة فروض العين وفروض الكفاية، وبالتالي تجد العمل الإسلامي في بلد بعد أربعين عاماً أو أكثر لم ينتج ما يغطي إقامة فروض الكفاية بشكل متكامل، كما تجد بعض أبنائه تفوتهم بعض فروض العين بعد سنين.

تاسعاً : هناك ضعف في أصول التعامل التنظيمي على أصول الإسلام سببه عدم وجود ألف باء تنظيمي واضح وصحيح، وبالتالي يتعب العاملون أنفسهم ويتعبون بعضهم بعضاً.

عاشراً :حتى الآن لا نجد وضوحاً في طرائق تحقيق الأهداف التي استقرأتها الحركة الإسلامية الحديثة، وبالتالي فالهدف مطروح ولكن طريق الوصول إليه مجهول أو غير واضح تماماً.

حادي عشر : يفتقد العاملون الرئيسيون للإسلام الذين هم الإخوان المسلمون وأمثالهم كالجماعة الإسلامية في باكستان وجماعة الدعوة والتبليغ والفقهاء والعلماء والصوفية المستقيمون وجمعيات الخدمات أو الجمعيات الإصلاحية يفتقدون نوعاً من المودة القوية أو نوعاً من التنسيق النافع غير الضار وغير المتعارض مع ما يريده كل منهم مما ألزم نفسه به.

ثاني عشر : إنه في كثير من الأحيان خولفت شعارات بدهية، من مثل :

من المحراب إلى السياسة لا من السياسة إلى المحراب.

من الربانية إلى الإدارة.

من العلم إلى العمل.

ففي كثير من الأحيان كانت ظروف العمل وعدم الاستقرار وانفتاح ميادين الاستجابة تجعل بعض العاملين يتخلون عن مثل هذه الشعارات، وإذا بالصف الإسلامي يعاني من القلق والاضطراب، ويتعرض للتمزق والتآكل لأن نقاط البداية فيها خلل، فنجد الصف غير موحد الفكر أو التربية ولا تحكمه نظرية تنظيمية مستقرة ولا تجربة متطورة ومتدرجة.

ثالث عشر : في كثير من الأحيان نجد أنفسنا أمام ظاهرة مخيفة وهي أن العمل الإسلامي أصبح أقرب إلى الشكليات والمظاهر، وأقرب إلى الرسمية الحكومية أو الحزبية، وليس من حرج أن نأخذ الجديد المفيد المنسجم، ولكن أن يكون ذلك على حساب العلاقات الفطرية، فهذا الذي لا يصح، وإن يصبح عملنا حزبياً تتحكم فيه الأهواء والصراعات ولا ينطلق فيه شيء من مشكاة النبوة على بصيرة، فهذا هو المحذور، إن هناك فطرية إسلامية لا يصح البعد عنها، وهناك ألف باء إسلامي لا يصح البعد عنه، وإن هناك أصولاً إسلامية في العمل والتعامل لا يصح الخروج عنها، وهناك أصول أوصلت إليها التجربة الصحيحة ينبغي تثبيتها.

رابع عشر : كثيراً ما حدث أن بعض المسلمين يتذكرون الكليات والأصول، وينسون الجزئيات والفروع، والعكس، والإسلام حاكم، فإذا ما حدثت غفلة عن أصوله وفروعه فإن الخلل متوقع.

هذا بعض ما يوصل إليه تقويم العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، وهي استقراءات لها استثناءات لكنها أغلبية.

وأما القرن الخامس عشر فإن احتياجاته كثيرة وأوضاعه معقدة : فالقرن الخامس عشر يشهد انفجاراً هائلاً في نمو أجهزة المخابرات المحلية والعالمية، كما يشهد نضجاً في تجربة الدول الكبرى في التعامل مع بعضها وفي التعامل مع مصالحها.

وكذلك فإن هناك نضجاً في تجارب الحكم في الدول كلها، وفي الوقت نفسه فإن هناك تناقضات هائلة بين تيارات متعددة وأحوال سائدة فهناك تناقض بين الغنى والفقر على مستوى عالمي وعلى مستوى محلي، وتناقض بين ليبرالية وديكتاتورية، وبين ديمقراطية حزبية وديكتاتورية الحزب الواحد، وبين أفكار متعددة في الساحة الدولية والساحات المحلية وهذا كله ينشيء ــ حتى على الأرض الإسلامية ــ رغبات عنيفة في التغيير الذي لا يمتلك الراغبون فيه وسائل مكافئة للأوضاع المحلية أو العالمية التي يواجهونها، ثم إن هؤلاء الراغبين في التغيير لا يمتلكون نظرة موحدة لا في النظرية الثقافية

ولا في النظريات التربوية والحركية والتنظيمية، مما يجعل الجهود معرضة للضياع، والمآسي المتوقعة كبيرة.

وإذا كانت بعض احتياجات العصر بالنسبة للأمة الإسلامية هي ما مرّ معنا في الرسائل السابقة :

أولاً : البناء الثقافي والمدني للأمة الإسلامية على ضوء استيعاب الأوضاع العالمية، وهذا يقتضي تركيزاً على بناء الفرد والأمة.

ثانياً : التركيز على إيصال فروض العين إلى كل مسلم، وإيصال كل مسلم إلى فرض كفاية وإلى تغطية كل فروض الكفايات.

ثالثاً: الخروج من العفوية إلى التنظيم المحكم، ومن الانفعال إلى النظرة العقلية المنضبطة بضوابط الشرع.

رابعاً : السير المتدرج الذي يوصل إلى الهدف بأقل الخسائر وأكثر الأرباح دنيا وأخرى.

إذا كانت هذه بعض احتياجات عصرنا لتلافي قصور العمل في القرن الرابع عشر وتأمين احتياجات القرن الخامس عشر فمن الذي يتولى هذه المهمة الصعبة ؟

يطرح بعض الناس فكرة وجود العمل الإسلامي الكامل المتكامل البديل عن العمل الإسلامي الحالي، وهذا تفكير مغرق في الوهم والخيال والتعلق في السراب، لأنه في النهاية تحطيم للموجود، ودخول في صراعات ومتاهات، ثم إن واقع الحال أنه لا يستطيع أحد إلغاء الموجود، وليس هناك من أحد قادراً على أن يوجد عملاً أكمل من مجموع الموجود ولن يستطيع العمل الجديد أن يغطي دوائر العمل المطلوبة ولذلك فإن مثل هذا التفكير يؤدي إلى مزيد من التمزق ولا يوصل إلى هدف.

ويطرح بعضهم فكرة أن يلتحق جميع المسلمين بواحد من أنواع العمل القائم بحيث يلغي غيره، وهذا ضار وغير ممكن فلن يتحقق كل ما يحتاج الإسلام في أوضاعنا الحالية عبر كيان واحد، ومن يفكر في مثل هذا إنما يفكر في المحال.

إن العمل الإسلامي موزع بين عمل شعبي وحكومي، وبين عمل سياسي وعمل دعوي، والعمل السياسي قد يضطر للمواجهة فهل يتوقف العمل الدعوي في هذه الحال.

وهل تستطيع جهة واحدة أن تغطي كل الاحتياجات من مثل إعمار المساجد إلى

الحكم بما أنزل الله ؟ إن ما نحتاجه في الحقيقة هو العمل المكمل الذي يدعم الموجود ويقويه ويحسنه ويرشده، والذي يوجد المفقود المفروض، وفيما نحن فيه وهو إزالة النواقص المذكورة وهي فريضة من الفرائض، لا بدّ فيما يبدو من عمل مكمل يدعم الموجود، ويوجد المفقود من خلال علم وبيئة يوجد بهما الربانيون، وتعود بهما الفطرية إلى العمل الإسلامي وترسخ بهما جذور مذاهب أهل السنة والجماعة ويركز فيهما على التربية القلبية والعملية، ويساعد هذا العمل على وجود المختصين بفروض الكفاية وعلى وضوح النظريات التنظيمية والاستراتيجيات العامة، ويوضح لكل مسلم طرائق العمل لتحقيق الأهداف، ويحاول أن يكون قاسماً مشتركاً تتفاعل به أنواع العمل الإسلامي الحالية دون أن يدخل في تناقض معها، فهل بالإمكان ذلك ؟ أي أن يوجد مثل هذا مما يرتاح إليه جميع العاملين ويكون قوة لهم جميعاً بل يشارك فيه العاملون دون أن يعتبروا ذلك متناقضاً مع مشاركاتهم في عمل آخر أو كينونتهم في كيان آخر ؟

إنني أفترض أن ذلك ممكن إذا توافرت شروط وقبل أن أذكر هذه الشروط أقول :

إن هذا النوع من العمل يكاد يكون من فروض الكفايات، وهو في حق بعض الأشخاص فرض عين، وإذا كان مثل هذا العمل لا بدّ من وجوده كفريضة فلا بدّ من بذل الجهد من أجله كائنا ما كانت الصعوبات، وقد يقول القائل: ألا يمكن أن يتمّ هذا عبر بعض الكيانات الموجودة ؟ نقول : إن بعض ذلك ممكن مع صعوبته أحياناً، أما مجموع ما ذكرناه فإنه يحتاج إلى بيئة خاصة ونفس طويل وصبر كثير وعمل دؤوب ويستهدف المستقبل البعيد وليس لجهة منصفة أو عادلة أن تتحسس منه وليس لقوة داخلية أو خارجية حجة ظاهرة عليه، وكل ذلك يقتضي أن توجد جهة تتمحّض لمثل هذا العمل.

فإذا اتضح ذلك فإنني أرى أن شروط النجاح لإقامة هذا العمل هي :

أولاً : أن يكون هذا العمل موجهاً لكل مسلم، وأن يكون محصوراً في العلم والذكر والخدمة والتضحية والقيام بفروض العين وفروض الكفاية بالقدر المتاح والممكن.

ثانياً : ألا يقطع هذا العمل أحداً عن شيخه أو جماعته أو عمله الإسلامي إلا في حالة الشذوذ أو الإثم، وحيث لا إثم ولا شذوذ فالأصل البقاء والطاعة للجهة التي يرتبط بها الإنسان.

ثالثاً : أن يكون الهيكل العام لهذا العمل وترتيباته قائمة على فطرة ونصوص.

رابعاً : أن يكون هناك سير علمي للفرد على ضوء نظرية ثقافية متكاملة وأن يكون هناك سير متكامل على ضوء إحصاء شامل لفروض الكفاية.

خامساً : أن يعرف الجميع أن هذا العمل هدفه تعميق الإسلام والقيام بما يفرضه خالصاً من الحظوظ النفسية والدنيوية.

سادساً : يلتزم هذا العمل بأن يكون لأتباعه في كل قطر استقلالية قانونية لا تحرجه أمام قانون بلده.

سابعاً : يعطي هذا العمل لكل فرد من أتباعه حق الممارسة الحياتية حيث شاء مما تجيزه له الشريعة ولا يتحمل مسؤولية أي موقف سياسي لأي فرد مشارك فيه.

ثامناً : يحاول هذا العمل أن يقرب بين الناس والإسلام على مستوى الشعب والحكم، ويحاول أن يقرب الفجوة بين الشعب والحكم من خلال إقامة الإسلام باعتماد مبدأ النصيحة المخلصة السرية للجميع.

إنه فيما يبدو لي لا بدّ من عمل مكمل مساعد متوافرة فيه هذه الشروط يحتفظ بالموجود ويصلحه ويطوره ويبحث عن اللازم المفقود ويوجده ويحاول أن يكون أداة تقريب بين الإسلاميين جميعاً، كما يحاول أن يدفع نحو الأمام كل جهد إسلامي يستهدف هدفاً صحيحاً.

لقد وصلت الحركة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري إلى مواقع متقدمة : في الثقافة والتربية والدعوة والحركة والتنظيم والفكر والاجتهادات والتوجهات، ولا بدّ من جهة تعمم هذا كله على كل مسلم من الناحية النظرية بحيث لا يحدث تراجع عن أي موقع متقدم، فالقائمون في الساحة يتقدمون، والبعيدون عن الساحة يدخلون فمن الذي يقوم بهذه المهام كلها ؟

بكلمة واحدة : إن المرشحين لهذه المهام هم الربانيون.

لماذا الربانيون حصراً ؟

هذه المهمة المعقدة التي أشرت إليها في ما مرّ آنفاً لا يصلح لها إلا الربانيون حصراً وذلك :

أولاً : لأنها تحتاج إلى حكمة، والربانيون هم العلماء والحكماء، فقد قيل في وصفهم

أنهم الذين يتدرجون في تعليم العلم وما ذلك إلا من حكمتهم. ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾[1].

ثانياً : لأن هذه المهمة لها طابع الشهادة العادلة على الناس وعلى الواقع وعلى التقصير، ولها طابع الحكم على الموجود والمفقود وتلك مهمّة الربانيين : قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** ﴾[2].

لاحظ كلمة « وكانوا عليه شهداء »، قال الألوسي : في تفسير الربانيين هم العلماء الفقهاء وهم فوق الأحبار... ومعنى شهداء رقباء يحمونه من أن يحوم حول حماه التغيير والتبديل بوجه من الوجوه أو شهداء عليه أنه حق... أو مبينين ما يخفى منه، أقول : بل شهداء عليه أنه مقام في حياة الناس، وشهداء بذلك على الناس.

ثالثاً : لأن هذه المهمة تقتضي أعلى درجات الثقافة وأعلى درجات القدرة على التعليم وتلك صفة الربانيين : ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[3].

رابعاً : لأن هذه المهمة تقتضي إحاطة بالمعروف وبالمنكر، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، فيدخل في ذلك محاربة الإثم ومحاربة أكل الحرام ونصرة المظلوم وإصلاح ذات البين وإعانة الفقير وإعانة المحتاج وذلك واجب الربانيين قبل غيرهم قال تعالى : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾[4].

خامساً: لأن الربانيين هم المؤهلون للاستمرار على ما مات عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام : فالرباني هو الربّي في فهم العلماء، والربيون قد وصفهم الله عز وجل بقوله : ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** ﴾[5]. ولكن أين هم الربانيون ؟ وكيف

---

(١) سورة البقرة: (٢٦٩).
(٢) سورة المائدة: (٤٤).
(٣) سورة آل عمران: (٧٩).
(٤) سورة المائدة: (٦٣).
(٥) سورة آل عمران: (١٤٦ ـــ ١٤٨).

نتوصل إلى إيجاد ربانيين يملأون الساحة ويقومون بمجموع المهمات المطلوبة منهم ؟ وما هي الوسائل اللازمة لذلك ؟

لا شك أن إحساس المجتمع الإسلامي حالياً بوجود الربانيين والثقة بهم والتسليم لهم ضعيف لكنهم موجودون على ضعف في الصفات والخصائص ومتفرقون.

إنني أعتقد أن ربانيي هذا القرن عليهم أن يؤدوا هذه المهام الصعبة التي ذكرناها، ولا يستطيعون ذلك إلا أن تتوافر فيهم جوانب أربعة :

الثقافة الإسلامية المتوارثة والمعاصرة، والأخلاقية الإسلامية الرفيعة، والنضج الروحي الرفيع، والفقه الحركي والتنظيمي المناسب للعصر وأوضاعه. فإذا لم يوجد هؤلاء الربانيون الذين يستوعبون هذا كله، فإن الجهة القادرة على إيجاد التفاعلات التي يحتاجها العصر ستبقى مفقودة والجهة التي يحتاجها السقف الجديد لهذا العصر ستبقى مفقودة ونخشى نتيجة لذلك أن يحدث انحسار أو تآكل أو يأس.

وإذا كان وجود هذه الجهة هي الاحتياج الأكبر لهذا العصر فإن هذه الرسالة قد خصصت لهذا الموضوع.

إن سرّ الأسرار في نواقص العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر يكمن في الانطلاق إلى الدعوة وطي فكرة الإنضاج في الربانية. وقد يكون لذلك أسبابه وأعذاره، فلم يكن أمام الإسلاميين خيار : إما أن ينقذوا الناس من النار أو يعكفوا على أنفسهم، لكن هذا القرن وقد كثر فيه عدد العاملين لا بدّ أن تعوض فيه الحركة الإسلامية ما فاتها بأن ينتدب أناس أنفسهم لإحياء الربانية، ليقوم الربانيون بدورهم كاملاً، والذي أراه أنه لا بدّ من عمل خاص يتمحض لمثل هذا فتجربتنا أنه إذا لم يتمحض عمل لمثل هذا فستبقى معالم الربانية ضائعة في أجواء التنافس الإداري أو الانتخابي وفي أجواء القيل والقال والأخذ والردّ وفي أجواء الصراع الحاد بين التوجهات المتناقضة سلفية وصوفية وبين الراغبين في المشاركة في الحكم والعازفين عن ذلك، والداخلين في العمل السياسي والراغبين عنه.

كل ذلك جعلني أستشعر ضرورة وجود حركة تتمحض لإحياء الربانية فهذه الحركة هي المؤهلة لإيجاد شرط النجاح في أي جماعة إسلامية، وكما قال عمر رضي الله عنه : « فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم » وهي شرط النجاح لإيجاد شرارة التفاعل الكامل مع الإسلام، وهي شرط النجاح لترشيد العمل الإسلامي من خلال النظرة الفقهية الشاملة البصيرة...

وإذا كانت الربانية هي الحل فما هو الجديد الذي يحتاج إلى تذكر وتركيز :

الجديد هو معرفة من هو الرباني في هذا العصر :
وما هي الثقافة التي يحتاجها ؟
وما هي الأخلاق التي يجب أن يلتزم بها ؟
وما هو السمت الذي يجب أن يكون عليه ؟
وما هي البيئة التي يتخرج منها ؟

فالثقافة التي يحتاجها الرباني أوسع مما هي في واقع الحال، فالثقافة المتوارثة ليست كافية بل لا بدّ من الإضافة إليها من مثل فقه الدعوة وفقه أنظمة الإسلام ومعرفة العصر ومعرفة المواقع المتقدمة للعمل الإسلامي المعاصر.

والأخلاق التي يجب أن يلتزم بها هي أخلاق حزب الله بمجموعها المحبة لله والذلة على المؤمنين...

والسمت الذي يجب أن يتحلى به هو سمت النبوة ظاهراً وباطناً.

والبيئة هي مجالس الذكر والعلم والتلقي على يد الربانيين والذوبان في بوتقة الإخاء الإسلامي الخاص والعام وكل ذلك يجب أن يكون على أصول عقدية صحيحة واتجاهات فقهية معتمدة.

إنه لا ربانية إلا حيث وجدت عقائد أهل السنة والجماعة ومذاهب الأئمة مع حالة قلبية مع الله عز وجل فالرسول ﷺ ورثنا علماً وعملاً وحالاً قلبية وصفة فمن ورث هذا كله فهو الرباني.

إن تكامل العمل الإسلامي الذي يحتاجه هذا القرن يقتضي وجود الربانيين الذين يقومون بعدد من العمليات أو يشرفون عليها من خلال الموقف الحكيم.

فالأصل : من الربانية إلى ما سواها أما إذا كان الأمر على غير ذلك فالانتكاسات والتمزقات هي الأساس، ولنتذكر مرة أخرى كلمة عمر رضي الله عنه كما رواها الدارمي :

« عن تميم الداري قال تطاول الناس في البناء في زمن عمر فقال عمر يا معشر العريب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه على الفقه كان حياةً له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم ».

لقد وجد في القرن الماضي كما ذكرنا عاملون إسلاميون كثير :

فهناك السلفيون الذين حاولوا تأكيد التمسك بالنص، وهناك الفقهاء الذين وجدوا بضاعتهم غير مرغوب فيها، وهناك الوعاظ والدعاة الذين اقتصروا على العمومات، وهناك الصوفية الذين لم يستطيعوا أن يقدموا بضاعتهم على ضوء النصوص ولا على مستوى العصر، وهناك دعاة العامة الذين لم يتجاوزوا سقفاً معيناً، وهناك دعاة المثقفين الذين أوصلوا المثقف إلى سقف معين، وهناك الجماعات الإسلامية التي عملت على مستوى العالم فأصبح لها تجربة ضاربة في الزمان والمكان، عند كل من هؤلاء يوجد شيء مفيد، وإن هذا القرن يحتاج إلى أشخاص قد أخذوا هذا كله، فالمواقع المتقدمة التي وصلت إليها كل جهة من هؤلاء نحن بحاجة للوقوف عندها والانطلاق منها، وهذا لا يتأتى إلا إذا وجد الفرد الذي هضم هذا كله، وشكّل هؤلاء تياراً متقدماً يأخذ بيد الجميع ولا يدخل في صراع مع أحد، ينظر إلى الإيجابيات، ويحسن معالجة السلبيات، ويدفع نحو الأمام، يحب الجميع ويعطف على الجميع، يدعم الموجود ويوجد المفقود، ولا يضن على مسلم بنصح ولا على جماعة بإرشاد، هؤلاء هم الربانيون المعنيون، وهؤلاء هم المطلوبون للقيام بهذه المرحلة، قد استشرفوا أوضاع أمتهم، واستوعبوا أوضاع عالمهم، ويعرفون الأسباب الموصلة إلى الغايات ويستطيعون أن يختصروا الطريق.

وطريق ذلك الذكر والعلم والبيئة :

فلا ربانية بلا عبادة بل الربانية علم على العبادة، ومبنى العبادة على الذكر، والذكر الكثير هو الطريق للوراثة النبوية ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[1] . ولا ربانية بلا علم ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[2] ولا ربانية إلا ببيئة تربي على العلم وعلى الذكر، ويتحرك فيها الرباني نحو الخارج : بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعلم والتعليم والنصيحة والخدمة.

ومن ههنا نقول : إنه لإيجاد الربانيين فنحن نحتاج إلى تأسيس مجالس ذكر، يألف فيها الإنسان الذكر، وتتابعه في إقامة الأذكار اليومية والاعتكافات، ولا بدّ من حلقات لطلاب الربانية يأخذ فيها الطالب ثقافة موجهة ومركزة، تدفعه لاستكمال ثقافته، وتحركه نحو الخارج في الدعوة والنصيحة والخدمة، وهذا وذاك يقتضي أن تنظم جهة ما هذه الأمور على ضوء نظرية متكاملة لثقافة الربانيين وسيرهم الأخلاقي والروحي وعلى ضوء نظرية عملية فطرية وصحيحة تُحَقِّقُ هذه المطالب كلها.

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١).

(٢) سورة آل عمران: (٧٩).

الباب الثاني

في الربانية المعاصرة

لكي يوجد الرباني فلا بدّ من توافر شروط أربعة :
١ ــ الذكر، ٢ ــ العلم، ٣ ــ الأجواء المساعدة، ٤ ــ العمل الدعوي والتعليمي.

ــ فالذكر لا بدّ منه للوصول إلى مقامات اليقين : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[١]، والى وراثة الحال النبوي ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[٢].

ــ والعلم شرط الربانية ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[٣]. والملاحظ أنه قد أطلقت كلمة الدراسة، وهذا يشير إلى أن دراسات الربانيين كثيرة.

ــ والأجواء المساعدة لينمو طالب الربانية علماً وعملاً وحالاً، فمجالسة أهل الذكر ومجالسة أهل العلم ومجالسة أهل الفضل هي التي تنمي عند طالب الربانية الرغبة بالوصول، فما لم ينتقل طالب الربانية من أجواء الغفلة والجهل فإنّ نموه يبقى ضعيفاً، ألا

---

(١) سورة الرعد: (٢٨).
(٢) سورة الأحزاب: (٢١).
(٣) سورة آل عمران: (٧٩).

ترى إلى قصة ذلك الذي قتل مائة نفس كيف أمره العالم أن يغادر بيئته، وإلى الحديث الذي رواه مسلم « لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات ولكن ساعة وساعة.. ساعة وساعة.. ساعة وساعة.. ».

ـ والعمل الدعوي التعليمي شرط، فالرباني يجب أن يخرج من إطار ذاته إلى الإصلاح، وذلك بالتعليم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترتيب هذه المعاني.

ولو أنك تأملت الواقع فإنك نادراً ما تجد توافر هذه الشروط على كمالها وتمامها في تجمع معاصر أو في مؤسسة، فدراسة الربانيين التي يحتاجها العصر نَدَر ما تجدها في مؤسسة أو في جماعة أو في فئة.

والذكر الجماعي والفردي اليومي والسنوي دون المستوى المطلوب، فالرسول ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، وكانت له قبل النبوة خلواته الطويلة، وبعد النبوة عباداته الكثيرة، وقد دأب على الاعتكاف السنوي وكانت حياته ذكراً وتذكيراً.

والأجواء المساعدة قليلة بل الأجواء المعاكسة هي الأصل، فندر ما يحضر الإنسان جلسة فيخرج أكثر إيماناً ويقيناً وخشوعاً ويقظة.

والعمل الدعوي التعليمي ندر من يمارسه من الأفراد ؛ لأنه في الغالب لا يمتلك وسائله ولذلك قلنا : إنه لا بدّ أن يتمحض عمل لصالح إحياء الربانية على ألا يدخل في خلاف وخصومات مع مسلم أو جماعة إسلامية فذلك طريق الفسوق والضلال لا طريق الربانية، بل الربانيون عليهم أن يصلوا أهل الإيمان، وأن يحبوهم وأن يساعدوهم على الخير وأن يؤلفوا بين القلوب.

ولذلك فإننا نرى أنه لا بدّ من تأسيس مجالس الذكر التي تتابع ذكر المنتسبين إليها: ذكرهم اليومي وذكرهم الجماعي وذكرهم الأسبوعي والسنوي.

ولا بدّ من تأسيس حلقات طلاب الربانية التي تتابع الأخذ العلمي لطالب الربانية داخلها وخارجها على ضوء برنامج محدد، وعلى هذه الحلقات أن توجه المنتسب نحو القيام بالدعوة والتعليم والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أجل هذا وذاك لا بدّ أن توجد مؤسسات تتابع هذه الشؤون.

وأخطر ما في الأمر هو ثقافة الرباني وسيره الروحي، فهذان يجب أن يُنظما، أما سيره الروحي فينظمه انتظام أوراده اليومية ودخوله الاعتكافات الشهرية أو السنوية أو العمرية.

وأما سيره الثقافي فينبغي أن يتكامل باستيعابه أربع عشرة وحدة دراسية ــ في اجتهادي ــ سواء قدمت هذه الوحدات مؤسسات علمية أو حلقات أو جماعات أو جمعيات أو جامعات أو شيوخ والتكامل في ذلك هو الشرط لوجود الربانية المعاصرة.

وعلى هذا فإن أي سالك لطريق الربانية أو متصدر لها لا بدّ أن يزن ثقافته بهذا الميزان وعلى ضوء ذلك يكمل سيره الثقافي أو يبتدؤه.

الوحدة الأولى : دراسة المنهج متمثلاً بدراسة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقواعد المعرفة وضوابط الفهم، دراسة يستوعب فيها القديم والجديد بما يكافىء أوضاع العصر.

الوحدة الثانية : الأصول الثلاثة التي يدخل فيها التعرف على أدلة وجود الله وأدلة رسالة الرسول ومعرفة الإسلام أركاناً وأنظمة ومناهج حياة فهذه معركة عصرنا.

الوحدة الثالثة : معالم الربانية : ثقافتها وأخلاقها على مستوى الأفراد والقادة ولوازم الوضوح والتوضيح فيما يجب عليها أن تفعل ولقد كتبت في ذلك : جند الله ثقافة وأخلاقاً، وفصول في الإمرة والأمير، ومن أجل خطوة إلى الأمام، وكي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر.

الوحدة الرابعة : الفقه عامة والفقه المذهبي خاصة والتعرف على المكتبة الفقهية.

الوحدة الخامسة : أصول الفقه والتعرف على المكتبة الأصولية.

الوحدة السادسة : عقائد أهل السنة والجماعة والتعرف على المكتبة العقائدية.

الوحدة السابعة : تزكية النفس والسلوك وقد كتبت في ذلك : تربيتنا الروحية، المستخلص في تزكية الأنفس، مذكرات في منازل الصديقين.

الوحدة الثامنة : علوم اللغة العربية والتعرف على مكتبة العربية.

الوحدة التاسعة : السيرة ومختصر التاريخ الإسلامي وتحليل أحداثه ولمحة عن حاضر العالم الإسلامي.

الوحدة العاشرة : علوم القرآن ومن ذلك علم التلاوة وعلم مفردات القرآن.

الوحدة الحادية عشرة : علوم الحديث والتعرف على المكتبة الحديثية.

الوحدة الثانية عشرة : فقه الدعوة المعاصرة ويدخل في ذلك رسائل الأستاذ البنا ومذكراته وكتاب دروس في العمل الإسلامي وكتاب في آفاق التعاليم والمدخل وكتاب : هذه تجربتي وهذه شهادتي، وكتاب فقه التخطيط والتنظيم والتنفيذ.

الوحدة الثالثة عشرة : متابعة المكتبة الإسلامية المعاصرة وما تنشره المجلات والدوريات الإسلامية، فهذا الذي يجعلنا نستوعب عصرنا وآخر المستجدات فيه مما يحتاجه المسلم، فالكتاب الإسلاميون المعاصرون هم الذين يقدمون لك تجربتهم ورؤيتهم وهم الذين يفطنون لاحتياجات العمل الإسلامي المعاصر فيكتبون، والمجلات الإسلامية هي التي تلاحق مجريات الأمور وتعطيك فيه تصوراً ووعياً، وما لا يدرك كله لا يترك جله، إنك تحتاج إلى أن تتعرف أو تطلع أو تراجع ما كتبه أمثال المودودي والندوي والشيخ الغزالي وعمر التلمساني ويوسف القرضاوي والدكتور مصطفى السباعي وسيد قطب ومحمد قطب ومصطفى مشهور وفتحي يكن ويوسف العظم ومحمد أبو فارس وأحمد محمد الراشد وأمثال هؤلاء من كتاب الحركة الإسلامية المعاصرة وأن تطلع باستمرار على أمثال مجلات المجتمع والدعوة والرائد من أجل أن تبقى على صلة بعصرك والاجتهادات فيه وإذا لم يكن إلا التصفح وإذا لم يكن إلا معرفة أهم الأفكار فإنه أفضل من العدم.

الوحدة الرابعة عشرة: التعرف على العلوم المعاصرة.

وبالإمكان إقامة الحجة على ضرورة دراسة كل مادة مما ذكرناه من أجل وجود الرباني الكامل، ولقد قال الله عز وجل : ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[1]. فقد أطلق كلمة الدراسة لأن ما يحتاجه الرباني من دراسات يتجدد ولا يتقيد، فكل قرن له جديده، وكل بيئة لها احتياجاتها ومن خلال استقراء شامل وصلت إلى هذه النتيجة التي ذكرتها.

ولعل أهل العلم وخريجي المعاهد والكليات الشرعية هم المؤهلون أكثر من غيرهم لينتدبوا أنفسهم لاستكمال ما ذكرناه في العلم والذكر ويأخذوا على عاتقهم نقل المسلمين والمسلمات إلى أجواء الربانية.

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

فلقد شهد عصرنا مؤسسات علمية كثيرة، ولكنه لم يشهد إلا قليلاً تلك المحاولات التي تعمم علوم الثقافة الإسلامية على العامة.

ولعله من خلال هذا العرض لشروط وجود الربانية المعاصرة يدرك القارىء ضرورة ما ذهبنا إليه من أنه ينبغي أن يتمحض لهذا العمل ويتفرغ له أهله وبذلك وبتوافر هذه الشروط المذكورة وبوجود المؤسسات التي تخدم في ذلك تقوم بإذن الله الربانية المعاصرة.

وكما نستهدف وجود الرباني ذي الثقافة المتكاملة، فإنه ينبغي أن نستهدف وجود الرباني المختص. فينبغي أن يوجد من بين هؤلاء الربانيين أصحاب الاختصاص في أمهات الدراسات الإسلامية، كأن ينتدب من هؤلاء الربانيين أناسٌ لتغطية الاختصاصات التالية :

١ ـــ المختصون في الفقه، ومنهم :

ـــ المختصون في فقه المذاهب المعروفة : حنفي، شافعي، مالكي، حنبلي، فقه أهل الحديث، فقه أهل الظاهر، فقه زيد، فقه جعفر، فقه الخوارج.

ـــ المختصون في كتاب فقهي مشهور : حاشية ابن عابدين، المبسوط، المغني ...

٢ ـــ المختصون في اللغة العربية :

ـــ نحو وصرف، فقه لغة، بلاغة...

ـــ الاختصاص في أئمة اللغة وكتبهم : ابن جني، الفيروزابادي، الخليل...

٣ ـــ المختصون في التفسير وعلوم القرآن :

ـــ اختصاص في تفسير معين.

ـــ اختصاص في علوم القرآن.

ـــ اختصاص في إمام من أئمة هذا الشأن.

٤ ـــ في أصول الفقه :

ـــ اختصاص في أصول الفقه المذهبي.

ـــ اختصاص في كتاب من كتب أصول الفقه.

ـــ اختصاص في حياة أصولي.

٥ ـــ علوم الحديث :

ـــ اختصاص في علوم الحديث.

ـــ اختصاص في كتب السنة.

ـــ اختصاص في الرجال.
ـــ اختصاص في إمام من أئمة الحديث وكتبه.

٦ ـــ اختصاص في المنطق :
ـــ اختصاص في المنطق الاستقرائي الحديث.
ـــ اختصاص في المنطق الصوري القديم.

٧ ـــ اختصاص في العقائد :
ـــ الاختصاص في عقائد أهل السنة والجماعة.
ـــ الاختصاص في عقائد الفرق المنشقة.
ـــ الاختصاص في إمام من أئمة أهل السنة والجماعة في العقائد وكتبهم.

٨ ـــ الاختصاص في التاريخ :
ـــ الاختصاص في التاريخ العام.
ـــ الاختصاص بتاريخ كل قرن.
ـــ اختصاص بكتاب من كتب التاريخ.
ـــ اختصاص بإمام من أئمة التاريخ.
ـــ اختصاص بتاريخ الإسلام في كل قطر.

كما ينبغي أن يوجد من بين الربانيين اختصاصيون بفروض كفائية يحتاجها مستقبل الإسلام والمسلمين.

* * *

إنه بالعلم يحيا الإسلام ويستمر، وبالعلم يحفظ الإنسان من الفتن وخاصة في زمن مثل زماننا، وبالعلم يكون قبول الإسلام، وبنشر العلم والجهر به تكون الحياة :

قال عمر بن عبد العزيز : « فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً ».

وقال « إذا رأيت قوماً ينتجون بأمر (أي يتسارون) دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة » أخرجه الدارمي، وأخرج الدارمي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم ».

فإذا ما سألت عن الأخلاق العامة للربانيين ما هي ؟ أقول : هي أخلاقية الربيين وأخلاقية حزب الله قال تعالى : ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما**

أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾[1]. فقد فسرت الربية بتفسيرات كثيرة منها ما ذكره ابن كثير عن الحسن: « ربيون كثير أي علماء كثير وعنه أيضاً علماء صبر أي أبرار أتقياء ».

وأما أخلاقية حزب الله فمحددة في آيات الردة ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[2].

ولعل القارىء يذكر كتابنا جند الله ثقافة وأخلاقاً ومن تأمل ما ذكرناه ههنا عرف أننا قصدنا بذلك الكتاب إحياء الربانية والربية وذلك طريق لا بدّ منه لتجديد الإسلام في عصرنا.

وأقترح لاحياء الربانية أن نحيي فكرة الإجازة العلمية على طريقة الشيوخ القدامى فكل من درس علماً أخذ إجازة فيه حتى إذا درس كل العلوم التي ذكرناها وظهرت فيه أخلاقية الربيين والربانيين أعطي إجازة الربانية أو أعطي الإجازة الجامعة فإذا تخصص بفرع من فروع الاختصاص أعطي إجازة الأستاذ في ذلك الاختصاص، ولعلّ إنشاء جامعة إسلامية أهلية لإحياء الربانية يخدم في ذلك.

إن إحياء الربانية من فروض العصر ولا ربانية إلا إذا وجدت أشياء: ثقافة إسلامية كاملة ومتكاملة معاصرة.

أخلاق كاملة ومتكاملة يجتمع لصاحبها صفات الربانيين والربيين.

روحانية رفيعة يجتمع لصاحبها معرفة ذوقية قلبية بالله وقيام بواجبات العبودية لله رب العالمين.

* * *

(١) سورة آل عمران: (١٤٦ ــ ١٤٨).

(٢) سورة المائدة: (٥٤ ــ ٥٦).

إن تجربة القرن الرابع عشر الهجري أثبتت أن الذين تتلمذوا على أيدي الربانيين، وعاشوا في أجواء المساجد والتلقي، كانوا هم الأنقى والأرقى والأقدر على الدعوة، وأن العلم الذي لا يرافق العمل والقلب الذي لا يربي على الصحة كل ذلك يمكن أن يشكل كارثة على أهله وعلى الناس، وهذا يقتضي وجود عمل من ميزاته أنه : علم متكامل هادف مناسب للعصر وأعمال على ضوء العلم.

إن إحياء الربانية والربية من فروض العصر وإقامة الحلقات والمؤسسات اللازمة لذلك من فروض العصر فما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

وأرى أن تبتعد حلقات الربانيين عن كل ما لا يخدم خدمة مباشرة في العلم والسلوك والأخلاق والدعوة والخدمة ومن أراد من أبناء هذه الحلقات أن يعمل عملاً مفروضاً أو مشروعاً فليفعل بمبادرته الشخصية متحملاً مسؤولية نفسه دون أن يحمل حلقات الربانيين مسؤولية تقطع الطريق عليها أن تحقق أهدافها الثقافية والتربوية والروحية.

لقد انتشرت المذاهب الرديئة القائمة على الأهواء والمتشابه وعلى البهتان وتجريح الناس ظلماً وزوراً وكثرت الجرأة على المعاصي الظاهرة والباطنة وخاصة معاصي اللسان وآثام القلوب، وأصبح المسلمون بحاجة إلى بيئة نظيفة ينمون فيها علمياً وروحياً وأخلاقياً بما يتفق ومذاهب أهل الحق.

فأي خلل يحول دون النضج العلمي والروحي يؤثر على الدعوة وعلى التربية وعلى التعليم وينتج عنه ضعف الاقتداء في سياسات النبوة، وينتج عنه ضعف في انتشار الإسلام وضعف التأثير وهذا كله يحتاج إلى تلاف.

الباب الثالث

في موجبات وخصائص

قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾[1]. يفهم من هذه الآية أن مراتب الكمال في هذه الأمة أربعة :

ــ رتبة النبوة وقد انتهت بوفاة الرسول ﷺ.

وبقي عندنا ثلاث مراتب كمال، تبقى مستمرة في هذه الأمة، هذه المراتب الثلاث هي الصديقية والشهادة والصلاح، وبقدر ما تكون هذه المعاني قوية في الأمة تكون بخير، وبقدر ما يخف وجود هذه المعاني الثلاثة يكون الإسلام في هذه الأمة في ضعف، ولنلق نظرة على حال الأمة بالنسبة لهذه المقامات.

إنك تجد أن الصلاح لا زال قائماً ومستمراً ولكن على ضعف لأن الصلاح يقوم على ركنين : الإيمان والعمل الصالح، فالله تعالى يقول : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** ﴾[2]. فمن اجتمع له إيمان وعمل صالح يرجى أن يكون مآله الوصول إلى مقام الصلاح، والإيمان والعمل الصالح موجودان في هذه الأمة بشكل من

---

(١) سورة النساء: (٦٩).

(٢) سورة العنكبوت: (٩).

الأشكال، لكن معاني الإيمان تحتاج إلى تجديد مستمر فلقد ورد في الحديث الحسن : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم ». وقد ورد في حديث صحيح : « جددوا إيمانكم، فقالوا كيف نجدد إيماننا يا رسول الله، قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله » فالإيمان تطرأ عليه طوارىء تضعفه، وقل مثل ذلك في العمل الصالح، فهو معرض لأن يطرأ عليه العجب والغرور والرياء وغير ذلك مما يؤثر على العمل، وهذه المعاني قلّ التنبيه لها في عصرنا، ومع ذلك يوجد بفضل الله عزّ وجلّ توجه نحو الإيمان والعمل الصالح.

ومرتبة الشهادة مستمرة في هذه الأمة فهناك شهداء بشكل مستمر قال تعالى : ﴿ **ويتخذ منكم شهداء** ﴾[1] لكن الأصل أن يكون العزم على الشهادة موجوداً في قلب كل مسلم، فلا بدّ من نية الجهاد في كل قلب، قال رسول الله ﷺ : « من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » أخرجه مسلم وفي هذا المعنى ضعف وأي ضعف، بينما نجد عند جميع الصحابة قدراً مشتركاً من الرغبة في أن يلقوا الله عز وجل شهداء والرسول ﷺ يتمنى أن يقتل ثم يرجع ثم يقتل ثم يرجع ثم يقتل، وكان عمر بن الخطاب يدعو أن يستشهد في المدينة المنورة، ورزقه الله ذلك وكل صحابي كان يعبر عن ذلك، المهم أن هناك قدراً مشتركاً عند كل فرد في جيل الصحابة في الرغبة في الشهادة، والرسول ﷺ علّم المسلمين أن يكونوا صادقين في طلبهم الشهادة من الله عز وجل، والإنسان عندما يطلب الشهادة بصدق ينيله الله أجرها ولو مات على فراشه، وفي جيلنا لم تعد الشهادة مطلباً مشتركاً لكل مسلم، لا نقول هذا من سوء الظن بالمسلمين، فالمسلمون على خير وبركة ولكن الواقع المحس هو ما ذكرناه، وقد حاول الأستاذ حسن البنا رحمه الله أن يحيي هذا المعنى، لذلك كان من الشعارات الخمسة التي جعلها شعارات لإخوانه : الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

ولقد علل الرسول ﷺ لتداعي الأمم علينا بقوله « ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » أخرجه أحمد وأبو داود. لقد كان حسن البنا موفقاً إذ جعل أحد الشعارات : « الموت في سبيل الله أسمى أمانينا » فلا خروج للمسلمين من الوهن إلا بذلك. ولكن عندما ننظر إلى مقدار الرغبة (الرغبة في الموت في سبيل الله) في قلوب

---

(١) سورة آل عمران: (١٤٠).

المسلمين جميعاً.. أقصد هذا المليار من المسلمين.. نجد أن بيننا وبين ذلك منادح يقطعها السير الجاد من أهله بإذن الله.

أما مرتبة الكمال الثالثة وهي أعلى هذه المراتب وأكملها وهي رتبة الصديقية فقد طرأ عليها الضعف أكثر مما طرأ على المرتبتين الأوليين لأن المرتبة الثانية التي هي الشهادة والمرتبة الثالثة التي هي الصلاح مرتبتان محسوستان تقريباً لكن مرتبة الصديقية مرتبة خفيّة، فهي أقرب إلى الجانب القلبي ؛ ولذلك فقد طرأت عليها طوارىء كثيرة كبيرة وضعفت ضعفاً كثيراً وقل أصحابها، والآية القرآنية تشهد أن المتأخرين تقل فيهم هذه الرتبة. قال تعالى : ﴿ **والسابقون السابقون... ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** ﴾[1] بينما قال في أصحاب اليمين ﴿ **ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** ﴾[2] فإذا اعتبرنا أصحاب اليمين هم الصالحون والسابقين هم الصديقون، فالصديقون من المتأخرين قليلون فكأن مرتبة الصديقية تضعف في الأمة شيئاً فشيئاً. ويترتب على ضعفها ضعف المرتبتين الأخريين ولذلك نقول :

إنّه بقدر ما يبذل الدعاة من جهد في إحياء الصلاح وفي إحياء معاني الشهادة يحتاجون لأن يبذلوا جهداً في إحياء معاني الصدّيقية، التي بدايتها الإيمان بالله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم** ﴾[3]. يعني الذين اجتمع لهم إيمان بالله ورسوله هم الذين مآلهم لأن يكونوا صدّيقين وشهداء، تلك هي البداية وهي بداية مشتركة بين الصدّيق والصالح والشهيد، لكن هناك دقائق في رتبة الصدّيقية لها علاقة بالإيمان والعمل الصالح تتوافر في الصدّيق ولا تتوافر في الصالح، ومن ها هنا تكون رتبة الصدّيقية المنزلة العليا، وإذا أردنا أن نأخذ نقطة نتعرّف بها على الفارق بين مقام الصدّيقية والصلاح فلنضرب على ذلك مثلاً بخشوع القلب في الصلاة، فالقلوب تتفاوت في الخشوع، لذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أعرف خلق الله بالله أكثر خلق الله خشوعاً، حتّى إنّ الصحابة وصفوه بأنّه كان يسمع من جوفه أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة خشوعه، فالخشوع إذاً يمكن أن نعتبره ميزان كمال، وبقدر ما يكون الإنسان أقرب إلى الخشوع الكامل، فهو أقرب إلى الكمال، وبالتالي فهو أقرب إلى مقام الصدّيقية، والذي يرى حال الناس في الخشوع الآن يدرك قلّة المتحققين بمقام

---

(١) سورة الواقعة: (١٠، ١٣، ١٤).

(٢) سورة الواقعة: (٣٩، ٤٠).

(٣) سورة الحديد: (١٩).

الصديقية، وسنتحدث عن معالم الصديقية بتفصيل في كتابنا (مذكرات في منازل الصديقين) وههنا نقول :

إن الصديقية هي الدرجة العليا لمقام الصدق ففي الحديث الصحيح : « ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً »، ولو أنك تأملت النصوص التي تحدثت عن الصادقين، ثم عرفت أن الصديق يتحقق بذروتها فإنك تعرف بذلك مقام الصديقين : **﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾**[1] . **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾**[2].

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[3].

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾[4] .

فمن عرف أن مقام الصديقية هو تحري الكمال في الصدق، وعرف مضمون الصدق الذي تحدثت عنه في هذه الآيات عرف معنى الصديقية ولقد تحدث الغزالي في إحيائه عن درجات الصدق وكان من كلامه :

« إعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان، صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق ؛ لأنه مبالغة في الصدق، ثم هم أيضاً على درجات، فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه.

---

(١) سورة الأحزاب: (٢٣).
(٢) سورة الحجرات: (١٥).
(٣) سورة البقرة: (١٧٧).
(٤) سورة الحشر: (٨).

الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو المستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه، وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها، فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق، ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن المعاريض، والكمال الثاني أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض فإن كان قلبه منصرفاً عن الله تعالى مشغولاً بأماني الدنيا وشهواته فهو كذب، وكقوله إياك نعبد، وقوله أنا عبد الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه مصدقاً.

الصدق الثاني : في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن مازجه شيء من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يسمى كاذباً.

الصدق الثالث : صدق العزم فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه أو بشطره، أو إن لقيت عدواً في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال، وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكأن الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة.

الصدق الرابع : في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد، والعزم والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن، وهاجت الشهوات، انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه.

الصدق الخامس : في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدلّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجلب الباطن إلى تصديق الظاهر.

الصدق السادس : وهو أعلى الدرجات وأعزها، الصدق في مقامات الدين، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور، قال الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ إلى قوله ﴿ **أولئك**

هم الصادقون ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾[2] . فالصادق إذاً في جميع هذه المقامات عزيز، ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً ». ا، هـ كلام الغزالي.

ولعلك بهذه التحديدات لمعاني الصدق تعرف من هم الذين أمرك الله عز وجل أن تكون منهم ومعهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[3] .

إن الدعوة إلى الله ذات شقين : فهي تذكير من ناحية، وتجديد من ناحية أخرى، ومن ههنا توجد في الشريعة فكرة المجدّد، وفي كل عصر يبعث الله لهذه الأمّة من يجدّد لها أمر دينها وفي الحديث : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدّد لها أمر دينها ». ورأس القرن أوّله. المهم أنه يوجد شيء اسمه تجديد مستمر في الأمة الإسلامية هي هذه المعاني : الصلاح والشهادة والصدّيقيّة، ولا أقصد أنّ التجديد ينحصر بها، ولكنّ مراتب الكمال هذه لا بدّ من تجديدها بشكل مستمر، ومن ثم فإن أي إنسان يريد أن يقوم بحق الدعوة إلى الله يجب أن يضع في ذهنه أن يجدّد حياة هذه المعاني وحيوتها.

وإذا فشلنا في إيجاد هذه المعاني بعمق في الأمة الإسلامية لا نكون قد فعلنا شيئاً كثيراً مهما نشرنا من رسائل، وألفنا من كتب، وألقينا من محاضرات، ونمينا مدارك الناس وعلومهم إلا إذا كان ذلك عامل دفع، وسبيلاً إلى مقام صلاح أو وسيلة للصديقية، فالعلم شرط في هذا كله، إننا إذا لم ننقل الناس إلى مثل هذه المعاني يبقى عملنا محدوداً وقاصراً، صحيح إن إقامة الحجة على الناس هدف، ولكن العلم النافع هو الهدف المباشر لهذا الهدف، وقد ورد في حديث حسن : « العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » إن الفريضة الإسلامية في الشريعة لها سياج هي السنة والأدب، فمثلاً فرضت علينا صلوات خمس وفرض علينا صيام رمضان، لكن سنت لنا مع هذه الفرائض سنن، فالسنن بمثابة السياج لهذه الفرائض، فالإنسان الذي يقيم فرض الصلاة وسننها تبقى فريضته مكينة، بينما الإنسان الذي يقيم الفريضة ولا يقيم السنن تبقى فريضته ضعيفة، فكما أن قوة الفريضة بما يحيط بها من

---

(١) سورة الحجرات: (١٥).

(٢) سورة البقرة: (١٧٧).

(٣) سورة التوبة: (١١٩).

نوافل فكذلك الصلاح والشهادة تقويان بوجود مقام الصدّيقيّة، ونحن إذا ما بذلنا جهوداً في تعميق مقام الصلاح فقط كأن دعونا إلى الإيمان والعمل الصالح، وبقينا عند هذا القدر ولم ننمّ الرغبة في الشهادة في سبيل الله ولم نُرب على مقام الصدّيقيّة، فقضيّة الصلاح ذاتها تبقى ضعيفة، لكن إذا نمينا الصلاح وحاولنا أن ندفع نحو مقام الشهادة، ودفعنا نحو مقام الصدّيقية، ساعتئذ ترى المجتمع الإسلامي متكاملاً والإسلام أكثر عمقاً، ومن ههنا نقول : إنّه بقدر ما نبذل من الجهود لتعميق معنى الصلاح يجب أن نبذل جهوداً لتعميق معاني الشهادة ومعاني الصدّيقيّة، وبذلك تتكامل حياة المجتمع الإسلامي، لأن الصدّيقيين هم الذين يشدون الناس إلى مقام الشهادة ومقام الصلاح إنّ محور مقام الصدّيقيّة يدور على تعميق معاني الإيمان من ناحية، وعلى التفطّن إلى دقائق في الأعمال من ناحية أخرى، فالصدّيقيّة يغلب عليها الجانب القلبي أكثر مما يغلب عليها العمل الظاهر، فإحياء معاني الصديقية يكمن في التفتيش عن دقائق إيمانية وعن دقائق قلبية مثل الإخلاص والزهد والمحبة والتسليم والرضا وعن دقائق في الأعمال والتنزه عن نوع منها، فلقد ورد في صحيح مسلم عن رسولنا عليه السلام « لا ينبغي لصدّيق أن يكون لعّاناً ».

إن إحياء مراتب الكمال التي ذكرناها من الأهميّة في المكان الكبير، لذلك أدّبنا الله عز وجل أن ندعوه يومياً في صلواتنا بقوله: **﴿اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم﴾**[1] يعني صراط النبيِّين والصدّيقين والشهداء والصالحين بنص القرآن، فهؤلاء هم محل القدوة، فكما أن محل القدوة في الدعوة الإسلامية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكذلك الصدّيقون والشهداء والصالحون، وإذاً فبقدر ما يوجد في الأمة الإسلامية صدّيقون وشهداء وصالحون تكون القدوة موجودة في حاضر الأمة الإسلامية.

ولنا أن نتساءل : ما الذي جعل مراتب الكمال الثلاث الصلاح والشهادة والصدّيقية تضعف ؟ والجواب أنّ هناك رتبة أخرى قد ضعفت في الأمة الإسلامية هي رتبة الربّانية، فالربّانيّون في هذه الأمّة قلّوا فترتّب على ذلك ضعف عام في مراتب الكمال ولذلك نقول :

إنه إذا ما أردنا أن نحيي مراتب الكمال، أو نقويها فلا بدّ أن تكون البداية هي إحياء مقام الربّانية.

ومن قوله تعالى: **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثمّ يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم**

(١) سورة الفاتحة: (٦، ٧).

تدرسون ﴾[1]. ومن قولهم يوم مات ابن عباس رضي الله عنهما (اليوم مات ربّانيّ هذه الأمّة) نستطيع أن نتلمس معاني الربّانيّة المفقودة.

فنموذج الربانية هو ابن عباس في معرفته الكتاب والحكمة وفي قدرته على تعليم الكتاب والحكمة والربانية بنص الكتاب : دراسة وتعليم للكتاب، وتعليم الكتاب في عصر الصحابة يدخل فيه تفهيمه والتحقيق فيه، ولقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن، فالمعلم الذي لا يستطيع أن يربى عليه، وإن يحقق فيه، ليس هو المعلم الرباني، وليس هو الوارث الكامل لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فالرباني هو القادر على تزكية النفس وهو القادر على الإرتقاء بالمسلم إلى مقامات الصديقية والشهادة والصلاح لأن مهمته هي مهمة رسول الله ﷺ لكنه لا يوحى إليه.

ومن الآية التي مرّت معنا ندرك أن مطلباً أساسياً للرسل عليهم السلام يحاولون أن يوجدوه هو مقام الرّبانية ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب... ولكن كونوا ربّانيين** ﴾[2] . يفهم من ذلك أنّ مطلباً رئيسياً يريده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو أن يوجد ربّانيّون في الأمة لأنه يتوقّف على ذلك كل ما بعده، ومن ههنا تأتي أهمية وجود الرّبانيين في المجتمع الإسلامي.

إنه بقدر ما يضعف مقام الربّانيّة يضعف الإسلام في القلوب والنفوس وذلك هو السرّ الأساسي في ضعف مراتب الكمال التي ذكرناها، وخاصّة مقام الصدّيقيّة سواء من حيث العدد أو من حيث النسبة أو من حيث الكمال.

إن شرط وجود الصدّيقيّة والشهادة والصلاح هي وجود الرسول ﷺ، فإذا فقد الرسول عليه الصلاة والسلام فالوارث الكامل هو شرط الوصول إلى الكمال في مراتب الكمال الثلاث، وقد جعل الله الغاية في الهداية هو الولي المرشد فقال تعالى : ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾[3] . لقد ختمت النبوة برسولنا عليه السلام ﴿ **ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾[4] . فمن يقوم مقامه في التعليم والتزكية ؟ لا شك أنهم وراثه وهم العلماء، ولكن أي علماء ؟ إنهم العلماء الربانيون، فإذا فقدوا فلا بدّ أن يتأثر الكمال، وإذا قلّوا فلا بدّ أن يتأثر الكمال، وإذا كثروا فمظنة الخير أكثر.

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

(٢) سورة آل عمران: (٧٩).

(٣) سورة الكهف: (١٧).

(٤) سورة الأحزاب: (٤٠).

وإنما قيد تعليم الرباني بالكتاب، وأطلقت دراسة الرباني، لأن الرباني يستطيع من خلال الكتاب أن يعلم كل شيء يحتاجه الإنسان، فقد وصف القرآن بقوله تعالى: ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾[1] . ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[2] . وهذا يقتضي من معلم القرآن أن يدرس دراسات كثيرة، ولذلك أطلقت دراسة الرباني: ﴿ وبما كنتم تدرسون ﴾[3] . فمعلم القرآن ينبغي أن يستوعب من الدراسات ما يستطيع أن يغني الدارسين للقرآن في كل عصر ومصر وهذا يقتضي دراسات واسعة.

ثم إن الدراسات للرباني تتوسع وتتجدد كلما امتدّ الزمان والمكان، فالصحابي الذي يعيش في البيئة العربية ساعة نزول القرآن الكريم ويسمع حديث الرسول عليه الصلاة والسلام مباشرة، أو من خلال صحابي آخر، لا يحتاج إلى دراسة اللغة العربية ولا إلى دراسة مصطلحات علوم الحديث، ولا يحتاج إلى معرفة الرجال، والصحابي الذي يعيش الفهم الفطري للقرآن ولا يواجه أفكاراً منحرفة في العقائد لا يحتاج إلى دراسة شيء اسمه عقائد أهل السنة والجماعة وموقفهم من فكر الفرق الأخرى أو موقفهم من فكر الأديان الذين يضطرون لمناقشة أهلها، كما أنهم لا يحتاجون إلى دراسات كثيرة لمعرفة حال المسلمين وقتذاك، فدار الإسلام حدودها معلومة معروفة بينما يحتاج الربانيون في أجيال لاحقة إلى هذا وأمثاله، ولذلك أطلقت كلمة الدراسة ومن ههنا تعرف جهل الذين ينكرون ضرورة الدراسات المتعددة المتجددة كلما جد جديد أو ولد قرن جديد ومن ههنا نجد القائمين على الدراسات الجامعية سواء أكانت إسلامية أو غير إسلامية يستحدثون كراسي الدراسة لكل علم تثبت لهم ضرورته.

والربانية بالضرورة لا تعني الدراسة فقط، بل تعني معها تعليم القرآن الكريم، وتعليم القرآن يقتضي معرفة بالسنة، ويقتضي قدرة على تزكية الأنفس، ومن ههنا لا بدّ أن يكون الرباني متحققاً بالصلاح وطلب الشهادة في سبيل الله ومقام الصديقية ففاقد الشيء لا يعطيه، فالرباني ما لم يكن متحققاً لا يستطيع أن يحقق، فهل لنا بعد هذا البيان أن نحدد بعض المعالم.

إنّ كلمة الربّانيين ليست كلمة يدخل فيها كلّ فرد من الأفْراد، وإنّما يدخل فيها الناس الذين عندهم قدرة على تعليم الكتاب والذين عندهم دراسات، ومن السياق نفهم أنّ هذه

---

(١) سورة يوسف: (١١١).

(٢) سورة النحل: (٨٩).

(٣) سورة آل عمران: (٧٩).

الدراسات هي الدراسات التي تؤهّلهم لفهم الكتاب وتعليمه والتي تعين على التحقّق به. فإذا كان تعليلنا لنقص مراتب الكمال في الأمّة الإسلاميّة كمًّا وكيفاً يرجع إلى النقص في قضيّة الربّانيّة فإنّ علينا إذا ما أردنا أن نحيي مراتب الكمال هذه أن نوجد الطبقة التي يمكن أن نسمّيها طبقة الربّانيّين.

فإذا ما أردنا أن ننقل الأمة إلى أن تعود إليها مراتب الكمال، فلا بدّ أن يوجد الربانيون القادرون على العطاء، وإذا كان القرآن قد جمع معالم الربانية بكلمتين تعليم الكتاب والدراسة، فإن ذلك يدخل فيه أشياء كثيرة، يدخل فيه تعليم الكتاب تلاوة ويدخل في ذلك تفهيمه، وتطبيقه، وكيف تصلح الحياة على هذا، فالإنسان الذي يمتلك القدرة على تعليم الكتاب يعني بالضرورة أنه قادر أن يعلم الناس كل شيء يحتاجون إليه في أمر دنياهم وأخراهم على ضوء الكتاب، فتعليم الكتاب إذن يدخل فيه كل هذا أما الدراسة فإنه يدخل فيها كل ما يلزم لذلك.

إنك لا تستطيع أن تعلّم الكتاب إذا لم تكن متقناً لعلوم اللغة العربيّة، ومتقناً لفن التلاوة، وكذلك لا يمكن أن تفهم كتاب الله إذا لم تدرس السنّة النبويّة، فالله عز وجل قال : ﴿ **أقيموا الصلاة** ﴾. لكنّ الذي فسّر لك كيف تقام الصلاة هو السنّة النبويّة، والكتاب والسنّة تنبثق عنهما الأحكام التي تغطي شئون الحياة كلّها، فما من حكم يحتاجه الإنسان في حياته إلا ولله عز وجل حكم فيه : وهذا الحكم يعرف إمّا من صريح القرآن الكريم أو من صحيح السنّة أو من هذا وهذا.

واستنباط الأحكام من الكتاب والسنّة له أصول وقواعد، وإذا أردت أن تفهم القرآن الكريم لا بدّ أن تفهم هذه القواعد التي تستنبط بواسطتها الأحكام، من ههنا تأتي ضرورة علم أصول الفقه، وبالتالي فأصول الفقه ينبغي أن يكون داخلاً في دراسة الربّانيين.

وتنبثق عن الكتاب والسنّة أحكام، فالكتاب والسنّة بيّنا للمسلم عقيدته، وبيّنا للمسلم كيف يزكّي نفسه، وبيّنا للمسلم حكم الله في القضايا العملية التي يحتاجها في حياته، ومن ههنا يدخل في دراسة الربّانيّين علم العقائد وعلم السلوك وعلم الفقه.

ومن المعروف في حياة الصحابة رضوان الله عنهم أنّهم كانوا يقولون : « كنّا نؤتى الإيمان قبل القرآن » هذه كلمة مأثورة عن أكثر من صحابي، وإذاً فعلم الإيمان الذي هو مقدّمة لعلم القرآن الكريم يدخل في دائرة دراسة الربّاني. قال تعالى : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[1] . وإذاً فمما يدخل في دراسة الربّاني علم الإيمان وزكاة

---

(١) سورة الشورى: (٥٢).

النفس، فإذا لم يكن عند الربّاني علم ذلك لا يستطيع أن ينقل الناس إلى هذه المعاني، ولنعرض المسألة عرضاً آخر، فمما منّ الله به على هذه الأمّة الإسلامية أن بعث لها رسولاً، ومن منّه على هذه الأمّة أن جعل هذا الرسول متّصفاً بصفات معيّنة، تجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة** ﴾[1] . نفهم من ذلك أنّ من مهمّات الرسول ﷺ تلاوة الآيات وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة، ومن مهماته تزكية النفس، فإذا قلنا بأن الربّاني هو الذي يرث رسول الله ﷺ فذلك يعني أن من مهمات الربّاني تزكية الأنفس، فكيف يستطيع الربّاني أن يزكّي الأنفس إذا لم يكن عنده علم ذلك ؟ ومرّة ثالثة نقول : إن وجود طبقة ربّانيّين عريضة في الأمة الإسلامية هي نقطة البداية من أجل أن تتعمّق مراتب الكمال في الأمّة الإسلاميّة كمقدمة لوجود الصدّيقين والشهداء والصالحين، ولذلك فإنني أرى أن مما ينبغي فعله هو أن تتوجّه قلوب قطاع عريض جدّاً من المسلمين لهذه القضيّة بالذات... وبقدر ما يكثر الذين يتفرّغون لقضيّة الربّانيّة ويستطيعون أن ينقلوا الأمّة إلى معالمها فإننا نكون سائرين على قدم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

إنّني أدعو دعوة عامّة كلّ من اقتنع بهذا الكلام أن ينوي ويبدأ السير في الطريق، ومن اجتمعت له نيّة وهمّة فالله يعطيه، وفي كل الأحوال هو مأجور. وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : « لو كان الإيمان في الثريّا لناله رجل (أو رجال) من أبناء فارس ».

نحن الآن نشكو أن مراتب الكمال فينا ضعيفة، ونلاحظ أن أجواءنا ليست هي الأجواء الكاملة، ومنذ فترة طويلة تعاني الحركة الإسلامية من مثل هذا حتّى اعتاد أبناؤها أن يقولوا : عندنا نقص روحي، وعندنا نقص تربوي، وعندنا نقص ثقافي، هذا الكلام يتكرّر على الألسنة ويبدو لي أنّ هذا الكلام سيبقى مستمراً حتى توجد طبقة عريضة قد تحققت بمعاني الربّانية وإلى أن يحدث ذلك سنبقى نعاني وسنبقى نشكو، وما كان يعتبر عذراً في الماضي لم يعدْ الآن عذراً.

في الماضي كنت تجد العلوم المتوارثة في الغالب عند شيوخ لم يدرك الكثيرون منهم احتياجات عصرهم، فإذا ما قاربهم الشباب حاولوا أن يثنوهم عن الحق الذي آمنوا به، واستقطبت الدعوة الإسلامية شباباً وتلك سنة دعوة الأنبياء ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وَمَلإيْهِمْ** ﴾[2] . وهؤلاء الشباب كانوا بعيدين عن الثقافة

---

(١) سورة البقرة: (١٥١).

(٢) سورة يونس: (٨٣).

الإسلامية المتوارثة، وكان الداعية مستغرقاً بعمليات التأسيس والأولويات التي تقتضيها وبعملية المواجهة مع الإستعمار والأولويات التي تستدعيها.

فكانت هذه كلّها عوامل واقعية نعتذر بسببها عن نقص، أما الآن فلا عذر فلا بدّ لنا أن ننهض في هذه الأمّة بكلّ شيء، ولا نهوض إلا بربّانيّين، ولا ربانيّة إلا بدراسة موجهة وتعليم للقرآن، وإذا لم ننجح في ذلك فلا نجاح.

نحن داخلون عمليًّا في معركة غير متكافئة مع قوى مادّية، ولا توجد عندنا أسباب الصراع الماديّ فإذا لم توجد أسباب الصراع الإيمانيّة فمعركتنا خاسرة.

الباب الرابع

في المؤكـدات

(١)

تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل، والملاحظ أن القرآن وهو يحدثنا عن اليهود يذكر كلمة الأحبار وكلمة الربانيين، فالحبر هو العالم، والرباني هو العالم العابد الزاهد :

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[١].

﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ﴾[٢].

فهناك اصطلاح الرباني واصطلاح الحبر. والأصل في شريعتنا أن الرباني هو الحبر، والحبر هو الرباني، والرباني هو الربي، والربي هو الرباني لأن ذلك مقتضى الوراثة لرسول الله ﷺ التي طولب بها المسلم :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر

---

(١) سورة المائدة: (٤٤).

(٢) سورة المائدة: (٦٣).

الله كثيراً ﴾[1]، « العلماء ورثة الأنبياء » أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾[2].
﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ﴾[3]. وقد فسر الربيون بالعلماء.

فالأصل عندنا أن رتبة الربي والرباني والعالم واحدة، وهذا الذي يحتاجه عصرنا وهذا الذي يحتاج إلى إحياء في عصرنا، وإنه لمن أخطر الحالات التي تظهر في الأمة الإسلامية حالة بقاء الإيمان في حدود الحناجر ففي الحديث الصحيح عن الإمام علي رضي الله عنه :

سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البريَّة يقرؤون القرآن، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.

فههنا ناس إيمانهم لا يتجاوز حناجرهم مع أن قولهم من خير قول البرية، ولقد أخبرنا القرآن عن القلب السليم وأخبرتنا السنة عن صلاح القلب، وكان من مهمات الرسول ﷺ كما حددها القرآن تزكية الأنفس ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾[4].

فما لم يوجد المربي المزكي المعلم لا نصل إلى النفس المزكاة ولا إلى القلب السليم وهذا لا يطيقه إلا العلماء الربانيون.

(٢)

ليس أهم في الإسلام من ثلاث قضايا ؟
القضيتان الأولى والثانية : التقوى والعبادة وهما متلازمتان.

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١).
(٢) سورة آل عمران: (٧٩).
(٣) سورة آل عمران: (١٤٦).
(٤) سورة البقرة: (١٥١).

القضية الثالثة : الطاعة.

لذلك كانت الأوامر الرئيسية التي وجهها الرسل لأقوامهم هي :

﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾[1] **﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾**[2].

ولذلك كان من أهم الفقه في دين الله فقه العبادة والتقوى والطاعة. كيف نعبد الله عز وجل وبماذا نعبده وما هو مضمون التقوى، وكيف نتحقق به ولمن نعطي طاعتنا ؟ لله والرسول فذلك واضح، وطاعة أولي الأمر في حال الاستقامة والسلامة واضحة، وذلك إذا كانت هناك خلافة راشدة بل حتى ولو كانت خلافة ظالمة لكنها تعترف لله بالحاكمية وتقيم كتاب الله على ضعف أو ظلم ولكن حيث لا خلافة راشدة ولا ظالمة فلمن نعطي الطاعة ؟

عندما يكون النظام كافراً فلمن نعطي الطاعة ؟

هناك الطاعة بسلطان القانون والنظام فهذه مفروضة على المسلم بسلطان القانون وهذه ليست محل بحثنا، وإنما محل بحثنا لمن يعطي المسلم طاعته الإختيارية ؟ فعندما يكون في نظام كفري لا تدخل طاعته في قوله تعالى : **﴿ وأولي الأمر منكم ﴾**[3] والذي نستطيع أن نفتي به هو أن الطاعة الإختيارية في هذه الحالة تكون للعلماء الربانيين فهم وراث النبوة، وعلى مثل هذا نستطيع أن نحمل حملاً مباشراً كلام ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أولي الأمر بأنهم العلماء الفقهاء ويشهد لما ذكرناه بعض روايات حديث حذيفة « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر مخافة أن يدركني » فهذا الحديث أصل عظيم في الفتوى فيما يكون بعد رسول ﷺ ففي بعض روايات أبي داود لهذا الحديث ما يلي : « قلت يا رسول الله ثم ماذا ؟ قال : إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة » وفي رواية أخرى : أن رسول الله ﷺ كان يكرر أمراً ثلاث مرات عقب كل سؤال هو : « تعلّم كتاب الله واتّبع ما فيه » وفي هذا إشارة إلى التلمذة على الربانيين قال تعالى : **﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾**[4] . فتعلم كتاب الله يقتضي أخذاً عن الربانيين فكأنّ الحديث يشير إلى ما ذكرناه : أن الطاعة

---

(١) سورة الشعراء: (١٠٨).

(٢) سورة نوح: (٣).

(٣) سورة النساء: (٥٩).

(٤) سورة آل عمران: (٧٩).

الإختيارية في حالة فقدان الخلافة إنما هي لورّاث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكما قلنا فليس كلامنا في الطاعة المفروضة بسلطان النظام والقانون.

إن الربانيين من ورثة الأنبياء هم المؤهلون لإيصال الإنسان إلى التقوى : تقوى القلب وتقوى السلوك وإلى كمال العبادة بالإيصال إلى مقام الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وهم الذين يستأهلون الطاعة الاختيارية في أوضاع عصرنا ومن ههنا كان وجود رتبة الربانية من أهم أمور عصرنا.

(٣)

لنعد إلى بعض النصوص:

﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾[١] .

﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت... ﴾[٢] .

من هاتين الآيتين نعرف أن هناك طبقتين في بني إسرائيل كان المفروض أن يقوما بدورين رئيسيين الدور الأول : أن يحكم كتاب الله عزّ وجلّ المجتمع الإسرائيلي، الدور الثاني : أن ينهى هؤلاء عن المنكر. ثم إن هناك دوراً ثالثاً للربانيين نصت عليه الآية : **﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾**[٣] والأصل في شريعتنا أن يكون الرباني هو الحبر كما اجتمع ذلك لابن عباس فقد كان يطلق عليه حبر هذه الأمة، كما أطلق عليه رباني هذه الأمة، ولكن حدث في كثير من الأحيان أن انفصلت رتبة الربانية عن رتبة العلم، فأصبح في الأمة الإسلامية ما يطلق عليه اسم العلماء، وأصبح فيهم ما يسمى بالصوفية وأعطي بعض الناس أئمة التصوف اسم الربانيين فصار يقال الإمام الرباني، وبصرف النظر عن المناقشة في هذه الشئون، فإن المجتمع الإسلامي كان ينبغي أن تقدم به طبقتان بحقوق الله عزّ وجلّ، طبقة العلماء وطبقة الربانيين بواجبهما في تعليم الكتاب وتحكيمه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأمر ما فإن الطبقتين

---

(١) سورة المائدة: (٤٤).

(٢) سورة المائدة: (٦٣).

(٣) سورة آل عمران: (٧٩).

لم تقوما في القرن الرابع عشر الهجري قياماً كاملاً بهذه المهام حتى إن الدعوة إلى الله تصدر لها في الغالب الشباب المتحمسون وجزاهم الله خيراً.

ولكن بقي فراغ ما في العمل الإسلامي نتيجة لغياب العلماء والربانيين عن الساحة فالأصل أن عامة المسلمين ينتظرون من علمائهم كلمة الفصل ومن خلال العلماء يثقون أو لا يثقون، والأصل أنه في قضايا الإسلام والمسلمين أن يكون العلماء هم القادة وهم السادة وإليهم مرجع الناس في كل ما حزبهم وقد بقي هذا المكان شاغراً.

لقد استطاع الإخوان المسلمون أن يشكلوا تياراً عالمياً وجزاهم الله خيراً.

ولقد استطاعت جماعة التبليغ أن تشكل تياراً عالمياً وجزاهم الله خيراً.

ولكن الفقهاء والربانيين على كثرة وجودهم في الأمة الإسلامية بقي أثرهم محلياً وترتيباتهم ضعيفة.

* * *

إن مقدار ما يأخذه الإنسان في جماعة قائمة على الدعوة كجماعة التبليغ فيما يتعلق في النضج العلمي مقدر بقدر وهم ينبهون على ضرورة الأخذ عن العلماء ومقدار ما يأخذه الإنسان من نضج علمي وروحي من جماعة قائمة على الوعي والحركة كجماعة الإخوان المسلمين مقدر بقدر ولذلك سمح الأستاذ البنا لإخوانه أن يتتلمذوا على من يقدم فائدة إذا توافرت شروط ولقد كنا نشعر ونحن شباب بهذا النقص فكنّا نفر إلى العلماء والربانيين لنأخذ علماً وروحاً وقيض الله لنا علماء ربانيين كانوا يحبون الدعاة والمتحركين فكانت تتكامل بوجودهم أعمال الدعاة والحركيين ولكن العلماء والربانيين بدأ أثرهم ووجودهم يتضاءل أمام النشاطات التنظيمية والدعوية والحركية التي تجتذب الأجيال الجديدة مع بقاء ثغرة النضج الروحي والعلمي قائمة، فالظروف تبقي الأجواء غير مؤهلة لهذا النوع من النضج الذي يحتاج إلى صبر وإلى أجواء مناسبة.

وفي كثير من الأحيان لو أراد الفقيه أو الرباني أن يفعل شيئاً نجد صوته ضائعاً فالحركة والدعوة لا تبقيان عند أصحابهما وقتاً للتوقف.

هذا كله يقتضي سدّ هذه الثغرة بإيجاد عمل يجتمع فيه الفقه والنضج الروحي مع الحب والود لكل العاملين للإسلام.

إنه لمن الواضح أنّ الأمة الإسلامية في هذا القرن تحتاج إلى عمل مكمل لا يلغي

الموجود بل يدعمه ولكنه ينشيء المفقود ويتلافى القصور، من خلال أفق رحيب يتجاوز الأشياء الصغيرة من أجل الأشياء الكبيرة، فالعمل الإسلامي يحتاج إلى نضج علمي وروحي.

وحكومات العالم الإسلامي في الغالب تحتاج إلى ناصح مشفق.

والعاملون للإسلام يحتاجون إلى من يوجد شرارة تفاعل.

وهذا القرن الحالي له سماته ومن سماته :

أنه لا يعطي فرصة في الغالب إلا للتغيير المتطور.

وهذه السمة لهذا القرن تجعل من واجب بعض الإسلاميين أن يعملوا في الإطار المقبول المكشوف وفي إطار البناء المتدرج في هذا العالم ولهذا العالم أخذاً وعطاء.

الباب الخامس

في قواعد مقترحة لضبط السير

لقد تركت قضية الربانية في القرن الماضي في مفهومها الثقافي والأخلاقي والروحي للعفوية، فلم تشكل هذه الربانية تياراً عالمياً كما ينبغي أن يكون، فهل تترك في هذا القرن للعفوية أو أن الأمر لا يحتمل مثل هذا ؟

واقع الحال أن الأمر لا يحتمل ذلك فإيصال الثقافة المفروضة إلى كل مسلم يحتاج إلى ترتيب، وإيجاد واقع أخلاقي يحتاج إلى بيئة وترتيب، وإيجاد حياة روحية نشطة يحتاج إلى ترتيب، والخدمة والنصيحة وإقامة فروض الكفايات كل ذلك يحتاج إلى ترتيب.

ثم إن ضبط السير ليبتعد عن الخطر والضرر، ثم إن تبادل الخبرات ومدّ جسور التعاون وتعميق معاني الإخاء الإسلامي على هذه الساحة الواسعة من الأرض وبين هذه الأعداد الهائلة من المسلمين يحتاج إلى ترتيب، ثم تقعيد السير وتحريره وتأكيد ما ينبغي تأكيده يحتاج إلى ترتيب وهذه بعض الاقتراحات للسير.

القاعدة الأولى

لا يُقطع أحد عن شيخ فقه أو سلوك أو عن عمل إسلامي مفيد إلا في حالة الشذوذ العقدي الذي لا تجيزه فتوى إمام مجتهد فعمل حركة إحياء الربانية مكمل لا ناقض، يدعم الموجود وينشيء المفقود يفيد الجميع ويقوي الإخاء الإسلامي.

القاعدة الثانية

أساس السير علم وذكر :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً ومتعلماً » فمن لا ذكر له لا سير له ومن لا سير له في طريق العلم الشرعي فهذا مقصر، فلا بدّ من الذكر وتلاوة القرآن وحضور مجالس الذكر ولا بدّ من المطالعة المفيدة في كتاب موثق وحضور مجالس العلم وإلا فلا سير.

القاعدة الثالثة

العبرة أن يكون للسالك ورد يومي فإن أخذه عن شيخ لا حرج عليه، وإلا فإنه يلتزم بالأوراد المعتمدة للحركة أو يجمع بين هذا وذاك، والحدّ الأدنى من الأوراد :

مئة مرة استغفار، مئة مرة صلاة على الرسول ﷺ، مئة مرة لا إله إلا الله، تلاوة سورة الإخلاص ثلاث مرات، تلاوة ثلاثة أرباع الجزء من القرآن على الأقل يومياً أو سماعه، مطالعة حوالي ساعة في كتاب من كتب الوحدات الدراسية الأربع عشرة.

القاعدة الرابعة

العبرة للمضمون وأي اسم يمكن أن تأخذه حلقات طلاب الربانية :

رابطة طلاب الربانية

حلقات طلاب الربانية

جمعيات إحياء الريانية

مجالس الذكر والعلم لطلاب الربانية

رابطة طلاب العلم

جمعية العلماء

أو أي اسم آخر غير محظور شرعاً أو قانوناً.

القاعدة الخامسة

ليأخذ هذا العمل مداه لا بدّ من أن يراعى القانون والنظام العام في كل قطر، فعلى ضوء المتاح تكون الحركة وتكون المؤسسات وتكون الخدمة، فإذا أتيح في قطر إنشاء

مجالس الذكر وحلقات طلاب الربانية وصندوق التكافل والتشغيل ومجالس الخدمة ومجموعات الدعوة ومجالس التخصص ونوادي الرياضة والنوادي الكشفية والمدارس الإسلامية فذلك هو الكمال، وإلا فالمتاح الممكن على ضوء القانون والنظام، ويحاول القائمون على العمل أن يتأقلموا مع أنظمة أقطارهم في حدود المباح الشرعي.

القاعدة السادسة

يحاول الربانيون تحقيق التكليف الإسلامي للفرد عبر التكليفات الشخصية والعمل الجماعي مستهدفين إقامة فروض العين وفروض الكفاية ضمن المتاح والممكن.

القاعدة السابعة

إن مما تستهدفه حركة إحياء الربانية إنشاء الجامعة الإسلامية الأهلية والمدارس التابعة لها، وإذا أوجدت هذه الجامعة فإنها تستأنس بتجارب الجامعات الإسلامية الرسمية وبمناهجها وأساليبها.

القاعدة الثامنة

مما يساعد على تحقيق الربانية في الواقع وجود الإدارات التالية :

أ) ـــ إدارة الإجازات العلمية والتربوية والروحية : عبر الجامعة والمدارس أو الشيوخ.
ب) ـــ إدارة إعمار المساجد وإحياء رسالتها.
جـ) ـــ إدارة الخدمات العامة.
د) ـــ إدارة إقامة فروض العين والكفاية.
هـ) ـــ إدارة شئون الدعوة والمكتبات والترجمة والنشر.
و) ـــ الإدارة المالية للتكافل والتشغيل.
ز) ـــ إدارة الإشراف على مجالس الذكر والحلقات وجمعيات إحياء الربانية.
ح) ـــ إدارة تخريج المقرئين والمنشدين.
ط) ـــ إدارة الإشراف على الاعتكافات.
ي) ـــ إدارة شئون الاختصاصات.
ك) ـــ إدارة تحسين العلاقات بين المسلمين.

القاعدة التاسعة

حلقة طلاب الربانية هي الوحدة العملية التي يأخذ فيها المسلم ثقافة ومذاكرة وهي التي تنظم القيام بالواجبات وهي التي تنظم الخدمة والاشتراك المالي والاختصاصات والدعوة وغير ذلك ..

القاعدة العاشرة

نحن لا نعتبر هذه الحركة جماعة المسلمين التي من لم يلتزم بها مات ميتة جاهلية بل هي مجموعة من المسلمين تعاقدت على تحقيق فروض عينية فيما بينها وعلى تحقيق فروض كفائية تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[1]. ولكن نرجو أن تكون من الطائفة المنصورة.

القاعدة الحادية عشرة

تعطي جامعة إحياء الربانية الإجازات التالية :

١ ـــ إجازة في القرآن وعلومه وتلاوته
٢ ـــ إجازة في الحديث وعلومه وبعض كتبه
٣ ـــ إجازة في اللغة العربية وعلومها
٤ ـــ إجازة في أصول الفقه
٥ ـــ إجازة في فقه الربانية
٦ ـــ إجازة في الأصول الثلاثة
٧ ـــ إجازة في الفقه
٨ ـــ إجازة في فقه الدعوة
٩ ـــ إجازة في التوحيد والعقائد
١٠ ـــ إجازة في التاريخ الإسلامي وتحليل أحداثه
١١ ـــ إجازة في المنهج
١٢ ـــ إجازة في علم التزكية
١٣ ـــ إجازة في الدراسات الإسلامية الحديثة
١٤ ـــ إجازة في العلوم المعاصرة

---

(١) سورة المائدة: (٢).

القاعدة الثانية عشرة

مما يستهدفه الربانيون :
ــ تطوير الأحياء والقرى بالمشروعات النافعة
ــ تقريب الشقة بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها على الإسلام
ــ تقديم النصيحة الخالصة للجميع.
ــ تقريب الشقة بين حكومات العالم الإسلامي.

القاعدة الثالثة عشرة

حيثما كان هناك حكم شرعي ينشرح له صدر صاحبه فلا يلتزم إلا به إلا إذا خالف إجماعاً.

القاعدة الرابعة عشرة

مما يستهدفه الربانيون :
ــ تبيان الغلو وتخطئة أهله
ــ تصحيح التأويل الجاهل
ــ حل المشكلات ــ إصلاح ذات البين ــ رفع الظلامات.

القاعدة الخامسة عشرة

كل اجتماع يحتاج إلى تحضير مسبق ولا يصح أن يتمّ اجتماع دون تحضير مسبق له.

القاعدة السادسة عشرة

كل عمل لا يقوم به شخص مؤهل يكون معرضاً للفشل ولذلك ينبغي أن يعتمد الربانيون مبدأ التأهيل والتخصص.

القاعدة السابعة عشرة

وفي حالة وجود مختصين يملأون شواغر العمل الإسلامي التعليمي فبالإمكان إنشاء دور متخصصة لكل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية.

١ ـ دار القرآن. ٢ ـ دار الحديث. ٣ ـ دار العربية. ٤ ـ دار الفقه وأصوله.
٥ ـ دار العقائد. ٦ ـ دار الدعوة وفقهها ...

القاعدة الثامنة عشرة

تشكل الدورات جزءاً رئيسياً من عمل الربانيين وبالإمكان أن توجد دورات مكثفة في العلوم ثم يطالب الطالب بدراسة كتبها فيما بعد ويقدم في ذلك إمتحاناً.

القاعدة التاسعة عشرة

يبتعد الربانيون عن أي مظهر من مظاهر التنافسات الإدارية، والرابطة بين الربانيين رابطة أخروية، والجميع يخضعون للحكم المجمع عليه ومن له مذهب يلتزم بمذهبه وفي القضايا المصلحية يحاول الجميع أن يفروا من آرائهم إلى آراء الشورى.

القاعدة العشرون

مراحل السير : مرحلة الانتساب، مرحلة طلب الربانية، مرحلة طلب الأستاذية.

القاعدة الحادية والعشرون

إن إحياء الربانية يحتاج إلى أن تمضي هذه العملية بعيداً عن المعارك السياسية ومواقف المواجهة، إلا في قطر له ظروفه الاستثنائية القاهرة، فالمواجهة أو العمل السياسي يبقيان لمن ينتدب نفسه لذلك، أما هذا العمل فيجب أن ينال أمناً واطمئناناً ليظهر بوضوح ظلم من يعارضه : **﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾**[1].

القاعدة الثانية والعشرون

إذا تطورت الحلقات فأصبحت جمعية فإنه يكون لكل جمعية مرجع وهو نقيبها وأمين سر ومسئول مالي ومسئول فني ومسئولون آخرون يغطون عمل الجمعية وإنما تحدد المسئوليات من خلال العمل والموجه العام ثم المرجع وله الكلمة الفصل في كل شيء،

---

(١) سورة البقرة: (١١٤).

وامين السر مهمته التنظيم والترتيب والمتابعة على ضوء توجيهات الموجه العام أو المرجع، والمسئول المالي مهمته ترتيب جمع الاشتراكات والتبرعات، والصرف يكون على ضوء أوامر الموجه العام أو المرجع، والمسئول الفني مهمته متابعة كل فرد في سيره الثقافي.

القاعدة الثالثة والعشرون

تفر حركة إحياء الربانية من الألقاب والتعقيدات الإدارية والتنافس على الأسماء والإداريات فتعتمد في كل تسمياتها أسماء متواضعة كالطالب مثلاً وإذا أعطت اسماً فحيث لا يكون جو تنافس أو تحاسد، وحيث لا بدّ منه أو حيث يكون في ذلك إحياء سنة.

القاعدة الرابعة والعشرون

توزع الاختصاصات على أبناء الجمعية ويمكن أن يكون للفرد أكثر من مسئولية فهناك مرجع الجمعية مرجعها ورئيسها ثم المسئول عن أحد العلوم الشرعية أو أكثر وهناك من يخدم أهل الذكر والمسئول عن الدعوة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسئول عن الخدمات : عيادة مريض، تجهيز ميت، إغاثة ملهوف، قضاء حاجة، تفريج كربة، تأمين جائع أو محتاج، والمسئول عن صندوق التكافل والتشغيل وإذا كان لقطر أوضاع خاصة فإن كل وضع من هذه الأوضاع يمكن أن يكون له مسئول عنه في الجمعية وهذا كله يراعي واجبات المسلم نحو نفسه وواجباته نحو الخارج : فواجباته نحو نفسه : علم وذكر واجتماع وواجباته نحو الخارج تعليم ودعوة ونصيحة وإحقاق حق وإبطال باطل وإحياء فروض عينية وكفائية.

وعلى هذا فبالإمكان أن نتقدم بنموذج على توزيع العمل في الجمعية بما يغطي ذلك مع ملاحظة أن كل مسئولية يمكن أن يتعاون فيها أكثر من عضو :

١ ــ مرجع الجمعية.
٢ ــ أمين السر.
٣ ــ مسئول عن الذكر.
٤ ــ مسئول عن علم أصول الربانية وفقه الدعوة.
٥ ــ مسئول عن علوم الأصول الثلاثة وعلوم القرآن والتلاوة ومفردات القرآن.
٦ ــ مسئول عن علم أصول الفقه والفقه.
٧ ــ مسئول عن علوم اللغة العربية.

٨ ــ مسئول عن الدوريات والدراسات الإسلامية الحديثة.
٩ ــ مسئول عن السيرة والتاريخ الإسلامي وحاضر العالم الإسلامي.
١٠ ــ مسئول عن علوم الحديث.
١١ ــ مسئول عن فقه المنهج.
١٢ ــ مسئول عن علم السلوك إلى الله عز وجل.
١٣ ــ مسئول عن علم العقائد.
١٤ ــ مسئول عن الدعوة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٥ ــ مسئول عن إيجاد العلاقات الطيبة.
١٦ ــ مسئول عن الخدمات.
١٧ ــ مسئول عن مجالس الخدمة المتخصصة.
١٨ ــ مسئول عن فروض الكفاية.
١٩ ــ مسئول عن الفروض العينية.

هذا نموذج ويمكن أن تدمج عدة أعمال مع بعضها كما يمكن أن توزع بعض الأعمال والتجربة المشدودة إلى الأصول والفطرة هي التي تضع الأمور في مواضعها.

القاعدة الخامسة والعشرون

قد يحدث أن يكلف إنسان بمهمة وليس مؤهلاً لها فعليه أن يؤهل نفسه لها، فمثلاً لو كلف بتعميم علم أصول الفقه فعليه أن يبدأ المطالعة والقراءة ويشكّل حلقة الدراسة فيقرأ هو ومن يستجيب له في هذا العلم وكان من سنن علمائنا أن يقرأوا قراءة سردية لبعض الكتب دون الوقوف عند عباراتها ثم يعيدون قراءتها مرة أخرى لتفهم، ويحاول المكلف أن يجد له من يرجع إليه وبالإمكان أن يطلب هو وإخوانه من بعض المختصين أن يعطوهم دروساً في اختصاصهم.

القاعدة السادسة والعشرون

يمكن ان توجد حلقات طلاب الربانية على مستويات متعددة على مستوى مدرسة أو جامعة أو حي أو دائرة مسجد، ولا يتعارض ذلك مع بعضه فما دام الهدف هو إيصال الذكر والعلم وإحياء واجبات الدعوة والنصيحة والخدمة وإحياء فروض العين والكفاية فمهما كثرت الحلقات أو الجمعيات فلا حرج، ولو انتسب إنسان لأكثر من جمعية أو حلقة فلا حرج ما دام عنده فراغ وكان قادراً على القيام بالواجبات.

القاعدة السابعة والعشرون

تحاول حلقات إحياء الربانية ألا يكون عندها ظاهر يخالف باطناً وذلك كي لا تكون مخادعة لأعضائها فتسبب ضرراً لهم.

القاعدة الثامنة والعشرون

يمكن أن تبدأ أي مجموعة بإنشاء حلقة من حلقات طلاب الربانية وبالتالي فإن إحياء الربانية يكون قد بدأ ولكن ما تحتاجه الأمة الإسلامية بمجموعها أو قطر من أقطارها قد يحتاج إلى مؤسسات وترتيبات لا بدّ منها.

القاعدة التاسعة والعشرون

تتطلع حركة إحياء الربانية أن يشارك فيها كل مسلم، ولكن القبول للفكرة والالتزام فيها والانصهار بالذكر والعلم على ضوء المرسوم فيها هو البداية الصحيحة وإذا لم تتوفر هذه الشئون فإن طلاب الربانية يبقون حذرين من أن تحاول جهة أن تصرف هذه الحركة عن مسارها المحدد.

القاعدة الثلاثون

تحتاج حركة إحياء الربانية لتعميمها قطرياً وعالمياً إلى مؤسسات وهذا يقتضي من أهل الفضل أن يتعاونوا، كما يقتضي نوع ترتيب، والترتيبات المعتمدة ينبغي أن تكون مرنة إلى أقصى حدود المرونة وفطرية إلى أقصى حدود الفطرية.

وهذا يقتضي تراتيب إدارية كأن توجد هيئة تأسيسية وأمانة عامة على مستوى عالمي.

القاعدة الحادية والثلاثون

حركة إحياء الربانية تستهدف وجود الرباني، وأن يقوم هذا الرباني بواجبه، وحلقات طلاب الربانية ومجالس الذكر مهمتها إيجاد المناخ المناسب لذلك، وهناك معالم هامة تستهدي بها الحركة في كل مكان ولكن يبقى لكل قطر خصوصياته، وهناك حدود للحركة فيه، وعلى الربانيين في الأقطار أن يدركوا هذه الخصوصيات وهذه الحدود لتنضبط بذلك الأمور فلا تتجاوز دائرة الإمكان أو حد دائرة الأمان.

القاعدة الثانية والثلاثون

هناك الذين ينتدبون أنفسهم للسير إلى الربانية بالقيام بتكاليفها فهؤلاء ينتسبون إلى حلقات طلاب الربانية، وهذه الحلقات ينبغي أن تربط كل مسلم بمجالس الذكر وحلقات القرآن التي ترعى التلاوة وتعليم مفردات القرآن والحفظ، ومن مجالس الذكر وحلقات القرآن ينقل الإنسان إلى حلقات طلاب الربانية، وهناك حلقات فرعية يقيمها طلاب الربانية في العلوم الإسلامية فهذه بالإمكان أن تكون مفتوحة للمستفيدين وعبر هذه الحلقات يمكن نقل الإنسان كذلك إلى مجالس الذكر وحلقات القرآن وحلقات طلاب الربانية.

القاعدة الثالثة والثلاثون

أن الانتساب لحلقات طلاب الربانية يعني الالتزام بورد يومي من الذكر وتلاوة القرآن والمطالعة الهادفة للوصول إلى ثقافة الربانيين ومما يلحق بذلك حضور الاجتماعات ودخول الاعتكافات.

القاعدة الرابعة والثلاثون

لا بدّ لسالك طريق الربانية من اعتكافات تتمحض للعبادة، فإن أمكن ترتيب ذلك سنوياً في مسجد عشرة أيام في رمضان فذلك هو السنة وهو الأكمل، وإلا فمما استطاع، وأي وقت استطاع، فإذا تعذر الاعتكاف في المسجد فاعتكاف في بيت. وليحاول ألا يضيع صلاة الجماعة في المسجد وإلا ففي البيت، وليحاول في اعتكافه أن يختم القرآن مرة، وأن يذكر الله عز وجل بكل أنواع الذكر المعروفة : الاستغفار، الصلاة على رسول الله ﷺ، ويكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله، مع قيام الليل وصلاة الضحى وإقامة الصلوات الرواتب وصلاة التسابيح وما تيسّر من نوافل.

القاعدة الخامسة والثلاثون

من كلام العلماء قديماً :

« واللبيب يكفي الكتاب في ترقيه لكنه لا يسلم من رعونة نفسه »، ومن ههنا فإننا نطالب طالب الربانية بأن يبذل الجهود الشخصية ليحصل الوحدات الدراسية مع الالتزام بحلقات الربانية والانسجام مع إخوانه فيها ليحقق التواصي بالحق والتواصي بالصبر والإخاء الإسلامي العام والإخاء الإسلامي الخاص.

القاعدة السادسة والثلاثون

وحدة العمل الرئيسية لإحياء الربانية وأعمالها هي حلقة طلاب الربانية، فمتى وجدت فقد وجد الخير بإذن الله ويمكن أن تطور حلقة طلاب الربانية نفسها أو عملها وهل يشكل طلاب الربانية فيما بعد جمعية أو مجلساً في دائرة حي أو محافظة ويأخذون بذلك ترخيصاً أو أنهم لا يحتاجون في بعض الأقطار إلى ترخيص ؟ كل ذلك تجيب عليه شوراهم ولكن روح الإخاء والصلة الروحية وصلات المودة والنصيحة لا بدّ أن تعمّ جميع العاملين في حركة إحياء الربانية، وإذا وجد بطريق ودي وحبي من خلال التفاهم مكتب تنسيق للقطر أو مكتب توجيه فالعلاقة علاقة ودية وحبية وتفاهم وقناعة واقتناع فحركة إحياء الربانية لا تتورط في خصومة أو شقاق فالحب هو الذي يصهر الجميع ويحرك الجميع، وإذا فقد امرؤ الحب من نفسه لإخوانه أو نقصت قناعته في السير فلا عليه من حرج أن يحقق ذاته في عمل إسلامي آخر.

فصل : في مؤسسات الجمعية

لكل جمعية ثلاث مؤسسات :

١ ـــ مجلس الأمناء وهو مجموع الإخوة المؤسسين حتى يبلغ العدد أربعين وهو بمثابة المجلس الاستشاري.

٢ ـــ مجلس الربانيِّين وهو مجلس يضمّ كل من أخذ إجازة الربانيَّة وهو بمثابة مجلس شورى الجمعية.

٣ ـــ المجلس الإسلامي العام للجمعيّة وهو بمثابة مؤتمر الجمعية.

فصل : في انشطار الجمعية

إذا كثر أعضاء جمعية ما فعندئذ يتخذ الموجه العام إن وجد أو نقيب الجمعية قراراً بانشطارها ملاحظاً في عملية الانشطار أن يبقي العدد الكافي للجمعية الأم، وأن تكون الجمعية الجديدة قادرة على القيام بمهماتها، وأن تكون الجمعية الجديدة تغطي منطقة أو حياً أو قرية أو مجال عمل.

ويفضل حيث أمكن أن يكون لكل مسجد حلقة تسمى باسمه فتكون حلقة جامع كذا لإحياء الربانية.

فصل : في أعمال الجمعية

١ ــ إقامة مجالس الذكر
٢ ــ إقامة حلقات طلاب الربانيّة لأخذ الوحدات الدراسية الأربعة عشرة.
٣ ــ إنشاء صندوق التكافل والتشغيل.
٤ ــ تحريك العضو كفرد أو مع مجموعة نحو الدعوة إلى الله وإلى مجالس الذكر والعلم وإلى الحلقات القرآنية وإلى النصح وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٥ ــ توجيه الأعضاء نحو إقامة فروض كفائية مضيعة.
٦ ــ تنظيم الخدمة العامة لأبناء الجمعية خصوصاً، ثم للمسلمين عموماً، ثم للناس جميعاً.
٧ ــ تنظيم دورات علمية أو إنشاء مدارس للعلوم الشرعية.
٨ ــ حلّ المشكلات ورفع الظلامات وإصلاح ذات البين.

إرشادات

الإرشاد الأول :

كل عمل من الأعمال لا يتعاهده أشخاص يكونون أركاناً فيه يذبل ثم يموت، لذلك لا بدّ لكل عمل أن يخصص لإقامته عدد يعتبرونه مهمتهم الأساسية ويصبح علماً عليهم وهم علم عليه ويدخل في ذلك كل الأعمال التي تستهدف إقامتها الجمعية.

الإرشاد الثاني :

عمدة مجالس الذكر شيخ يدير الجلسة وليلحظ في مجلس الذكر ألا يكون فيه ما يمكن أن ينكر عليه سواء في ذلك الصيغ أو غيرها، وقد ورد في البخاري ومسلم صفة لمجلس الذكر تتضمن التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والدعاء، وورد الاجتماع على كتاب الله وعلى العلم فحبذا لو كانت جلسة الذكر على الشكل التالي :

١ ــ تبدأ بقراءة صفحتين من القرآن الكريم دون تفسير.
٢ ــ يصلي الحاضرون على رسول الله في حدود نصف ساعة صلاة سرية.
٣ ــ يقول الحاضرن مائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

٤ ــ ولا بأس بالإنشاد المتخيرة ألفاظه والتي تؤصل معانيه مفاهيم الربانية في النفوس.

٥ ــ تقرأ صفحتان من رياض الصالحين دون تعليق أو شرح.

٦ ــ تختم الجلسة بالدعاء.

ويتمّ ذلك كله والحاضرون جلوس.

وإذا حضر بعض أهل العلم فبالإمكان أن تكون له كلمة يقدم بها فائدة ويحرص إلا تطول الجلسة كثيراً، ويتحرى لها وقت مناسب.

الإرشاد الثالث :

مهمة حلقات طلاب الربانية، السير بالمنتسبين إليها على ضوء المناهج الدراسية، والصورة المثلى أن يكون لطلاب الحلقة اجتماع دوري، يعطون في هذا الاجتماع خلاصة لكتاب مقرر أو خلاصة لجزء منه من قبل المشرف على الحلقة ويطلب من كل منهم أن يقرأ هذا الكتاب فيما بين الاجتماعين وتكون الفرصة بين الاجتماعين كافية للتحضير وإذا أشكل على الطالب شيء يراجع فيه المشرف أو يسأل عنه إخوانه أو من يستطيع حل الإشكال، وفي الاجتماع اللاحق تكون مذاكرة في هذا الكتاب ثم تأخذ الجلسة ملخصاً لكتاب آخر وهكذا، وعلى هذه الحلقات أن تضع في برامجها أن تعطي المنتسبين إليها كل الوحدات الدراسية الثلاثة عشرة.

وينبغي أن تعدل هذه الإجازات بمجموعها إجازة الجامعات الإسلامية وزيادة، وإذا أمكن فليكن لكل حلقة مشرف ولكل علم مرجع، ويمكن أن يكون نقيب الجمعية هو المرجع والمشرف.

وينبغي أن يعطى العضو إجازة جامعة في هذه العلوم كلها وحذار أن يعطى إنسان إجازة لا يستحقها بل يجب أن تصبح الثقة بإجازة الجمعية أقوى من الثقة بإي إجازة أخرى.

الإرشاد الرابع :

١ ــ مهمة صندوق التكافل ألا يضيع عضو من أعضاء الجمعية وأن يفتح لكل عضو طريق العمل الذي يناسبه.

٢ ـــ يدفع المنتسب الاشتراك الذي يحدده مهما كان قليلاً ويدفع زكاة ماله لصندوق الجمعية إلا إذا كان هناك أحق شرعاً.

٣ ـــ يتألف صندوق الجمعية من ثلاث خزانات :

أ ـــ خزانة الاشتراكات والتبرعات.

ب ـــ خزانة الزكوات.

جـ ـــ خزانة القرض الحسن، فمن كان عنده مبلغ فائض عنه يستطيع أن يدفعه لهذا الصندوق والجمعية تكفل أن ترد للمقرض ما وضعه في الصندوق متى شاء.

٤ ـــ ينشيء كل منتسب للجمعية صندوقاً في بيته يسمى صندوق الدعوة لا يفتح هذا الصندوق إلا بقرار من الموجه العام.

الإرشاد الخامس :

تنظم الحلقة العلمية أمر الدعوة إلى الله بحيث يكون لكل فرد فيها مهمة دعوية : دعوة إلى مجالس ذكر الجمعية، ودعوة إلى حلقاتها، ودعوة إلى كتبها المعتمدة، والتذكير لأهله ولمن يعيش في دائرتهم، وإنشاء حلقة قرآنية.

الإرشاد السادس :

تبحث الجمعية عن فروض كفائية مضيعة في دائرتها أو في دوائر أخرى فتتلقى الاقتراحات وتدرسها وتبلورها بمشاريع عملية واقعية، وتدفع كل فرد من أفرادها نحو التخصص إما في فريضة كفائية شرعية أو في فريضة كفائية حياتية ويتخيّر نقيب الجمعية لمتابعة هذه المهمة أحد الأعضاء ويشرف هو على هذا الموضوع إشرافاً مركزياً ومن الأمور المهمة : إنشاء المكتبات ودور النشر.

الإرشاد السابع :

يكون في الجمعية مسئول عن تنظيم الخدمة العامة ويساعده في ذلك مساعدون وأي عضو تطلب منه خدمة جائزة شرعاً ومستطاعة له فعليه أن يؤديها.

الإرشاد الثامن :

تحاول كل جمعية أن يكون لها مدرسة أهلية للعلوم الشرعية يكون دوامها في الأوقات المسائية بحيث تتيح للراغبين فرص الوصول إلى الكمال العلمي.

فصل : في العضوية

درجات العضوية في الجمعية :

١ ـــ منتسب فطالب فعضو فمتخصص.

٢ ـــ المنتسب هو من التزم بإقامة الفرائض وترك المحرمات والتزم بورد من الذكر وقراءة القرآن والمطالعة المفيدة والرياضة اليومية وحضور مجالس الذكر والعلم وحب العلماء وأهل الإيمان فمن وفى بالتزامه فهو المنتسب.

٣ ـــ الطالب هو من التزم مع ما ذكر بدراسة الوحدات الدراسية الأربعة عشرة للجمعية فمن تخرج بها فهو العضو.

٤ ـــ العضو هو من حصل إجازة العلوم الأربعة عشر .

٥ ـــ المتخصص هو من أعطي إجازة تخصص بفرض من فروض الكفاية.

والعبرة في العضوية للتحقق بصرف النظر عن الأسلوب.

فقد يتحقق إنسان بالعضوية من خلال الدراسة والعمل والالتزام والمراسلة وقد يتحقق بها من خلال صلة شخصية بنقيب الجمعية أو بالموجه العام وقد يتحقق بها من خلال صلة شخصية بأحد أعضاء الجمعية وقد يتحقق بها من خلال ذلك كله مع الانتساب لحلقات الجمعية ومدارسها ومجالسها.

إذا تجمع عدد ما واتفقوا على تأسيس جمعية لإحياء الربانيّة على ضوء المنهج فإنهم يختارون من بينهم نقيباً لهم وهذا النقيب مع هؤلاء المؤسسين يعتبرون مجلس الأمناء الذي له كل الصلاحيات حتى توجد درجات العضوية الحقيقية.

فصل : في مكتب التنسيق

يكون لكل قطر مكتب تنسيق يتبع الأمانة العامة لحركة إحياء الربانيّة مهمته متابعة تغطية القطر بجمعيات الحركة والتنسيق بين نشاطات الجمعيات وبين النشاطات الإسلامية الأخرى.

فصل : في الهيئة التأسيسية والأمانة العامة

يكون لحركة إحياء الربانية هيئة تأسيسية عالمية وأمانة عامة تسعى لاقامة جامعة وترتب وتعمّم توجهات الحركة.

خاتمة وخلاصة

الربانية ثقافة وأخلاق وروحانية وعمل، وهي تحتاج إلى إحياء، وعلى إحيائها يتوقف مستقبل الإسلام، وإحياؤها يحتاج إلى ذكر وعلم وتعاون وترتيب، ونجاح الحركة يتوقف على إيصالها ووصولها إلى كل مسلم ومسلمة، وكل مسلم ومسلمة مطالب بالوصول إلى الربانية.

قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[1].

وقال : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾[2].

وإذا بحثت عن المؤهلين ليقوموا بهذا الدور لوجدتهم الربانيِّين : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾[3]. ﴿ **ولكن كونوا ربانيِّين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[4] ومن ههنا كان لا بدّ من إحياء رتبة الربانية :

---

(١) سورة آل عمران: (١٠٤).

(٢) سورة التوبة: (١٢٢).

(٣) سورة المائدة: (٦٣).

(٤) سورة آل عمران: (٧٩).

ولا ربانية إلا بعلم : ﴿ **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنت تدرسون** ﴾ ولا ربانية إلا بذكر : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[1].

ولا ربانية إلا بنصيحة : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾.

ولا ربانية إلا بخدمة : ﴿**أذلة على المؤمنين**﴾[2]

ولا ربانية إلا بإقامة فروض العين والكفاية : ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير** ﴾[3]. ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه** ﴾[4].

ومن ههنا نريد سيراً ربانياً يلتزم فيه المسلم بالعلم والذكر والنصيحة والخدمة وإقامة فروض العين وفروض الكفاية.

ونريد حلقات طلاب الربانيّة التي تتعاون بها الحلقة مع السير الفردي على إقامة هذه الأمور الخمسة.

ونريد جمعيات إحياء الربانيَّة التي تلتزم بإيجاد كل ما يلزم لإشاعة هذه المعاني الخمسة وإقامتها. فعلى مستوى الذكر نريد إحياء مجالس الذكر والمداومة على الأوراد اليومية من الأذكار وتلاوة القرآن وحفظه وحلقات القرآن والاعتكافات وما يلزم ذلك.

وعلى مستوى العلم نريد حلقات العلم وحلقات القرآن والمدارس العلمية والجامعات العلمية التي تخرج المسلم المستوعب لثقافة الربانيِّين والمختص بفرض من فروض الكفاية.

وعلى مستوى النصيحة ينبغي إحياء الدعوة الفردية والجماعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى مستوى الخدمة ينبغي إحياء عيادة المريض وإغاثة الملهوف وإدخال السرور على قلوب المسلمين وقضاء حاجاتهم.

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١).

(٢) سورة المائدة: (٥٤).

(٣) سورة آل عمران: (١٤٦).

(٤) سورة الفتح: (٨).

وعلى مستوى إقامة فروض العين والكفايات ينبغي إحصاؤها وتكليف من يقوم بها وإيجاد المؤسسات والمجالس التي تقيمها.

* * *

ولعلك رأيت أن إحياء الربانية فريضة العصر، والكينونة مع الربانيين والاخذ منهم من فرائض الله **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[1]. والصادقون هم ورّاث النبوة في العلم والجهاد.

وهذا يقتضي منك نية وعزيمة والتزاماً أن تسير في طريق الربانية وأن تعمل لإقامة حلقات طلاب الربانية وأن تسعى لتعميم ثقافة الربانيين وأخلاقيتهم وتوجهاتهم نحو إقامة الإسلام.

والمطلوب منك :

على مستوى الذكر : أن تلتزم يوميّاً بورد من الأذكار وبورد من تلاوة القرآن وبورد من حفظ القرآن وبحضور مجلس من مجالس الذكر المأثور أسبوعيّاً ومحاولة إقامة سنة الاعتكاف.

وعلى مستوى العلم : أن تلتزم بالسير نحو استيعاب الثقافة الإسلامية المتكاملة التي حدّدناها بأربع عشرة وحدة دراسية، وأن تحاول الاختصاص بفرض من فروض الكفاية وأن تلتزم بالتلمذة على العلماء.

وعلى مستوى النصيحة : أن تنصح أهلك وجيرانك ومن لك بهم صلة وأئمة المسلمين وعامتهم.

وعلى مستوى الخدمة : أن تخدم أهلك وجيرانك والمسلمين.

وعلى مستوى إقامة فروض العين والكفايات : أن تبذل جهداً في ذاتك لإقامة ما تستطيع من ذلك وأن تبذل جهداً خارج ذاتك في ذلك كله.

والله ولي التوفيق نسأله الحفظ والسلامة.

---

(١) سورة التوبة: (١١٩).



فهرس الرسالة الرابعة

إحياء الربانية



الرسالة الخامسة :

إجازة تخصص الدعاة



المقدمة

من قوله عليه الصلاة والسلام: « لا يقصّ على الناس إلّا أمير أو مأمور أو مختال » وفي رواية: « أو مراءٍ »[1] أخذ العلماء فكرة الإجازة، ولهم في ذلك أدلّة أخرى، ولم تزل الأمة الاسلامية تتوارث فكرة الإجازة التي أصبحت الآن فكرة متفقاً عليها بين بني الإنسان فالعالم كله في مؤسساته الثقافية والتعليمية يعتمد فكرة الإجازة، ولقد توارث المسلمون فكرة الإجازة وتوسّعوا بها، فمَن درس كتاباً على شيخ أخذ إجازةً فيها، [ومَن حصل علماً أخذ إجازة فيه، ومَن تخرّج على شيخ أخذ إجازة منه]، ومَن أصبح صالحاً للدعوة والتربية والارشاد أجازه شيوخه في ذلك، واعتبروا الإجازة من الأهميّة بالمكان الكبير، ذلك لأنها علامة على النضج ولأنها تخرج الانسان من حظوظه النفسية. وفي الفترة الأخيرة شهد العالم الاسلامي انتقال فكرة الإجازة إلى المؤسسات، كما شهد إنحصار فكرة الإجازة إلى دوائر محدودة، وفي كل الأحوال لم يعد لإجازة الشيوخ شأنها الكبير وخاصة في باب الدعوة إلى الله إلّا في بعض الدوائر، فاقتضى ذلك منّا تركيزاً على هذا الموضوع فكانت هذه الرسالة. وفي الأصل فإن الداعية الكامل هو من اجتمع له ولاية وإرشاد، قال تعالى: ﴿ **ومَن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً** ﴾[2].

وقد انفصلت فكرة الولاية عن رتبة الإرشاد، فوجدنا مَن يقوم بالإرشاد وليس عنده صلاح قلب ونيّة وعمل، ووجدنا صالحاً لا يقوم بالإرشاد، ووجدنا مرشداً

---

(١) أخرجه عن ابن عمرو: أحمد وابن ماجة وهو حديث صحيح.

(٢) سورة الكهف: (١٧).

لا يعرف الساحة التي يرشد الخلق إليها، ومن قبل جعل أهل السلوك إلى الله علاماتٍ لترقي الانسان قلبياً، وجعل العلماء أسساً للوصول إلى رتبة الرسوخ في العلم، ومَن اجتمع له رسوخ في العلم وسير قلبي كامل فذلك هو المرشد الكامل وذلك هو الداعية الكامل، وقد ضعفت هذه المعاني في الذين يتخرّجون من مؤسساتٍ كما ضعفت في دوائر الذين يتخرّجون على يد الشيوخ. أمّا أبناء الدعوة الإسلامية المعاصرة فقد أغفلوا فكرة الإجازة من أساسها ولم يضعوا للداعية الكامل برنامجاً قلبياً وعبادياً وعلمياً تكون على أساسه الإجازة، وبالتالي فإن فكرة الولي المرشد أو المرشد الكامل أو الداعية الكامل لم تأخذ محلّها في واقع الدعوة، وقد اقتضى ذلك منا أن نذكر بهذا الموضوع.

ولم تزل مشكلة المسلمين في العالم ثقافية بالدرجة الأولى، ولحلّ هذه المشكلة لا بدّ من الاجابة على أسئلة ثلاثة : ما هي الثقافة التي يجب إيصالها إلى كل مسلم ومسلمة ؟ ومَن الذي يوصل هذه الثقافة ؟ وكيف نوصل هذه الثقافة ؟

ولا شكّ أن السؤالين الأخيرين مرتبطان بالسؤال الأول، والإجابة الصحيحة على السؤال الأول هي : أن الداعية الكامل هو المرشّح لتعميم الثقافة الاسلامية، ولكن مَن هو الداعية الكامل ؟ ما ثقافته ؟ ما تربيته ؟ ما أخلاقه ؟ ما حاله القلبي مع الله ؟ ما سلوكه مع الناس ؟. كل ذلك يحتاج إلى بيانٍ وإلى قواعد وأسسٍ وإلى جهة تحسن التقييم وتعطي على ضوئه إجازة.

وإنه لمن العجيب أن تعتمد مهنة المحاماة على فكرة التدريب بعد الإجازة في القانون، وأن تعتمد مهنة الطب على التدريب مع الثقافة الطبيّة، ولا تعتمد الدعوة إلى الله على الثقافة المحدّدة، ولا على التخرّج على يد الناضجين في الدعوة إلى الله، وألّا تُعطى فكرة الإجازة في الدعوة إلى الله من أهلها أهمية تُذكر.

فكانت هذه الرسالة لتلافي خلل وسد نقص في أعظم ميدانٍ، هو ميدان الدعوة إلى الله.

ولتحقيق مقاصد هذه الرسالة فقد كتبنا فيها الفصول التالية :
الفصل الأول : الولاية شرط في الداعية الكامل.
الفصل الثاني : الثقافة الإسلامية المتكاملة شرط في الداعية الكامل.
الفصل الثالث : في أن الخصائص والصفات والقدرة على التربية والتعليم شرط في الداعية الكامل.

الفصل الرابع : الإجازة شرط في الداعية الكامل.
الفصل الخامس : في زي الداعية الكامل وفي انتمائه.
الفصل السادس : في العلاقات بين الدعاة.
الفصل السابع : في المجالين الأكثر أهمية لعمل الداعية.
الفصل الثامن : في دليل العمل الدعوي.
خاتمة

الفصل الأول

في أن الولاية شرط في الداعية الكامل

إن الداعية إلى الله عزّ وجلّ منقذ لنفسه ولغيره من النار من كل مظاهر غضب الله، وذلك يقتضي أن يكون من أولياء الله، قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتّقون** ﴾[1].

وأول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر الولاية أن الولي هو مَن ترك الكبائر ولم يصرّ على صغيرة، ومَن أقبل على الله بالفرائض والنوافل.

وهذا باب واسع، فالذنوب التي تدخل صاحبها النار قسمان : ظاهرة وباطنة، والله تعالى يقول : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾[2]وقد ورد في النصوص ما يفيد أن الرياء يدخل صاحبه النار، وأن الكِبْر يدخل صاحبه النار، وهذا من باطن الإثم، والولي منزّه عن ذلك، والكبائر الظاهرة تدخل صاحبها النار، والمعروف عند العلماء أن الإصرار على الصغيرة كبيرة. فمظنّة الولاية ذلك الانسان الذي لا يرتكب كبيرة ولا يصرّ على صغيرة وقلبه منزّه عن باطن الإثم، وكما هو كذلك فإنه مقبل على الله عزّ وجلّ بالفرائض والنوافل، نأخذ ذلك من الحديث القدسي الذي رواه البخاري: « مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه،

---

(١) سورة يونس: (٦٢ ــ ٦٣).

(٢) سورة الأنعام: (١٢٠).

ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه » والفرائض على أنواع، فمنها فرض العين الذي يدخل فيه فرض العصر وفرض الوقت، ومنها فروض الكفاية المتعيّنة على الانسان، ومنها الفروض الظاهرة ومنها الفروض الباطنة كالإخلاص والتوكّل وخشية الله تعالى، وطمأنينة القلب باليقين، ولا شك أن الذكر بفروضه ومندوباته هو العامل الأكبر في الوصول إلى الولاية، ويدخل في الذكر الصلاة وقراءة القرآن، والأذكار المطلقة، والدعوات وأذكار المناسبات. قال تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[1]. فلا طمأنينة للقلب إلّا بكثرة الذكر، ولا ولاية إلّا بطمأنينة قلب. قال تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[2]ولأهمية الذكر في تحصيل الولاية قال أهل السلوك إلى الله : الذكر منشور الولاية.

ومن الأمور الغامضة عند الكثيرين أن الولاية منوطة بسلامة القلب وتنوّره وصفائه، والأمر واضح في النصوص. قال تعالى : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا مَن أتى بقلب سليم** ﴾[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » ولم يزل كبار العارفين وكبار الدعاة في التاريخ يضعون القواعد والضوابط والأصول للوصول إلى القلب السليم، ولم تزل اجتهاداتهم في ضرورة انتقال القلب من الغفلة إلى اليقظة إلى الحضور، ومن الشهوات إلى المشاهدات.

إن اجتهاداتهم في هذه الشؤون من أرقى الاجتهادات وقد وجد في كلامهم ما يبين الطريق للانتقال من نفس إلى نفس، والانتقال من حالٍ قلبي إلى حال قلبي، وعلامات الوصول إلى النور القلبي، وكتبهم طافحة في ذلك وكل ذلك ليتحقّق الانسان برتبة الولاية.

وإنما جعلنا الولاية شرطاً في كمال الدعوة إلى الله أخذاً من النص القرآني : ﴿ **ومَن يضلّل فلن تجد له وليًّا مرشداً** ﴾[4]. فهذا النص يفهم أن الغاية في الهداية

---

(١) سورة الرعد: (٢٨).

(٢) سورة الفجر: (٢٧).

(٣) سورة الشعراء: (٨٨ — ٨٩).

(٤) سورة الكهف: (١٧).

هو الولي المرشد، فمَن أراد الله إضلاله لا تنفعه حتى هداية الولي المرشد. ومن المتعارف عليه بين الناس أن قوة تأثير الكلمة منوطة بحال الانسان، فمَن لم يتحقق بالولاية ظاهراً وباطناً فقوة تأثيره إن بالقدوة أو بالكلمة تبقى ضعيفة.

قال ابن عطاء رحمه الله في حكمه: « تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير. كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز. مَن أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته. ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار. عباراتهم اما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد. فالأول حال السالكين. والثاني حال أرباب المكنة والمحقّقين. العبارة قوّة لعائلة المستمعين وليس لك إلّا ما أنت له آكل. ربما عبر عن المقام مَن استشرف عليه. وربما عبّر عنه مَن وصل إليه وذلك يلتبس إلّا على صاحب البصيرة لا ينبغي للسالك أن يعبّر عن وارداته فان ذلك يقلّ عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه ».

وللوصول إلى نورانية القلب التي لا بدّ منها للولاية، فإنه لا بدّ من الإقبال على الله بالعبادة على ضوء العلم، ولا بدّ من مجالسة الصالحين والأخذ عنهم، ولا شك أن التلمذة على العلماء الربانيين تساعد على تهذيب القلب وتنوّره. والعبرة في النهاية لاستقامة الظاهر والباطن.

ونحن ننصح اخواننا للوصول الى مقام الولاية بما يلي:

١ ــ أن يحافظوا على الصلوات الخمس وعلى رواتبها وقيام الليل وسنة الضحى وغير ذلك، وأن يتتبّعوا ما ورد في الصلاة وأذكارها وأن يقيموه.

٢ ــ أن يصوموا رمضان ويكثروا من صوم النافلة.

٣ ــ أن يؤدّوا زكوات أموالهم وصدقة الفطر وأن يكثروا من الصدقات وإطعام الطعام وإكرام الضيف.

٤ ــ أن يبدأوا بوردٍ يومي يحافظون عليه من الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وقول لا إله إلا الله، وتلاوة القرآن بما لا يقلّ عن ثلاثة أرباع الجزء.

٥ ــ أن يذكروا الله بالأذكار المطلقة التي وردت بها السنة من مثل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم.

وننصح أن يجتمع له الذكر مع الفكر، قال تعالى : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكّرون في خلق السموات والأرض** ﴾[1]. ولقد دأبنا على نصيحة إخواننا بأن يكرّروا في حياتهم ذكر الله تعالى سبعين ألف مرة أو سبعة آلاف لكل ذكر من الأذكار المطلقة، وكنا نطالبهم أن يجمعوا مع الذكر الفكر، فمثلاً عندما يذكر الانسان الله بقوله : سبحان الله، نطالبه بأن يتفكر في الأرض والسمٰوات والمجرات والعرش والكرسي وهو يكثر من قوله : سبحان الله ملاحظاً أن الله عزّ وجلّ منزّه عن النقص ومنزّه عن مشابهة المخلوقات، وكذلك عندما يقول : الله أكبر، يتذكّر هذا الكون وأن الله أعظم وأجلّ، وكذلك عندما يقول : لا إله إلا الله، يتفكّر في هذا الكون وأنه لا يستحق العبادة والعبودية إلا هو جلّ جلاله، وليحذر وهو يذكر الله أن يتفكّر في ذات الله، وإذا وسوس له الشيطان فليعلم أن الله معه، فمهما ذهب بخياله فليعلم أن الله معه معيَّةً ليس كمثلها شيء.

وهكذا فليجدّد المسلم أذكاره سبعين ألف مرة كل حينٍ أو سبعة آلاف. فإن كل ذكر مأثور له أثره في إصلاح القلب وتنويره.

وإنما ذكرنا السبعين ألفاً أو السبعة آلاف لأننا مأمورون بالذكر الكثير. وقد جرت عادة العرب أن تعبّر بالسبع وبالسبعين عن الكثرة.

٦ ــ أن يقرأ الإنسان الوظيفة الكبرى أو الصغرى للأستاذ البنا رحمه الله، فإنها فيما علمناه أعذب وردٍ وأجود ما يلتزم به الإنسان في ما فيه صلاح الدنيا والآخرة. فإن استطاع الإنسان أن يقرأها مرتين في اليوم فبها، وإلا مرة في اليوم وإلا فمرة في الأسبوع.

٧ ــ أن يلتزم بأذكار المناسبات ودعواتها وفي رسالة المأثورات للأستاذ البنا رحمه الله تذكير بأمهات ذلك.

٨ ــ ولا ينسَ المسلم أن حفظ القرآن وتلاوته ذكر وأن العلوم الشرعية كلها ذكر، فليأخذ حظه من القرآن ومن مطالعة كتب العلم ومن حضور حلقات العلم.

---

(١) سورة آل عمران: (١٩٠ ــ ١٩١).

٩ ــ أن يحضر حلقات الذكر والتذكير المتحقّقة بالآداب الشرعية.

١٠ ــ أن يكثر من مجالسة الصالحين وأن يقصدهم بالزيارة والاجتماع وأن يتأدّب معهم وأن يكثر من الإخوان في الله وأن تكون جلساته معهم تحت شعار : (تعال نؤمن بربنا ساعة).

الفصل الثاني

في أن الثقافة الإسلامية المتكاملة شرط في الداعية الكامل

قال الله تعالى: ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[1]. فالملاحظ في هذه الآية أن دراسة الربانيين أطلقت مما يدلّ على أن دراسة الربانيين متعدّدة الجوانب والأنواع والألوان. والواقع العملي يشهد أن البيئة أو الزمان أو المكان تفرض جديداً في العلم، ولا يتأتى العلم الشامل المتكامل في عصرنا إلا إذا اجتمع للإنسان مطالعة خاصة وأخذ لبعض أنواع العلوم عن أهلها كالتجويد وعلم الميراث وبعض علوم العربية، ومجالسة للعلماء ومذاكرة معهم، ولا شك أن تحديد المواد التي ينبغي دراستها وتخير الكتب في كل مادة أمر أساسي ورئيسي، فبدون إحصاء المواد لا يكون عند الإنسان تكامل، وبدون اختيار أفضل الكتب في كل مادة، قد يترك الأهم إلى المهم أو يترك المهم إلى غيره، وتخير الكتاب أساسي في عصرنا لأن هناك كتباً تلاحظ احتياجات العصر كما أن هناك كتباً موثقة تتفق مع العقيدة الصحيحة والفتوى الصحيحة، وهذا مهم لأنا في عصر كثُر فيه الشذوذ في العقائد، وكثُر فيه التساهل في الفتوى، ومما تنبغي ملاحظته أن كتب عقائد أهل السنة والجماعة القديمة عالجت ما يتنافى معها، ولكنه بالغزو الفكري الحديث أصبحت كثير من القضايا العقدية تحتاج إلى تصحيح، وإذا عرفنا أن التأويل الجاهل والدعوة

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

المبطلة والتحريف الغالي أمراض تواجه الأمة الإسلامية في كل عصر، فإن الزاد الثقافي للداعية يجب أن يُلاحظ فيه الكمال الذي يقدر معه على معالجة هذه الأمراض بالحجة والبينة، قال رسول الله ﷺ: « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين »[1] ومن هٰهنا كان لنوعين من العلوم أهمية خاصة: علوم اللغة العربية، وعلم أصول الفقه. فالتبحّر في هذين العلمين يعصم عن التأويل الجاهل، والتحريف الغالي.

ونحن نرى أن المواد التي لا بدّ منها يمكن إجمالها في عشر مواد:

أولاً: القرآن وعلومه.

ثانياً: السنة وعلومها.

ثالثاً: أصول الفقه.

رابعاً: علوم اللغة العربية.

خامساً: عقائد أهل السنة والجماعة في القديم والحديث.

سادساً: فقه أئمة الاجتهاد من أهل السنة والجماعة.

سابعاً: علم التربية والاخلاق والسلوك.

ثامناً: الدراسات الإسلامية الحديثة.

تاسعاً: فقه الدعوة والحركة.

عاشراً: التاريخ الإسلامي.

وكما قلنا من قبل فإنه لا بدّ من تحديد المواد ولا بدّ من حسن الاختيار للكتب الموثقة، ولذلك فإننا نتكلم عمّا يدخل في كل مادة، وعن بعض الكتب الموثقة.

أولاً ــ القرآن وعلومه

إن المطلوب الأعلى من الداعية أن يتقن علوم القرآن. ولعل كتاب «مناهل العرفان» يعتبر قمّة في ذلك، وأن يتقن تلاوة القرآن على قراءة متواترة مع معرفة أحكامها بأن يتلقّن علم التلاوة وأن يقرأ القرآن على متقن، وأن يعرف مفردات القرآن وكتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » للشيخ حسنين مخلوف كتاب جيّد، وأن يقرأ كتاباً موسّعاً في التفسير ولعل كتابنا الأساس في التفسير يصلح لدراسات الداعية، وينبغي أن يحفظ الداعية القرآن أو بعضه، وأن يديم التلاوة في القرآن مع التدبر.

---

(١) رواه الخطيب وغيره وصحّحه العلماء منهم الإمام أحمد

ثانياً ـ السنّة وعلومها

لا بدّ للداعية أن يتقن كتاباً في مصطلح الحديث وأن يتعرّف على أقصى ما يستطيع من المكتبة الحديثية وأن يتعرّف على كتب الجرح والتعديل وعلى علم الرجال وأن يطلع على أشهر متون السنة وأن يتقن فقه السنة. ولعل كتابنا الأساس في السنة وفقهها يصلح للداعية، ومما ينبغي للداعية أن يكثر من حفظ متون السنة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإن مما يحسن بالداعية ألا يكون هناك موضوع من المواضيع إلا ويحفظ فيه شيئاً من السنة النبوية، ومن المناسب أن يكون على صلة بعالم من علماء الهدى يتدرّج معه في علوم الحديث ويراجعه.

ثالثاً ـ علم أصول الفقه

وهذا العلم من أهم العلوم التي تعصم الداعية عن الخطأ وتجعله متمسّكاً بمذاهب أهل السنة والجماعة الاعتقادية والفقهية وتجعله دقيق العبارة. علمي التفكير يضع كل شيء في محلّه في هيكل العلوم الشرعية وفي هيكل الشريعة، وقد أصبح علم أصول الفقه بحاجة إلى كتابة جديدة تستوعب القديم وتستشرف على الجديد.

رابعاً ـ علوم اللغة العربية

إنه ندر أن يستكمل إنسان دراسات اللغة العربية في عصرنا، والداعية لا بدّ أن يتقن هذه اللغة ودقائق أسرارها. للفهم وللعطاء العلمي ولذلك ينبغي أن تكون له مطالعاته ومراجعاته في قواميس اللغة العربية. وأن تكون له معرفته بالنحو والصرف وبعلوم البلاغة الثلاثة : البيان والمعاني والبديع وأن تكون له معرفته بالخط العربي والاملاء فيكون خطّه جميلاً وكتابته صحيحة ولا بدّ أن يعرف فقه اللغة وما تتميّز به اللغة العربية، وأن يتمرّس في معرفة تاريخ اللغة وآداب العربية وأن يستكمل ثقافته اللغوية التي تجعله قادراً على الخطابة والمحاضرة والكتابة والدرس والترقيم.

خامساً ـ علم العقائد

إنه بعد افتراق الامة الإسلامية على ثلاث وسبعين فرقة. وبعد وجود الغزو الفكري الحديث لا بدّ للداعية أن يدرس عقائد أهل السنة والجماعة وخطأ العقائد القديمة والحديثة التي يواجهها الداعية في حياته.

سادساً ــ الفقه الإسلامي

لا بدّ للداعية أن يدرس كتاباً جامعاً في فقه مذهب من المذاهب الفقهية المعتمدة عند أهل السنّة والجماعة كأن يدرس فقه مذهب من المذاهب الأربعة وأن تكون له دراساته الفقهية في المسائل الكثيرة الوقوع. فيتعرّف على آراء أئمّة الاجتهاد فيها ومما ينبغي أن يلاحظ في الفقه أن يأخذ الإنسان الفقه على فقيه أو أن يطالع الفقه ويراجع فقيهاً ومن المناسب أن يقرأ كمقدمة لدراسة الفقه كتابنا « جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما ».

سابعاً ــ التربية والسلوك

إنه من الندرة بمكان أن نجد الكتاب الصافي الذي يركّز على التزكية النفسية والقلبية والحياة الروحية ومن ثم فقد حاولنا تدارك هذا النقص فكتبنا سلسلة « في التربية والتزكية والسلوك » وهي تتألف من ثلاثة كتب : ١ ــ تربيتنا الروحية، ٢ ــ المستخلص في تزكية الأنفس، ٣ ــ مذكرات في منازل الصديقين والربانيين. وإنه لمن المناسب للداعية أن يقرأها وأن يراجع العلماء في غامضها وأن يكثر معها من مجالسة الصالحين.

ثامناً ــ التاريخ الإسلامي

كلنا يعرف مقدار تركيز المستشرقين ودعاة الغزو الفكري على التاريخ وعلى فلسفته وعلى استنباط قواعد فيه لينفذوا من خلال ذلك إلى غاياتهم وليوجّهوا العقل المسلم فيما يحقّق أغراضهم ودعواتهم ومن هُهنا كانت دراسة التاريخ واستقراء أحداثه وتحليل قضاياه الكبرى ضرورة حيّة ولا بدّ منها لثقافة الداعية.

تاسعاً وعاشراً ــ الدراسات الإسلامية الحديثة عامة وفقه الدعوة خاصة

إن المكتبة الإسلامية الحديثة مليئة بالكتب التي تعمّق الفهم وتقوّي الوعي ولقد كان مما انفردت به الدراسات الإسلامية الحديثة الكتابة في أنظمة الإسلام، ومن

هٰهنا كانت الكتب في أنظمة الإسلام ذات أهمية خاصة، وخاصة إذا دخلت أنظمة الإسلام ضمن بناء الإسلام المتكامل، ومن هٰهنا كتبنا سلسلة الأصول الثلاثة (الله ـــ الرسول (ص) ـــ الإسلام) ونرى أنه لا بدّ منها لثقافة الداعية وليقرأ بعد ذلك على بصيرة ما يُتاح له من كتب المكتبة الإسلامية الحديثة وإن مما تميّزت به المكتبة الإسلامية الحديثة كتب فقه الدعوة المعاصرة لأنها كتابة لهذا العصر ومن ثم فإن الداعية بحاجة إليها، ومن أهم ما يقرأه الداعية مذكرات الأستاذ البنا ورسائله وممّا كتبناه في خدمة هذا الموضوع سلسلة في البناء وهي تتألف من :«جند الله ثقافة وأخلاقاً، من أجل خطوة الى الأمام على طريق الجهاد المبارك، فصول في الامرة والأمير، المدخل...، كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر، دروس في العمل الإسلامي، في آفاق التعاليم، ومجموعة الرسائل التي تعالج قضايا دعوية معاصرة» ونحن نرى أنه من المناسب للداعية أن يطالع ما أمكن من دراسات فقه الدعوة مما أنتجته الأقلام الإسلامية الأمينة.

هذه عشر مواد ينبغي أن تدخل في ثقافة الداعية إن بشكل واسع أو بشكل مختصر ولكن لا بدّ للداعية أن يلمّ بها جميعاً. ومع تركيزنا على هذه المواد العشر فإننا نركّز على أن يستكمل الداعية ثقافة العصر الذي يعيش فيه من خلال مطالعات خاصة وعامة في الكتب والمجلات والجرائد ومن خلال استماعه إلى ما يفيد ولا يضرّ لأن الداعية إذا لم يحصّل ثقافة واسعة يكون غريباً عنه ويكون كلامه بعيداً عمّا يحتاجه الناس.

هذا ونحن نؤكّد على أن المتخصّصين في الشريعة بحاجة إلى استكمال الثقافة الإسلامية والمعاصرة كما ان المتخصّصين في العلوم الأخرى مرشّحون لأن يكونوا دعاة بل ينبغي أن تطمح أبصار كل مسلم إلى أن يكون داعية ولعل مما يساعد على ذلك كثرة الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ وزيارات أهل العلم والدعوة والصلاح ومراقبة طرائقهم في الإفادة وسؤالهم إذا سكتوا فالعلم ينال بكثرة سؤال فيما يحسن السؤال عنه.

هذا ونحن ندعو الداعية لإنشاء مدرسة شعبية حوله يعطي فيها مواد الثقافة الإسلامية إمّا علماً بعد علم أو يتخيّر بأن يقسم المواد كلها على مراحل ويعطي إجازة لكل مرحلة وكما أن مراحل الدراسة المعتادة في عصرنا ابتدائية فإعدادية فثانوية فجامعية فدراسات عليا فكذلك بالإمكان أن توزّع دراسات تخصّص الداعية إلى خمس مراحل وأن يرافق ذلك التطبيق العملي بحيث يتخرّج مريد الإرشاد برتبة أستاذ مرشد ولنا عودة على هذا الموضوع.

الفصل الثالث

في أن الخصائص والصفات والقدرة على التعليم والتربية شرط في الداعية الكامل

يفترض في الداعية أن يكون وارثاً لرسول الله ﷺ، ومتأسياً به، وللرسل عليهم الصلاة والسلام صفات أساسية أربع: الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، ووارث النبوّة ينبغي أن يكون له حظّه من هذه الصفات الأربع.

فالصدق هو الطريق إلى الصّديقيّة وفي الحديث الصحيح : « لا يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ». ويدخل في الصدق تحرّي الدقة في الكلام وفي النصيحة وفي النقل وفي الموضوعية العلمية، فإذا نصح الداعية صَدَقَ المنصوح، فلا ينصح إلّا بما فيه خير الدنيا والآخرة، وإذا تكلم أو نقل فإنه يصدق في كلامه ونقله سواء نقل عن إنسان أو عن كتاب، وإذا تكلم في موضوع فإنه يتحرّى ألّا يتكلم بالظن والحدس والتخمين وإنما يكون كلامه على غاية من العلمية التي تجعله محل رضوان الله ثم محل ثقة الناس.

والأمانة هي القيام بالتكليف ويدخل في التكليف القيام بالفرائض والنوافل والآداب وما تقتضيه المروءات، ويدخل في التكليف ترك المحرمات والمكروهات وما ينافي المروءات، والفرائض قسمان : فمنها الظاهرة ومنها الباطنة كالإخلاص. والمحرّمات قسمان : فمنها الظاهرة كشرب الخمر ومنها الباطنة كالحسد والعجب والرياء، ومن

الفروض ما هو فرض عينٍ ومنها ما هو فرض كفاية، وهناك فروض العصر وفروض الوقت وكل ذلك يلحظه الداعية إن في نفسه أو في غيره.

والفطانة هي القدرة على إقامة الحجة، وقد أصبح الأمر في عصرنا في غاية التعقيد بسبب من كثرة الاجتهادات السياسية والفلسفية، وكثرة أجهزة الإعلام وعموم الثقافة.

ومن ههنا فإن الداعية ليس مهمته إقامة الحجة على أصل الإسلام وإنما عليه أن يقيم الحجة على كل ما يتنافى مع الإسلام سواء في ذلك العقائد أو المواقف أو السلوكيات أو الاجتهادات السياسية وغيرها. ولا يكتفي بإقامة الحجة على ما ينافي الإسلام، وإنما يقيم حجة الله على خلقه في كل ما هو من الإسلام.

ويدخل في التبليغ الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويظهر ذلك في تنظيم الدروس والمحاضرات، وفي الكتابة والخطابة، وفي الحديث العادي وفي الجلسات العامة، فالداعية لا يترك فرصة ولا لقاء إلّا وله كلمة يذكّر بها أو يعلّم.

ويدخل في التبليغ بشكل أخصّ التعليم المستمر والتزكية، قال رسول الله ﷺ: « إنما بعثت معلماً ». وقال: « بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق ». وقد قال الله عزّ وجلّ في رسوله ﷺ: ﴿ **يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[2].

فالداعية معلم ومربٍّ ومزكٍّ للأنفس، ولقد رأينا من شيوخنا مَن يجلس الساعات الطوال مع تلميذ واحد لتدريس كتاب في العقيدة أو في الفقه أو في اللغة العربية أو في غير ذلك.

ونحن الآن نرى في كثير من الأحيان زهداً في التعليم الشعبي كما نرى أن كثيراً من الدعاة يكتفون بالكلام العام دون تدريس التفصيلات، ويبتعدون عن تدريس العلوم الشرعية التخصّصية إن في بيوتهم أو في المساجد مع أن المفروض في الداعية أن يجعل مسجده مدرسة للعلوم الشرعية ومركزاً للمحاضرات الأسبوعية، وهو مع ذلك على صلة بالمؤسسات الاجتماعية، ومهما دُعي إلى محاضرة أو درس للدعوة إلى الله فإنه يستجيب.

---

(١) سورة البقرة: (١٥١).

(٢) سورة آل عمران: (٧٩).

والداعية في عصرنا يجب أن يفطن إلى دراسة المجتمع الذي هو فيه، وأن يخطّط لإيصال الدعوة إلى كل جهة في دائرة مجتمعه، فلا تبقى دائرة حكومية ولا أهل مهنة ولا نادٍ ولا مؤسسة إلّا وقد خطط لإيصال الدعوة إليها وتبليغها رسالات الله والتركيز على بعض أفرادها للوصول بهم إلى أن يكونوا دعاة كاملين، وهو لا يغفل عن أن المجتمع فيه رجال ونساء وفيه صغار وكبار وفيه خاصة وعامة، وهو يخاطب الجميع خطاباً عاماً، ويخصّ كل فئة بما يناسبها، والداعية لا ينسى تنظيم العطاء العلمي في المناسبات كشهر رمضان وزمن الحجّ، فهو له ترتيبه ليستفيد من المناسبات في تبليغٍ عامٍ أو تبليغٍ جزئي.

هذا والداعية يدعو إلى الله بحاله ومقاله، وبقدرما يتأسى برسول الله ﷺ يزداد كمالاً، وتزداد الفائدة منه، لذلك كانت الخصائص والصفات والقدرة على التربية والتعليم شرط في كمال الداعية، ولا ينبغي أن ينسى الداعية أهمية المكتبة والكتاب والكتابة ودار النشر والصحيفة والمجلة، ولا ينسى أهمية إقامة دور للمطالعة ولا ينبغي أن يفوت الداعية أهمية التركيز على الذكر وعلى حفظ القرآن وأن تعليم القرآن تلاوة وحفظاً وتفسيراً هو المهمة العظمى.

الفصل الرابع

في أن الإجازة شرط في الداعية الكامل

لم تزل الإجازة سنّة علماء المسلمين، والإجازة عندهم على أنواع : فمنها إجازة في علم ومنها إجازة في كتاب ومنها إجازة في رواية حديث ومنها إجازة في الفتوى ومنها إجازة في التربية، ومنها الإجازة العامة ومنها الإجازة الخاصة.

وأهمّ ما يحتاج إلى إجازة هو التصدّر للتعليم والفتوى والتربية وكل ذلك من مهمّات الداعية، ومن هٰهنا فإن الداعية الكامل يحتاج إلى إجازة من مرشد كامل، فالإجازة شهادة بأهلية صاحبها وباستحقاقه لمنصب الإمامة في الدين، وهي ترشح صاحبها في أن يكون داعية إلى الله لا لحظوظ نفسانية كالرغبة في الجاه والدنيا، ومن النصوص التي يستدلّ بها على ضرورة الإجازة قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقص على الناس إلّا أمير أو مأمور أو مختال »[1] وقد فسّر القصص هنا بالتصدّر للتوجيه والدعوة والفتيا، وحق الإجازة في الأصل كان منوطاً بالأمراء الراشدين ثم أصبح منوطاً بالعلماء العاملين لأن ابن عباس رضي الله عنه فسّر قوله تعالى : ﴿ **وأولي الأمر منكم**﴾[2]؛ بالعلماء الفقهاء، ومن ثم توارثت الأمة فكرة الإجازة ولكنه حدث في العصور المتأخّرة أن أعطيت إجازات في التربية والدعوة لأناس لم يكن لهم حظ، إلّا أن آباءهم كانوا دعاة وعلماء ومربّين، كما أن المؤسسات العلمية أصبحت تعطي

---

(١) اخرجه أحمد وابن ماجة

(٢) سورة النساء: (٥٩)

إجازة لمَن لم يحصل النضج العلمي والعبادي والسلوكي والقلبي والروحي فكانت إجازة ناقصة لا يستأهل بها صاحبها منصب الإرشاد الكامل.

ومن هٰهنا فإن الإجازة بالإرشاد الكامل تحتاج إلى إحياء بأن يكون لها موازينها العلمية والتربوية والروحية في المعطي والآخذ، ولا شك أن هذا الأمر ليس سهل التعميم في عصرنا لأن كثيراً من الناس يمكن أن يعطوا إجازات في أجزاء ممّا يحتاجه منصب الإرشاد، ولكنهم ليسوا مرشدين كاملين، وإجازاتهم لا تخرج مرشداً كاملاً.

ومن هٰهنا كان على مريد الإرشاد الكامل أن يُحصِّل إجازات متكاملة وكافية وأن يكون منصفاً بصيراً يعرف قدر نفسه، وأن يكون متواضعاً عنده استعداد للأخذ وأن يبقى طالب كمال وألّا يُعطي إجازة الإرشاد الكامل إلّا لمَن يستحقّها. ولعل في تجربتي الشخصية ما يمكن أن يُستفاد منه، فلقد تتلمذت على علماء كثيرين، ودرست في كلية الشريعة فأخذت إجازتها، وأخذت إجازة في الدعوة ممَّن اعتبره عالم الأولياء وولي العلماء في دمشق، وأخذت إجازة مكتوبة من رئيس جمعية العلماء في بلدنا، ومع أن لي ملاحظات على بعض الأفكار الخاطئة في التصوّف، فقد أخذت إجازات من عدد من شيوخ التصوّف. فقد أجازني أكثر من شيخ في الطريقة النقشبندية، وقد أجازني أكثر من شيخ في الطريقة الشاذلية، ولا زلت أجلس مع أهل الفضل والصلاح تلميذاً، وأجلس مع أهل العلم مستفيداً، وقد أعطيت بعض الناس إجازة في علم، وأعطيت بعض الناس إجازةً في عدة كتب، وأعطيت بعض الناس إجازةً في الدعوة الى الله، وأعطيت بعض الناس إجازةً في كل ما أجازني به شيوخي في العلم والدعوة والتربية، وإنما أذكر هذا كنموذج على الأخذ والعطاء لإحياء سنة العلماء في الإجازة، وإنني أدعو أن يقيم كل داعية مدرسة لطلاب الربانية تنتهي بإعطاء المنتسب إليها، المتنقّل في مراحلها إجازة الإرشاد الكامل، كما سأذكر ذلك في فصل لاحق من هذا الكتاب.

إن إجازة تخصّص الدعاة أو إجازة الإرشاد الكامل لا يجوز أن تُعطى لغير مستحقّيها ولا يجوز أن يحرم منها مستحقّوها واستحقاقها ليس منوطاً بالانتخاب والاختيار وليس منوطاً بالقدم والزمن. فإذا كان للاختيار وللزمن مكان في المعايير الحزبية المعتادة فإن ذلك غير ملاحظ بالنسبة لمنصب الإرشاد أو تخصّص الدعوة.

فمنصب الإرشاد الكامل منوط بالخصائص والصفات ومنوط بإجازة العالم الرباني العامل. دعنا نتصوّر أن إنساناً قد جاءك وهو يريد منصب الإرشاد الكامل، إنه بالإمكان أن توصله الى هذا المقام بطرق كثيرة وبأساليب متعدّدة وما سنذكره لك نموذج.

إنه بالإمكان أن تأمره بأن يذكر الله عزّ وجلّ بالأذكار التي ورد فيها ندب مطلق حوالى سبعة آلاف مرة لكل ذكر مع إلزامه بفرائض العبادات وشيء من نوافلها وأن تُقرِئه خلال ذلك القرآن مع أحكام التلاوة. ثم توصله إلى الالتزام بورد يومي من الأذكار وتلاوة القرآن وأن تلزمه ببرنامج يومي في العلم والمطالعة والعبادة فتبدأ بالعلم بدورة عامة يلاحظ فيها فروض العين ثم تدخله في دورات تخصّصية في كل العلوم الشرعية وتأمره بالإكثار من المطالعة ثم تدرّبه على الخطابة والتدريس والمحاضرة والتوجيه وقد تدفع به إلى مخالطة أصناف الدعاة إلى الله وإلى ملازمة بعض المتخصّصين فإذا ما استوعب المطلوب ونضج فيه على ضوء الموازين المعتمدة أعطي إجازة مكتوبة بمنصب الإرشاد الكامل أو تخصّص الدعاة ويستحسن أن يذكر في الإجازة اسم المعطي وأنه مجاز من شيوخه وأنه يجيز فلاناً بالتعليم والتربية والدعوة. والطرائق التي يمكن أن تملك لهذا المراد كثيرة.

الفصل الخامس

في زي الداعية الكامل وانتمائه

قالوا : ما المروءة ؟ قيل : في الإقامة التقوى، وفي الغربة اللباس. إن الداعية إلى الله لا يستعبده اللباس، وفي الحديث « تعس عبد الخميصة »[1] ومن ثَمَّ فالداعية يلبس لكل حالة لبوسها دون حرج ودون تكلّف ما لم يكن شيء ممنوعاً شرعاً، ولقد رأينا للأستاذ البنا صوراً في العمامة والقميص والعباءة، ورأينا له صوراً في الطربوش والبنطلون، وهكذا فإن الداعية إلى الله لا يجد في نفسه حرجاً أن يلبس اللباس الذي يساعده في تقديم دعوته، ولكن الزي الذي ينبغي أن يغلب كل زي هو زي العلماء المتمثّل في عمامة وقميص وجبّة، وإذا اضطرّ الداعية لظروف أن يلبس لباساً آخر فلا ينبغي أن يكون متحرّجاً منه، غير أن هناك مقامات يصلح فيها زي العلماء كخطبة الجمعة وكالدرس في المسجد، وفي أحوال كثيرة يكون للزي تأثيره في أن يتقبّل الناس فتوى الداعية ودعوته، وكما يلاحظ الداعية الزي المناسب للدعوة فإنه يلاحظ الهيئة، فإعفاء اللحية، وتقصير الثوب حتى لا يجاوز الكعبين والنظافة وحسن الهندام، كل ذلك مما ينبغي أن يلاحظه الداعية.

ومن أهم ما ينبغي أن يلاحظه الداعية كيف يقدّم نفسه للناس، فالناس حريصون على معرفة الجهة التي ينتمي إليها الداعية، هم حريصون على أن يعرفوا ما إذا كان منتسباً لحزب أو جماعة أو جمعية، وهم حريصون على أن يعرفوا ما إذا كان صوفياً أو سلفياً أو فقيهاً، وهم حريصون على أن يعرفوا مذهبه في العقيدة أو في الفقه أو في السلوك.

---

(١) أخرجه البخاري.

ولا شك أن حكمة الداعية تجعله يقدّم نفسه للناس بما لا يجعل بينه وبين الناس حجاباً.

ولقد كان شيوخنا يعوّلون على صدق التلميذ وسلامة المنهج وقدرة الداعية، فإذا وجد الداعية الكامل إلى الله فإنه يستطيع أن يصل بالناس إلى رضوان الله من حيث بدأ وكيف بدأ.

والمهمّ هو الوصول إلى رضوان الله تعالى، فهناك بيئات مذهبية لا يستطيع الداعية أن يدخل إليها إلّا من خلال مذهب فقهي بعينه، فلا عليه أن يدرس الفقه وأن يعرّف الناس على الدليل ليعلّقهم في النهاية بالنصوص، وهناك بيئات لا يصلح فيها إلّا العمل على أساس صوفي فلا حرج على الداعية أن يظهر بهذا المظهر ليأخذ بيد الناس من خلاله إلى التمسّك بالنصوص، وهناك بيئات لا يصلح فيها إلّا الحديث بالنصوص، فلا حرج على الداعية أن ينطلق من خلال الدليل.

والمظهر الأعلى للداعية أن يعرفه الناس أنه ينتمي للإسلام، وأنه لكل المسلمين، وأنه من علمائهم، قال تعالى : ﴿ **ومَن أحسن قولاً ممَّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾(١)، فأن يعرف الناس الداعية بانتمائه الخالص للإسلام والمسلمين والعلم والعمل فذلك قوة للداعية، وأدعى أن يتقبّل الناس كلامه، ولكن الظروف التي يواجهها الداعية والنشأة التي نشأها تجعلنا ننصح الداعية بأن يتخيّر المظهر والانتماء الذي يناسب الزمان والمكان على ضوء تقدير صحيح للموقف المحلّي، وأحياناً العالمي.

فمثلاً هناك أقطار يسمح فيها قانوناً بالدعوة إلى الإسلام الكامل عبر حزب سياسي إسلامي. فهٰهنا قد يصلح للداعية أن يظهر على أنه منتمٍ لهذا الحزب، ولكن لا بدّ للدعاة من هذا النوع أن يوائموا بين المواقف وإستمرارية الدعوة، ولا بدّ أن يفكروا طويلاً في الموقف الذي يكلّفه قانونية وجودهم وقانونية استمرارية الدعوة بهم، وهناك أقطار لا يحتمل وضعها إلّا الدعوة الصوفية فأن يظهر الداعية بعد الإجازة من شيوخه بمظهر الشيخ الصوفي، فذلك وحده يمكن أن يفسح له مجال الدعوة، وهناك أقطار لا يصلح فيها إلّا أن يأخذ الداعية مظهر العالم الفقيه، فليظهر الداعية بذلك، وهكذا فإنه لا بدّ للداعية أن يكون ذا تقدير صحيح للوضع الذي يدعو فيه الناس، وأن يتخذ قراره في المظهر الذي يظهر به على ضوء ذلك، دون أن يبالي بما يمكن أن يقوله فيه الناس.

فالدعوة إلى الله جهاد، ولا يخشى المجاهد في الله لومة لائم.

---

(١) سورة فصلت: (٣٣).

الفصل السادس

في العلاقات بين الدعاة

إن من واجبات الدعاة الكبرى إقامة الدين وعدم التفرّق فيه، وكثير من الدعاة يجتهد لإقامة الدين ولا يبذل جهداً من أجل عدم التفرّق فيه، مع أن الله عزّ وجلّ ذكر هاتين القضيتين على أنهما من الشريعة الدائمة له جلّ جلاله ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى لأنه لا إقامة للدين إذا كان هناك تفرّق فيه، أنظر إلى قوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه﴾**(١). ومن هٰهنا كان لا بدّ من المواءمة بين الاجتهاد في إقامة الدين وبين عدم التفرّق فيه بإزالة كل ما يفرق سواء في ذلك سقطات اللسان أو آفات الأنفس، وعلى هذا فإنه يجب على الدعاة أن يتجنّبوا كل ما يفرق من حسد أو بغي أو غير ذلك، فقد جرت عادة الكثيرين من الدعاة أن ينتقص بعضهم بعضاً، وهذا شيء خطير، فهو غيبة، ومعاداة أولياء، وتحطيم ثقة، وندر مَن يتجنّب ذلك مع أن الأدب العظيم للداعية أن يذكر محاسن إخوانه الدعاة وألّا يذكر مثالبهم إلّا لواجبٍ شرعي بنية صدق مع الله تعالى، وهيهات أن يسلم لأحدٍ ذلك.

لقد قالوا: العلم رَحِمٌ بين أهله، فالصلة بين الدعاة ينبغي أن تزيد على الصلة الأخوية، فإذا كانت الصلة الأخوية، هي الحدّ الأدنى الذي يجب أن يكون بين أهل

---

(١) سورة الشورى: (١٣).

الإيمان فإنَّ الصلة بين أهل الدعوة يجب أن تكون صلة أخوّة وقرابة، والقرابة تقتضي قياماً بحقّها، فإذا كان العلم رحماً بين أهله، فصلة الأرحام تكون بالسلام والكلام والزيارة والرسالة والهدية وغير ذلك.

وقد جرت العادة أن مما يفرق بين الدعاة تنافسهم على الرئاسة، وهذا مرض خطير، فالداعية الكامل يعرف قدره وقدر غيره، ويضع نفسه دون منزلته، ويضع غيره في منزلته، أو فوق منزلته، وبدون هذه الروح يتفرّق الدعاة.

وإن ممّا يفرّق الدعاة تنافسهم على المريد والتلميذ، فتنافسهم هذا يؤدّي بهم إلى الانتقاص من بعضهم، وهو أثر عن الحسد، وقد جرت عادة بعض شيوخنا إذا رأوا أحد مريديهم توجّه للأخذ عن إنسان ثبتوه على ذلك ولو كانوا أقوى عطاءً وأكثر إفادة ولقد غلبت على بعض الدعاة وضوح الحزبية فأبغضوا مَن ليس منهم أو معهم، وهؤلاء خرجوا عن كونهم دعاة إلى الله ليصبحوا دعاةً لأنفسهم أو لأحزابهم.

أنظر إلى فعل الدعاة الكاملين كحسن البنا رحمه الله إذ سمح لمريديه أن يأخذوا الخير أنى وجدوه، وأن يعطوا الخير حيثما افتقدوه، وأن يقدّموا الحب للآخرين، وألّا يجرحوا الأشخاص والهيئات، فأين ذلك من أخلاق بعض الناس الذين يجرحون إخوانهم ويقتاتون لحومهم. إنه إذا استطاع الدعاة إلى الله أن يوجدوا نوعاً من العلاقات التنظيمية فيما بينهم فذلك أرقى ما يكون لأن المؤمنين كالجسد الواحد، وإذا لم يستطيعوا ذلك فلا أقل من علاقات أخوية حبيّة وديّة تناصحية استشارية تواصلية، ولكن كثيراً من الناس فاتتهم الأولى ولم يستطيعوا الثانية فهؤلاء ليسوا دعاة كملاً.

وبمناسبة الكلام عن العلاقة التنظيمية بين الدعاة فنحن ندعو إلى علاقة تنظيمية أقرب إلى الفطرة ليس فيها تعقيد ولا فرعونية نفس، ولا علاقات فوقية، إنها علاقة بين شركاء وليست علاقة بين أتباع ومتبوعين، هذا الشيخ أحمد الرفاعي قديماً يقول لتلاميذه : حشرت مع فرعون وهامان إذا كنت أرى نفسي خيراً من واحدٍ منكم، فإذا كان هذا كلام شيخ في مثل وزن الشيخ الرفاعي لتلاميذه، فما حال الداعية مع الداعية.

وهذا الشيخ سعيد النورسي حديثاً يقول لتلاميذه: افنوا في بعضكم. فإذا كانت هذه نصيحة للتلاميذ، فكيف لا تكون نصيحة للدعاة ؟

لقد دعونا في رسالتنا «عقد القرن الخامس عشر» إلى أن تقوم جمعية عالمية لعلماء الإسلام ودعاته وحدّدنا بعض أطر العلاقات والواجبات لهذه الجمعية وهٰهنا نقول :

إنه لا بدّ من توافر حدٌّ أدنى لعضوية هذه الجمعية وإن ما ذكرناه في هذه الرسالة يصلح حدًّا أدنى لذلك، وعلى هذا فإننا ندعو كل مسلم أن يتطلّع إلى أن يكون داعية كاملاً، وأن يبذل جهداً في ذلك، ثم ليتطلّع بعد ذلك إلى صيغة تنظيمية يحتملها وضع الأقطار في هذا العالم، وينبغي أن تكون هذه الصيغة قابلة للتطوير المستمر، ورؤفة حانية حكيمة.

الفصل السابع

في المجالين الأكثر أهمية لعمل الداعية

لقد أشرنا من قبل وسنذكر إن شاء الله من بعد بعض مجالات عمل الداعية، ومن أهم مجالات عمل الداعية في عصرنا قضيتان: القضية الأولى: كيف يوصل الثقافة الإسلامية إلى كل مسلم، القضية الثانية: كيف يوجد روحاً تكافلية وعملاً تكافلياً بين المسلمين. ونحن لا نشترط صيغة بعينها ولا تسمية بعينها، ولكنّا نقدّم في هذه الرسالة نموذجين للعمل في هاتين القضيتين، النموذج الأول حول فكرة إنشاء مدارس لطلاب الربانية تأخذ بيد المسلم من نقطة الابتداء إلى أن يصل إلى رتبة الأستاذ المرشد، والنموذج الثاني: نموذج لفكرة مؤسسة خيرية للخدمة الاجتماعية، وبصرف النظر عن الأسماء فإن أي داعية نجح في جذب الناس إلى الارتباط العلمي والروحي، وأفلح في إيجاد هيئة تأسيسية لعمل خيري تكافلي فإنه يكون قد قام بأعظم شيئين يحتاجهما المسلم، ونكرّر أنه لا يهمّنا الأسماء ولكن الفكرة هي الهدف، فمدرسة طلاب الربانية يمكن أن تُسمَّى بمدرسة جامع مثلاً، والمؤسسة الخيرية يمكن أن تُسمَّى باسم حي أو قرية، وإن ما تذكره هنا نموذج على صيغة تصلح للاستفادة منها في كلٍّ من القضيتين:

أولاً: فكرة مدارس لطلاب الربانية

١ ـــ مدارس طلاب الربانية مدارس مسجدية تستهدف تخريج العالم الرباني القائم بحق الله تعالى والوارث النبوي الكامل وترتيباتها تعليمية تربوية لا تتعارض مع التزام

المنتسب إليها إلى جماعة إسلامية راشدة أو شيخ مستقيم وهي تحرص على ان يجتمع للمنتسب إليها ما تفرق في غيرها في إطار التعليم والتربية اللذين يحتاجهما العالم المسلم المعاصر.

٢ ــ شعارات هذه المدارس التي تحدّد هدفها ووسائلها خمسة: الاتباع والعلم والذكر والاجتماع والانتساب.

الإتباع هو الهدف والوسائل لذلك هي العلم على ضوء منهاج متكامل والذكر المأثور والاجتماع على الخير والانتساب لأهل الحق.

٣ ــ تعتمد هذه المدارس فكرة إحياء سنة العلماء في إعطاء مَنْ درس علماً أو كتاباً إجازة فيه.

٤ ــ لا تعتبر هذه المدارس نفسها بديلاً عن الموجود في الساحة الإسلامية بل تأخذ على عاتقها دعم الموجود الصالح وإيجاد المفقود المطلوب.

٥ ــ تلتزم هذه المدارس والقائمون عليها بأن يكونوا آباءً وإخواناً لكل المسلمين كما يلتزمون بالأمور التالية :

أ ــ أن يكون هذا العمل موجّهاً لكل مسلم، وأن يكون محصوراً في العلم والذكر والخدمة والنصيحة والقيام بفروض العين وفروض الكفاية بالقدر المُتاح والممكن.

ب ــ ألا يقطع هذا العمل أحداً عن شيخه أو جماعته أو عمله الإسلامي إلا في حالة الشذوذ أو الإثم، وحيث لا إثم ولا شذوذ فالأصل البقاء والطاعة للجهة التي يرتبط بها الإنسان إلّا إذا أرادت منعه من خير.

ج ــ أن يكون الهيكل العام لهذا العمل وترتيباته قائمة على فطرة ونصوص.

د ــ أن يكون هناك سير علمي للفرد على ضوء نظرية ثقافية متكاملة وأن يكون هناك سير متكامل على ضوء إحصاء شامل لفروض الكفاية.

هـ ــ أن يعرف الجميع أن هذا العمل هدفه تعميق الإسلام والقيام بما يفرضه خالصاً من الحظوظ النفسية والدنيوية.

و ــ يلتزم هذا العمل بأن يكون لأتباعه في كل قطر استقلالية قانونية لا تحرجه أمام قانون بلده.

ز ــ يعطي هذا العمل لكل فرد من أتباعه حق الممارسة الحياتية حيث شاء مما

تجيزه له الشريعة ولا يتحمّل مسؤولية أي موقف سياسي لأي فرد مشارك فيه.

ح ـــ يحاول هذا العمل أن يقرّب بين الناس والإسلام على مستوى الشعب والحكم، ويحاول أن يقرّب الفجوة بين الشعب والحكم من خلال إقامة الإسلام باعتماد مبدأ النصيحة المخلصة السرية للجميع.

٦ ـــ وتلاحظ مدارس طلاب الربانية أن تخرّج الرباني الذي يجتمع فيه:
أ ـــ احترام أئمّة الاجتهاد وفتاوى الراسخين في العلم.
ب ـــ الوعي الذي أحدثته اجتهادات المعاصرين من أئمّة الهدى.
ج ـــ دأب الدعاة العاملين.
د ـــ روحانية الصوفية الملتزمين بعقائد أهل السنة والجماعة واجتهاداتهم.
هـ ـــ تنقير أهل الاثر عن الدليل.

٧ ـــ تحاول مدارس طلاب الربانية أن تحقّق المنتسبين إليها بالمطلوبات الكفائية والعينية فبقدر ما تستطيع ذلك يكون وجودها مطلوباً شرعاً وبقدر ما يحتاجه غير المنتسب إليها من كمالات لا تتحقّق إلّا بها تتأكد المطالبة الشرعية في حقّه بالانتساب إليها. ومن هٰهنا لا تحتاج هذه المدارس إلى إذن من أحد، فالله عزّ وجلّ فرض على العلماء أن يعلموا وفرض على غير العلماء أن يتعلّموا والفريضة لا تحتاج إلى إذن، ومَن صدّ عن هذه المدارس يكون صادًّا عن سبيل الله إلاّ إذا وجد عند القائمين عليها شذوذ عقدي أو فكري أو سلوكي أو تبيّن أن عند القائمين عليها نيّات غير صالحة للإسلام وأهله. ولكن النيّة بإذن الله أن تقيم هذه المدارس فروضاً لا تتحقّق بغيرها :

فهي تكمل عمل المعاهد والكليات والجامعات الإسلامية لأنها تفطن إلى دراسات وأعمال لا تلقي لها تلك المؤسسات بالاً.

وهي تكمل عمل الهيئات الإسلامية القائمة مبتعدة عن السلبيات التي تحول دون وصول فروض العين إلى كل مسلم أو تحول دون إقامة فروض الكفايات وهي تتجنّب ما عند بعض العاملين من تهجّم على الأئمّة أو المذاهب الفقهية أو الغلو في فهم البدعة.

وهي مع هذا كله تحاول أن تحقّق ما طالب الله عزّ وجلّ به الناس جميعاً وغفل أكثر الناس عنه نظرياً وعملياً أو نظرياً أو عملياً ألا وهي الربانية وتحاول أن تقدّم نظرية تناسب العصر من ناحية والساحة الإسلامية من ناحية أخرى.

وهاك تعريفٌ مختصرٌ للربانية وهدف هذه المدارس التي نقترح إنشاءها من أجلها ووسائلها التي تضمنه شعارها :

الربانية الحق هي أرقى مقام بعد مقام النبوّة لأن الله عزّ وجلّ يقدّم ذكر الربانيين على الأحبار وهم العلماء فإذا كان العلماء هم ورثة علوم الأنبياء فالربانيون يزيدون على ذلك بأنهم وارثو النبوة علماً وعملاً وحالاً وهيئة وصفة خُلقية ولقد ندب الله كل مسلم أن يكون ربانياً كما ندبه أن يكون وارث نبوة كاملاً والمعنى واحد قال تعالى :

﴿ **لقد كان لكم** ﴾[1]،والخطاب لكل مؤمن ﴿ **في رسول الله اسوة حسنة** ﴾[2] ثم ذكر الطريق لذلك فقال تعالى ﴿ **لمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[3]، نفهم من ذلك ان الذكر الكثير هو وسيلة التأسي برسول الله ﷺ ومن الآية نستخلص شعارين من شعارات السير نحو الربانية : الاتباع والذكر.

ولقد طالب الله كل إنسان أن يكون ربانياً وذلك مقتضى قوله تعالى ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله** ﴾[4]لاحظ قوله تعالى ﴿ **ثم يقول للناس** ﴾[5]فكلمة الناس عامة ثم لاحظ تتمّة الآية ﴿ **ولكن كونوا** ﴾[6]أي أيها الناس « ربانيين » وذلك « بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ».

فالربانية التي هي الوارثة النبوية الكاملة لرسول الله ﷺ تقتضي دراسة وتعليم كتاب، ودراسة الربانيين مطلقة في النص لأن مجموع ما يحتاجه الرباني منه الثابت ومنه المتجدّد.

ومن هذا كله نستخلص أن الربانية التي هي الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ تحتاج إلى علم صحيح شامل ومعلم مستقيم، قال ابن سيرين : « إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم ».

ومن هٰهنا استخلصنا شعارين آخرين من شعارات السير نحو الربانية وهما العلم والانتساب للربانيين.

---

(١)، (٢)، (٣) سورة الأحزاب: (٢١).

(٤)، (٥)، (٦) سورة آل عمران: (٧٩).

ولقد طولب المسلم أن يجتمع على الذكر وعلى العلم:

« ان لله ملائكة سياحين يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى قالوا هلمّوا الى حاجتكم... ». متفق عليه.

« وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمَن عنده ». حديث صحيح.

ومن هٰهنا نستخلص شعاراً خامساً للسير نحو الربانية وهو الاجتماع ومن هذا كله جعلنا شعارات الربانية المعاصرة: ١ ــ العلم ٢ ــ الذكر ٣ ــ الاجتماع ٤ ــ الانتساب ٥ ــ الاتباع وهو الهدف الذي يخدمه كل ما قبله.

أولاً: الاتباع

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ﴾[1].

ويدخل فيه أتباع الرسول ﷺ علماً وعملاً وهيئة وحالاً وصفة خلقية وسياسات وذوقيات ويدخل فيه اتباع مَن هم على قدمه من العلماء والربانيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ويدخل فيه اقامة المطلوبات الشرعية ومن ذلك فروض العين وفروض الكفاية.

ثانياً: الانتساب

ويدخل فيه الانتساب الى أهل السنّة والجماعة في مذاهبهم الاعتقادية والفقهية والسلوكية ويدخل فيه الانتساب للطائفة القائمة بالحق التي وردت بها النصوص والانتساب إلى الربانيين.

ثالثاً: العلم

ويدخل فيه السير على مراحل للوصول إلى رتبة الإرشاد الكامل:

قال تعالى: ﴿ ومَن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾[2]، ففي الآية اشارة إلى أن الغاية في الهداية هو الولي المرشد فإذا أراد الله إضلال أحد فانه لن يهتدي حتى ولو وجد المرشد الكامل.

---

(١) سورة آل عمران: (٣١).

(٢) سورة الكهف: (١٧).

رابعاً : الذكر

ويدخل فيه إقامة الصلوات والعبادات والتزام ورد يومي والتأمل في الآخرة والتفكير في الملك والملكوت مع ذكر اسم الله ويدخل فيه تلاوة القرآن بأن يحاول ختمه كل أربعين يوماً على الأقل ويدخل فيه الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ وقوله لا اله إلّا الله وقراءته سورة الإخلاص ثلاث مرات إلى غير ذلك من الاذكار التي يلزم بها نفسه يومياً وأن يكثر في أوقاته كلها من الدعوات والاذكار المأثورة ويدخل في ذلك حضوره مجالس الذكر المحرّرة على ضوء التقوى المعتمدة من أهلها.

وقد جرت عادة أهل السلوك الى الله أن يلقنوا الورد تلقيناً وهي من سننهم المتوارثة ويلحظون فيها معاني منْ جملتها احياء سنّة الرسول ﷺ في تلقين الصحابة قراءة القرآن والدعوات والاذكار كما يلحظون فيها احياء سنّة رسول الله ﷺ في أخذه العهد على أعمال من الاسلام ولكن لا يعطون حق التلقين إلّا لمَن أذن من شيوخه بذلك.

خامساً : الاجتماع

ويدخل في ذلك الاجتماع على القرآن الكريم وعلى الذكر وعلى العلم وعلى الإنشاد المحرّر.ويدخل في ذلك حضور الحلقات والمجالس والندوات والدورات بقدر المستطاع وكل ذلك يقتضي ترتيباً :

فهناك ترتيب الجلسات وترتيب الدعوة إلى الاجتماعات وترتيب كل ما يقتضيه الاتباع والذكر والانتساب والعلم.

وإذا كان من أهم مظاهر الاتباع التراحم والاخاء فهذا يقتضي ترتيب التكافل والقيام بحقوق الاخاء العام والخاص.

فكل اجتماع ينبغي أن يلحظ فيه احترام الصغير للكبير واحترام أهل الفضل.

ويلحظ في الاجتماعات ألّا يكون فيها تجريح محرم وخاصة للهيئات الإسلامية والعاملين للإسلام إلّا في تبيان مخالفة شرعية، كما يلحظ ان تعمق الاجتماعات معاني المحبة والاحترام لكل المسلمين.

واجتماعات طلاب الربانية تدور بين مجلس ذكر وعلم وما بين حلقة علم أو ندوة أو دورة ولا بدّ أن يكون لكل منتسب مَنْ يشرف على سيره العلمي التربوي ونرجو من خلال ذلك كله أن يتخرّج الرباني المعاصر.

لقد ذكرنا في رسالتنا «إحياء الربانية» إيجابيات ما حدث في القرن الرابع عشر الهجري وذكرنا في المقابل بعض الملاحظات على العمل الإسلامي فيه ونحن نعتقد ان وجود عمل تعليمي تربوي يلحظ هذه النواقص هو الحل لتلافي هذه السلبيات فكان هذا عاملاً من عوامل إنشاء مدارس طلاب الربانية وها نحن ننقل لك ما ذكرناه هناك من سلبيات اقتضت اقتراح وجود هذه المدارس :

إن تقويم العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري يوصلنا إلى ما يلي :

أولاً : إن السقف الثقافي والتربوي والروحي والحركي والتنظيمي الذي أوصل إليه عمل القرن الرابع عشر كان منخفضاً أحياناً فبعض العاملين نجحوا نجاحات حركية ودعوية لا بأس بها ولكن الجانب الثقافي أو الروحي أو التربوي بقي وسطاً أو دون الوسط، وبعض الناس ركّزوا على الجانب الروحي، ولكن افتقدوا الجانب الثقافي أو الحركي أو التنظيمي وهكذا قل. فكل جهة إسلامية عملت في القرن الرابع عشر الهجري لم تستطع في الغالب أن توصل الفرد المسلم إلى سقف مرتفع في الجوانب التي ذكرناها : الثقافة الإسلامية المتوارثة والمعاصرة، والتربية الاخلاقية المتكاملة، والتربية الروحية والقلبية العالية والفكر الحركي والتنظيمي المكافئين للعصر، ركّز بعضهم على الثقافة المتوارثة وأهمل المعاصرة، وركّز بعضهم على الجانب الروحي وأهمل غيره، وركّز بعضهم على جوانب وأهمل جانباً بحيث بقيت الشخصية الإسلامية التي تتبع جهة ما عندها قصور في الغالب ــ نستثني من ذلك أناساً كمّلهم الله عزّ وجلّ بجهود شخصية أو بأن أتيحت لهم ظروف خاصة.

ثانياً : لم يكن هناك تكامل بين العمل الإسلامي الشعبي والعمل الإسلامي الحكومي ولا بين عمل الحكومات على الأرض الإسلامية، ولا بين الأعمال الإسلامية الشعبية فيما بينها ومع بعضها البعض، ولذلك أسبابه وأعذاره واعتذاراته وإنما نحن هنا نعرض واقعاً.

ثالثاً : لم يكن العمل الإسلامي الشعبي على مستوى التطلّعات، ولا العمل الحكومي على مستوى التكليف.

رابعاً : مع أن القرن الماضي شهد تحرّر البلدان الإسلامية فإن إقامة الإسلام لم تأخذ مداها ولم تكن الرغبة في إقامة الإسلام وإحيائه متكافئة مع أوضاع العصر واحتياجاته.

خامساً : إنه في كثير من الأحيان ابتعد العمل الإسلامي عن فطريته التي كان

عليها في عصر النبوة، فالأخلاقيات فيها نقص والحياة الروحية ضعيفة، وكثيراً ما تظهر منافسات على الإدارات ومماحكات وخصومات وانقسامات، وكثيراً ما يضيع القرار في غمرة الظواهر المرضية، وكثيراً ما يكون هناك فارق بين الشعار والواقع، وكثيراً ما يفتقد السمت النبوي عند أصحاب الدعوة، ويظهر السمت المتأثر بالفكر الغريب، ومن أعظم مظاهر البعد عن الفطرية أنك لا تجد لعلماء الشريعة الإسلامية تأثيراً مباشراً في توجيه العمل الإسلامي، وأحياناً لا تجد لهم محلاً في هذا العمل، وفي كثير من الأحيان لا يكون الذنب ذنب العاملين، فالعاملون إذا وجدوا العالم العامل المحب يحبونه ويستفيدون منه ولكن الواقع أنه وجدت جفوة بين العلم بالشريعة وبين قطاع كبير من العاملين في الدعوة ووجدت جفوة بين العلماء والعاملين، حتى إنك لتجد في صف القائمين على بعض الأعمال الإسلامية نوعاً من الازدراء لعلماء الشريعة مهما كان شأنهم، حتى إن بعضهم يصدر حكماً مبدئياً على علماء الشريعة أنهم لا يصلحون للعمل العام أو للعمل المنظّم وهذا يشكّل كارثة في النهاية، أخرج الدارمي قال : أخبرنا وهب بن جرير وعثمان بن عمر قالا أخبرنا ابن عون عن محمد عن الأحنف قال : قال عمر : تفقّهوا قبل أن تسودوا.

أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا بقية حدثني صفوان بن رستم عن عبد الرحمن بن ميسرة عن تميم الداري قال : تطاول الناس في البناء في زمن عمر، فقال عمر : « يا معشر العريب الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه على الفقه كان حياةً له ولهم ومَن سوّده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم ».

سادساً : كان التركيز على مذاهب أهل السنة والجماعة في معرفتها وتمثّلها في العقائد والفقه والسلوك ضعيفاً وهذا يعطي فرصاً للآراء الشاذّة أن تظهر.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نضر الله أمرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع » رواه أبو داود والترمذي وابن حيان في صحيحه إلا أنه قال : رحم الله امرأً وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

ومن هٰهنا وجد في المجتمع الإسلامي المختصّون الذين تتابعوا على العلم الواحد حتى أغنوه وأثروه وحققوا مسائله وفرّعوا على أصوله فهم يكملون عمل جمّاع الروايات والمختصّين بالقراءات، ومن هٰهنا وجدت لأهل السنة والجماعة مذاهبهم في العقيدة والفقه والسلوك.

وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه أمام شذوذ بسبب جهل ذلك أو عدم التمسّك به، وهذا مقتل من مقاتل العمل الإسلامي المعاصر، لأنه يمكن أن تعود الآراء الشاذّة القديمة للظهور، كما يمكن أن تظهر شذوذات فكرية جديدة.

سابعاً : كثيراً ما نفتقد في العمل الإسلامي المعاصر أو الحياة الإسلامية المعاصرة التركيز على الجانب القلبي وهذه قضية خطيرة لأن صلاح أمر المسلمين هو القلب :

« إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب » أخرجه البخاري ومسلم.

ثامناً : كثيراً ما انطلق العمل الإسلامي بعيداً عن فكرة فروض العين وفروض الكفاية، وبالتالي تجد العمل الإسلامي في بلد بعد أربعين عاماً أو أكثر لم ينتج ما يغطي إقامة فروض الكفاية بشكل متكامل، كما تجد بعض أبنائه تفوتهم بعض فروض العين بعد سنين.

تاسعاً : هناك ضعف في أصول التعامل التنظيمي على أصول الإسلام سببه عدم وجود ألف باء تنظيمي واضح وصحيح، وبالتالي يتعب العاملون أنفسهم ويتعبون بعضهم بعضاً.

عاشراً : حتى الآن لا نجد وضوحاً في طرائق تحقيق الأهداف التي استقرأتها الحركة الإسلامية الحديثة، وبالتالي فالهدف مطروح ولكن طريق الوصول إليه مجهول أو غير واضح تماماً.

حادي عشر: يفتقد العاملون للإسلام كالإخوان المسلمين وامثالهم وجماعة الدعوة والتبليغ والفقهاء والعلماء والصوفية المستقيمين وجمعيات الخدمات أو الجمعيات الإصلاحية يفتقدون نوعاً من المودّة القوية أو نوعاً من التنسيق النافع غير الضارّ وغير المتعارض مع ما يريده كل منهم مما ألزم نفسه به.

ثاني عشر : إنه في كثير من الأحيان خولفت شعارات بدهية، من مثل :
من المحراب إلى السياسة لا من السياسة إلى المحراب.
من الربانية إلى الادارة.
من العلم إلى العمل.

ففي كثير من الأحيان كانت ظروف العمل وعدم الاستقرار وانفتاح ميادين الاستجابة تجعل بعض العاملين يتخلّون عن مثل هذه الشعارات، وإذا بالصف الإسلامي يعاني

من القلق والاضطراب، ويتعرّض للتمزّق والتآكل لأن نقاط البداية فيها خلل، فنجد الصف غير موحد الفكر أو التربية ولا تحكمه نظرية تنظيمية مستقرّة ولا تجربة متطوّرة ومتدرّجة.

ثالث عشر : في كثير من الأحيان نجد أنفسنا أمام ظاهرة مخيفة وهي أن العمل الإسلامي أصبح أقرب إلى الشكليات والمظاهر، وأقرب إلى الرسمية الحكومية أو الحزبية، وليس من حرج أن نأخذ الجديد المفيد المنسجم، ولكن على ألا يكون ذلك على حساب العلاقات الفطرية، فهذا لا يصحّ، وأن يصبح عملنا حزبياً تتحكّم فيه الأهواء والصراعات ولا ينطلق فيه شيء من مشكاة النبوة على بصيرة، فهذا هو المحذور، إن هناك فطرية إسلامية لا يصحّ البعد عنها، وهناك ألف باء إسلامي لا يصح البعد عنه، وإن هناك أصولاً إسلامية في العمل والتعامل لا يصح الخروج عنها، وهناك أصول أوصلت إليها التجربة الصحيحة ينبغي تثبيتها.

رابع عشر : كثيراً ما حدث أن بعض المسلمين يتذكرون الكليات والأصول، وينسون الجزئيات والفروع، والعكس، والإسلام حاكم، فإذا ما حدثت غفلة عن أصوله وفروعه فإن الخلل متوقّع.

هذا بعض ما يوصل إليه تقويم العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، وهي استقراءات لها استثناءات لكنها أغلبية.

ان وجود مدارس تلحظ هذه النقاط وتتخصّص لذلك هو الحلّ الأمثل لانهاء هذه السلبيات وليست فكرة المدارس المسجدية بدعاً على التفكير الإسلامي بل هي الأصل الذي كان عليه التعليم الإسلامي وهناك اتجاهات في كثير من دول العالم تتبنّاه فتحدّد المناهج والبرامج وتختبر المستوى وتعيّن المشرف غير مشترطة تدرّجاً في التعليم المدرسي المعتاد وسواء أخذ العالم بهذا أم لم يأخذ فان إيجاده وتأصيله على ضوء تجارب المسلمين العلمية مطلوب وينبغي أن نبذل فيه جهداً.

ان مدارس طلاب الربانية تريد أن تكسر عقدة النقص عند علماء المسلمين وترجع الأمر الى نصابه ففي الأصل كان العلماء يدرسون ويعطون الإجازات والآن أصبحت المؤسسات هي التي تعطي الإجازات وتتحكّم في برامج التعليم بل أصبح من حق الجامعات الكافرة أن تعطي الإجازات في الدراسات الإسلامية وعلماء المسلمين مكتوفو الأيدي الى حد كبير ومن ثم فان مدارس طلاب الربانية ترى أن عليها أن تحدّد المنهج الذي يتخرّج فيه المرشد الكامل وتعطي لمَن سار في طريق ذلك الإجازات التي هي الأقوى والأصحّ باذن الله.

وتعتمد مدارس طلاب الربانية مبدأ التدرّج فالسير نحو الإرشاد يكون على خمس مراحل :

المرحلة الأولى تلحظ فروض العين ويتخرّج بها الإنسان مشرفاً مساعداً.

والمرحلة الثانية تؤهّل الإنسان ليكون مشرفاً والمرحلة الثالثة تؤهّله لأن يكون شيخاً والمرحلة الرابعة تؤهّله لأن يكون مرشداً والمرحلة الخامسة تؤهّله لأن يكون أستاذاً مرشداً وهذا التدرّج له أصله ولهذه الدرجات أصلها عند العلماء فعند المحدثين توجد رتبة المسند فالمحدث فالحافظ فالحجة فالحاكم فأمير المؤمنين في الحديث، وعند الفقهاء يوجد الفقيه فالمفتي فالمجتهد في المذهب فالمجتهد المطلق، وعند أهل السلوك يوجد المريد فالنقيب فالمرشد فالأستاذ.

ويُراعى في البرامج والمناهج أن تكون متكاملة تجمع المتوارث والمعاصر ويلاحظ في الإجازات الدقّة في العطاء والإشراف والاختبارات والتوثّق ويُلاحظ في السير العلمي أن يعتاد السائر على المطالعة الشخصية وحضور الحلقات العلمية.

لقد عرف بعض العلماء والصوفية في القديم بأنهم علماء ربانيون وطرح بعض المعاصرين شعار الربانية كمعلم للعمل الدعوي ولكن التحديد الدقيق لكلمة الربانية ووصف الطريق النظري والعمل لتخريج الرباني المعاصر بقي غامضاً وهذا دعانا لأن نبذل في هذا الموضوع المهم جهداً.

ونحن ندعو علماء المسلمين ودعاة الإسلام للتعاون فيما بينهم على إقامة صرح الربانية المعاصرة.

ولئن كانت الربانية المعاصرة لها مقومات رئيسية فان المناهج التي تحققها والكتب المعتمدة لذلك قد تكون متعدّدة وقد يرغب بعض الشيوخ بمعان وقد ترغب بعض الهيئات بمعان والأمر واسع، المهم أن يكون هناك اتفاق على المعاني الرئيسية.

فاذا قيل ما الجديد في فكرة مدارس طلاب الربانية ؟

نقول : لا جديد سوى مراعاة الواقع الإسلامي.

فالواقع الإسلامي يتطلّب تعميم نوع من الثقافة الإسلامية يجمع بين المتوارث والجديد الذي يقتضيه العصر لتحصين المسلم من الغزو الفكري والفكر الشاذّ.

والواقع الإسلامي يتطلّب مع الثقافة وجود البيئة التي ينمو فيها المسلم نموًّا فطرياً.

والواقع الإسلامي يفرض أن تواجه الفكرة بالفكرة والشهوة بالتقوى والورع والإتباع

وهذا يقتضي انتساباً لأهل ذلك. وهذا كله يقتضي علماً بأصول الشريعة وفروعها وما تستلزمه المستجدّات على ضوء برنامج متكامل كما يقتضي ذكراً يومياً كثيراً. وقد راعت فكرة مدارس طلاب الربانية ذلك.

ان المسلم مطالب بالكينونة مع الجماعة ويدخل في هذه الكينونة أن يكون مع الفرقة الناجية وذلك بأن يكون من أهل السنّة والجماعة في مذاهبهم الاعتقادية والفقهية والسلوكية ويدخل في هذه الكينونة أن يدخل في بيعة الخليفة الراشد إذا وجد فإذا لم يوجد الخليفة الراشد فهو مطالب بالكينونة مع الطائفة الظاهرة على الحق التي ورد ذكرها في أحاديث كثيرة تكاد تبلغ مبلغ التواتر وأكثر أهل العلم على أن الطائفة هي أهل العلم ويؤيّد ذلك قوله تعالى ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾[1]، فإذا ما أردت أن تكون من الطائفة فالطريق الى ذلك العلم الصحيح الهادف والكينونة مع أهله بالتعلّم منهم أو بمحبتهم وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني والبزار ووثق رجاله الهيثمي :

« أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبًّا ولا تكن الخامسة فتهلك، قال عطاء قال لي مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا، والخامسة أن يبغض العلم وأهله ».

والعلم الصحيح هو الذي يجعلك من الفرقة الناجية وهو الذي يؤهّلك لأن تكون أنت الجماعة فالجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، ومن هٰهنا كان طلب الربانية في عصرنا والانتساب الى الربانيين من فرائض العصر لأنه هو الذي يجعلنا من الطائفة الظاهرة على الحق.

لقد أخذ الله العهد على أهل العلم أن يعلموا قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾[2].

وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم قال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ».

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ **بلّغوا عني ولو آية** ﴾، وجعل الشيخ الياس مؤسس

---

(١) سورة التوبة: (١٢٢).

(٢) سورة آل عمران: (١٨٧).

جماعة الدعوة والتبليغ : العلم والذكر من أركان سير جماعته ولذلك دأبت جماعته على أن تدفع طلابها نحو العلماء.

وجعل الأستاذ البنا العلم ركناً من أركان قيام جماعته وقال لكل فرد من اخوانه « ومَن أراد أن يختار لنفسه تربية خاصة فهو وما يختار ».
لذلك كانت المبادرة التعليمية من الربانيين المجازين حقًّا لهم وواجباً عليهم.

وكانت المبادرة نحو الاستفادة العلمية حقًّا لكل مسلم وواجباً عليه ليحقّق التفقّه في دينه.

ونحن ندعو كل مسلم أن يكون من طلاب الربانية ولا يحتاج ذلك الى اذن من أحد ونحن بالشروط التي التزمنا بها في هذا السير نعتبر كل مَن يعارض هذا العمل صادًّا عن سبيل الله : « وانهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ».

ونعوذ بالله أن نكون ممَّن قال الله عزّ وجلّ فيهم : **﴿ الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾**[1].

ثانياً : نموذج لفكرة مؤسسة خيرية للخدمة الاجتماعية

نحن ندعو أن تنشأ في كل حي وفي كل قرية مؤسسة خيرية يكون لها هيئتها التأسيسية وإدارتها.

ونحن نطرح هنا نموذجاً لنظام داخلي يمكن أن تستفيد منه أي جهة راغبة بإقامة هذا العمل، وإنما نبّهنا على هذا الموضوع بالذات لأننا نعتقد أن الداعية الذي لا يساهم بحلّ مشكلات الناس لا يكون متأسياً برسول الله ﷺ.

وممّا ينبغي أن يفطن له الدعاة أنه ليس شرطاً أن يشاركوا في الأعمال الادارية لكن لا ينبغي أن يغيب عن أذهان الاداريين محل جهد الداعية في البناء الذي شاركوا فيه، ولهذا فإنه ينبغي للاداريين أن يوجدوا صيغة للتعامل مع الدعاة، وهذا هو نظام داخلي مقترح لمشروع إيجاد مؤسسة خيرية للخدمة الاجتماعية :

---

(١) سورة هود: (١٩ ـــ ٢٠).

النظام الأساسي للمؤسسة الخيرية الإسلامية للخدمة الاجتماعية

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد :

فانطلاقاً من رسالة الإسلام التي جعلت فعل الخير فريضة ﴿ **افعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[1].

والدعوة إليه عبادة وجهاداً ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير** ﴾[2] والتعاون عليه واجباً ﴿ **وتعاونوا على البرّ والتقوى** ﴾[3] وإيماناً بما دعا اليه الإسلام من العناية بالمجتمع ومشكلاته ومحاربة الفقر وتقديم العون لكل ذي حاجة ممَّن فرض الله لهم الزكاة وتأسيساً على قاعدة الاخوة الإسلامية وعلى مبدأ التضامن والتكافل الإسلامي.

وحماية للمسلمين من القوى المضلّلة التي تستغل ضحايا الفقر والمرض والجهل واليتم لتفتنهم عن دينهم وتنتزعهم من أمتهم،

ومشاركة للجهود المبذولة في عمل الخير ومساعدة المنكوبين ورعاية المستضعفين

ونهوضاً بهذا الواجب فقد أعلن عن تأسيس (المؤسسة الخيرية الإسلامية للخدمة الاجتماعية) في اجتماع للأعضاء المؤسسين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والعمل الخيري حيث تمّ في هذا الاجتماع إقرار النظام الأساسي للمؤسسة كما يلي :

---

(١) سورة الحج: (٧٧) (٢) سورة آل عمران: (١٠٤) (٣) سورة المائدة: (٢)

الباب الأول : تعريف بالمؤسسة وأهدافها ووسائلها وعضويتها

المادة ١ ــ الاسم والمقر :

المؤسسة الخيرية الإسلامية للخدمة الاجتماعية هيئة خيرية ذات شخصية اعتبارية تأسست في ...

ومقرّها يحدّده مجلس الادارة. ويُشار إليها فيما بعد باسم (المؤسسة).

المادة ٢ ــ الأهداف :

تسعى المؤسسة ــ منفردة أو بالتعاون مع غيرها ــ الى تحقيق الأهداف التالية :

أولاً : رعاية الأرملة واليتيم والعاجز عن العمل.

ثانياً : مساعدة المرضى الذين لا يجدون ما يسدّ تكاليف العلاج والطبابة.

ثالثاً : مساعدة الطلاب الذين لا يجدون مَن ينفق عليهم حتى يستكملوا دراساتهم ويجدوا العمل المناسب.

رابعاً : الإسهام في تهيئة فرص العمل للذين يقدرون عليه ولا يجدونه.

خامساً : مساعدة الذين لا يغطي ريع أعمالهم نفقاتهم.

سادساً : كفاية الذين يخدمون المسلمين ويتفرّغون لشؤونهم.

سابعاً : مساعدة المحتاجين المضطرّين إلى الزواج.

ثامناً : إنشاء أنواع من الأوقاف التي يحتاجها المسلمون.

تاسعاً : تقديم المساعدة المالية التي تحتاجها إقامة فروض عينية أو كفائية.

عاشراً : تقوية الصلات وتنسيق الجهود مع العاملين في مختلف مجالات العمل الخيري أفراداً وهيئات وتبادل الخبرات والمعلومات وتشجيع الجهود التطوعية تنظيماً وعطاء.

المادة ٣ ــ الوسائل :

تعتمد المؤسسة كل الوسائل المشروعة لتحقيق أهدافها ومنها :

أ ــ إقامة صناديق للزكوات والتبرّعات والاستثمارات وغيرها بما يحقّق أهداف المؤسسة.

ب ــ إصدار النشرات للتعريف بأهداف المؤسسة ومنجزاتها.

ج ــ تشكيل اللجان وإقامة الندوات وإحياء ذكرى بعض المناسبات لتقوية باعث العمل الخيري وإسداء العون للمحتاجين.

د ــ تنسيق العمل الخيري مع المؤسسات والهيئات وتنظيم التعاون بين العاملين في هذا المجال.

المادة ٤ ــ العضوية :

مراتب العضوية في المؤسسة كما يلي :

أ ــ عضو مؤسس : وهو المسلم العدل الذي تجاوز الخامسة والعشرين من العمر وساهم في دعم المؤسسة بجهد أو مال أو بهما معاً خلال السنوات الثلاث الأولى من تأسيسها وكان عضواً في الهيئة التأسيسية أو اختارته فيما بعد عضواً فيها.

ب ــ عضو عامل : وهو المسلم الذي انتسب للمؤسسة بهدف دعمها بالجهد أو بالمال أو بهما على نحو دائم.

ج ــ عضو مؤازر : وهو المسلم الذي يتبرّع للمؤسسة بجهد أو مال أو بهما معاً وليست لديه رغبة أو لا تسمح له ظروفه أو ظروف المؤسسة بالانتساب إليها.

د ــ يفقد العضو صفة ورتبة العضوية في المؤسسة بقرار الهيئة التأسيسية للعضو المؤسس وبقرار مجلس الإدارة لباقي الأعضاء في إحدى الحالات التالية :

١ ــ الاستقالة أو الوفاة.

٢ ــ فقدان أحد شروط العضوية المذكورة في المادة ٤.

٣ ــ ثبوت قيام العضو بنشاط يتعارض مع أهداف المؤسسة ونظامها.

الباب الثاني : الهيكل التنظيمي للمؤسسة

المادة ٥ ــ يتشكل الهيكل التنظيمي للمؤسسة من الهيئات التالية:

أ ــ الهيئة التأسيسية

ب ــ مجلس إدارة المؤسسة

ج ــ لجان فرعية محلية

د ــ لجان متخصّصة مؤقّتة أو دائمة

الفصل الأول : الهيئة التأسيسية

المادة ٦ ــ تتألف الهيئة التأسيسية من الأعضاء المؤسسين الذين وقعوا على هذا النظام بموجب الجدول المرفق بأسمائهم.

المادة ٧ ــ للهيئة التأسيسية دورة عادية في العام تبحث فيها الأمور التالية :

أ ــ مناقشة تقرير مجلس الادارة السنوي واتخاذ الاجراءات اللازمة بشأنه.

ب ــ دراسة الخطّة التنفيذية الخاصة بالعام القادم التي يقدّمها مجلس الادارة واعتمادها.

ج ــ مناقشة الحساب الختامي لميزانية العام الماضي ودراسة مشروع الموازنة للعام القادم المقدّمة من قبل مجلس الادارة واعتمادها.

د ــ انتخاب رئيس وأعضاء لمجلس الادارة أصلاء واحتياط وإقالتهم وقبول استقالتهم وتحديد مكافآتهم وتعويضاتهم وفق هذا النظام.

هـ ــ انتخاب المفتش المالي وتحديد مكافأته.

و ــ إضافة مؤسسين جدد بناء على اقتراح الرئيس أو مجلس الادارة أو ربع أعضاء الهيئة التأسيسية.

ز ــ ممارسة بقيّة الصلاحيات والمهمّات التي نصّ عليها هذا النظام.

المادة ٨ ــ تصدر قرارات الهيئة التأسيسية بالأكثرية المطلقة ما لم ينصّ النظام على خلاف ذلك وعند تساوي الأصوات يرجح جانب رئيس الجلسة.

المادة ٩ ــ يرأس الهيئة التأسيسية رئيس مجلس الادارة أو نائبه في حال غيابه وإلّا فأقدم الأعضاء سنًّا.

المادة ١٠ ــ يجوز دعوة الهيئة التأسيسية لدورة طارئة عند الحاجة بقرار من مجلس الإدارة أو بدعوة من رئيس الهيئة أو عن طريقه بطلب يقدّمه ثلث أعضاء الهيئة التأسيسية على أن تحدّد الجهة الداعية سبب الاجتماع وزمانه ومكانه المناسبين ويجب أن يصل التبليغ قبل مدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً من موعد الاجتماع المحدّد.

الفصل الثاني : **مجلس الإدارة**

المادة ١١ ــ يقدّم رئيس مجلس الادارة قائمة بمرشّحين تنتخب الهيئة التأسيسية منهم أعضاء مجلس الادارة، وأعضاء احتياط تملأ الشواغر منهم حسب ترتيب الأصوات. وتنتهي مدة عضوية البديل بانتهاء مدة سلفه.

المادة ١٢ ــ يتشكّل مجلس الادارة من الرئيس ونائبه وأمين السرّ والمحاسب وأمين الصندوق والمدقّق المالي ومن عضوين الى أربعة آخرين.

ويوزّع الرئيس هذه المهمات على الأعضاء بالتشاور فيما بينهم.

المادة ١٣ ــ لمجلس الادارة اجتماعات دورية يتفق عليها بأكثرية الأعضاء، وللرئيس أو ثلث الأعضاء توجه الدعوة لاجتماع طارئ تذكر أسبابه وزمانه ومكانه في بطاقة الدعوة.

المادة ١٤ ــ إذا تغيّب عضو مجلس الادارة عن الاجتماع النظامي الدوري ثلاث مرات متوالية بدون عذر تقبله الادارة يعتبر مفصولاً.

المادة ١٥ ــ إذا شغر مكان عضو الادارة لأي سبب كان يحلّ محلّه عضو الاحتياط وفق المادة ١١ من هذا النظام فإذا تعذّر ذلك ينتخب المجلس العضو البديل بناء على ترشيح المجلس ريثما تجتمع الهيئة التأسيسية لطرح الثقة به أصولاً.

المادة ١٦ ــ اختصاصات ومهمّات مجلس الادارة :

أ ــ تنفيذ السياسة العامة للمؤسسة وإدارة شؤونها وفق النظام الأساسي وقرارات الهيئة التأسيسية.

ب ــ تشكيل اللجان الفرعية والدائمة والمؤقتة، والتعاقد مع العاملين فيها وتحديد رواتبهم ومكافآتهم وعقوباتهم.

ج ــ إبرام العقود والاتفاقيات باسم المؤسسة وإنشاء العلاقات مع المنظمات والجمعيات الأخرى والمشاركة في المؤتمرات وانتداب ممثل المؤسسة فيها.

د ــ وضع اللوائح التنفيذية لتحقيق أهداف النظام الأساسي وقرارات الهيئة التأسيسية بما لا يتعارض معها.

هـ ــ إعداد التقرير السنوي عن نشاط المؤسسة واللجان التابعة لها وعرضه على الهيئة التأسيسية لمناقشته وإقراره.

و ــ إعداد الميزانية السنوية والحساب الختامي للمؤسسة وهيئاتها وعرضها على الهيئة التأسيسية لمناقشتها وإقرارها.

ز ــ الإشراف على أموال المؤسسة وإدارتها وحفظها واستثمارها ومتابعة تطبيق القرارات النافذة.

المادة ١٧ ــ تحدّد مهمات كل من أعضاء مجلس الادارة إضافة لما ورد في هذا النظام بما يلي :

أ ــ رئيس المجلس:

١ ــ يرأس اجتماعات الهيئة التأسيسية ومجلس الادارة.

٢ ــ يوجّه الدعوة لاجتماعات الهيئة التأسيسية ومجلس الادارة ويرأس اجتماعاتها الدورية والطارئة.

٣ ــ يمثّل المؤسسة أمام الجهات الأخرى.

٤ ــ يوقع على القرارات الصادرة ويشرف على حسن سير العمل في المؤسسة وتطبيق النظام وتنفيذ القرارات.

ب ــ نائب رئيس المجلس : يقوم بما يكلّفه به الرئيس ويحلّ محلّه عند غيابه أو عجزه.

ج ــ أمين السر : يتولى مسؤولية ضبط الجلسات في اجتماعات الهيئة التأسيسية ومجلس الادارة وتدوين محاضر المداولات وصياغة القرارات والتوصيات وعرضها

للتصويت أثناء المداولة ويمسك السجلات اللازمة ويحفظ الوثائق والمستندات الادارية ويوقّع على القرارات ومحاضر الجلسات الى جانب الرئيس.

د ــ المدقّق المالي : هو المسؤول عن وضع الميزانية السنوية والحساب الختامي والاشراف على الانفاق ومتابعة تنمية الموارد وتدقيق وثائق الصرف والقبض وموجودات الصندوق والمؤسسة وحسن تطبيق القرارات والتعليمات واللوائح المالية النافذة.

هـ ــ المحاسب : مسؤول عن مسك القيود المالية وحسابات المؤسسة لدى المصارف والجهات الأخرى. ومطابقة قيوده مع موجودات الصندوق يومياً والتأكد من نظامية وشرعية النفقات.

و ــ أمين الصندوق : مسؤول عن ضبط المال النقدي ومطابقة عمليات الصرف والقبض الفعلية لديه على القيود المحاسبية المعتمدة وتنفيذ التعليمات المالية الصادرة وفق النظام وقرارات الهيئة ومجلس الادارة واللوائح المعتمدة.

ز ــ بقيّة الأعضاء : مسؤولون عن تنفيذ المهمّات التي توكّل اليهم وفق تعليمات هذا النظام وطبيعة المهمّة وقرار التكليف.

المادة ١٨ ــ مدّة مجلس الادارة أربع سنوات ويجوز إعادة انتخاب العضو أكثر من مرة.

الفصل الثالث : **اللجان الفرعية، واللجان الدائمة والمؤقتة**

المادة ١٩ ــ لمجلس الادارة تشكيل لجان فرعية ولجان أخرى دائمة ومؤقتة حيثما تدعو الحاجة وبموجب لائحة عمل خاصة بها يعتمدها مجلس الادارة وفق هذا النظام.

المادة ٢٠ ــ يجري تعيين اللجان المذكورة وحلّها بقرار من مجلس الادارة وفقاً لمضمون لائحة العمل المُشار إليها في المادة السابقة.

الباب الثالث : النظام المالي للمؤسسة

المادة ٢١ ـــ يعتمد مجلس الادارة واللجان الفرعية كل الضوابط الشرعية والمحاسبية والقانونية فيما يساعد على الاستقامة ويدعم الثقة.

المادة ٢٢ ـــ أبواب واردات المؤسسة :

١ ـــ الاشتراكات.
٢ ـــ الهبات والتبرّعات والوصايا والنذور.
٣ ـــ الزكاة.
٤ ـــ الأوقاف والوصايا الخاصة.
٥ ـــ واردات المشاريع الاستثمارية.
٦ ـــ الواردات المختلفة.
٧ ـــ القروض.

المادة ٢٣ ـــ أبواب نفقات المؤسسة :

هي الأبواب التي حدّدتها المادتان ٢ و٣ من هذا النظام مضافاً إليها :
أ ـــ رواتب وأجور وتعويضات العاملين.
ب ـــ اللوازم والأثاث والتجهيزات.
ج ـــ النفقات المختلفة الأخرى.
د ـــ القروض.

المادة ٢٤ ــ تجري المناقلة بين أبواب الموازنة بقرار من مجلس الادارة عند الحاجة فيما عدا أبواب الزكاة والمشاريع والوصايا الخاصة والقروض.

المادة ٢٥ ــ آمر الصرف هو رئيس المجلس أو نائبه حال غيابه أو مَن يكلّفه بذلك. على ألّا يتمّ صرف أي نفقة من الصندوق إلّا بموجب أمر صرف يوقّعه آمر الصرف والمحاسب وأمين الصندوق.

المادة ٢٦ ــ يفتح باسم المؤسسة حساب مصرفي أو أكثر في أحد المصارف الإسلامية ولا يتمّ سحب أي مبلغ إلّا بتوقيع آمر الصرف والمحاسب وبمعرفة أمين الصندوق.

المادة ٢٧ ــ مع مراعاة مضمون المادة /٢٦/ السابقة لا يجوز صرف أي نفقة تزيد عن مبلغ / / / إلّا بقرار مجلس الادارة، وفيما دون ذلك فيكتفى بتطبيق المادة /٢٦/ السابقة على أن تتم الموافقة اللاحقة على ذلك بقرار مجلس الادارة.

المادة ٢٨ ــ لا يجوز لأمين الصندوق أن يحتفظ في صندوق المؤسسة بما يزيد عن / / / يوميًّا ويوضع ما يزيد عن ذلك في حساب المؤسسة المصرفي أصولاً.

المادة ٢٩ ــ يتمّ قبض الواردات بأمر قبض وصرف النفقات بأمر صرف ويحدّد أسلوب استعمال السجلات والايصالات والقيود الأخرى بتعليمات خاصة تصدر عن مجلس الادارة بناء على اقتراح المدقّق المالي.

المادة ٣٠ ــ توضَع للمشاريع الاستثمارية لوائح مالية خاصة بها عند الحاجة تعتمد من قبل مجلس الادارة وتخضع للتصديق اللاحق من قبل الهيئة التأسيسية في أول دورة لها.

المادة ٣١ ــ تضع اللجان الفرعية لوائحها المالية على ضوء هذا النظام على أن يتمّ اعتمادها من قبل مجلس الادارة.

المادة ٣٢ ــ تبدأ السنة المالية للمؤسسة في أول آب وتنتهي في نهاية شهر تموز من العام التالي.

المادة ٣٣ ــ إعداد الميزانية والموازنة :

أ ــ يعد مجلس الإدارة بإشراف المدقّق المالي ميزانية العام الماضي للمؤسسة وفروعها مع الحساب الختامي كما يعد مشروع الموازنة للعام القادم بناء على الموازنات

الرئيسية والفرعية للمؤسسة وتقارير اللجان. كما يعد الخطّة التنفيذية المتعلّقة بالعام القادم مرفقة بالتقرير السنوي.

ب ــ يضع المفتش المالي تقريره العام السنوي على ضوء الميزانية والموازنة والخطة التنفيذية والتقرير السنوي العام ويرفعها جميعاً إلى الهيئة التأسيسية في دورتها السنوية لمناقشتها واعتمادها على ضوء هذا النظام.

المادة ٣٤ ــ يجري التدقيق اللاحق لميزانية السنة الماضية بكافة وثائقها ومستنداتها من قبل المدقّق المالي ويعد تقريره على ذلك ليناقش ويعتمد من قبل مجلس الادارة، ولا يجوز إتلاف الوثائق والمستندات الخاصة بها إلّا بعد سنتين من اعتماد تقرير المدقّق المالي وبموجب قرار مجلس الادارة.

الباب الرابع : في المبادئ العامة

المادة ٣٥ ـــ لا يجوز إلغاء أو إضافة أو تعديل أي مادة في هذا النظام إلّا ضمن الشروط التالية :

١ ـــ أن يتقدّم ربع أعضاء الهيئة التأسيسية بطلب ذلك في جلسة نظامية تضمّ الأكثرية المطلقة لأعضائها.

٢ ـــ يعمّم مجلس الادارة الطلب المقترح على كامل أعضاء الهيئة التأسيسية للدراسة فيما بين الدورتين.

٣ ـــ يعتمد الطلب المقترح إذا اقترن بموافقة ثلثي أعضاء الهيئة التأسيسية.

المادة ٣٦ ـــ فيما لا نصّ خاصٌ بشأنه في هذا النظام فان القرارات تؤخذ بالأكثرية المطلقة وعند تساوي الأصوات فصوت رئيس الجلسة هو المرجّح.

المادة ٣٧ ـــ لا يجوز حلّ المؤسسة إلّا بقرار يصدر عن ثلثي أعضاء الهيئة التأسيسية في اجتماع نظامي صحيح. وينبغي لهذا القرار أن يتضمّن تحديد لجنة التصفية وأسلوبها والجهة التي تؤول إليها ممتلكات المؤسسة وأموالها وحقوقها ملاحظاً في ذلك الأحكام الشرعية وأهداف هذا النظام.

اعتمد هذا النظام في اجتماع الهيئة التأسيسية الجاري في

الفصل الثامن

في دليل عمل الدعاة

ركّزنا في الفصل السابق على المجالين الأكثر أهمية في عمل الدعاة وههنا نلفت النظر إلى خطوط رئيسية ينبغي أن يفطن لها الدعاة ويقيموا منها ما يستطيعون إقامته، وينفّذوا ما يستطيعون تنفيذه، والعلم بساحة عمل الداعية خير من الجهل به، ولكن لا يصحّ أن يكون شيء بعينه هو الميزان لعمل الداعية، بل إن كل عمل دعوي جزى الله أصحابه خيراً قلّ أو كثُر، فإن لم يكن إلّا درس في الأسبوع فجزى الله صاحبه خيراً وإن كان أكثر من ذلك فجزى الله صاحبه خيراً، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نذكر بخطوط عريضة لساحة عمل الداعية فلنذكر ما ييسّر الله ذكره من هذه الخطوط العريضة :

من أهداف الدعاة

١ ــ تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، نقيّة خالصة من الشوائب حيّة متصلة بالعصر ومشكلاته والحاضر ومتطلّباته، وإعادة صلة المسلمين بالإسلام إيماناً وفهماً وعملاً.

٢ ــ إقامة الحجة على العالمين شعوباً وأفراداً على أن الإسلام دين الله وأن الإنسان مكلّف به ومكلّف بالدعوة له والعمل به ومن أجله.

٣ ــ تنظيم الدعوة إلى الله بحيث لا يبقى مسلم إلا وتحرّك بها حتى لا يبقى إنسان إلّا وقد بلغته على الكمال والتمام.

الدعوة الإسلامية فريضة مستمرة

لقوله عليه الصلاة والسلام « بلّغوا عني ولو آية » فالمسلمون بمجموعهم مكلّفون أن يقوموا بعملية البلاغ عن الله رب العالمين وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، فكلّما جاء جيل طولب بتعميم الدعوة بالقدر المستطاع قال تعالى ﴿ **لتنذر به ومن بلغ** ﴾[1] فمهما استطاع المسلمون أن يبلغوا دعوة الله فعليهم أن يفعلوا ذلك وإذا قصروا فهم آثمون وإنما تتأكد الفرضية أو تتعيّن على القادرين ومن هٰهنا كان بعض الأمة مطالباً أكثر من غيره : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[2].

الدعوة هي الوسيلة لكل ما بعدها

إذا كانت الدعوة الى الله هدفاً بحدّ ذاتها فهي وسيلة لكل ما سواها من الأهداف كتزكية النفس وقيام الشخصية المسلمة ووجود الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة الإسلامية محليًّا وعالميًّا فكل ذلك متوقف على الدعوة وعلى النجاح فيها فبقدر ما تبذل من جهود رشيدة فيها يكون القرب من الأهداف العامة التي كلّف الله عزّ وجلّ بها عباده ولذلك يعطى للدعوة من الأولوية ما لا يعطاه شيء آخر.

المناخ المناسب للدعوة

ومن أهمّ ما يحرص عليه الدعاة وجود المناخ المناسب للدعوة، فمناخ الحرية خير مناخ للدعوة، ولقد كان رسول الله ﷺ يحرص على أمن الدعوة والداعية، وقد أمنت الحماية للدعوة مدة حياة أبي طالب ثم وجدت لرسول الله حماية من قبل المطعم بن عدي، وهذا كله يجعل الدعاة أمام حقيقة يجب أن يتعاملوا معها، وهي أنهم مهما استطاعوا أن يوجدوا للدعوة مناخاً مناسباً فعليهم أن يفعلوا.

---

(١) سورة الأعراف: (٢).

(٢) سورة آل عمران: (١٠٤).

قد يكون المناخ المناسب في العمل هو الرخصة والقانون، وقد يكون المناخ المناسب حماية الرأي العام وقد يكون المناخ المناسب التفاهم مع مَن بيدهم الأمر وقد يكون وقد يكون... المهم هو تأمين المناخ المناسب للدعوة بأي وسيلة متاحة مباحة، فإذا أعجزتنا الحيل فعندئذ يُصار للبحث عن أساليب دعوية تناسب واقع الحال كالسرية والدعوة الفردية وغيرها، المهم ألَّا تتوقف الدعوة.

تقدير الموقف والتكيّف معه

مما مرّ ندرك أهمية تقدير الموقف بالنسبة للداعية والتأقلم معه، فهل ينطلق الداعية من خلال العفوية أو من خلال التنظيم ؛ أو من خلال السرية أو الجهرية من خلال الحلقات وحدها أو يضيف إليها من خلال الخطاب العام أو يضيف إليه الخطاب الخاص، من خلال التعريف فقط أو من خلال تعريف وتكوين، أو من خلال تعريف وتكوين وتنفيذ، ان اعتماد أسلوب العمل لا بدّ أن يكون خاضعاً لتقدير دقيق للموقف يُلاحظ فيه القانون والنظام والرأي العام بما لا يعطل حكماً شرعياً ولا يجمد دعوة.

ساحة الدعوة

وساحة الدعوة ابتداءً وانتهاءً هي المجتمع كله الذي يعيش فيه الداعية، فإذا كان المجتمع يتألف من رجال ونساء ومن أطفال وشباب وشيوخ، من حكّام ومحكومين، من إسلاميين وغير إسلاميين، من مسلمين وغير مسلمين، من عمّال وموظفين، من مؤسسات ونقابات واختصاصات، من قرى ومدن من بدو وحضر، فإن هذه الساحة كلها يجب استشرافها ويجب أن يصل الداعية إليها كلها بدعوته.

الدعوة بالقدوة والكلمة

ومفتاح النجاح في الدعوة هو شخصية الداعية، والداعية الحق يدعو إلى الله بحاله ومقاله وإذا وجد المقال بلا حال فالتأثير ضعيف ولذلك قالوا : « حال رجل في ألف أفضل من مقال ألف في رجل ».

ومن هٰهنا كان للقدوة في شخصية الداعية أثرها الكبير على نجاح الداعية، فالداعية يجب أن يكون القدوة للخلق قال تعالى : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما** ﴾[1].

وليس هناك أخطر على الدعوة من أن تتناقض أقوال الدعاة مع أفعالهم ولأمر ما أمر الله عزّ وجلّ المؤمنين بأن يتبعوا سبيل المهتدين وبأن يكونوا مع أنواع من الناس متّصفين بصفات خاصة : ﴿ **واتبع سبيل مَن أناب الي** ﴾[2]،﴿ **ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[3] .

وعلى الداعية وهو يحاول أن يكون القدوة أن يصحّح نيّته فهذا مكان يختلط فيه الإخلاص بالرياء، والنيّة وحدها هي المميّز، ومجال الاختلاط كامن حين يقبل الناس على التأثر بالداعية والانجذاب نحوه، فينفتح صدره ويحسّن منطقه، ويحرص على مرضاة الناس وكسب تأييدهم، وإذا به بعد ذلك يبتعد فيلين الى منكرهم، ويبتعد عن إغضابهم حتى لا يتأذّوا من أوامره، ويوافق بين أهواء الناس وطبيعة هذا الدين، وتبدأ نقطة الانحراف صغيرة، ثم تكبر هذه الزاوية، حتى يغدو الداعية داعية لنفسه، ويربط الناس بشخصه لا بعقيدته أما أجره فيفقده، ويكون من الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة، فيصبح كما يقول أحدهم : « كثيرون من الناس يبتدئون دعاة الى الله وينتهون دعاة لأنفسهم ».

مراكز الدعوة

الدعوة إلى الله بضاعة الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء، وكل بضاعة تحتاج إلى عرض ومكان عرض، وبقدر ما يفتح الدعاة مراكز لبضاعتهم ويقومون على شأنها حق القيام يكونون في محل أداء الواجب، ومراكز الدعوة إلى الله المساجد والبيوت والمراكز الإسلامية والمكتبات وغير ذلك وعلينا أن نملأ هذه المراكز وأن نكثرها وأن نعمّمها فخطب المساجد ومحاضراتها وحلقاتها وحلقات البيوت العلمية الدعوية،

---

(١) سورة الفرقان: (٧٤).

(٢) سورة لقمان: (١٥).

(٣) سورة التوبة: (١١٩)

والمحاضرات والخطب والدروس في المراكز الإسلامية، وتكثير المكتبات وتعميم الكتاب الإسلامي الموثق كل ذلك مهم في باب الدعوة إلى الله.

وسائل الدعوة

أهمّ وسائل الدعوة الكلمة مكتوبة أو مسموعة أو مقروءة ويدخل في ذلك : المحاضرة والخطبة والدرس والكتاب والرسالة والمجلة والجريدة والاذاعة والتلفاز والتدريس من خلال تبليغ ووعظ وتعليم، ولكن كيف تصل الى المسجد أو الجريدة أو المكتبة أو الاذاعة أو التلفاز أو المدرسة لتصل من خلال ذلك الدعوة إلى أكبر قطاع من الناس بل إلى كل فرد في المجتمع ومن ههنا وغيره نصل الى فكرة التخطيط والتنظيم والعمل الواعي لإقامة الدعوة الى الله في مجتمعات معقّدة في عصر معقّد أعطاك الكثير ان استطعت الوصول إليه وسلبك الكثير اذا كنت من العاجزين.

التنظيم والتخطيط

ان تعميم الدعوة الى الله على مستوى مجتمع أو على مستوى الانسانية ليس أمراً سهلاً ولا يمكن أن يتمّ بين يوم وليلة لأن الدعوة الى الله لا تعني فقط أن يؤمن الانسان بالله بل تعني أن يؤمن بالله ورسوله ودينه وأن يصبغ ذاته وأسرته وكل شيء بهذا الايمان، وليس ذلك سهلاً بل هو عملية متجدّدة متكاملة تتلازم مع أنواع من الصراع ضدّ الغرائز الوحشية وضدّ الأخلاق السيّئة وضد التيارات الفكرية الخاطئة وما أكثر ذلك في عصرنا، وكل هذا يقتضي عملاً دائباً مستمراً منظّماً مستوعباً الساحة الاجتماعية كلها. وهذا كله يقتضي تخطيطاً محكماً وتنفيذاً دقيقاً إذا ما أردنا النجاح الكامل.

انك اذا ما أردت أن توجد ملاكاً دعوياً كاملاً لمسجد مثلاً، يغطي خطبته وامامته ودروسه ومحاضراته والنشاطات وحسن صلة بالوزارات المختصّة بذلك، وإذا ما أردت أن تغطي العمل الدعوي في مدرسة فضلاً عن تغطية العمل الدعوي في كل المدارس فإنك تحتاج إلى كل ذلك فاذا ما أدخلت في برنامجك الجرائد والمجلات والاذاعة والتلفاز فكم من عمل منظّم وتخطيط محكّم أنت بحاجة لهما.

ومن فروض الكفايات على المسلمين في العالم وعلى المسلمين في أقطارهم أن يخطّطوا لتعميم الدعوة والبلوغ بها كل مبلغ، فعلى مستوى الطلاب ترسم خطة لإيصال الدعوة إلى كل طالب ثم المستجيبون ترسم لهم خطط التعليم والتربية وترسم لكل فرد منهم خطة عمّا ينبغي أن يوجّه إليه مما يخدم به الدعوة الإسلامية في جانب من الجوانب.

ويُراعى في الخطط التأهيل الدعوي والتربوي والفرز والايصال لكل قطاعات التأثير التوجيهي.

الداعية والعلاقات الاجتماعية مع المدعوّين

والاتصال بالناس يقتضي أن يكون الداعية موطأ الأكناف، متواضعاً سهلاً رحب الصدر بالناس جميعاً ويقود مَن حوله من خلال المحبة والخدمة والحركة يغفر هفواتهم ويتجاوز عن مسيئهم، ويرعى محرومهم، ويشارك في أفراحهم وأتراحهم، وأن يكون محل آمالهم في خدمتهم وتلبية حوائجهم، وهذا يدفعه إلى أن يكون له شبكة علاقات واسعة ليستطيع الخدمة والشفاعة، هذه الشبكة ينبغي أن يصل بها إلى الإسلاميين جميعاً وإلى المتديّنين وإلى المسلمين، كما انك قد تضطرّ إلى أن تكون لك علاقة بغير المسلمين، ولا خدمة ولا شفاعة إذا لم تكن لك علاقات بالمؤسسات ودوائر الدولة وههنا يختلط ما هو جائز بما هو محظور فعليك أن تميّز وأن تنأى بنفسك واخوانك عن المحظور الذي تحظره الفتوى الصحيحة من أهلها وإلّا فكثيرون من الناس يحرمون ما أحلّ الله، وعلى الداعية أن لا ينسى هدفه القريب والبعيد بسبب من التقرّب إلى الناس، كما ان عليه أن يحيي الزيارات والعيادات وإصلاح ذات البين والتسامح والمعاني التي تخدم بقاء الإسلام وقوة جماعته وأن يكون قوي المبادرة يسبق المشكلة ويحلّها ويتذكّر المناسبة قبل مجيئها ويسرع إلى الخير والتذكير به.

الداعية المستشرف

والداعية المستشرف لا يضيق ذرعاً بكثرة الدعاة ولا بكثرة الدعوات بل يحاول بشكل ما أن يجعل الجميع يصبون في مسرى واحد نحو هدف واحد، بل يحاول من خلال التصرّف الحكيم أن يجعل من التعدّد وحدة، ومن المضار فوائد من خلال

الصبر والنصح والتوجيه والارشاد، والتجربة الإسلامية المعاصرة تشير إلى وجود حالات ينصهر فيها جميع المستجيبين لدعوة الله في تيار واحد مهما تباينت وجهات نظرهم، فهذه الثورة الجزائرية انصهر فيها اتباع جمعية العلماء مع الصوفيين مع السلفيين.

نماذج دعوية ناجحة

انه لا أحد يستطيع أن ينكر النجاح الكبير الذي حقّقته الحركة الإسلامية المعاصرة في باب الدعوة على انه من المناسب كذلك أن ندرس كل خطوة دعوية ناجحة وأن نضعها تحت المجهر لاستخراج دروسها وإيجابياتها، كجماعة التبليغ والعلماء العاملين المنتشرين في كل مكان، ولا ننسى أبداً انه وراء كل نجاح دعوي يوجد رجل ناجح اجتمع له علم وإخلاص ومساعدون أكفّاء ولعل أهم شيء على الإطلاق في نجاح كل دعوة هو هذا.

وإذا كان التكليف بالدعوة مطالباً به كل مسلم فان واجب الجماعات من ذلك أكبر من واجب الأفراد لأن الواجب الدعوي في حق جماعة ما هو محصلة الواجبات الفردية لكل فرد فيها وزيادة لأنه بالتنظيم والترتيب تزداد الطاقات وتتضاعف، وتتأكد المطالبة الجماعية في حق الجماعات التي تتوافر فيها شروط جماعة المسلمين أو هي مظنّة ذلك فتقصير هذه وتفريطها أكثر خطراً وأشد ضرراً ومن ههنا يجب على هذه الجماعات أن تؤدّي الواجب كاملاً، بأن توجد الرجال المؤهلين وأن توجد المؤسسات الدعوية.

خطوات مطلوبة

١ ـــ تدريب بعض الاخوة على الكتابة والخطابة والتدريس.

٢ ـــ التوجيه للاختصاص في العلوم الشرعية والانسانية لتخريج مختصّين في هذه العلوم يغطون احتياجات العمل الدعوي.

٣ ـــ التوجيه للاختصاص في وسائل الإعلام المختلفة : خطب، مساجد، جرائد، إذاعة، تلفاز.

٤ ــ بناء العلاقات الاجتماعية وإقامة الجسور مع الدوائر التالية: أ ــ الإسلاميون ب ــ الأحزاب، ج ــ كبار الأسر والعشائر، د ــ دوائر الدولة، هـ ــ مؤسسات الدولة، و ــ الحركة النقابية.

٥ ــ إيجاد مسؤولين عن الدعوة إلى الله في كل دائرة وفي كل حي وفي كل قرية ولكل مسجد وفي كل نقابة وغير ذلك.

٦ ــ إيجاد اختصاصيين في متابعة قوى الشرّ التي تؤثر على سير الدعوة الى الله من أحزاب ومحافل وجمعيات ومؤسسات ومكتبات ومدارس تبشيرية وجرائد ومجلات وإذاعات ومحطات تلفزيون، ورصد نشاطاتهم والبحث عن الوسائل الجديّة لمواجهة خطرهم.

٧ ــ إتقان العمل المسجدي وتطويره. فالارتباط بالمسجد وتلقّي العلم فيه من العلماء العاملين من أعظم وسائل التربية الإسلامية بل خريجو المساجد المتربّون على العلماء العاملين هم الذين يمثلون النماذج الأرقى.

ثم ان تنظيم العمل المسجدي هو الذي يتيح انتشار الدعوة والوصول بها الى كل فرد، فلم يزل المسجد هو الوسيلة الأقوى لربط أهل الإسلام، وهو الوسيلة الأولى لإيصال الدعوة الى كل فرد.

ومن هٰهنا فانه لا بدّ من العودة الى المسجد وإحياء رسالته، وقد نحتاج من أجل ذلك الى أن ننشئ حلقة لكل حي أو قرية مهمّتها الموضوعات المحدّدة التالية :
أ ــ إنشاء لجنة أو جمعية لإعمار المساجد في دائرتها حسًّا ومعنى.
ب ــ إقامة مجالس العلم والذكر في دائرة عملها في البيوت وفي المساجد.
ج ــ إنشاء مدرسة في كل مسجد.

وينبغي أن يأخذ هذا كله طابعاً علمياً دعوياً جهرياً لا يثير حساسيات أحد، وينبغي أن تطوّر له نظرية تنظيمية مناسبة. كما ينبغي أن يعبأ لهذا العمل خريجو المعاهد الشرعية وأصحاب الاختصاص ومن الصور الايجابية أن تتبنّى جهة معروفة الدعوة الى مثل هذا.

٨ ــ ندب الأغنياء لإرسال متخصّصين في الدراسات الشرعية العليا.

٩ ــ تفريغ الدعاة تفريغاً جزئياً أو كلياً وتنظيم الاستفادة منهم.

المبادرة الدعوية

هذا وينبغي أن يمتلك كل مسلم زمام المبادرة الدعوية فلا يفوت فرصة إلّا ويستفيد منها لصالح الدعوة. فحيثما توقفت المبادرة توقفت الحيوية والفاعلية وحيثما تجمّدت الحيوية والفاعلية تجمّدت الحياة، ومن المبادرات التي ينبغي أن يقوم بها الدعاة :

— إيجاد الدراسات ونشر كتب الدعوة وتوزيعها.

— الاتصال مع بعض المحسنين لدعم فكرة نشر الكتاب الإسلامي على نفقاتهم.

— تشجيع الكتابة خدمة للفكرة الإسلامية على مستوى : رسائل الجيب، القصة القصيرة، الكتب الميسّرة.

— تبنّي إصدار المجلات والصحف الإسلامية.

— نشر الوعي الإسلامي العام من خلال رسائل تعالج مشاكل واقعية لدى الناس وحثّهم على إحياء السنن واماتة البدع والعادات الضارّة.

— عقد دورات ولقاءات متخصّصة لكل العاملين في نشر الدعوة منها : دورات للخطباء والوعاظ والمدرّسين. لقاءات للعلماء المتصدّرين لتعليم الناس تعليماً منتظماً في مساجد أو بيوت لتقديم الخبرات وتنسيق الجهود. دورات للعاملين في مجالات دور القرآن.

— تزويد المسلمين بالخبرات والرسائل التي تجعل كلا منهم داعية وتبصرهم بوسائل الاتصال الفردي لنشر الدعوة.

— العمل على العودة للمساجد لتحقيق نشر الدعوة وإحياء رسالة المسجد.

— إنشاء دور للقرآن أو العلوم الإسلامية في المساجد لتحقيق نشر الدعوة.

— إيجاد دروس علمية متخصّصة لتبصير الناس بدينهم ولتحقيق وعي جماهيري بالإسلام.

— عقد لقاءات عامة ومنتديات ومؤتمرات عامة تتحدث عن الإسلام ودوره..

دقائق ينبغي التفطّن لها

هناك دقائق في شأن الدعوة الى الله يجب التفطن لها وإلا فالدعوة تجنح أو تميل فتتعرّض للخطر، من ذلك :

صيانة العمل من التمزّق، والاعتدال في السياسات والمواقف إلا اذا اقتضت الحكمة شيئاً آخر، فالسير على صراط مستقيم في موضوعات التصوّف والسلفية والاتجاهات

العقلية، التركيز على القضايا الكبرى وطي ما يثير الخلافات ما أمكن، والفطنة لمخاطر الطريق ونتائج الأعمال ومعرفة الاحتمالات كل ذلك ممّا يعين على الحركة المتوازنة المستمرة المنتجة بإذن الله، وهذه نماذج والأمر واسع.

المرحلية والبرمجة

لا نستطيع أن نفعل كل شيء دفعة واحدة وفي وقت قصير لذلك كان البحث عن النقاط التي لها الأولوية واعتماد برنامج زمني لتحقيقها من أهم ما يجب أن ينصب عليه تفكير المفكرين، والمهم إلّا تمرّ لحظة إلا بعمل والمهم أن يكون العمل منتجاً، وأن تكون خطواتنا اللاحقة مكمّلة لخطواتنا السابقة بحيث نخرج سنوياً برصيد جديد يُضاف إلى الماضي ليتكامل البناء بإذن الله تعالى سواء على المستوى القطري أو المستوى العالمي.

ومن ههنا نطالب الدعاة أن يحدّدوا الأولويات وأن ينطلقوا على ضوء برنامج واضح.

ونرجو على المستوى العالمي أن تتحدّد الأولويات وأن يتمّ الانطلاق على ضوء برنامج واضح.

اقتراح للتأمل

ـــ من خلال الدراسة لفكرة الإجازة والفراغ يمكن أن نقترح مدة الثلاثين الى الأربعين يوماً مدة الدورة في مدرسة تأهيل الدعاة، ويقترح أن يكون موعدها السنوي الصيف.

الخاتمة

جعلنا هذه الرسالة تحت عنوان : (إجازة تخصّص الدعاة) مع أن الحيز الذي أخذه الكلام عن الإجازة كان قليلاً، ولكن تحدثنا في الرسالة عن كل ما هو ضروري للداعية ليُعطي إجازة تخصّص الدعاة.

فشروط الكمال في الداعية، ومعرفة الداعية لساحة العمل الدعوي شيء لا بدّ منه لنيل إجازة تخصّص الدعاة التي هي المقدمة لإيجاد صف ذي جدارة وأهلية لإقامة العمل الإسلامي الذي ما زال يشكو من القصور الكثير.

إن كثيرين من الدعاة يركّزون على أدب الجندية وهذا شيء طيب، ولكن كثيرين من هؤلاء لا يفطنون أن يتحدّثوا عن كمالات الداعية وعن شروط القيادة الراشدة، وكثيرون من الناس يريدون بأن يسلم الناس لهم دون أن يبذلوا جهداً في تكميل أنفسهم ليكونوا جديرين بثقة الناس، ولذلك كان لا بدّ من أن يكون هناك تفصيل في شروط الداعية، وفي معرفة ساحة عمل الداعية، فكانت هذه الرسالة.

ولقد ذكرت في هذه الرسالة كلاماً ذكرته في رسائل أخرى وفي كتب أخرى، ولكن جاء هذا في سياق وذاك في سياق، ولكلٍّ محلّه، الداعية الى الله لا يلتزم بألّا يكرّر معنىً مرتين فهناك معانٍ رئيسية يحتاج الداعية إلى أن يذكر بها كثيراً.

وعليه أن يتخير من الأساليب وطرق العرض ما يوصل فيه هذه المعاني الى أكبر قطّاع من الناس ويعمّقها في نفوسهم، أنظر إلى القرآن الكريم كيف أن القصة الواحدة

يعرضها مرة في سياق، ومرة في سياق، ومرة مطوّلة ومرة مختصرة، ومرة يذكر منها جانباً ومرة يذكر منها جانباً آخر، وانظر إلى القرآن الكريم كيف يؤكد على بعض المعاني فيذكرها مرات وكرات، كل مرة بأسلوب وطريقة عرض تكمل الأخرى وتؤكدها في النفس، ومن هٰهنا لا ينبغي للداعية أن يمل التكرار من التأكيد على بعض المعاني، ولا ينبغي لمَن يسمعه من ملازميه أن يملّوا من ذلك، فهذه وصية للداعية والمدعو نختم بها هذه الرسالة والحمد لله رب العالمين.

فهرس الرسالة الخامسة

إجازة تخصص الدعاة



الرسالة السادسة :

غِذاءُ العبوديّة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

يبحث الكافرون عن مزيد من الحرية، وإذا تعبّد أحدهم لله فعلى غير طريق العبودية الحق لله، ويبحث المسلم عن مزيد من العبودية لله، ويحاول أن يتحرّر من كل ما يستعبده سوى الله، سواء في ذلك العبودية للجاه أو للمظهر أو للمجتمع أو لغرض من أغراض الدنيا، وذلك مقتضى قوله « لا إله إلا الله ».

فالعبودية هي أرقى مقام يتطلّع إليه المسلم، وقد وصف الله عزّ وجلّ رسوله بالعبودية أثناء الكلام عن مقاماته ومعجزاته، قال تعالى : ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾[2] وإذ طالب الله عزّ وجلّ بأن يعرف التوحيد قال تعالى : ﴿**فاعلم أنه لا إله إلّا الله**﴾[3] فتلك مطالبة بالضرورة بأن يؤدّي واجب العبودية، والعبودية تقتضي معرفة بالعقائد، وقياماً بالعبادات، واستقامة على منهج الحياة، واستقامة على منهج الشريعة، وكل من هذه الثلاثة يعمّق الأخريين ويساعد عليه، غير أن هناك معالم أربعة كبرى تغذي مقام العبودية هي : الذكر ودراسة المنهج والنصرة والإنفاق.

---

(١) سورة الكهف: (١).

(٢) سورة الإسراء: (١).

(٣) سورة محمد: (١٩).

ومن هٰهنا كتب: هذه الرسالة لإبراز دور هذه القضايا الأربع في تغذية مقام العبودية ولتوضيح ماهيّتها.

وإذا كانت العبودية أثراً عن التوحيد فلا بدّ من كلمة عن التوحيد، وهكذا أصبحت الرسالة خمسة فصول وخاتمة.

* * *

إن مغذيات التوحيد كثيرة ولكن إرجاعها إلى أصولٍ ممكن وقد تتبّعنا الأصول التي يدخل فيها غيرها فوجدناها أربعة، والأربعة يمكن أن تتداخل، ولكن التفصيل فيها مفيد وهذه الأصول الأربعة ركّزنا على بعضها مما تكثر الحاجة إليه، فنصرة رسول الله ﷺ تدخل فيها أشياء كثيرة أشرنا إلى بعضها. والذكر يدخل فيه التكليف وغيره وقد ركّزنا على أجزاء منه. والعلم المطلوب تدخل فيه فروض العين وفروض الكفاية وتدخل فيه واجبات ومندوبات وقد ركّزنا على بعض المطلوب. وإذاً فما نذكره هنا من مغذيات الإيمان والتوحيد لا يُراد به الاستقصاء وانما يُراد به التذكير بما لا ينبغي أن يغيب عن قلب مسلم.

نقول وبالله التوفيق:

الفصل الأول

كلمات في التوحيد

قال تعالى : ﴿ **ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها** ﴾[1]

إن للتوحيد ثمراته الطيبة فالايمان بضع وسبعون شعبة، فشعب الايمان كلها أثر عن كلمة التوحيد، هذه الشجرة لا بدّ أن تُسقى لتُؤتي ثمارها الطيبة اليانعة الكريمة، وسقايتها أولاً تكون بالأذكار، لأن الذكر هو الحياة وفي الحديث « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت »[2] والاذكار على أنواع وكلها ماء الحياة لشجرة الايمان فمَن كان له حظ كبير من الذكر كان له حظه من الحياة ومَن فاته حظ من الذكر فاته قدر كبير من الحياة.

وكما ان للذكر أثره الكبير في حياة التوحيد فإن للعلم أثره الكبير في تعميقه وتغذيته. وكذلك نصرة رسول الله ﷺ لها أثرها الكبير في تغذية التوحيد وتقويته، وكذلك الانفاق، قال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم** ﴾[3] وعلى هذا فلا بدّ للمسلم أن يعرف ما يدخل في التوحيد وأن يعرف ما يقويه وأن يتحقّق بذلك. وإذا عرفنا ان السمة الأولى للاسلام هي التوحيد وأنه

---

(١) سورة ابراهيم: (٢٤، ٢٥).

(٢) أخرجه: البخاري.

(٣) سورة البقرة: (٢٦٥).

بمقدار ما يكون التوحيد قوياً يكون نور المؤمن في الدنيا والبرزخ والآخرة قويًّا، عرفنا أهمية هذا الموضوع. ولا شك أن هذا الموضوع واسع ولا يستوعبه حق الاستيعاب إلّا مَن درس كثيراً من نصوص الكتاب والسنة وهذه تذكيرات فيه :

أكثر الخلق لا ينكرون وجود الله عزّ وجلّ، لأن ذلك مغروس في فكرهم وهم يلجأون إليه عند الحاجة ولكن أهل الإسلام وحدهم هم الذين يعرفونه حق المعرفة فيعرفون صفاته وأسماءه ويعرفون له حقوقه، وكلمة التوحيد هي الكلمة الجامعة لهذا كله.

فاسم الجلالة « الله » علم على الذات المتّصفة بالعلم والارادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والوحدانية بالذات والصفات والأمثال والغنية عما سواها والمفتقر إليها ما عداها والمتصفة بالقدم والبقاء وعدم المشابهة وهي مسماة بالأسماء الحسنى ولها المثل الأعلى وهي وحدها تستحق التأليه، ومن ثمّ فإن المسلم يقول « لا اله إلا الله » ومقتضى اتصاف الله بالألوهية أن يتصف بالربوبية والمالكية والحاكمية ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس** ﴾[1] ﴿ **ان الحكم إلا لله** ﴾[2] ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[3]ومظهر حاكمية الله الكتاب والسنة والاجماع والقياس ومقام المكلف في هذا الوجود القيام لله بحقوق الالوهية والربوبية والمالكية والحاكمية وذلك يكون بالعبادة وبالعبودية. والعبادة والعبودية تقتضيان إيماناً برسول الله ﷺ وتصديقاً بالوحي وتسليماً واستسلاماً. ومن حقوق التوحيد أن تستشعر ان كل شيء هو فعل الله وذلك مقتضى قول الله تعالى : ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾[4]فتستشعر بهذا في نفسك وخارج نفسك وان تستقبل كل شيء على انه فعله ملاحظاً في ذلك التكليف.

ومن حقوق التوحيد أن تستشعر ان الله يسمعك ويراك ﴿ **انني معكما أسمع وأرى** ﴾[5] ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾[6]ومن حقوق التوحيد التسليم لله في قضائه والتسليم لله في أحكامه. ومن حقوق التوحيد القيام بأنواع العبادة له والخضوع بكل أنواع العبودية له.

---

(١) سورة الناس: (١، ٢، ٣).

(٢) سورة يوسف: (٤٠).

(٣) سورة الأعراف: (٥٤).

(٤) سورة الزمر: (٦٢).

(٥) سورة طه: (٤٦).

(٦) سورة العلق: (١٤).

ومن حقوق التوحيد ألا تُعطي ما هو خاص بالله لغير الله وهذه قضية عظيمة يغفل عنها كثير من الخلق وثمرات التوحيد فعل الخير كله وترك الشر كله مع رؤية التقصير في فعل الخير والتوبة إلى الله من فعل الشر.

وشُعَبُ الايمان كلها وصفات أهل الايمان كلها أثر من آثار التوحيد وترك الكفر وصفات أهله. ومجانبة النفاق وأخلاقه وترك الفسوق كله أثر من آثار التوحيد.

فإذا قلنا : إن التكليف يدخل فيه ما هو فريضة أو واجب أو سنة أو أدب أو مروءة أو أريحية أو ذوق ويدخل فيه ترك المكروه تنزيهاً أو تحريماً أو ما هو حرام فكل ذلك من ثمرات التوحيد.

ولتتذكر أن من الفرائض ما هو فريضة عينية وكفائية وان هناك فرائض باطنة وان هناك فرائض وقت وفرائض عصر وان من المحرّمات ما هو محرّم قلبي كالحسد والعجب والكبر وان تتبعاً شاملاً للكتاب والسنة هو الذي يعرفنا على ثمرات التوحيد.

إن الدعوة الى الله مظهرها الأول هو التوحيد، ألا ترى أن الدعوة الى التوحيد هي السمة لدعوة الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[1] وكثيرون من الدعاة يغفلون عن التركيز على هذه السمة العظمى لهذا الدين فيتحدثون عن غير هذا الأصل وهم يستطيعون الحديث عنه. وكثيرون من الدعاة يغفلون عن مغذيات التوحيد المتكاملة فلا يحسّون ببركات التوحيد في قلوبهم وأنفسهم ولا يدخلون الطريق الذي ينمو به هذا التوحيد وقد لا يُدَلُّونَ عليه وهذا من قصور الدعاة، ثم إن كثيراً من المسلمين أنفسهم خالط توحيدهم شيء من الخلل، فالتوكّل فيه نقص، والاخلاص فيه نقص، وهذا كله يستدعي من الدعاة أن يركّزوا على التوحيد وعلى ما يغذّي التوحيد من ذكر ودراسة منهج ونصرة وإنفاق، فبعضُ الدعاة يفطنون الى أهمية الذكر وينسون دراسة المنهج والنصرة والانفاق، وبعضهم يفطن إلى دراسة المنهج وينسى الذكر والنصرة والانفاق، وبعضهم يفطن الى النصرة وينسى الذكر ودراسة المنهج والانفاق، وبعضهم قد يفطن الى شيء من الذكر وينسى الآخر، وبعضهم قد يفطن الى شيء من دراسة المنهج وينسى غيره وبعضهم قد ينسى بعض أنواع النصرة وهو يستطيعها، فالنصرة يدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير والنصيحة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ويدخل فيها الجهاد والتعليم والدعوة والتربية الى غير ذلك من أنواع النصرة لرسول الله ﷺ ولدينه وشريعته.

---

(١) سورة الأنبياء: (٢٥).

الفصل الثاني

في الذكر

الصلاة ذكر قال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾[1] بل هي أرقى أنواع الذكر لأنها ذكر يرافقه تذكر ضمن هيئة تمثل أعلى درجات الخضوع لله تعالى، فهي الركن الأصيل لكل أنواع الذكر في الإسلام.

وإقامة المطلوبات، وترك المنهيات ذكر ضمني لله تعالى، ومحلّها في دين الله تحدّدها درجة الطلب والقرآن ذكر قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر ﴾[2]

والدعوات ذكر وزيادة، وهناك أذكار المناسبات وهناك أذكار الصباح والمساء ودعواتهما، وهناك الأذكار المطلقة، وإقامة الذكر الذي هو حياة القلوب يدخل فيه ذلك كله. ومن هٰهنا كان الكلام عن الذكر يدخل فيه كل ما يمكن أن يُسمّى غذاء العبودية، ولكن ذكرنا معه ثلاث مغذيات أخرى لأهميتها.

والذاكر على الحقيقة هو مَن أقام الصلاة فرائضها ونوافلها، وكان له حظّه من أوراد الصلوات وتلاوة القرآن، وأذكار الصباح والمساء ودعواتهما، وكان له حظه من الأذكار المطلقة في كل وقت وحين، وأقام أوامر الله وترك نواهيه، فذلك هو الذاكر على الحقيقة والتدرّج للوصول إلى هذا المقام الأرقى سبيل هذا الدين، قال

---

(١) سورة طه: (١٤).

(٢) سورة النحل: (٤٤).

عليه الصلاة والسلام: « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ». أخرجه الامام أحمد وهو حديث حسن.

ومن هٰهنا دأب أهل التربية أن يؤكّدوا على إقامة الصلاة وعلى أوراد الصباح والمساء، وعلى إقامة الفرائض وترك المحرمات، وعلى الاعتياد على أذكار المناسبات، وعلى الاشتغال بالأذكار المطلقة، ليكون بعد ذلك انتقال من كمال إلى كمال في القلب والسلوك، ليكون الإنسان أكثر ذكراً وأكثر عبودية.

ان غذاء التوحيد وريه هو ذكر الله عزّ وجلّ، أنظر إلى الأذكار التي ندبنا إليها بشكل مطلق وانظر الى آثارها في تعميق التوحيد، فكثرة تكرارنا لـ (لا اله إلا الله) تجديد للتوحيد وللإيمان في القلوب،ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام « جددوا إيمانكم : قيل وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله: قال أكثروا من قول لا إله إلا الله » وانظر إلى قولنا سبحان الله فإنه تعريف على الله وتوحيد له، فسبحان الله تنزيه لله عمّا لا يليق بجلاله وعن أن يكون له شريك وتنزيه له عن الظلم والهوى وغير ذلك من مظاهر النقص.وفي ذلك كله غذاء للتوحيد وري له، وانظر الى قولنا : الحمد لله فهي اعتراف بأن الله وراء كل نعمة حسيّة ومعنوية وشرعية وشكر لله على هذه النعمة فهي غذاء للتوحيد وري له.وانظر إلى قولنا الله أكبر فهي تعظيم لله أن يكون أعظم منه، في التشريع وفي غيره وذلك تخليص للقلب من أن يكون هناك أعظم من الله عنده،فلا شخص ولا شعب ولا بشر ولا خلق أعظم في قلب المؤمن وذلك غذاءٌ للتوحيد وريٌ له.وانظر إلى قولنا : لا حول ولا قوة إلا بالله فلا حول عن معصية إلا بالله ولا قوة على طاعته إلا به. بل لا حول مطلقاً ولا قوة إلا بالله فذلك معرفة لله وتوحيد له فهي تغذية للتوحيد وري له. وانظر إلى قولنا : حسبنا الله ونعم الوكيل فذلك تعميق للتوكّل الذي هو ذروة التوحيد وانظر إلى قولنا : استغفر الله فذلك يفيد أن الله قد كلفنا وأننا قصرنا ولذلك نطلب غفرانه فذلك تغذية للتوحيد وتعميق له وانظر إلى قولنا : اللهم صلِّ على محمدٌ وآله وسلم فذلك اعتراف منا بفضل رسول الله ﷺ علينا وعلى الناس واعتراف بأن ما أكرمنا الله به بواسطة رسوله أجلّ من أن يجازيه عليه إلا الله فكل ذكر من هذه الأذكار المطلقة يغذي الايمان ويسقي التوحيد ومن هٰهنا فاننا نطالب أحبابنا بأن يقبلوا على ما ندبهم اليه رسول الله ﷺ من الإكثار من ذكر الله تعالى بهذه الأذكار وليبدأ المسلم والمسلمة بالإكثار من هذه الأذكار على أي شاكلة فسواء ذكر كل منها على انفراد أو ذكر بعضها مجتمعة وبعضها على انفراد أو جمعها كلها كأن يقول « سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا

الله ونعم الوكيل واستغفر الله اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله وسلم » فإنه سيجد بركة ذلك وقد جرت عادتنا أن نوصي أحبابنا بأن يبدأوا سيرهم من الغفلة بأن يذكروا الله بهذه الأذكار حوالي سبعة آلاف مرة فإنهم سيجدون بركة ذلك إن شاء الله ونوصيهم أن يكرّروا ذلك مرات في حياتهم. فأن يلزم الانسان نفسه بعدد معين من الأذكار فذلك لا حرج فيه على ألا يعتبره سنة وأنما هو تحديد مباح لمطلق مندوب إليه بقدر الطاقة، واجتهاد في تحقيق الاكثار من الذكر بما يترك أثره في القلب دلت عليه التجربة. وانظر الى الصلاة التي هي ذكر وزيادة فإنك تجدها تغذية للتوحيد ورياً له. سواء في ذلك اذكارها أو تلاوتها أو الأذكار المأثورة بعدها ومن ثم فإننا نوصي أحبابنا أن يلازموا صلاة الجماعة وأن يكثروا من النوافل فذلك هو أساس تغذية التوحيد وإروائه. وانظر إلى تلاوة القرآن فإنها ذكر وهي تعمّق التوحيد وتغذّيه ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾[1] وإلى قوله تعالى ﴿ **والقرآن ذي الذكر**﴾[2] وإلى قوله تعالى ﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب**﴾[3] ولذلك فإننا نوصي أحبابنا بتلاوة القرآن والإكثار من تلاوته وحفظه وأن يلزموا أنفسهم بحد ادنى من التلاوة يومياً لا يتركونه وإذا قصروا فيه قضوا ذلك والحقيقة أن كل عبادات الإسلام ذكر إن لم يكن بشكل مباشر فبشكل غير مباشر. وأن كل تكاليف الإسلام ذكر بشكل مباشر وغير مباشر وخاصة إذا رافق القيام بالتكليف نيّة وإخلاص لذلك نوصي أحبابنا بأن تكون لهم نيّة صالحة في تحقيق الأمر أو ترك النهي بل نوصيهم أن تكون لهم نيّات متعدّدة في العمل الواحد فذلك يغذّي التوحيد ويسقيه.

اذكار الصباح والمساء وإذكار المناسبات

كثُرت النصوص التي تنتدب الى اذكار الصباح أو اذكار المساء أو اذكار الصباح والمساء وقد وردت نصوص تندب الى الذكر بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر وبعد صلاة المغرب فالنصوص في هذا كثيرة ولذلك فإن العلماء استحبّوا أن يكون للانسان ورد في الصباح وورد في المساء واستحبّوا أن يكون ورد الصباح بعد صلاة

---

(١) سورة الأنفال: (٢).

(٢) سورة ص: (١).

(٣) سورة ابراهيم: (٥٢).

الفجر لقوله عليه الصلاة والسلام « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجّةٍ وعمرةٍ تامةٍ تامةٍ تامةٍ »[1] واستحبّوا أن يكون ورد المساء ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء لأن بعضهم فسّر قوله تعالى ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً**﴾[2] بأن المراد بالناشئة ما بين صلاة المغرب والعشاء وكل ذكر يختاره الانسان لورد الصباح أو المساء طيب والمأثور من ذلك أطيب. وقد جمع الأستاذ البنا بعض ما ورد في إذكار الصباح والمساء في وظيفته التي أمر بها اخوانه، فهي خير ما يحافظ عليه المسلم في صباحه ومسائه. وقد كان شيوخنا يأمروننا بأن يكون وردنا في الصباح وفي المساء استغفار مئة مرة والصلاة على النبي ﷺ مئة مرة والتهليل مئة مرة وسورة الاخلاص ثلاث مرات. وكانوا يعتبرون أن ورد الصباح يساعد على قضاء النهار بالذكر، وورد المساء يساعد على قضاء الليل بالذكر ومَن فاته ورد الصباح قضاه بالليل ومَن فاته ورد الليل قضاه بالنهار قال تعالى ﴿**وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمَن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً**﴾[3] وانما اختار بعض المشايخ الاستغفار والصلاة على النبي والتهليل كأساس في الذكر لأن الحاجة اليها كثيرة فالمؤمن لا يخلو من ذنب وحب رسول الله يحتاج الى تأكيد والايمان يحتاج الى تجديد وتجديده (بـ) « لا اله إلا الله ».

ومع أوراد الصباح والمساء هناك اذكار المناسبات والاذكار المتعلقة بحال أو وقت أو مناسبة وقد جمع النووي في كتابه الاذكار أهم ما ورد في ذلك ولفت الأستاذ البنا في رسالة المأثورات النظر الى أهم اذكار المناسبات مما لا يستغني عنه المسلم أو المسلمة فإذا ما أقام المسلم اذكار المناسبات وأقام الصلاة وكان له ورد في الصباح وفي المساء وكان له شغل بالأوراد المطلقة أو بواحد منها وكان له حظ في تلاوة القرآن حفظاً أو قراءة فإنه ان شاء الله على الطريق الأقوم والله تعالى قال ﴿**ان الصلوات تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**﴾[4] وقال تعالى ﴿**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[5] تأمل قوله تعالى وذكر الله كثيراً لتعلم ان طريق الاقتداء بالرسول ﷺ هو الذكر الكثير.

---

(١) أخرجه: الترمذي، حديث صحيح.
(٢) سورة المزمل: (٦).
(٣) سورة الفرقان: (٦٢).
(٤) سورة العنكبوت: (٤٥).
(٥) سورة الأحزاب: (٢١).

« ذكر الله باسمه المفرد هو الغذاء المركز للقلب »

إن ذكر الله تعالى بأيّة صيغة هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى طمأنينة القلب، قال تعالى ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[1]فبدء الآية بـ « ألا » وتقدّم الجار والمجرور على الفعل كل ذلك يفيد أنه لا طمأنينة قلب بالايمان واليقين إلا بالذكر فإذا ما علمنا ان طمأنينة القلب هي الطريق لرضوان الله قال تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[2]إذا ما علمنا ان طمأنينة القلب هي الطريق لرضوان الله وانه لا طمأنينة إلا بذكره أدركنا محل الذكر وقيمته في دين الله تعالى وكل ذكر له آثاره في القلب، وتأثير الاذكار في القلب يختلف باختلاف نوع الذكر وإن كان كل الاذكار لها آثارها المباركة وأعظم الأذكار تأثيراً في القلب هو ذكر الاسم المفرد « الله » فلعظم تأثيره لا يأمر به بعض الشيوخ إلا في مرحلة متقدمة من الذكر ويشترطون أن يكون الذكر به باشراف شيخ عارف بالله عارف بتأثيرات الاذكار على القلوب وانما اعتمد الأشياخ هذا النوع من الذكر لكثرة الغفلة ولموت القلوب ولأنه ثبت من خلال التجربة ان هذا الذكر له تأثيره على القلب وعلى المعرفة الذوقية بالله أكثر من أي ذكر آخر ونحن نرى ان الحجّة قائمة على مَن عارض في جواز ذكر الله باسمه المفرد، قال تعالى ﴿**واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلاً**﴾[3]وقال تعالى ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[4] ومع أننا نرى ايجابيات ذكر الله باسمه المفرد إلا أننا لا نشترطه، فإذا ما اطمأن قلب الانسان الى ذكر مأثور وشعر بفائدة ذلك فليلازم ذلك الذكر على انه من خلال التجربة تبين انه لا ينوب مناب ذكر الاسم المفرد على الكمال والتمام إلا الصلاة على رسول الله ﷺ ولذلك فإن بعض أشياخنا كانوا يعتبرون الصلاة على رسول الله ﷺ تنوب مناب المرشد الكامل ولذلك كانوا يوصون تلامذتهم أن يكون لهم ورد يومياً بما لا يقل عن ألف مرة من الصلاة على رسول الله ﷺ ولو بأقل صيغة كان يقول الذاكر « اللهم صلّ على محمد وآله وسلّم ».

---

(١) سورة الرعد: (٢٨).
(٢) سورة الفجر: (٢٧ — ٣٠).
(٣) سورة المزمل: (٨).
(٤) سورة العلق : (١).

« تلقين الذكر وأخذ العهد »

لقد أخذ الصحابة عن رسول الله ﷺ القرآن كله تلقيناً وكذلك السنة القولية ومنها الأذكار والدعوات ولا زالت الأمة بفضل الله تأخذ كثيراً من النصوص والعلوم تلقيناً. فسنة الذكر التلقيني متوارثة في الأمة بشكل « ما » ولذلك آثاره المباركة إلا ان مشايخ التربية إستحبّوا أن يلقّن الذكر انسان ذو قلب ذاكر يقظ ومن هٰهنا وُجِدَ تلقين الذكر في كثير من الدوائر. فالتلقين له آثاره وخصوصياته وقد دلّت التجربة على أن ملقّن الذكر كلما كان أقوى حالاً وصلاحاً واستقامة كان لتلقينه أثر أكبر في قلب الآخرين. وقد خصّ بعضهم الاستغفار والتهليل بالتلقين لحاجة كل انسان الى استغفار وتجديد إيمان وقد ورد في بعض النصوص ان رسول الله ﷺ لقّن الامام عليًّا كلمة التوحيد. ولقد كان رسول الله ﷺ يأخذ العهد على أصحابه اذا دخلوا في الإسلام ويأخذ العهد على بعضهم لبعض الأعمال ومن هٰهنا توارثت الأمة فكرة البيعة ووجد نوعان من البيعة: بيعة لذوي السلطان على الطاعة وبيعة للشيوخ على التقوى وقد خلط كثير من الناس ما بين البيعة التي تعطى لشيخ وبين البيعة التي تعطى لسلطان. ومن هٰهنا نرى أن يفرق بين بيعة السلطان وبيعة الشيوخ بأن تُسمى بيعة الشيوخ عهداً. وهذا العهد له حكم اليمين أن جرى بصيغة لها حكم اليمين وليس له حكم ان جرى بصيغة ليس لها حكم اليمين. ومن هٰهنا قال الفقهاء رجل أعطى العهد لشيخ ثم أعطاه لآخر أي العهدين يلزمه قالوا لا هذا ولا ذاك ولا أصل لذلك وقد جرت العادة أن يطلب مريدو الله العهد من شيخ فيعطيهم اياه ويلقّنهم الشيخ الذكر فإذا ما تحركت همّة المريد نحو طلب رضوان الله فذاك وإلا فتش عن شيخ آخر وقد جرت عادة الشيوخ أن يقرأوا قوله تعالى ﴿ **ان الذين يبايعونك أنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾(1) ولأنه ليس لتلاوة هذه الآية أصل في السنة في موضوع البيعة ولأن تلاوتها في هذا المقام تثير اشتباهاً فإننا نرى أن تستبدل بآية تذكر بالعهد مع الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور** ﴾(2).

ونحن نرى أن أخذ العهد من الدعاة الكمّل فيه بركة للآخذ وللمعطي فهو بالنسبة للآخذ تجديد همّة ورابطة روحية وخطوة نحو الالتزام وهو بالنسبة للمعطي تبعة

(١) سورة الفتح: (١٠).

(٢) سورة المائدة: (٧).

عليه تجاه الآخرين تجعله يقوم بحقوقهم ويتعاهدهم بالخدمة والرعاية، والصيغة المثلى للعهد والتلقين أن يضع المعطي يده بيد الآخر إن كان رجلاً ويكتفي بالتلقين بالنسبة للمرأة فيقرأ الآية المشار اليها ثم يقول استغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات ويكرّرها الآخر كل مرة وينبغي أن يكون المعطي على تمام المراقبة والخضوع والخشية والندم وأن يكون الآخذ على مثل ذلك ثم يقول المعطي « لا اله إلا الله » ثلاث مرات ويكرّرها الآخذ كل مرة فينبغي أن يستحضر المعطي في قلبه معنى لا إله إلا الله وكذلك الآخذ ثم يقول المعطي أوصيك بتقوى الله وملازمة الذكر ما استطعت الى ذلك سبيلاً وأن تداوم كل يوم على ورد هو استغفر الله مئة مرة. واللهم صلّ على محمد وآله وسلم مئة مرة وأن تقول لا إله إلا الله مئة مرة وأن تقرأ سورة الاخلاص ثلاث مرات وأن تتلو شيئاً من القرآن ولو قلّ كل يوم وأن تخصّص وقتاً للمطالعة من المنهاج المقرّر والله يتولانا بحفظه ويقول الآخذ قبلت وصيتك وسأعمل بها ان شاء الله تعالى وهكذا يبدأ سير علمي وروحي الى الله تعالى، ولكون السير العلمي مكمّلاً للسير الروحي في تغذية التوحيد فها نحن نعقد فصلاً لذلك تحت عنوان دراسة المنهج والتربية عليه.

الفصل الثالث

في دراسة المنهج

لم يزل علماء المسلمين يعتبرون العلوم الشرعية المباشرة تحيي أموات القلوب، فهي ماء حياةٍ للقلب، ولئن كانت العلوم الشرعية المباشرة تؤدّي هذا الدور، فكذلك العلوم التي تخدم العلوم الشرعية مباشرة إذا قصد بها وجه الله كعلم العربية مثلاً.

وقد أخذ علماء المسلمين هذا المعنى من أن العلوم الشرعية تحيي أموات القلوب من نصوص كثيرة أبرزها قوله عليه الصلاة والسلام: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أسكبت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ومثل من لم ينفع بذلك ناساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ». متفق عليه.

ومن هٰهنا اعتبرنا دراسة المنهج الذي نقصد به علوم الشريعة مباشرة وما يخدمها أحد أغذية التوحيد الرئيسية.

إن كثيرين من الناس انتسبوا الى جماعات إسلامية فأخذوا بعض الأفكار العامة وشيئاً من العلم فأحدث هذا عندهم شعوراً بالاكتفاء والاستغناء، فهم بما حصلوه مكتفون وهم به مستغنون وهذا أفسد عليهم تطلّعاتهم فالمسلم في الأصل طالب علم

من المهد الى اللحد وقد قال الله تعالى لرسوله ﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾[1] فالمسلم والمسلمة لا ينيان عن طلب العلم ما داما حيين فالعلم والذكر هما زاد المسلم الى الآخرة والمسلم بحاجة الى زاد يومي. قال رسول الله ﷺ « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً ومتعلماً » أخرجه ابن ماجه، حديث حسن. إلا ان المسلم تتعلق همّته بالأهم ثم المهم والدراسة المطلوبة لمرحلة الارشاد الكامل الذي هو المنصب الذي يتطلّع إليه كل مسلم هي التي تتضمّن النقاط العشر التالية بشرط أن يكون التأليف فيها مستوعباً وموثقاً وأن يكون المشرف على إعطائها مزكّى وموثقاً. ثم بعد ذلك لا يهمُّ أن تؤخذ كلها على مراحل أو تتوزّع على مراحل أو يؤخذ بعضها ثم يؤخذ غيره فغيره حتى الاستكمال والنقاط العشر هي :

١ ــ القرآن وعلومه.

٢ ــ السنة وعلومها.

٣ ــ علوم اللغة العربية.

٤ ــ أصول الفقه.

٥ ــ العقائد.

٦ ــ الفقه.

٧ ــ الأخلاق والتربية والسلوك.

٨ ــ التاريخ الإسلامي.

٩ ــ الأصول الثلاثة.

١٠ ــ فقه الدعوة.

فدراسة هذه القضايا العشر هي دراسة المنهج المطلوب ليكون الانسان داعية كاملاً.

لقد كتب الأستاذ البنا في سنة ١٩٤٦ م مقالاً تمنى فيه أن تغلق كل الأبواب أمام إخوانه إلّا باب دراسة المنهج والتربية عليه وإلا باب المشروعات المفيدة، ولكن ما هو هذا المنهج ؟ إن هذه القضية تختلط بأذهان الدعاة فنرى الكثيرين منهم يبحثون عن منهج، وبعضهم يفهم المنهج أنه خطة الحركة على مستوى قطر أو على مستوى العالم وبعضهم يفهم المنهج على أنه الجوانب التطبيقية لما نريده بعد قيام الدولة وبعضهم يفهم المنهج على أنه خطتنا للوصول الى الدولة الإسلامية الرائدة والذي أراه أن المنهج هو مجموع الدراسات العلمية والالتزامات العملية التي يحتاجها المسلم

---

(١) سورة طه: (١١٤).

لترقيه العلمي والدعوي والقلبي والروحي، ملاحظاً في ذلك كل ما يفهمه الناس من كلمة المنهج.

وما ذكرناه من النقاط العشر إذا أحسن استيعابه وإذا تخيِّر المؤلفات فيه فإنه يمكن أن يضمن المنهج المطلوب دراسته ومع أننا لا نشترط صيغة بعينها للدراسة فإننا نقترح الصيغة التالية على أنها صيغة مفضّلة عندنا.

يبدأ الدارس بدراسة الأصول الثلاثة : جند الله ثقافة وأخلاقاً، وسلسلة كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر. ويتقن تلاوة القرآن ويتعرف على أحكام التلاوة. ويقرأ كتاباً في السيرة وكتاب رياض الصالحين في السنة وكتاباً في الفقه ورسالة المأثورات. ثم بعد ذلك يدرس المواد المتبقية مادة مادة محاولاً استيعابها فيحاول بالنسبة للقرآن أن يدرس كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن وأن يدرس كتاباً مناسباً للعصر في التفسير ككتاب الأساس في التفسير ومهما حفظ من القرآن فحسن ومهما تعرّف على القراءات فحسن وإتقانه لهذه الدراسات القرآنية يجعله مؤهلاً لأن يكون ربانياً. قال تعالى ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[1] وبالنسبة للسنة يدرس كتاباً مناسباً في مصطلح الحديث وعلوم الحديث ويدرس كتاباً مستوعباً في السنة ومن أجل ذلك جمعنا كتاب الأساس في السنة وفقهها ملاحظين فيه استيعاب السنة وتقديرها لما يناسب حاجات العصر.

وبالنسبة لفقه الدعوة فهناك رسائل الأستاذ البنا ومذكراته وهناك سلسلة في البناء.

وبالنسبة للتربية والتزكية والسلوك هناك كتاب تربيتنا الروحية. والمستخلص في تزكية الأنفس. ومذكرات في منازل الصديقين والربانيين.

وبالنسبة لعلم أصول الفقه هناك كتاب جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما. وهناك كتاب الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.

وبالنسبة لعلوم اللغة العربية فليقرأ الانسان ما تيسّر من كتب النحو والصرف وعلوم البلاغة والخط والاملاء والعروض وفقه اللغة وكتب الأدب وليعتمد مراجعة قواميس اللغة.

وبالنسبة للعقائد لا بدّ أن يقرأ المسلم كتاباً موثقاً في عقائد أهل السنة والجماعة، وكذلك بالنسبة للتاريخ.

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

وباستيعاب المسلم ما مرَّ يكون قد درس المنهج متكاملاً ثم هو بعد ذلك يركّز على ما شاء وينبغي مع المطالعة اليومية أن يكون له حظ من الذكر اليومي وبذلك نرجو أن يوجد الولي المرشد أو الداعية الكامل أو العالم الكامل أو الوارث النبوي وتلك هي المقدمة الكبرى لاستقامة الحياة على مستوى الأفراد والأسر والشعوب أو الأمة.

الفصل الرابع

في نصرة رسول الله ﷺ

إنه في سياق سورة الأنفال التي جاءت تفصيلاً لفريضة القتال جاء قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[1]

ولا شك أن كل طاعة لله ولرسوله ﷺ فيها حياة.

ولكن السياق يفيد ان الاستجابة لله وللرسول ﷺ في أمر الجهاد حياة ومن هٰهنا اعتبرنا أن نصرة رسول الله غذاءً وماءً للقلب يساعدان على بقائه حيًّا، ويبقيان المكلفَ قائماً بحقوق العبودية، وإنما جعلنا عنوان هذا النوع من الغذاء هو النصرة لتعمّ أنواع الجهاد من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الخير، وعلم بالإسلام وتربية عليه، ودفاع عنه وقتال إذا اقتضى الأمر لذلك.

إن نصرة رسول الله ﷺ فريضة شرعية وهي إذا تحقّق الإخلاص فيها غذاء للقلب المؤمن وتقوية له لأن المؤمن إذا ترك نصرة رسول الله ﷺ قسا قلبه بينما إذا نصر رسول الله ﷺ بالدعوة لدينه أو بتعليم القرآن والسنة أو بتعليم الثقافة الإسلامية أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير أو بالجهاد والنصيحة أو بغير ذلك من وسائل النصرة زاد ذلك من إيمانه وكان دليلاً على قوة توحيده. فالنصرة مغذٍّ للتوحيد ومقوٍ له وهي علامة على وجوده وكماله.

---

(١) سورة الأنفال: (٢٤).

ان نصرة رسول الله ﷺ واجبة على كل مسلم قال تعالى ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبّحوه بكرة وأصيلاً** ﴾[1] فالتعزير هنا معناه التأييد والنصرة فالايمان برسول الله ﷺ ونصرته وتوقيره واجبان على كل مكلف ومن شرائع الله الدائمة نصرة الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن مما يقسّي القلب أن لا يقوم الانسان بنصرة رسل الله عليهم الصلاة والسلام لقد قال تعالى في سياق الكلام عن بني اسرائيل : ﴿ **وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكوات وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمَن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل• فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾[2].

ومن هٰهنا كانت نصرة رسول الله ﷺ واجبة على كل مسلم ومسلمة وهذه النصرة تظهر بأشكال شتى فقد تظهر بعمل ثقافي فكري تربوي وقد تظهر بعمل دعوي تذكيري أو تبليغي وقد تظهر بخدمة اجتماعية بنية إسلامية ومقاصد إسلامية وقد تظهر بحركة تطالب بتطبيق أحكام الإسلام وقد تظهر بجمعية أو جماعة أو عمل مشيخي فقهي أو صوفي... الى غير ذلك ومَن تأمّل واقع الأمة الإسلامية رأى مسارعة عند كثير من المسلمين نحو العمل على كل محور تظهر فيه النصرة ومن هٰهنا نجد عملاً إسلاميًّا بسيطاً وعملاً إسلاميًّا مركباً.

والعمل الإسلامي البسيط يظهر في صور شتى فهو يظهر بدعوة شيخ صوفي وبدعوة شيخ فقيه أو بدعوة داعية أو بدعوة الى عمل إسلامي محدّد كالاعمال الخيرية وقد يظهر بصورة عمل مأذون به عرفاً أو بصورة عمل مسموح به قانوناً أو بصورة عمل منبثق عن مؤسسات حكومية. والعمل الإسلامي المركب قد يظهر بشكل حزب سياسي محلي أو عالمي وقد يظهر بعمل جماعي محلي أو عالمي وكنموذج على العمل الإسلامي المركب دعوة حسن البنا الذي طرح أهدافاً كبيرة يقف في قمتها أستاذية الإسلام على العالم فاقتضت هذه الأهداف اجتهادات كثيرة متعدّدة على مستوى الأنظمة فاقتضى ذلك أنظمة محلية وعالمية ونظريات محلية واقتضى أنواعاً من الظهور والخفاء. ولو تأمّلت الساحة الإسلامية لوجدت من النادر أن يكون هناك شيء من أنواع النصرة لرسول الله ﷺ لم يفطن له العاملون فتجد في القطر الواحد أنواعاً

---

(١) سورة الفتح: (٨).

(٢) سورة المائدة: (١٢، ١٣).

من العمل الإسلامي البسيط وأنواعاً من العمل الإسلامي المركب وأنواعاً من العمل الإسلامي الحكومي وأنواعاً من العمل الإسلامي الشعبي غير أن الساحة الإسلامية لا زالت بحاجة الى معرفة موازين الكمال في الدعوة الى الله وفي الداعية الى الله ولا زالت بحاجة الى تحديد الساحة التي ينبغي أن يعمل بها الداعية الى الله محليًّا وعالميًّا والى الأسلوب الذي يعمل به الداعية الكامل الى الله تعالى ملاحظاً الظروف التي تحيط به ومبدئياً فإننا نحدّد الساحة التي يشتغل فيها الداعية الكامل بأنها:

١ ــ العمل بإبقاء الموجود النافع واستمراريته.
٢ ــ المحافظة على المواقع المتقدمة للعمل الإسلامي وتطويرها.
٣ ــ إيجاد المؤسسات الضرورية التي يحتاجها العمل الإسلامي محليًّا أو عالميًّا.

وهذا يقتضي من خدّام الدعوة الى الله أن يفكروا على مستوى الأقطار وعلى مستوى العالم كله في هذه المعاني التي ذكرناها وتوزّع الأدوار بما يغطي هذه الساحات كلها ولا بدّ مع توزّع الأدوار أن ينطلق الدعاة على ضوء نظرية محدّدة في العمل السياسي والجهادي إنه قد حدث انطباع حيث وجدت الحركة الإسلامية المعاصرة فثم التمرد ثم الثورة ولقد لعب على هذا المعنى أعداء الإسلام فأدخلوه في رَوْع كثير من الحكام وساعد على ذلك عدم الوضوح عند دعاة الإسلام نحن نرى ان أقطار العالم الإسلامي على أنواع فقطر ينبغي أن يكون محل تركيزنا السياسي والجهادي لاقامة دولة الإسلام وقطر ينبغي أن تكون حركتنا الدعوية فيه مقتصرة على النصيحة السرية أو النصيحة الجهرية ضمن حدود عدم الصدام وقطر يسمح لنا بالحركة السياسية في ظل القانون والدستور فهذا مما ينبغي المحافظة عليه وعلى هذا فلا بدّ أن يكون توزّع الأدوار مرتبطاً بنظرية الحركة السياسية أو العسكرية أو الدعوية فنحن فيما عدا أقطار الصراع وهي محدودة ينبغي أن يكون عملنا الدعوي في الاطار الذي لا نخرق فيه قانوناً أو في الاطار المسموح به قانوناً. وإذا ما استطعنا أن نحصل رخصة قانونية فلا حرج علينا في ذلك وهذا لا يتناقض مع دعوتنا الى حمل الإسلام كله فالدعاة الى الله شركاء فإذا كان دور بعضهم أن يجاهدوا سياسيًّا وعسكريًّا في أقطارهم ودور الآخرين أن ينصروهم وأن يجاهدوا دعويًّا في أقطارهم فحمل الإسلام كله قد حصل بأن المصلحة الإسلامية تقتضي أن لا تكون هناك مواقف موحّدة في كل الأقطار على السواء انه فيما سوى أقطار الصراع ينبغي أن يحرص الدعاة على أن لا يقفوا موقفاً مداناً قانوناً ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً وأن يبذلوا جهداً للعمل عبر واجهات مسموح بها قانوناً ما أمكنهم ذلك، وأن تكون مشاركتهم لاخوانهم خارج أقطارهم سريعة لكنها سرية لو كشفت لا تجعل أصحابها مدانين

أمام قانون بلدهم وذلك كأن تكون مشاركتهم مع دعاة الإسلام في العالم على أساس من التعاطف الأخوي أو على أساس عضوية شرف أو على أساس عضوية أخوية غير تنظيمية ونحن منذ الابتداء نقرّر أن وحدة تنظيمية أو ارتباطاً تنظيميًّا للأمة الإسلامية كلها لم يحدث بعد سقوط الدولة الأموية هذا مع وجود سلطان سياسي يتمثّل بالخلافة العباسية ثم بالخلافة العثمانية فلا بدّ أن نقلّل من طموحنا بالافتراض أنه بالامكان أن توجد وحدة تنظيمية بدون سلطة تنفيذية مركزية ومن هٰهنا فإن الشيء الذي يسع الأمة الإسلامية هو العلاقات الأخوية التي يمكن أن ترتقي في بعض أجزائها الى علاقات تنظيمية وعلى هذا فإننا نرى أن تكون خطوتنا الأولى هي التركيز على الشخصية الإسلامية المؤهّلة للإرشاد الكامل والدعوة الكاملة وأن يضمّ هؤلاء لا غيرهم صلة خاصة.

الفصل الخامس

في الإنفاق

إنّما خصّصنا الإنفاق بالذكر كغذاء للعبودية لقوله تعالى: ﴿ **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل**﴾[1] فالانفاق غذاء وماء لأرض العبودية.

ومن هٰهنا كان الإنفاق وترتيبه وتنظيمه غذاءً لمقام العبودية لا بدّ منه والركن الركين في باب الإنفاق هو الزكاة، فأول ما ينبغي أن يفكر به مسلم هو أن يؤدّي زكاة ماله وأن يعمل ليؤدّي غيره زكوات أموالهم، فإذا ما رافق ذلك تنظيم بهذا الأمر بحيث يكون مردوده في خدمة الإسلام والمسلمين فذلك من المطلوبات الأولى لهذا العصر كما شرحنا ذلك في رسالة (فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً).وثاني ما يدخل في الانفاق صدقة الفطر، ويدخل في الانفاق كذلك ما تتطلّبه بعض فروض الوقت كإطعام جائع، وكسوة عريان، وإيواء مَن لا مأوى له، ويدخل في الانفاق إطعام الطعام مطلقاً، وإكرام الضيف وإعطاء السائل.

وهناك الأوقاف والصدقات والنفقات على النفس والأهل، وكل ذلك يدخل في باب الانفاق المشروع. وأن يؤدي الانسان ذلك كله فذلك الذي يُعطي الانفاق حقّه.

تذكر العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل والذي عاقبهم على نقضه، وإن

---

(١) سورة البقرة: (٢٦٥).

في هذا العهد أن يقرضوا الله قرضاً حسناً، لقد قال الله تعالى: ﴿ لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوات وآتيتم الزكوات وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾.[1]

وتذكر أننا قد ندبنا إلى ما ندب إليه بنو اسرائيل، قال تعالى: ﴿ مَن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾[2]

ان ركن الانفاق هو الزكاة، فهذه أول قضية يجب أن يلحظها المسلم وأن ينظّمها، فهناك أموال تجب فيها الزكاة إذا حال الحول كالذهب والفضة وعروض التجارة، وهناك أموال تجب فيها الزكاة مباشرة كزكاة الزروع والثمار، ومن المعروف عند الفقهاء أن يصحّ للمسلم أن يقدّم زكاة ماله قبل حولان الحول بشرط النيّة، على هذا يصح للمسلم أن ينظّم الانفاق وأن ينوي كلما دفع شيئاً لمستحق زكاة الزكاة، وأن يسجّل ذلك ليحاسب نفسه بالنهاية. ومن الصدقات الواجبة صدقة الفطر وإطعام جائع والنفقة الواجبة على العيال، كل ذلك ينبغي أن يقوم به المسلم وأن ينظّمه، وهناك صدقات التطوّع، ومما يزيد به أجر النفقات تنظيمها واختيار المحل الأنسب لها وتعاون الإنسان مع غيره على أبواب الخير ليزيده أجراً وفضلاً، والدال على الخير كفاعله، والخازن الأمين الذي يعطي ما أمر به أحد المتصدّقين، ولذلك فتنظيم الصدقات والزكوات، وإنشاء المؤسسات الخيرية إذا كان بنيّة صالحة يعطي المسلم أجراً لتعاونه مع غيره على إقراض الله قرضاً حسناً.

---

(١) سورة المائدة: (١٢).

(٢) سورة البقرة: (٢٤٥).

الخاتمة

عن الحارث الأشعري :

أن رسول الله ﷺ، قال : « إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى، فقال : إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فإما أن تخبرَهم، وإما أن أخبرَهم، فقال : يا أخي لا تفعل فإني أخاف أن تسبقني بهن ان يخسف بي أو أعذب».

قال: «فجمع بني اسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم، فقال ان الله أوحى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن: أوّلهن أن لا تشركوا بالله شيئاً، فان مثل مَن أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه داراً، فقال : اعمل وارفع إلي، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك، فان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً. وإذا قمتم الى الصلاة فلا تلتفتوا فان الله يقبل بوجهه الى وجه عبده ما لم يلتفت. وآمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها، وان الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وآمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده الى عنقه، وقرّبوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول : هل لكم أن أفديَ نفسي منكم، وجعل يعطي القليل والكثير، حتى فدى نفسه. وآمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذكر

الله كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلّا بذكر الله، قال رسول الله ﷺ : وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن، الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الايمان والإسلام من رأسه، إلا أن يراجع، ومَن أدعى دعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم. قيل : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : وإن صام وصلى. تداعوا بدعوى الله الذي سمّاكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله». أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن خزيمة بألفاظ متقاربة، وإسناده صحيح.

إن للمسلم حركتين : حركة نحو ذاته وحركة نحو غيره، وكل من الحركتين يخدم الأخرى، فالحركة نحو الذات بالصلاح والاصلاح تخدم الحركة نحو الغير صلاحاً وإصلاحاً، والحركة نحوالغير تنعكس على النفس صلاحاً وإصلاحاً، قال تعالى : ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوات إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ [1] فلا بدّ من حركة نحو الذات ونحو الغير، قال تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾[2]

أمّا الحركة نحو الذات فتتمثّل بتحقيق التوحيد وإقام الصلاة وبالصيام وبالذكر وبالعلم وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون له برنامجه اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي، فينظّم أوقاته بما يناسب مقيماً حق العلم وحق العبادة، وليكن له ساعة في يومه يخصّصها للذكر والعلم ولتكن له خلواته التي يخصّصها للعبادة، فقد كان رسول الله ﷺ يخلو في غار حراء قبل النبوة وبعدها، وكان من سنّته الاعتكاف السنوي، وكان أكثر اعتكافه في رمضان، وقد اعتكف في غير رمضان. وفي عصرنا حيث المادة والشهوة يتأكد الإكثار من الذكر اليومي والذكر الدوري.

وأمّا الحركة نحو الغير فتتمثّل بحركة المسلم نحو أهله، وحركته مع إخوانه، وحركته في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وملازمته لجماعة المسلمين وسمعه وطاعته لأولي الأمر من المسلمين.

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي : « وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ ». أخرجه مالك في الوطأ وهو صحيح.

---

(١) سورة الأعراف: (١٧٠).

(٢) سورة الحشر: (١٩).

وقد قدّمنا في هذه الخاتمة حديثاً يُذكّر بحركة المسلم نحو ذاته ونحو غيره.

إن المسلم ينبغي أن يكون له برنامجه العبادي العلمي الدعوي الخيري اليومي، وينبغي أن تكون له دورات روحيّة سنوية، ومَن عرف عمل رسول الله ﷺ في اليوم والليلة وعرف سنة الاعتكاف أدرك ما قلناه.

إن هذا مقتضى القيام بالعبودية والشكر لله تعالى، وإذا ما عرفنا طبيعة المؤثرات التي تؤثر على الإنسان فتصرفه عن العبودية والشكر، أدركنا حكمة مشروعيّة هذه الأمور. فغلبة الحسّ والمادة على الإنسان تجعله ينسى الغيب ورؤيته عالم الأسباب تنسيه الشكر لله تعالى، فإذا ما كان ذكر وعلم شرعي ودعوة وإنفاق بشكل يومي وبشكل دوري فيما شرع من العبادات فذلك يخرجه من النسيان وعن الصوارف. وفي الحديث الشريف ما يشير إلى أهمية الصلاة في إزالة آثار الغفلة والصوارف، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه:

« تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا » قال المنذري رواه الطبراني في الصغير والأوسط واسناده حسن ورواه في الكبير موقوفاً عليه وهو أشبه ورواته محتج بهم في الصحيح.

وفي الحديث الشريف التالي ما يشير الى ضرورة الدورات الروحية في حياة المؤمن « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم » أخرجه الطبراني والحاكم وهو صحيح.

فإذا ما عرفنا أنه كلما كثر التلوّث بالدنيا وشهواتها احتاج الإنسان الى مزيد من العناية بقلبه وعرفنا ضرورة البرنامج اليومي المكثف وضرورة الدورة الروحية في حياتنا المعاصرة.

فقد ذكر فقهاء الحنفية أنه يجب على الإنسان أن يهاجر من دار الكفر أو البغي أو البدعة إلى دار العدل والسنة.

لكنه في عصرنا يصعب على الإنسان أن يهاجر إلى حيث يريد فأنظمة الجوازات والهجرة والإقامة والدخول والخروج تعقّد موضوع الهجرة. ومن ثمّ فعامة المسلمين يأخذون بقول الشافعية أنه حيثما أتيح للمسلم أن يقيم شعائر الإسلام فإنه يندب له أن يبقى حيث هو، فبوجوده يكون المكان الذي هو فيه دار إسلام، إلّا ان الفقهاء أجمعوا على أنه حيثما كان المسلم يتعرّض هو أو أهله أو ذريّته لفتنة عن دينهم،

فإن الهجرة واجبة، والفتنة كما نعلم الآن حاصلة في أغلب بقاع الأرض، فلم يعد أمام المسلم إلّا أن يلتزم ببرنامج يومي مكثّف، وبدورات روحيّة مكثّفة وأن يلزم أهله وذريّته ببرنامج نظري وعملي ليحصّن نفسه وأهله من الفتنة.

إن المسلم ينبغي أن يحصّل نورين ؛ نور القلب ونور العلم بالإسلام ليمضي إلى الله في دروب الحياة على بصيرة. قال تعالى : ﴿ **نور على نور**﴾[1] أي نور الفطرة مضافاً إليه نور الشريعة. قال تعالى : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾[2] فهذا نور القلب يفرّق بين الحق والباطل.

وقال تعالى : ﴿ **قد جاءكم بصائر من ربكم**﴾[3] فالقرآن بصيرة، فإذا اجتمع للإنسان نور القلب ونور العلم بالقرآن كان على بصيرة في أمره كله ومن ثَمَّ فلا بد من برنامج عبادي ينير القلب، ولا بدّ من برنامج علمي ينير العقل، فذلك الذي يضع قدم الإنسان في مقام العبودية.

إن طلاب العبودية على نوعين : طلاب الصلاح وطلاب الربانية والإصلاح، وكل من النوعين يطالب بالأغذية الأربعة للعبودية ولكن على تفاوت في الدرجة، فطلاب الصلاح يطالبون بمزيد من الذكر وحدّ لا بدّ منه من العلم، وحد لا بدّ منه من النصرة، وحدّ لا بدّ منه من الانفاق، وطلاب الربانية والإصلاح يطالبون بحدّ لا بدّ منه من الذكر، ويطالبون بمزيد من العلم والنصرة، ويطالبون بالانفاق وحض غيرهم عليه، وتنظيم الانفاق.

قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوات إنا لا نضيع أجر المصلحين**﴾[5] وقال تعالى: ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[6]

فالتمسيك بالكتاب وتعليم الكتاب والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) سورة النور: (٣٥).
(٢) سورة الأنفال: (٢٩).
(٣) سورة الانعام: (١٠٤).
(٤) سورة آل عمران: (١٠٤).
(٥) سورة الأعراف: (١٧٠).
(٦) سورة آل عمران: (٧٩).

المنكر تحتاج إلى مزيد من العلم، وإلى مزيد من النصرة، وإلى مزيد من الانفاق وإلى تنظيم الانفاق، فالرعاية المالية جزء من التربية النبوية.

والداعية المرشد يهمّه أن يجعل الإنسان في دائرة الصلاح، ومَن وجد عنده همّةً حاول معه النهوض إلى رتبة الربانية والإصلاح، وقد جرت عادتنا مع إخواننا أن نؤكد عليهم على الاجتماع الاسبوعي، وإن أمكن فعلى الاجتماع اليومي وأن يكون له محافظة على الصلوات وعلى تلاوة القرآن وحفظه، وعلى ملازمة أوراد الصباح والمساء، وأن يداوموا على أذكار المناسبات والأحوال، ونعتمد في هذا كأساس رسالة المأثورات للأستاذ البنا رحمه الله ونحاول أن يدرسوا في اجتماعاتهم برنامجاً مرحليًا يتقنون فيه رسالة في أحكام التجويد، ويتقنون تلاوة القرآن ويحفظون شيئاً منه، ونركّز على الأربعين النووية، وعلى قراءة مختصر في علم مصطلح الحديث، وعلى فقه العبادات على مذهب من المذاهب، وعلى دراسة كتاب مختصر في عقائد أهل السنة والجماعة، وعلى دراسة كتاب المستخلص في تزكية الأنفس، وعلى دراسة النحو الواضح للمرحلتين الابتدائية والثانوية. أو ما يعادلهما، وعلى إتقان الخط والإملاء والترقيم، وعلى دراسة بعض كتب فقه الدعوة : جند الله ثقافة وأخلاقاً، من أجل خطوة الى الأمام، التعرّف على احتياجات العصر من خلال سلسلة رسائل : كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر. فمَن أتقن هذه المعاني أعطيناه اجازتين : أجازة في أحكام التلاوة وإقراء القرآن، وإجازة المرحلة الأولى : في العلوم الشرعية. وطالبناه أن يستمرّ في حضور جلسة أسبوعية تقوم على قراءة في التفسير وقراءة كتاب في السنّة النبوية ككتاب (رياض الصالحين).

ويحقّق من خلال اجتماعه بإخوانه ما تقتضيه لوازم العبودية.

أمّا مَن كان عنده انبعاث همّة نحو مقام الارشاد والاصلاح والربانية، فإننا نطالبه بحدّ أدنى من الأوراد يوميًا، وندخله في دورات روحيّة، تقوم على أن يذكر في كل دورة الأذكار المطلقة الثمانية آلافاً من المرات، ويمكن أن نضيف إلى ذلك في بعض الدورات شيئاً من الأذكار الأخرى. وأما بالنسبة للدراسة، فإنا نطالبه أولاً : بقراءة الأصول الثلاثة، وقراءة الأساس في التفسير، وقراءة الأساس في السنّة وفقهها، وقراءة كتاب موسّع في عقائد أهل السنة وكتاب شامل في فقه مذهب، وكتاب قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص وهو في الأصول، ونطالب بقراءة كتبنا الثلاثة : في التربية والتزكية والسلوك وهي : تربيتنا الروحية — المستخلص في تزكية الأنفس، مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، ونطالبه بقراءات في علوم اللغة العربية كلّها،

وبقراءات في التاريخ الإسلامي، ونطالبه بقراءات في فقه الدعوة وخاصة سلسلتنا في البناء، فإذا فعل ذلك كله أعطيناه (إجازة تخصّص الدعاة) وطالبناه في أن يعمل على نشر الثقافة الإسلامية والتربية عليها، وأن يعطي كلاً من الناس ما يناسبه من العلم والذكر مراعياً حال الأطفال والنساء والأميين دافعاً نحو مقام الصلاح ثم مقام الإصلاح، منظّماً الدعوة والرعاية الاجتماعية.

ان عصرنا ليس كبقية العصور، قد غلبت فيه المادية والشهوة، فهو يحتاج إلى غذاء روحي كبير وإلى غذاءٍ علمي كثير، وإلى أناس قادرين على العطاء العلمي والروحي، وهو الذي جعلنا نعكف على كتابة ما كتبناه، وجعلناه كلّه تحت عنوان رئيسي هو : «دراسات منهجيّة هادفة» لأننا تلمّسنا أن نضع أيدينا على المنهج الذي يحتاجه الدعاة في عصرنا. وقد رغب لنا بعض الأخوة أن نوزّع دراسات المنهج على مراحل ففعلنا ذلك، وجعلنا دراسة المنهج على أربع مراحل، خصّصنا لكل مرحلة علومها وكتبها بحيث يتكامل ما أخذه، ويتخرّج الطالب الرباني في المرحلة الأخيرة برتبة الأستاذ والمرشد، وهذه نماذج على الإجازات الخمس التي نعطيها لطالب الربانية :

إن المواد العشر التي أدخلناها في إجازات طلاب الربانية، ونوع الكتب التي أدخلناها، وإصدارنا الإجازات باسم طلاب الربانية كانت له أسبابه وظروفه وكانت لنا أوضاعنا التي تسمح بذلك، ولكن الواقع أنه لا يوجد بعض الكتب في بعض الأقطار، وقد لا تسمح بعض الأقطار ببعض الكتب، وقد تكون بعض الدراسات ضرورية في مكان دون مكان، وقد تغني بعض الدراسات في أوضاع عادية عن دراسات أخرى، فهناك مثلاً مَن يرى أن تدريساً صحيحاً للكتاب والسنّة يغني عن دراسة العقائد، وهناك حالات يدخل الداعية فيها في دائرة الحرج إذا درس بعض الكتب أو بعض الدراسات.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله



قال تعالى: "ورتّل القرآن ترتيلاً" ولقد استقرأ علماء المسلمين طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الترتيل والتلقين فاستخرجوا أحكام التجويد وحرصوا على تلقنه وتلقينه وأعطوا الإجازات في ذلك ولما كان السيد قد قرأ رسالة في أحكام التجويد وختم القرآن على يد المشرفين عليه وأتقن التلاوة وأحكامها فإن المشرفين عليه واللجنة الفاحصة قد قررت إعطاءه هذه الإجازة في تعليم أحكام التجويد وإقراء القرآن وتلقينه على رواية حفص بالشرط المعتبر عند علماء القراءات والأثر سائلين المولى الكريم أن ينفع به الإسلام والمسلمين

اللجنة الفاحصة	المشرفون	الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله »



إجازة المرحلة الأولى في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد   دراسة البرنامج التالي :

أحكام التجويد ومفردات القرآن وأتقن التلاوة .

٢ ــ السيرة النبوية (نور اليقين) .

٣ ــ مصطلح الحديث (كتاب مختصر) والأربعين النووية .

٤ ــ عقائد أهل السنة والجماعة « كتاب مختصر » .

٥ ــ أحكام العبادات في الفقه « كتاب مختصر .

٦ ــ كتاب «المستخلص في تزكية الأنفس » .

٧ ــ في فقه الدعوة (جند الله ثقافة وأخلاقاً ـ جولات في الفقهين ، الكبير والأكبر من أجل خطوة إلى الأمام ـ رسالة التعرف) .

٨ ــ في اللغة العربية « النحو الواضح » المرحلة الابتدائية والخط والإملاء والترقيم ، فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الأولى في السير نحو الربانية .

اللجنة الفاحصة   المشرفون   الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله »



إجازة المرحلة الثانية في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد دراسة البرنامج التالي :

١- في القرآن والتفسير : تفسير سورة البقرة وحفظها .

٢- في السنة : رياض الصالحين وحفظ أحاديث منتقاة من بعض أبوابه .

٣- في الفقه : تتمة دراسة كتاب فقه مذهبي .

٤- في التربية والتزكية والسلوك : تربيتنا الروحية .

٥- في فقه الدعوة : رسائل كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر، فصول في الإمرة والأمير

٦- في اللغة العربية : قطر الندى والنحو الواضح للمرحلة الثانوية والبلاغة الواضحة .
وكتاب في العروض والقافية .

٧- في الفكر الإسلامي : الأصول الثلاثة .

فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الثانية في السير نحو الربانية ويمنحونه لقب : نقيب مشرف .

اللجنة الفاحصة المشرفون الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله »



إجازة المرحلة الثالثة في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد   دراسة البرنامج التالي :

١- في القرآن والتفسير : من سورة آل عمران إلى نهاية براءة .

٢- في السنة : الأساس في السنة : قسما السيرة والعقائد أو ما يعادل ذلك .

٣- في أصول الفقه والمنطق : الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم أو ما يعادل ذلك

٤- في التربية والتزكية والسلوك : مذكرات في منازل الصديقين والربانيين .

٥- في فقه الدعوة : دروس في العمل الإسلامي، المدخل إلى دعوة حسن البنا، في آفاق التعاليم.

٦- في التاريخ : كتاب التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر أو ما يعادل ذلك .

٧- في الفكر الإسلامي : مطالعات لكتّاب معاصرين .

٨ - في اللغة العربية : تدريب على القراءة الصحيحة والكتابة والتدريس والمحاضرة والخطابة وقراءات في كتب الأدب .

فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الثالثة في السير نحو الربانية ويمنحونه لقب : مرشد .

اللجنة الفاحصة   المشرفون   الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله »



إجازة المرحلة الرابعة في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد دراسة البرنامج التالي:

١. في القرآن والتفسير: الأساس في التفسير أو ما يعادله.

٢. في السنة: الأساس في السنة وفقهها أو ما يعادله ورياض الصالحين ودراسة مصطلح الحديث.

٣. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

٤. عقائد أهل السنة والجماعة.

٥. كتاب في الفقه.

٦. كتاب في أصول الفقه.

٧. سلسلة التربية والتزكية والسلوك.

٨. سلسلة دراسات منهجية هادفة في فقه الدعوة والبناء والعمل الإسلامي.

٩. في الفكر الإسلامي الحديث: الأصول الثلاثة ومطالعات حرة.

١٠. علوم اللغة العربية.

وبعد ما التزم بالأوراد اليومية والدورات الروحية المخصصة فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الرابعة في السير نحو الربانية ويمنحونه لقب: أستاذ مرشد.

اللجنة الفاحصة　　　المشرف　　　المرجع العام

والداعية الكامل يوصل إلى الكمال من حيث بدأ، وإذا ما أردنا تجديداً شاملاً في الأمة الإسلامية، فإن هذا التجديد يتمّ إذا وجدت مدرسة في كل مسجد، وأصبح لهذه المدرسة مدرّسوها ومناهجها والمنتسبون إليها وإجازاتها.

تصوّر الآن مسجداً يشرف عليه مرشد كامل، وهذا المرشد قام بنفسه أو بالتعاون مع غيره بفتح درس يومي قبيل العشاء، وخصّص يوماً في الأسبوع للتفسير، ويوماً للسنة، ويوماً للفقه، ويوماً للأخلاق، ويوماً للسيرة والتاريخ الإسلامي، ويوماً للغة العربية، واختار الكتاب المناسب في كل علم من هذه العلوم لزمانه ومكانه وبيئته، وخصّص وقتاً لختم القرآن وحفظه وأحكام تلاوته، ووجّه المنتسبين للحلقات نحو الدعوة والخدمة الاجتماعية، والمشروعات المفيدة وأجرى امتحانات دورية في المواد التي يعطيها، وأعطى بذلك إجازات، ثم تصوّر أن كل مسجد من مساجد المسلمين قامت به مدرسة وصار يعرف أن فلاناً من الناس تخرّج من جامع كذا وأخذ إجازة كذا ولوحظ في الإجازات المطلوبات العينية ثم الكمالات الإسلامية.

تصوّر أن هذا حدث في كل مسجد، فهل يبقى تخلفٌ عند المسلم؟

لا شك أن هذا حلم ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله فليبدأ كل منّا بمسجده، وسيأتي يوم بإذن الله يعمّ فيه هذا الخير كل المساجد، ولتبتعد حلقات المساجد عن أي شيء يؤثر على جهودها أو استمرارها، ولتتمحّض للعلم وليراع القائمون عليها التلاؤم مع الحدّ الذي يسمح به وضع البلد الذي هم فيه، وإذا ما أمكن أن تصدق وزارات الأوقاف إجازات المساجد فلهذا قيمته الكبرى ونكون بذلك قد عوّضنا كل إنسان عن دراسة جامعية شرعية، وهذا سيرتقي بالأمة الإسلامية مدنية وثقافة والتزاماً بما يقرّبها إلى الله.

إن أقرب طريق للارتقاء بالأمة الإسلامية هو أن تتعاون المؤسسات التعليمية والمساجد والبيوت بما يكمّل كل منها عمل الآخر بشكل هادف ومنظّم ومكافئ للعصر.

١٠/شعبان/١٤٠٧ هـ

١٩٨٧/٤/٩ م

فهرس الرسالة السادسة

غذاء العبودية



الرسالة السابعة :

أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه الرسالة خصصتها لبعض الأخلاقيات التي استشعرت ضعفها أو ضرورة التذكير بها أو أوصلتني التجربة إلى ضرورة التركيز عليها.. ومن هنا تحدثت في الرسالة عن الأريحيات والذوقيات والمروءات وأدب العلاقات الدعوية، وإذا كانت هذه الرسالة مبنية على رسائل سابقة، أو على كتب سابقة، فلم أتعرض في الغالب إلا لما أعتبره جديداً أو ضروري التأكيد.. ولذلك فإنني أذكر قارئها بالرسائل قبلها وبكتابيّ : « جند الله ثقافة وأخلاقاً » و« في آفاق التعليم ».

ولنبدأ الحديث على اسم الله :

في الشريعة فرائض وواجبات وسنن وآداب، وفيها محرمات ومكروهات، وهي مع تحديدها لهذه الأمور بشكل صريح أو ضمني يعرف من النصوص مباشرة أو بشكل غير مباشر، فهي قد وضعت أصولاً لضبط التعامل مع الرأي العام مما يدخل في ما يصطلح عليه الناس : الذوق ومراعاة الرأي العام.

وهذه قضية تغيب عن الكثيرين حتى إنك لتجد بعض المتدينين المتشددين يسقطون قضايا الذوق ومراعاة عواطف الناس ومشاعرهم، حدثني بعض شيوخنا أنه كان في جلسة علمية فامتخط إنسان وألقى بمخاطه على الأرض بشكل جاف، فاستعمل شيخنا حق الشيخ في التأديب فنبهه على ذلك فسأله التلميذ: أعندك نص في عدم الجواز؟

فهذا نموذج على نمط من التفكير يلغي قضايا الأذواق ومراعاة الرأي العام.

* * *

ولا شك أن الأذواق قد تمرض وأن الرأي العام قد يكون ضالاً مضللاً، وإذا كان أهل السنة والجماعة لا يعتبرون العقول نفسها ميزاناً للتحسين والتقبيح، فمن باب أولى ألا تعتبر الشريعة الأذواق والرأي العام ميزانين، خاصة وهما مرتبطان إلى حدّ كبير بالعواطف، ولذلك نقول ابتداءً : إنه لا قيمة للذوق ولا للرأي العام إذا عارض الفرائض والواجبات والسنن والآداب، أو دخل في دائرة المكروهات أو المحرمات، وإذن فمراعاة الرأي العام وقضايا الأذواق إنما راعاها الشارع في المباحات ولذلك نجد في القرآن الكريم قوله

تعالى : ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجة** ﴾[1]. ونجد في السنة قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة : (لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت البيت وبنيته على قواعد إبراهيم).

فالأول جاء في سياق مواقف المسلمين من اليهود، والثاني في مراعاة الرأي العام الجاهلي في قضية لا يترتب عليها عمل...

---

(١) سورة البقرة: (١٥٠).

ولننتقل إلى قضية أخرى وهي قضية الأريحيات والمروءات :

قال عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فالرسول ﷺ حصر بعثته بأن المراد منها استكمال بناء الصرح الأخلاقي في هذا العالم، وهذا يفيد أنه عليه الصلاة والسلام لم يبدأ البناء الأخلاقي من الصفر، بل هناك أخلاق بعثت بها الرسل وأتمها رسول الله ﷺ، وهناك مكارم للأخلاق تعارف عليها الناس أنها من مكارم الأخلاق وهي فعلاً كذلك. وجاء الرسول ﷺ ليقر أمثال هذه الأخلاق وليكملها، ولم تزل الأريحيات والمروءات مما تواطأ الناس على إكبارها واحترامها، إلا من فسدت فطرته ومرض عقله.

وقضايا الأريحيات والمروءات لا تدخل تحت حصر، وقد تتجاوز حدها فتصبح جاهلية، وقد تنقص حتى يحتقر المخل، إن بعض ما يدخل في المروءات والأريحيات يدخل في أبواب الحكم الشرعي من فريضة أو واجب أو سنة أو أدب وإذا تجاوزت الأريحيات حدها كأن دخل صاحبها في الإسراف والتبذير أو طرأ عليها عارض كالرياء والعجب وحب الثناء والمدح، فإن ما صاحبها يدخل في باب المحظورات.

وقد تكون أحياناً من باب المباحات، ولكنها إذ تؤدي إلى احتقار صاحبها وغيبته وازدرائه فإنها تخرج صاحبها بسبب من ذلك إلى دائرة المحظور، فمثلاً لو وقعت من إنسان تمرة فأهملها فرآها إنسان فأخذها فطالب الأول الآخر بها فذلك طلب مباح في الأصل ولكنه مخلّ بالمروءة.

إن موضوع الأريحيات والمروءات عميق في الفطرة البشرية وهو يختلف من شعب إلى شعب في القوة والضعف وفي السعة والضيق، ولعل العرب من أكثر الشعوب تأثراً

بهذه الموضوعات، وقد يكون ذلك من حكم اختيارهم لحمل الرسالة الإسلامية، فهذه الرسالة تحتاج إلى نوع من النفسيات تهزها الأريحية والمروءة، وتبقى مشدودة، إلى كل كمال. وما أظن شعباً تهزه المروءات والأريحيات يسبق الشعب العربي في ذلك، وادرس أدب هذا الشعب نثراً وشعراً لترى أن الحديث عن الأريحيات والمروءات يشكل جزءاً كبيراً من أدبه.

ورسول الله ﷺ كان له في هذا القدم الأعلى، ألا ترى أن الله حرم عليه وعلى آل بيته الأكل من الصدقات.. ألا ترى إلى ما قالته خديجة له يوم رجع بالوحي وأخبرها أنه قد خشي على نفسه فقالت : (كلا والله لا يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) البخاري.

ولقد قال ابن الدغنة وهو مشرك لأبي بكر يوم فكر في الهجرة إلى الحبشة الكلمات نفسها وأجاره، مما يشير إلى أنه قد استقر في ضمير العرب أن هذه المعاني من مكارم الأخلاق التي ترفع صاحبها وتجعله أهلاً للحرص عليه.

* * *

إن الإسلام والذوق والمروءة مترادفات ومتكاملات فإذا تعارض ما ظنه الناس ذوقاً مع الإسلام أو تعارض ما ظنه الناس مروءة مع الإسلام فذلك علامة على فساد الذوق وسخف المروءة، أما إذا لم يتعارض شيء من ذلك مع الإسلام، فالذوق مقبول، بل مطلوب، والمروءة مقبولة، بل مطلوبة، وهل ذلك إلا العرف والمعروف.

﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[1].

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[2].

إن ترتب بيتك على ما ترتاح له الأذواق بما لا يتناقض مع شريعة، وأن تلبس لكل حالة لبوسها الذي يريح القلوب والأبصار، وأن تقدم للناس النظيف الجميل، أليس ذلك في محله من الحكمة واقرأ هذا النص : (إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم

---

(١) سورة الأعراف: (١٩٩).

(٢) سورة آل عمران: (١١٠).

وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في أعين الناس، فإن الله لا يحبّ الفحش ولا التفحش) أخرجه أبو داود.

وألا تسمح لنفسك أن تسف في القول والعمل، وألا تسمح لأحد أن يسف بحضرتك بما ينقض وقاراً أو حلماً أو كمالاً، وألا تسمح لنفسك أن تفعل ما ينكره عقل أو شرع أو عرف أليس ذلك من الحكمة، واقرأ ما يقوله علي رضي الله عنه : « لا تفعل ما يسبق إلى العقول إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ».

عندما تدرس التربية النبوية، تجد التربية للأذواق مستمرة، وتجد الحوادث المعبرة عن سلامة الذوق كثيرة في حياة الصحابة.

فمثلاً عندما يراق الماء في العلية التي كان يسكنها أبو أيوب والتي كان رسول الله ﷺ يسكن أسفل منها بناء على رغبته للتسهيل على ضيفانه، نجد أبا أيوب يلتقط الماء خشية أن ينزل منه شيء على رسول الله ﷺ فيؤذيه، إنك تجد ههنا ذوقاً رفيعاً.

وعندما تجد أبا طلحة يضع الثوب أمام عينيه ثم يتقدم ليضعه على صفية زوجة رسول الله ﷺ عندما وقعت عن البعير، نجد ههنا ذوقاً رفيعاً، وعندما يتوفى ابن أم سليم ويأتي أبو طلحة يسألها عن الطفل فتقول له : هو أسكن ما كان وتتزين له حتى يواقعها ثم تتلطف بالإعلام، ثم يدعو رسول الله أن يبارك لهما في ليلتهما، فإنك تجد قمة الذوق، وعندما يسأل العباس عم رسول الله ﷺ أهو أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ يقول : « رسول الله ﷺ أكبر وأنا أسن » تجد كذلك ذوقاً رفيعاً.

ولقد كان رسول الله ﷺ يربي على أنواع من الذوق الرفيع في الأسماء وفي السلوك، فهذا جانب يجب أن نعطيه أهمية في عصرنا وأن نحيي وقائعه، فالإسلام كله ذوق، فالتوحيد أعلى درجات ذوق القلب، والعبادات أعلى درجات ذوق الجسد والاستئذان والسلام ووضع اليد على الفم أثناء التثاؤب، وعلى الأنف أثناء العطاس، ورحمة الكبير للصغير وتوقير الصغير للكبير، وأن يقدم الرجل مهراً للمرأة، وأن يستأنس بين يدي ما يريد، وأن يتلطف في الخطاب، وأن يبتعد عن الكبر والخيلاء والتكلف، كل ذلك ذوق رفيع، وعلى المسلم أن ينمي حسه الذوقي، فإذا دخل على العلماء فبالأدب، وإذا سأل فبالأدب، وإذا خالط أهل الفضل فبالأدب.

* * *

في قضايا المروءات والأريحيات تذكر وفاء رسول الله ﷺ الذي ليس له مثيل، تذكر

وفاءه لخديجه في إدامة ذكرها وإكرام صديقاتها، وتذكر وفاءه للمشركين والكافرين إذا أسدوا معروفاً، فهذا هو يقول يوم بدر : (لو كان المطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء النتنى لأعطيتهم له).

وهذا هو يوصي بأقباط مصر خيراً لأن لهم رحماً وصهراً، وما ذاك إلا لأن هاجر رضي الله عنها منهم، ولأن مارية القبطية رضي الله عنها منهم. ونجد وفاءه عليه السلام لأهل السابقة والمواقف، فهذا حاطب بن أبي بلتعة يعفو عنه مع عظم ما أتى لأنه شهد بدراً، وأنظر في قضايا المروءات والأريحيات كيف أنه عليه السلام ما ضرب خادماً ولا امرأة في حياته، وكيف أكرم أبو قتادة سيف رسول الله ﷺ يوم أحد أن يقتل به امرأة، وكان عليه السلام لا يرضى أن يسبقه أحد في خلق.

ولقد عقد البيهقي في سننه الكبرى باباً تحت عنوان :

(بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقاً بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة) فذكر الأحاديث التالية نذكرها مع حذف أسانيدها :

(إن الله كريم يحب الكرم).

(ومعالي الأخلاق ويبغض سفسافها).

(بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً).

(إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وإنه كان يقول : إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً) رواه مسلم.

(كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه) البخاري ومسلم.

(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة : إذا لم تستح فاصنع ما شئت) البخاري.

عائشة رضي الله عنها قالت : (ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء قط فينتقمه من صاحبه إلا أن يكون لله فإذا كان لله انتقم منه، ولا عرض له أمران إلا أخذ الذي هو أيسر حتى يكون إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس منه) رواه مسلم.

عائشة رضي الله عنها قالت : (ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم) رواه البخاري.

أنس بن مالك، قال : (كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع فإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له).

أنس قال : (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً متفحشاً ولا لعاناً ولا سباباً كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ما له تربت جبينه).. رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سنان.

عن زيد بن أسلم قال : كان عبد الملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء فتبيت عند نسائه ويسائلها عن الشيء قال : فقام ليلة فدعا خادمة فأبطأت فلعنها، فقالت : لا تلعن فإن أبا الدرداء حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (إن اللعانين لا يكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء) رواه مسلم في الصحيح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً) رواه مسلم في الصحيح.

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)، وروي عن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ مثله.

عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (من يحرم الرفق يحرم الخير) رواه مسلم.

عن عائشة ــ رضي الله عنها.. أنها كانت على جمل فجعلت تضربه، فقال النبي ﷺ : (يا عائشة عليك بالرفق فإنه لم يكن في شيء إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شأنه) أخرجه مسلم.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) رواه مسلم.

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير، وقال : أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش البذيء).

عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله ﷺ قال : (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني

أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مساويكم أخلاقاً الثرثارون المتشدقون المتفيهقون).

عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ (ألا أخبركم بشرار هذه الأمة ؟ الثرثارون المتشدقون المتفيهقون أو لا أنبئكم بخيارهم ؟ أحاسنهم أخلاقاً).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نبي الله ﷺ قال : (الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة).

عن قتادة أخبرني غير واحد ممن لقي الوفد وذكر أبا نضرة عن أبي سعيد ـــ فذكر قصة عبد القيس قال : (وأتى نبي الله ﷺ بأشج عبد القيس) فقال : (إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة) ـــ أخرجه مسلم.

عن مصعب بن سعد عن أبيه ـــ قال الأعمش : ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ، قال : (التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة).

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة).

حارثة بن وهب سمع النبي ﷺ يقول : (ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره وقال : أهل النار كل جواظ عتل مستكبر) أخرجه البخاري ومسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (من كان ليناً هيناً سهلاً حرمه الله من النار) رواه سهل بن عمار من محاضر فقال فيه عن المطلب عن أبي هريرة.

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت، قال رسول الله ﷺ : (أول ما نهاني عنه ربي عز وجل وعهد إليّ بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال).

فملاحاة الرجال ومخاصمتهم ومجادلتهم تأتي في الدرجة الثالثة في الشر بعد الشرك وشرب الخمر.

عن إياس بن معاوية بن قرة المزني قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز ـــ فذكر عنده الحياء ـــ فقالوا : الحياء من الدين (فقال عمر : بل هو الدين كله. فقال إياس : حدثني

أبي عن جدي قرة قال : كنا عند رسول الله ﷺ فذكر عنده الحياء، فقالوا : يا رسول الله الحياء من الدين ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل هو الدين كله، ثم قال رسول الله ﷺ : إن الحياء والعفاف والعي عي اللسان لا عي القلب والعمل من الإيمان وإنهن يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا). قال إياس بن معاوية : فأمرني عمر بن عبد العزيز فأمليتها عليه ثم كتبه بخطه ثم صلى بنا الظهر والعصر وإنه لفي كمه ما وضعها إعجاباً بها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : (المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (كرم المرء دينه، ومروءته عقله وحسبه خلقه) ـــ وقد روي ـــ من وجهين آخرين ضعيفين عن أبي هريرة.

زياد بن حدير يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : حسب المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله. هذا الموقوف إسناده صحيح.

إبراهيم بن محمود يقول : سمعت الربيع بن سلمان يقول سمعت الشافعي يقول : المروءة أربعة أركان حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك.

عن حبيب التميمي أن معاوية سأل رجلاً من عبد القيس ما تعدون المروءة فيكم ؟ قال : الحرفة والعفة (وروينا) عن أبي سوار قال : قيل لمعاوية : ما المروءة ؟ قال : العفاف في الدين وإصلاح في المعيشة.

ابن يعقوب الفارسي يقول : قرأت في بعض الكتب أن يزيد بن معاوية سأل الأحنف بن قيس عن المروءة؟ فقال الأحنف: المروءة التقى والاحتمال، ثم أطرق الأحنف ساعة وقال :

وإذا جميـــل الوجـــه لم ... يأت الجميـــل فمـــا جمالـــه
ما خيـــر أخـــلاق الفتـــى ... إلا تقـــاه واحتمالـــه

عن الأصمعي قال : قال سلم بن قتيبة : الدنيا العافية، والشباب الصحة، والمروءة الصبر على الرجال. قال فسألت : ما الصبر على الرجال ؟ فوصف المداراة.

عن ابن حسين قال : قلت لإياس بن معاوية : ما المروءة ؟ قال : (أما في بلدك وحيث تعرف التقوى وأما حيث لا تعرف فاللباس) أهم ما ذكره البيهقي.

وهذان نصان من أقوال العلماء توضح لك دقائق في باب المروءة :

١ ــ وقال في الدر المختار بمناسبة الكلام عمن لا تقبل شهادته : (أو يبول أو يأكل على الطريق، وكذا كل ما يخل بالمروءة، ومنه كشف عورته ليستخبي من البركة والناس حضور). وقيد ابن عابدين الأكل لمن كان بمرأى من الناس واستثنى من ذلك شرب الماء وأكل الفواكه لأن الناس لا تستقبحه، وقال : وفي العتابية ولا تقبل شهادة من يعتاد الصياح في الأسواق، وقال ابن عابدين : (وصرح « أي ابن نجيم » بأنهم شرطوا لإسقاط العدالة بالصغيرة الإدمان عليها ولم يشرطوه « أي لإسقاط العدالة » في فعل ما يخل بالمروءة وإن كان مباحاً).

(فالمباح اذا أخل بالمروءة يسقط العدالة).

٢ ــ وقال الغزالي رحمه الله في إحيائه في معرض تعريفه لحقيقة السخاء والبخل :

(إن الواجب قسمان : واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة. والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة، فإن منع واحداً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة، أو يؤديها ولكنه يشق عليه، فإنه بخيل بالطبع. وإنما يتسخى بالتكلف، أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله، أو من وسطه، فهذا كله بخل.

وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح، واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص. فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة، ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الأجانب، ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد، ويستقبح في الضيافة مع المضايقة ما لا يستقبح في المعاملة، فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب، إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها، ويستقبح في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة.

وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي. وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير. فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره.

فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل. نعم لا يتصف

بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير. ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون طمعاً ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكراً أو ثناءً.

* * *

الكلام عن الذوقيات والمروءات يجرنا إلى الكلام عن أدب العلاقات، فما من شيء أدل على زكاة النفس في الإسلام من أدب العلاقات وليس هناك شيء أصعب على النفس من الأدب في بعض الأحوال، لذلك كانت مجاهدة النفس لحملها على الكمال في أدب العلاقات من أعظم ما يطالب به المسلم.

كان نور الدين الشهيد رحمه الله حازماً ومن حزمه أنه كان لا يسمح لأمير من أمرائه أن يجلس في حضرته إلا بإذنه لم يستثن من ذلك إلا نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ولكنه كان مع العلماء والصالحين على غاية من الاحترام والتواضع والإجلال، انظر هذا الأدب وتأمل إلى أي حدّ يستطيع إنسان ذو صفة رسمية في عصرنا، عصر البروتوكول أن يتواضع لعالم عامل صالح أمام الجماهير.

إن كثيراً ما ترفض نفس الصغير توقير الكبير، وكثيراً ما ترفض نفس الكبير رحمة الصغير، وكثيراً ما تأنف أنفس أولي الأمر من استشارة من دونهم، وكثيراً ما يشتط المستشار إذا استشير، وكل هذه مظاهر من جموحات النفس ورعوناتها، ولذلك قلنا : إن من أعظم علامات زكاة النفس قيامها بأدب العلاقات ملاحظاً في ذلك الحكم الشرعي أولاً ثم المروءات والذوقيات..

إن أدب العلاقات واسع، فهناك أدب الولد مع الوالدين، وأدب الوالدين مع الأولاد ذكوراً وإناثاً، وأدب الإخوة مع بعضهم البعض وأدب الصاحب والجار مع الصاحب والجار، وأدب الموظف والعامل مع الزملاء ومع العمل وهكذا دوائر العلاقات البشرية كلها.

وإذا كان أدب العلاقة مع الخلق له هذه الأهمية، فما بالك بأدب العلاقة مع الخالق.. إنك لو حصرت الحياة البشرية الكاملة بأدبين : أدب العلاقة مع الخالق، وأدب العلاقة مع الخلق لم تعد.

وأدب العلاقة مع الخالق يقتضي أدب العلاقة مع الخلق فكلما كملت العلاقة الأولى كملت الثانية.

وأدب العلاقة مع الخالق ينحصر بالإيمان والفعل والترك : فالإيمان بالوحي وترك المحرمات والمكروهات وفعل الواجبات والسنن والآداب والأريحيات والمروءات من مقتضى حسن التعامل مع الله عزّ وجلّ.

وليس هناك في أدب العلاقات مع الخلق أعظم من القيام بحق الوالدين وحق العلماء والأولياء والمربيّن ثم الأرحام والجوار والأصحاب.

وفي أدب العلاقات نجد كيف كان رسول الله ﷺ يتألف الخلق جميعاً حتى استخرج النفاق من قلوب أكثرية المنافقين، وكيف استخرج أحقاداً وعداوات من قلوب موتورين حتى أصبح أحب إليهم من أبكارهم.. وكيف كان يضع الحزم في محله واللين في محله، وكان يغلب عليه اللين ويكفي أن الله أدبه بقوله : **﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر ﴾**[1].

لقد كان لين الكلمة، رحيم القلب، حريصاً على المؤمنين، يعفو ويصفح، ويستغفر لذنوبهم، ويشاورهم، فأي أدب في العالم أرفع من هذا الأدب، إن إحياء آداب النبوة وسياساتها من أهم ما يطالب به المسلم على مدى العصور وذلك لا يطيقه إلا من اجتمع له علم وذكر وما ذلك إلا لدقة الأدب، انظر إلى أدبه عليه الصلاة والسلام في الإنصات :

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ﴾[2].

لقد اتهمه المنافقون بأنه شديد الإصغاء ويستطيع كل إنسان أن يؤثر عليه فأكد الله أنه كثير الإنصات حتى شبهه بالأذن، إلا أنه يعرف من يصدق وأن إنصاته رحمة للمؤمنين إما أن يستجره أحد لموقف غير صحيح فلا :

﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: (١٥٩).

(٢) سورة التوبة: (٦١).

(٣) سورة الحجرات: (٧).

ولدقة السياسات النبوية قلنا: إنها تحتاج إلى علم لتعرف وإلى ذكر ليستطيعها الإنسان ولذلك قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[1] فمن لم يكن له ذكر كثير فإن اتباعه قليل.

فإذا اتضحت لك هذه السلوكيات في باب الأريحيات والذوقيات وأدب العلاقات، وكلها واجبة التأكيد في هذا القرن لأنها ضعفت كثيراً في بعض البيئات مما يقتضي تجديدها وتأكيدها، فقد آن الأوان أن نتحدث عن أخلاق وصفات يجب تأكيدها وتعميقها كي نستطيع أن نؤدي واجبنا في هذا العصر على الوجه الأكمل نقول : والله المستعان..

لقد أطلق الأستاذ البنا رحمه الله الدعوة الإسلامية في مسارها الصحيح المستقيم من خلال معان لا أعظم منها ولا أروع، وقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تنطلق رغم الضربات وأن تتوسع رغم انعدام القيادة المركزية فترة المحنة مما يدلّ على أن قوة التأسيس وصلاحية الأفكار كانت في الذروة، وإلا فكيف أصبحت الدعوة الإسلامية تشكل تياراً عالمياً هادراً رغم الظروف التي أحاطت بها ؟.. وكان من أعظم توفيقات الله للأستاذ البنا أن جعل السير ينطلق من بيعة على أركان عشر هي ما سجله في رسالة التعاليم :

(الفهم والإخلاص والتجرد والتضحية والطاعة والجهاد والأخوة والثبات والثقة والعمل).

ولقد تحدث عن جوانب أخرى في الواجبات الأربعين المذكورة في رسالة التعاليم وتحدث عن خصائص دعوته في مواطن متفرقة، فذكر العلم والتربية والربانية وغير ذلك مما جعل هذه الدعوة في ذروة الكمال.

وبعد مسيرة خمسين عاماً ونيف استطاعت الدعوة أن تحقق انتصارات هائلة من خلال الجماعة أو من خلال من تأثر بأفكارها.

لقد تغلبت الجماعة على التشكيك بالإسلام وأقامت الحجة على الناس بصلاحيته للتطبيق وبصحة أصوله، وبدأ التطبيق الإسلامي لأعقد القضايا المعاصرة يأخذ مداه حتى

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١).

وجدت البنوك الإسلامية اللاربوية، وبدأ الإسلام يزحف محلياً وعالمياً على الأرض الإسلامية وخارجها، وقد بدأ يدخل في أعلام العصر ومفكروه، ففي المرحلة التي كتبت فيها هذه السطور أعلن روجيه غارودي إسلامه وهو من مشاهير المفكرين الفرنسيين الذين بدأوا ماركسيين.

ومع هذا كله فإن الحركة الإسلامية في القرن الخامس عشر تواجه اختبارات قاسية مما يقتضي منا أن نستبق الأمر فنركز على الأصول الأولى في دعوة الأستاذ البنا ونركز على الأخلاقيات والآداب والأعمال التي تساعدنا على النجاح في اختبار القرن.

لقد نجحنا دعوياً نجاحات باهرة في القرن الماضي، أما نجاحاتنا السياسية في مرحلة ما بعد الاستعمار فلا زالت موجودة، والعمل السياسي الإسلامي يقتضي أخلاقيات معينة فما لم توجد فإنه قد يصل بأصحابه إلى كوارث وهذا يجعلنا نركز على أخلاقيات معينة.

ولقد كان نجاحنا التربوي في المرحلة السابقة نجاحاً وسطاً لصعوبة الأوضاع التي مرت بها الجماعة من اعتقالات إلى سرية إلى اضطهاد إلى إرهاب فكري، وهذا يقتضي منا أن نقيم نجاحنا وفشلنا فنركز على كل نقطة ضعف ظهرت لنا، وهذا يجرنا إلى البحث عن أخلاقيات المرحلة التي نحن فيها، والتي توافق مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

وبسبب من ظروفنا، وبسبب من أننا طوينا أعمالاً كبيرة لصالح أعمال أكبر، فقد أعطينا الدعوة قدراً من الاهتمام أكثر مما أعطيناه للعلم وخاصة العلوم المفروضة فرض كفاية، فلم يظهر من أبناء الدعوة كرجال قمة مختصين يملؤون شواغر الفروض المهملة ما يغطي كل هذه الفروض، وعلينا في هذا القرن أن نسد هذا النقص.

* * *

ومن خلال استقراء يستوعب ساحة الواقع، فإنني أرى أن نركز على نقاط عشر تعتبر اشتقاقات تفصيلية لنقاط تعرض لها الأستاذ البنا في أركان البيعة العشر، وفي واجبات الأخ العامل وفي رسائله ومذكراته، بل يمكن اعتبارها تجميعاً لمتفرقات من كلامه رحمه الله، وكلها تقتضي تركيزاً خاصاً، تطلبه المرحلة وتوصل إليه التجربة، هذه الأخلاق العشر التي تضع في حسابها ما ذكره الأستاذ البنا في رسالة التعاليم هي الأخلاق التي يحتاجها قرننا ــ في اجتهادي ــ كأخلاق ينبغي أن يتحقق بها كل فرد وهي :

العلم والذكر والخدمة والمحبة والاحترام والتسليم والكتمان والإنفاق والتنظيم والترتيب والدعوة والتعليم.

وهذا بيان ما أريده بكل واحد من هذه الأخلاق :

أولاً ــ العلم :

إن العلم في هذا القرن هو الذي سيحسم أشياء كثيرة فهو الذي سيحسم الصراع الداخلي في الصف الإسلامي بين الاتجاه السلفي والصوفي، والمذهبي واللامذهبي، فالتحقيقات العلمية الأقوى هي التي ستفرض نفسها لا في الكليات بل في الكليات والجزئيات.

والعلم هو الذي سيجعل المناهج التربوية والثقافية للفرد المسلم تستقر على الوضع الأفضل.

والعلم هو الذي سيجعلنا ننجح في اختبار التطبيق الإسلامي المعاصر سياسياً وعسكرياً.

والعلم هو الذي سيقيم الحجة على غير المسلمين بأن هذا الإسلام حق، ولذلك فإن العلم هو أحد أركان الحركة الإسلامية لهذا القرن، بل وفي كل قرن.

ثم إن تعميم العلم على كل فرد من أفراد الحركة هو الذي يجعل الذين يتقدمون الصف هم الأكثر كفاءة والأجدر بحمل الدعوة، وما لم يعم العلم سيبقى الصف حائراً بين أن يقدم الأقوى على العمل، ولو لم توجد عنده علوم شرعية أو يقدم الأعلم بالعلوم الشرعية، وأحياناً قد لا يكون هو الأقوى، وفي كل من الحالتين تحدث كارثة، ولعل من أعظم الحكم الهادية ما ذكره الدارمي في سننه :

(أخبرنا) يزيد بن هارون أنبأنا بقية حدثني صفوان بن رستم عن عبد الرحمن بن ميسرة عن تميم الداري قال : تطاول الناس في البناء في زمن عمر.. فقال : « يا معشر العريب الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم ».

ولعل ما مر معنا في الرسالة السابقة عن فروض العين وفروض الكفاية وما سيأتي، يعطينا تصوراً عن العلم المطلوب :

كأن يأخذ المسلم حظه من العلوم المفروضة فرض عين.

وأن يكون المسلم مختصاً بفرض من فروض الكفاية وخاصة العلوم الشرعية.

ولعل في البحث السابق « إحياء الربانية » ما يعين على الفهم.

ثانياً ـــ الذكر :

العلم الشرعي الصحيح والذكر هما طريق أبناء الآخرة فما لم يوجدا وما لم يجتمعا فالطريق إلى الآخرة ضيق (الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً ومتعلماً).. وإذا كان العلم مهمته جعل السالك إلى الله على الطريق المستقيم، فالذكر وحده هو طريق الصلاح للقلب، فقد حصر الله الوصول لطمأنينة القلب بالذكر : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[1]. وما لم يصل الإنسان إلى طمأنينة القلب فإنه لا يدخل في قوله تعالى :

﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾[2].

وإذا كان الذكر هذا شأنه في كل العصور فما بالك في عصر غلبت عليه الشهوة والمادة، والتسلسل عندي للذكر :

أن يبدأ الإنسان بورد الدعاء المنصوص عليه في آخر رسالة المأثورات وفي قراءة جزء من القرآن يومياً ثم يجمع إلى ذلك الوظيفة الكبرى أو الصغرى، وأن يبقى لسانه رطباً بأحد أنواع الأذكار الرئيسية الاستغفار أو الصلاة على رسول الله ﷺ، أو لا إله إلا الله، وأن يخصص جزءاً من عامه أو شهره للخلوات في البيوت أو للاعتكاف في المساجد فيكثر الذكر والتأمل، أنه لا بدّ لأبناء الحركة الإسلامية أن يتلافوا التقصير في هذا الشأن إذا ما أرادوا أن يكونوا طلاب آخرة.

* * *

---

(١) سورة الرعد: (٢٨).

(٢) سورة الفجر: (٢٨).

ثالثاً ـــ الخدمة :

الخدمة العامة أو الخاصة في الله من أعظم العبادات والقرب التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأي عبادة أرقى من عبادة يكافؤك الله عليها مكافأتين في الدنيا والآخرة :

(ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة).

(ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته).

فأي شيء أعظم مرداً من عمل يفرج الله به عنك كربة من كرب يوم القيامة ويكون به الله في حاجتك، ذلك بعض آثار الخدمة في الله.

إن المسلم ينبغي أن يلبس دائماً لباس الجندية لخدمة إخوانه، ففي أي لحظة من ليل أو نهار تطلب منه خدمة فهو جاهز، وأرقى أنواع الخدمة ما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ : (إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) البخاري.

وإذا كانت الخدمة الخاصة لها آثارها العظيمة في تعميق المودة والمحبة وتلاحم الصف الإسلامي، فإن الخدمة العامة تدخل في الغالب في تحقيق فروض كفائية وتحقيق هذه الفروض أجره متنامٍ ويتضاعف على الزمان.

إنه لا بدّ أن يطالب كل مسلم نفسه بالخدمة، ولا بدّ أن يربي المربون عليها حتى تصبح خلقاً لكل مسلم، فعندئذ تعم الرحمة الجميع.

رابعاً ـــ المحبة :

المحبة ليست شعاراً يرفع، بل هي حال يجب التحقق به، ابتداءً بمحبة الله ورسوله والمؤمنين، وانتهاء بالمحبة التي يتفاعل بها قلب المسلم مع من جمعتهم وإياه أخوة الطريق، هذه المحبة التي تستوجب من الله لأهلها محبته كما ورد في الحديث القدسي : (وجبت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتباذلين في).

إن حرارة المحبة في الله هي التي تحرق متاعب الطريق وتسهل متاعب التكليف، كما أنها تحرق أمراض النفوس التي تتولد عن العمل السياسي عادة، فالعاملون في الحقل السياسي تغلب عليهم التنافسات الخفية، فهم إخوان في العلن أعداء في السر، أما إذا إشتعل القلب بحب الشيوخ والإخوان فعندئذ يتطهر القلب بشكل تلقائي وعفوي من أمراض الحقد والكراهية والبغضاء التي هي أثر الحسد والذي مفتاحه التنافس على التصدر والجاه.

خامساً ـــ الاحترام :

أعلى درجات الاحترام أن تتذلل لمن تحترمه، وهذا هو الخلق الثاني من أخلاق حزب الله ﴿ **أذلة على المؤمنين** ﴾[1] إنه ليس هناك من درجة الاحترام أبلغ من أن تتقدم للمؤمن بالذلة له، وما دمت بعيداً عن هذه الرتبة في حق كل مؤمن، فتلك علامة على أنه لم تزل في النفس بقية من كبر.

لقد أمر الله الولد أن يخفض جناح الذلة لأبويه : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾[2] إنها ذلة أثر عن رحمة، وقد وصف الله رسوله وأصحاب رسوله ﷺ بقوله : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[3] فهم متراحمون، ومظهر هذه الرحمة فيما بينهم خفض الجناح لبعضهم.. ألا ترى أن ما أمر به الولد في حق الوالد من خفض الجناح أمر به رسول الله ﷺ أن يفعله للمؤمنين جميعاً ﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾[4] فإذا كان هذا الأمر موجهاً لرسول الله ﷺ فما بال من دونه لا يشعرون إخوانهم بخفضهم جناحهم لهم.

إن المسلم واجب الاحترام : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾[5] ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾[6].

إن الاحترام شيء زائد على المحبة، فقد نجد انساناً يحب إنساناً ويؤذيه، أليس مرض السادية هو ذاك، صحيح أن حباً هذا شأنه لا يدوم، ولكن المحبة في الله ينبغي أن تكون دائمة : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾[7].

إن الاحترام يظهر بالكلمة الطيبة والتصرف الحنون وحسن الأسلوب وتخير الألفاظ

---

(١) سورة المائدة: (٥٤).
(٢) سورة الإسراء (٢٤).
(٣) سورة الفتح: (٢٩).
(٤) سورة الحجر: (٨٨).
(٥) سورة الكهف: (٢٨).
(٦) سورة الأنعام: (٥٢).
(٧) سورة الزخرف: (٦٧).

للمعاتبة والمعاقبة وحسن التلقي وحسن البشر وفي حرارة اللقاء والاستقبال، ويتأكد الاحترام في حق الوالدين وعلماء المسلمين وأمرائهم في الغيبة والحضور.

سادساً ـ التسليم والمطاوعة في الخير وفي المصلحة :

من رعونات النفس أن تتصدى للكلام بمناسبة وبغير مناسبة، ومن رعوناتها أن تناقش في كل أمر، ومن آدابها أن تسلم لله والرسول ﷺ وأن تسلم لمن هم مظنة الوراثة والهداية إلا في معصية أو انحراف ومن آدابها مطاوعة الإخوان إلا في معصية أو انحراف، ومن ادابها الطاعة للوالدين بالمعروف.

وعلى هذا فالأصل أنه متى ثبت للمسلم في قضية ما أن فيها خيراً أو مصلحة ألا يقف كثيراً وألا يتوقف، أما إذا كان في أمر مضرة أو معصية فهھنا يختلف الموقف، لكن إذا كانت المسألة تدور بين فاضل وأفضل، أو بين مصلحة وأكثر صلاحاً، فالمسلم لا يتوقف كثيراً خاصة إذا كانت الجهة المطالبة لها حق الأمر أو لها حق الأخوة الخاصة فالأصل التسليم أو المطاوعة.

عندما أرسل رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذاً إلى اليمن قال لهما : (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا) أخرجه البخاري ومسلم.

قال الشاطبي في الموافقات :

« ترك الاعتراض على الكبراء محمود، كان المعترض فيه مما يفهم أو لا يفهم. والدليل على ذلك أمور :

أحدها : ما جاء في القرآن، كقصة موسى مع الخضر، واشتراطه عليه أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً، فكان ما قصه الله تعالى من قوله : ﴿ **هذا فراق بيني وبينك** ﴾[1] وقول محمد عليه الصلاة والسلام : (يرحم الله موسى لو صبر حتى يقص علينا من أخبارهما) أخرجه الشيخان والترمذي.

والثاني : ما جاء في الأخبار، كحديث : (تعالوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده) فاعترض في ذلك بعض الصحابة حتى أمرهم عليه الصلاة والسلام بالخروج ولم يكتب لهم شيئاً. أخرجه الشيخان.

---

(١) سورة الكهف: (٧٨).

والثالث : ما عهد بالتجربة من أن الاعتراض على الكبراء قاض بامتناع الفائدة مبعد بين الشيخ والتلميذ.

فالذي تلخص من هذا أن العالم المعلوم بالأمانة والصدق والجري على سنن أهل الفضل والدين والورع إذا سئل عن نازلة فأجاب، أو عرضت له حالة يبعد العهد بمثلها، أو لا تقع من فهم السامع موقعها أن لا يواجه بالاعتراض والنقد، فإن عرض إشكال فالتوقف أولى بالنجاح، وأحرى بإدراك البغية إن شاء الله تعالى ».

أقول : وفي العمل الدعوي خاصة أو في العمل الإسلامي عامة، هذا هو الأدب إلا إذا وجدت معصية أو ضرر محقق أو يغلب على الظن، فعندئذ لا بدّ من الكلام، وليكن الكلام بالمعروف.

سابعاً ــ الكتمان :

نحن أمة مجاهدة محاربة أبداً، وأمة هذا شأنها لا بدّ أن ينمو عند كل فرد منها الحس الأمني فيعرف ماذا يقول ! ولم يقول ؟ وماذا يجب أن يكتم ؟ وعلى من يجب أن يكتم ؟

ولا بدّ أن يعتاد الفرد على أن تكون له أسراره الخاصة التي لا يبوح بها لأحد، ولا بدّ أن يعتاد على أن يكون مؤتمناً على أسرار إخوانه الخلص وعلى أسرار المسلمين مفرقاً بين ما يجوز وما لا يجوز، يتحفظ حيث ينبغي التحفظ ويسكت حيث ينبغي السكوت ويسهب حيث ينبغي الإسهاب.

ثامناً ــ الإنفاق :

لا زكاة للنفس إذا لم يكن إنفاق : ﴿ **الذي يؤتي ماله يتزكى** ﴾[1].

فلا بدّ للمسلم أن يخرج من ماله شيئاً لله وفي الله مهما كان ماله قليلاً، هذا الإخراج له صور شتى : أن يدفع للدعوة أو يكرم أضيافاً أو يساعد على حاجة.. إلى غير ذلك من صور الإنفاق. فإذا ملك النصاب، وحال عليه الحول، فلا بدّ من الزكاة وهي الحد من

---

(١) سورة الليل: (١٨).

التكليف، ولا بدّ أن يتخير الجهة التي يدفع لها.. فتلك من الحكمة كما مر معنا في الرسالة السابقة.

تاسعاً ـ التنظيم والترتيب :

وهما سمتان أساسيتان للمسلم وبهما يختصر المسلم الجهد ويحقق أهدافاً كبيرة وبدونها يضيع الجهد والزمن والهدف، تصور لو أن إنساناً أهمل وضع ملابسه كلًّا في مكانه، فكم يضيع من زمن للعثور عليها إذا أراد استعمالها، فإذا تكرر ذلك فما أكثر الزمن الضائع، وقس على ذلك، فإذا كان هذا في الأمور الصغيرة فما بالك في الأمور الخطيرة، فالتنظيم والترتيب أدب المسلم في كل حال :

بيته منظم ومرتب، الحمام نظيف، أوراق الاستعمال جاهزة، أدوات الطهارة موجودة، سلة لوضع أوراق الاستعمال، طاولة نظيفة ومرتبة، مطبخه نظيف ومرتب، أدواته جاهزة للاستعمال بشكل دائم، غرفه نظيفة ومرتبة، كل شيء في محله، هندامه مرتب، يلبس لكل حالة لبوسها، يلاحظ في لباس الراحة أن يكون عربيّاً، ويلبس للعمل ما يحتاجه العمل، وقته منظم، فقسم للعبادة وقسم للمطالعة وقسم لواجبات البيت وقسم لواجبات العمل وقسم لواجبات الأرحام وقسم لواجبات الإخوان وقسم للدنيا وقسم للآخرة، مواعيده منضبطة ونظامية ودقيقة، دخوله وخروجه منظمان هو في دائرته أو حانوته أو مدرسته على غاية من الترتيب، دفاتره منظمة، مكتبته منظمة، أوراقه منظمة، عقله منظم، خططه محكمة، أهدافه مبرمجة، يفكر دائماً في الزمن والجهد أن يضيع شيئاً منهما أو يتصرف تصرفاً لا فائدة منه أصلاً، إن هذا من أعظم ما ينبغي التخلق به في عصرنا.

إن كل شيء في الإسلام يربي العقلية التنظيمية المنظمة، عباداته المنتظمة، أنظمة الإسلام المتكاملة، عقائد الإسلام، كل ذلك يصب لمصلحة إيجاد العقلية المنظمة، فالمسلم الذي يؤمن بالله وبالغيب ويعرف حكمة الله في الخلق، ويعرف ما في هذا الخلق من إبداع ونظام وتنظيم، ينبغي أن يتعلم من ذلك النظام والتنظيم، فالملائكة لهم رئيس ولكل منهم وظيفة، وفي كل سماء ترتيب، والكون كله وما فيه على غاية من الإحكام، كل ذلك يربي على إحكام الأمور وتنظيمها، والصلوات في مواقيتها، والصيام والحج والزكاة والجهاد، كل ذلك يعود على النظام والانتظام، ونظام الأسرة والاجتماع، ونظام الحكم والقضاء، وغير ذلك من أنظمة الإسلام تعود المسلم على النظام والانتظام. والسياسة النبوية تعود على ذلك، وفي الحديث : (إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم). ومع

هذا فإنه يوجد بين المسلمين من يعتبر العفوية وعدم التدبير هي الأساس فيعرض عن التفكير ويترك التنظيم، وسبب ذلك فهم خاطىء لبعض النصوص والمقامات.

فهناك خطأ في فهم قضايا الفطرة والعفوية والتوكل، فهذه القضايا لا تنفي تنظيم العمل والحياة، بل تؤكد ذلك، وإنما تنفي التكلف والتعقيدات، وتجاوز الحدود والاعتماد على الأسباب إن أدب المسلم أن ينظم أموره وأن يعتمد في شؤونه التنظيم، سواء في ذلك الشؤون الخاصة أو العامة، فالعمل الجماعي ينبغي أن يكون منظماً وأن تعتمد له العقول المنظمة، وبذلك يحفظ الزمن وتحفظ الجهود وتؤدى الحقوق ويتوصل إلى الأهداف، وبدون التنظيم يضيع الوقت والجهود والحقوق والأهداف، وقل مثل ذلك في كل نوع من أنواع العمل على كل مستوى.

* * *

لنتصور داعية أراد أن يزور قطراً من الأقطار فهو بين حالتين :

الحالة الأولى : أن يحدد الزمن وأن يضع برنامجاً محسوباً فيه المبيت والتنقل والمزورين والكلمات وأن يرسل إلى من يعنيه الأمر ببرنامجه ثم يتحرك على ضوء ذلك.

الحالة الثانية : أن ينطلق بعفوية فلا يتصل بأحد، وإذا وصل إلى مكان بدأ الترتيب للمكان الآخر.

لا شك أن رحلة من النوع الأول هي التي تؤدي أهدافها ويحفظ فيها الجهد والوقت والحقوق.

تصور.. هل بالإمكان لولا العقلية التنظيمية أن يكون العالم على ما هو عليه في الاتصالات السلكية واللاسلكية، وفي حركة الطيران والقطارات والسيارات، بل في أي دائرة من دوائر التقدم البشري. إن إدراكنا لهذه الأمور يجعلنا نعطي التنظيم في حياة المسلمين أهمية كبرى ؟

* * *

عاشراً ـــ الدعوة والتعليم والتربية :

إن شعار هذا القرن وشعار كل قرن ينبغي أن يكون : كل مسلم داعية إلى الله، كل

مسلم معلم للخير، كل مسلم مرب للنفس البشرية، فذلك يدخل في الاقتداء الذي يطالب به كل مسلم بقوله تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[1].

فلقد دعا رسول الله ﷺ إلى الله على بصيرة: ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن** ﴾[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ معلماً: ﴿ **ويعلمكم الكتاب والحكمة** ﴾[3]. ولقد كان رسول الله ﷺ مربياً: ﴿ **ويزكيكم** ﴾[4].

ولا بدّ للمسلم أن يأخذ حظه من ذلك، فهو كذلك مع أهله وجيرانه وأرحامه وأقربائه وأصحابه ومعارفه ومع الناس جميعاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

إنه إذا ما تذكرنا أركان البيعة العشر، وأخذنا بهذه المشتقات العشر فإننا نرجو أن نكون قد تحققنا بأدب العصر وقمنا بواجبه.

* * *

إن من أعظم ما تبتلى به المبادىء أن يهملها أصحابها أو ألا يكونوا نماذج عملية عنها، وألا يظهر كل فرد من أبنائها أنه القدوة فيها، وقد مرت ظروف على الحركة الإسلامية المعاصرة لم تستطع فيها أن تعطي كل فرد من أبنائها العلم ليكون عالماً، والتربية الكاملة حتى يكون كاملاً فالاضطهاد والسرية وعدم وجود الملاكات الكافية للتعليم والتربية، واضطرار الحركة لأن تسلم زمام التعليم والتربية لأكفأ الموجود، بصرف النظر عن القمة التي وصل إليها، كل ذلك جعل ثغراً كبيرة.

لقد كان الذين يتصدرون للدعوة وللتعليم وللتربية في الماضي هم كبار العلماء وكانت صلاتهم مباشرة مع تلاميذهم وكان هذا يسارع في الارتقاء.

وقد اعتمد الأستاذ البنا نظام الأسر ــ وما أحسنه ــ ليتم عبره التلقي من خلال النقيب، وكان هو عليه الرحمة في محاضراته وفي صلاته المباشرة يكمل النقص، وكذلك

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١).

(٢) سورة يوسف: (١٠٨).

(٣) (٤) سورة البقرة: (١٥١).

شيوخ الدعوة حيثما كانوا. ولكن هذا لم يتوافر بشكل دائم ثابت، ثم لم يكن نقيب الأسرة دائماً على المستوى المطلوب، ثم الأسرة نفسها ليست ثابتة لأن الأخ معرض للانتقال بشكل مستمر، وبالتالي فكثيراً ما يحدث أن المستجيبين لدعوة الله لا يأخذون ثقافة متكاملة ولا تربية متكاملة وهذا الوضع يحتاج إلى علاج، ولعل علاجه هو :

أولاً : أن يبقى الأخ مرتبطاً بالأسرة وأن يشدد على ذلك وأن يطور ذلك بتطوير ثقافة النقباء والمناهج.

ثانياً : أن يعين من لحظة البداية لكل منتسب مشرفاً على إيضاح سيره في سلم الكمالات المحددة، وتكون علاقة المنتسب فيه علاقة فردية ومباشرة، وأن يكون مع المشرف مرجع يرجع إليه المشرف دائماً والمنتسب أحياناً، ولعله بذلك نستطيع التعويض عن نقص التلقي وعن كثرة التنقلات.

إن موجه الأسرة أو الحلقة مهمته أن يعطي برنامج الأسرة وواجباتها، وأن يقوم بشؤون نشاطاتها وأن يربي ويعلم، ولكن المشرف مهمته إنضاج الأخ في مراتب العضوية وصهره في مبادىء الدعوة، والمرجع مهمته أن يتأكد من قيام الأسرة بواجباتها وقيام المشرف بواجبه.

ومهمة المشرف لا تنتهي حتى يصل بالمنتسب إلى أعلى درجات الكمال محققاً إياه بالثقافة اللازمة والخصائص والالتزام الكامل مع توجيهه نحو نوعين من فروض الكفاية أحدهما : فرض كفاية ديني، والآخر دنيوي، ولكي ينجح المشرف في مهمته لا يصح أن يشرف على عدد أكبر من القدر الذي يستطيعه، وعليه أن يكون جاهزاً لاستقبال أخيه في أي لحظة من ليل أو نهار، وأن تكون علاقاته به حميمة، وفي الأصل لا يصح أن يعين مشرف إذا كانت الثقة به مخدوشة والمحبة له مفقودة، وقل مثل ذلك بالنسبة للمرجع، ولعله بذلك نجمع بين أخذ العلم من أهله وبين الواقع الذي قل فيه عدد العلماء الربانيين في عصرنا، فالأصل الأصيل هو أخذ العلم الشرعي عن أهله المتحققين فيه. وفي ذلك يقول الشاطبي رحمه الله في الموافقات :

من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام. وذلك أن الله خلق الإنسان لا يعلم شيئاً، ثم علمه وبصره، وهداه طرق مصلحته في الحياة الدنيا. غير أن ما علمه من ذلك على ضربين : ضرب منها ضروري، داخل عليه من غير علم : من أين ؟ ولا كيف ؟ بل هو مغروز فيه من أصل الخلقة، كالتقامه الثدي ومصه له عند خروجه من البطن إلى الدنيا ــ هذا من المحسوسات.

وكعلمه بوجوه، وأن النقيضين لا يجتمعان ـــ من جملة المعقولات، وضرب منها بواسطة التعليم، شعر بذلك أولا، كوجوه التصرفات الضرورية، نحو محاكاة الأصوات، والنطق بالكلمات، ومعرفة الأشياء ـــ وكالعلوم النظرية التي للعقل في تحصيلها مجال ونظر ـــ في المعقولات.

وكلامنا من ذلك فيما يفتقر إلى نظر وتبصر، فلا بدّ من معلم فيها. وإن كان الناس قد اختلفوا، هل يمكن حصول العلم دون معلم أم لا ؟ فالإمكان مسلم، ولكن الواقع في مجاري العادات أن لا بدّ من المعلم. وهو متفق عليه في الجملة، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل، كاختلاف جمهور الأمة والإمامية ـــ وهم الذين يشترطون المعصوم ـــ والحق مع السواد الأعظم الذي لا يشترط العصمة، من جهة أنها مختصة بالأنبياء عليهم السلام، ومع ذلك فهم مقرون بافتقار الجاهل إلى المعلم، علماً كان أو عملاً. واتفاق الناس على ذلك في الوقوع، وجريان العادة به كاف في أنه لا بدّ منه. وقد قالوا : (إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال). وهذا الكلام يقضي بأن لا بدّ في تحصيله من الرجال، إذ ليس وراء هاتين المرتبتين مرمى عندهم. وأصل هذا في الصحيح : (ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء) الحديث ! فإذا كان كذلك فالرجال هم مفاتحه بلا شك.

فإذا تقرر هذا فلا يؤخذ إلا ممن تحقق به. وهذا أيضاً واضح في نفسه، وهو متفق عليه بين العقلاء، إذ من شروطهم في العالم، بأي علم اتفق، أن يكون عارفاً بأصوله وما ينبني عليه ذلك العلم قادراً على التعبير عن مقصوده فيه، عارفاً بما يلزم عنه، قائماً على دفع الشبه الواردة عليه فيه. فإذا نظرنا إلى ما اشترطوه، وعرضنا أئمة السلف الصالح في العلوم الشرعية، وجدناهم قد اتصفوا بها على الكمال.

غير أنه لا يشترط السلامة عن الخطأ البتة. لأن فروع كل علم إذا انتشرت وانبنى بعضها على بعض اشتبهت. وربما تصور تفريعها على أصول مختلفة في العلم الواحد فأشكلت، أو خفي فيها الرجوع إلى بعض الأصول فأهملها العالم من حيث خفيت عليه ـــ وهي في نفس الأمر على غير ذلك، أو تعارضت وجوه الشبه فتشابه الأمر، فيذهب على العالم الأرجح من وجوه الترجيح، وأشباه ذلك. فلا يقدح في كونه عالماً، ولا يضر في كونه إماماً مقتدى به. فإن قصر عن استيفاء الشروط، نقص عن رتبة الكمال بمقدار ذلك النقصان، فلا يستحق الرتبة الكمالية ما لم يكمل ما نقص.

(**فصل**) وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات تتفق مع ما تقدم، وإن خالفتها في النظر وهي ثلاث :

إحداها : العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله. فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدى به في علم.

والثانية : أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم، لأخذه عنهم، وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك. وهكذا كان شأن السلف الصالح :

فأول ذلك ملازمة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وأخذهم بأقواله وأفعاله، واعتمادهم على ما يرد منه، كائناً ما كان، وعلى أي وجه صدر. فهم ــ فهموا مغزى ما أراد به أو لا ــ حتى علموا وتيقنوا أنه الحق الذي لا يعارض، والحكمة التي لا ينكسر قانونها، ولا يحوم النقص حول حمى كمالها. وإنما ذلك بكثرة الملازمة، وشدة المثابرة. وتأمل قصة عمر بن الخطاب في صلح الحديبية، حيث قال : يا رسول الله ! ألسنا على حق، وهم على باطل ؟ قال : بلى ــ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى ــ قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ قال : يا ابن الخطاب ! إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً ــ فانطلق عمر ولم يصبر، متغيظاً، فأتى أبا بكر فقال له مثل ذلك. فقال أبو بكر : إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً. قال : فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقراه إياه، فقال : يا رسول الله ! أو فتح هو ! قال : نعم. فطابت نفسه ورجع.

فهذا من فوائد الملازمة، والانقياد للعلماء، والصبر عليهم في مواطن الإشكال، حتى لاح البرهان للعيان. وفيه قال سهل بن حنيف يوم صفين : (أيها الناس ! اتهموا رأيكم، والله لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني استطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته). أخرجه البخاري.

وإنما قال ذلك لما عرض لهم فيه من الإشكال، وإنما نزلت سورة الفتح بعد ما خالطهم الحزن والكآبة لشدة الإشكال عليهم، والتباس الأمر، ولكنهم سلموا وتركوا رأيهم حتى نزل القرآن، فزال الإشكال والالتباس.

وصار مثل ذلك أصلاً لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهوا، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية. وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك. وقلما وجدت فرقة زائغة، ولا أحداً مخالفاً للسنة، إلا وهو مفارق لهذا الوصف. وبهذا الوجه وقع التشنيع على ابن حزم الظاهري، وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ، ولا تأدب بآدابهم. وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم.

والثالثة : الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بأدبه، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ، واقتداء التابعين بالصحابة، وهكذا في كل قرن. وبهذا الوصف امتاز مالك عن أضرابه أعني بشدة الاتصاف به، وإلا فالجميع ممن يهتدى به في الدين كذلك كانوا، ولكن مالكاً اشتهر بالمبالغة في هذا المعنى. فلما ترك هذا الوصف رفعت البدع رؤوسها، لأن ترك الاقتداء دليل على حدث عند التارك، أصله اتباع الهوى.

فصل : وإذا ثبت أنه لا بدّ من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقان :

أحدهما : المشافهة : وهي أنفع الطريقين وأسلمهما، لوجهين : الأول : خاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم، يشهدها كل من زاول العلم والعلماء، فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة، وحصل له العلم بها بالحضرة، وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن أحوال، وإيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم ببال، وقد يحصل بأمر غير معتاد، ولكن بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يلقى إليه. وهذا ليس ينكر. فقد نبه عليه الحديث الذي جاء : (إن الصحابة أنكروا أنفسهم عندما مات رسول الله ﷺ)، وحديث حنظلة الأسيدي، حيث شكا إلى رسول الله ﷺ أنهم إذا كانوا عنده وفي مجلسه كانوا على حالة يرضونها، فإذا فارقوا مجلسه زال ذلك عنهم. فقال رسول الله ﷺ : (لو أنكم تكونون كما تكونون عندي لأظلتكم الملائكة بأجنحتها) أخرجه مسلم والترمذي.

وقد قال عمر بن الخطاب : (وافقت ربي في ثلاث) وهي من فوائد مجالسة العلماء، إذ يفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم، ويبقى ذلك النور لهم بمقدار ما بقوا في متابعة معلمهم، وتأدبهم معه، واقتدائهم به. فهذا الطريق نافع على كل تقدير. وقد كان المتقدمون لا يكتب منهم إلاَّ القليل، وكانوا يكرهون ذلك، وقد كرهه مالك، فقيل له : فما نصنع ؟ قال : تحفظون وتفهمون حتى تستنير قلوبكم، ثم لا تحتاجون إلى الكتابة، وحكي عن عمر بن الخطاب كراهية الكتابة، وإنما ترخص الناس في ذلك عندما حدث النسيان، وخيف على الشريعة الاندراس.

الطريق الثاني : مطالعة كتب المصنفين، ومدوني الدواوين، وهو أيضاً نافع في بابه بشرطين :

الأول : أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله، ما يتمّ له به النظر في الكتب، وذلك بالطريق الأول من مشافهة العلماء، أو مما هو راجع إليه، وهو معنى قول من قال : (كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، ومفاتحه بأيدي الرجال..). والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً، دون فتح العلماء، وهو مشاهد معتاد.

والشرط الثاني : أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين. وأصل ذلك التجربة والخبر : أما التجربة فهي أمر مشاهد في أي علم كان، فالمتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما بلغه المتقدم. وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري. فأعمال المتقدمين — في إصلاح دنياهم ودينهم — على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد. فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن. ومن طالع سيرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم، أبصر العجب في هذا المعنى. وأما الخبر ففي الحديث : (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) أخرجه البخاري ومسلم.

وفي هذا إشارة إلى أن كل قرن ما بعده كذلك. وروي عن النبي ﷺ : (أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضوض) حديث صحيح ذكره صاحب جمع الفوائد.

ولا يكون هذا إلا مع قلة الخير، وتكاثر الشر شيئاً بعد شيء. ويندرج ما نحن فيه تحت الإطلاق.

وعن ابن مسعود أنه قال : (ليس عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيهدم الإسلام ويثلم) ومعناه موجود في الصحيح في قوله : (ولكن ينتزعه مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتحون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون) أخرجه البخاري.

وقال عليه السلام : (إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل : من الغرباء ؟ قال : النزاع من القبائل) أخرجه مسلم.

وفي رواية : (قيل : ومن الغرباء ؟ يا رسول الله ! قال : الذين يصلحون عند فساد الناس) أخرجه الطبراني.

وعن أبي إدريس الخولاني : (إن للإسلام عرى يتعلق الناس بها، وإنما تمتلخ عروة عروة) وعن بعضهم : (تذهب السنة سنةً سنةً، كما يذهب الحبل قوة قوة).

وتلا أبو هريرة قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾[1] الآية. ثم قال : والذي نفسي بيده ليخرجن من دين الله أفواجاً، كما دخلوا فيه أفواجاً.

وعن عبد الله قال : (أتدرون كيف ينقص الإسلام ؟) قالوا : نعم، كما ينقص صبغ الثوب، وكما ينقص سمن الدابة.. فقال عبد الله : (ذلك منه).

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾[2] بكى عمر، فقال عليه السلام : (ما يبكيك ؟) قال : يا رسول الله ! إنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فلم يكمل شيء قط إلا نقص. فقال عليه السلام : (صدقت) أخرجه ابن أبي شيبة (وهو في تفيسر الألوسي).

والأخبار هنا كثيرة، وهي تدل على نقص الدين والدنيا. وأعظم ذلك العلم.. فهو إذاً في نقص بلا شك. أهـ كلام الشاطبي.

وبعد.. فإن هذا القرن يحتاج إلى همم لا تعرف الكلل ولا الملل في خدمة الإسلام، وكل ذلك ينبغي أن يكون على بصيرة وعلى أسس ثابتة ومن خلال أخلاقيات رفيعة وإن في هذا الكتاب كله لمزيداً من الأضواء على احتياجات هذا العصر.

---

(١) سورة النصر: (١).

(٢) سورة المائدة: (٣).

فهرس الرسالة السابعة

أخلاقيات وسلوكيات



الرسالة الثامنة :

قوانين البيت المسلم



مقدمة

إن تسلسل التركيز في الدعوة إلى الله ينبغي أن يكون على البيت المسلم بعد التركيز على الشخصية الإسلامية.

وقد نالت الشخصية الإسلامية حظّها من التركيز بينما كان التأليف حول البيت المسلم أقل من ذلك، ومع قلّته فقد أغفل الكثير مما يجب أن يُصاغ به البيت المسلم.

فالمروءات ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لم ينلها حظ كبير من الإشارات كما أن الكتابة لم تستوعب كل ما يلزم أن يتفطّن له المسلم في شؤون البيت، فكانت هذه الرسالة تذكيراً بشيء يجب التركيز عليه، وبأشياء ينبغي التفطّن لها.

لقد كان هذا الدين مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية بكل شعائره وشرائعه، وهذه الرحمة تظهر بشكل واضح فيما أدب الله به المسلم في شؤون بيته، فالعلاقات الرحيمة داخل البيت ومع الجوار، والآداب التي ينبغي أن يطبّقها المسلم في بيته وعلى بيته كل ذلك من مظاهر الرحمة في هذا الدين، وغياب الأدب الإسلامي في شؤون البيت نوع من الشقاء، وإذ كان لمعرفة آداب الإسلام في شؤون البيت هذه أهمية بالنسبة لكل بيت فقد كان من الضرورة أن نذكر بهذا الموضوع.

وقد كُتب في كثير من الجوانب التي تمسّ البيت المسلم الشيء الكثير، ولذلك أسبابه ودواعيه، ولكن التركيز المختصر على أهم ما ينبغي أن يلاحظه المسلم في شؤون البيت كان قليلاً، ولعل في هذه الرسالة تذكيراً بلباب من الأمر. وإذا كان

التركيز على الفرد مهمًّا فإن التركيز على البيت له تأثيره الكبير في بناء المدنية والحضارة، فمن خلال التركيز على البيت تظهر المدنية المتميّزة التي يمتاز بها المسلم، وتظهر الحضارة الإسلامية.

فالنظافة والجمال والستر والعفاف والرحمة والعلاقات النظيفة والحنان المتدفّق والأخلاق الحسنة التي تتميّز بها الحضارة الإسلامية تنبع من البيت المسلم، ولذلك كان التركيز على إصلاح البيت المسلم تأكيداً على جوانب حضارية وعلى جوانب مدنية، ومن ثَمَّ يظهر في ذلك ما نريده لهذا العالم من بناءٍ حضاري أو مدني، وقد اخترنا لهذه الرسالة أن نجعلها تحت عنوان قوانين البيت المسلم، للاشعار بأن كل شيء نتعرّض له فيها له صرامة القانون ووضوحه، وأن مخالفته تقتضي العقوبة، لكن العقوبة هاهنا قد تكون شقاءً للانسان في الدنيا وفي الآخرة أو في الدنيا أو في الآخرة.

والقوانين التي ذكرناها في هذه الرسالة هي ما يلي :

القانون الأول : في النظافة والطهارة.

القانون الثاني : في التنظيم والترتيب وحسن الهندام والهيئة.

القانون الثالث : في خفض الصوت وكتمان الأسرار وعدم الإزعاج.

القانون الرابع : في تنظيم العلم والعبادة.

القانون الخامس : في الاقتصاد في الطعام والشراب واللباس والمعيشة.

القانون السادس : في العلاقات وآداب التعامل.

القانون السابع : في العناية بالصحّة والرياضة.

القانون الثامن : في حماية البيت وأهله من الشذوذ والانحراف والحرام والمكروه والضرر.

القانون التاسع : في الإحسان إلى الجار وإكرام الضيف وصلة الأرحام.

القانون العاشر : في مراعاة الأدب في الدخول والخروج.

القانون الأول

في النظافة والطهارة

قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظّفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود »[1].

من أولى ميزات المسلم في نفسه وفي بيته وفي دائرة بيته نظافته، وقد يشترك غير المسلم مع المسلم بالنظافة ولكن المسلم يتميّز بالطهارة، والطهارة حكم شرعي مرتبط بأسبابه قد يتلازم مع النظافة وقد لا يتلازم، فالكحول مثلاً منظّف ولكنه غير مطهّر إلا أن ارتباط الطهارة بالماء في الغالب يجعل هناك تلازماً إلى حد كبير بين الطهارة والنظافة فالمسلم يعتني بالطهارة والنظافة بآن واحد، وهذا ما يجعله متميّزاً عن أصناف الناس، فهو يتحاشى الأوساخ والنجاسات، ويزيلها حسيّة ومعنوية.

ولتحقيق النظافة والطهارة في النفس يلاحظ المسلم أن يكون على طهارة البدن دائماً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال عليه الصلاة والسلام : « ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن »[2].

ومع المحافظة على طهارة البدن فإن المسلم يحرص على طهارة الثياب ومع الحرص على طهارة الثوب والبدن ونظافتهما فإن المسلم يحرص على الطهارة والنظافة في

---

(١) أخرجه: الترمذي، حديث حسن.

(٢) أخرجه: الإمام أحمد وابن ماجة، حديث صحيح.

بيته، ومن ثَمَّ فإنه يلاحظ طهارة البيت وطهارة أدواته وطهارة أثاثه ما أمكن، ويتعيّن عليه تخصيص مكان الصلاة بمزيد عناية في الطهارة، ويراعي أن تكون سلال المهملات كافية حتى لا تبعثر الأوساخ في البيت، ويخص الحمام والمرحاض بمزيد عناية، ويُلاحظ تراكم الغبار على كل شيء في البيت فينظف، ومع ملاحظته النظافة داخل بيته فهو يحرص على النظافة في ما يحيط بالبيت، فيلاحظ أن يبقى فناء البيت نظيفاً من الأوساخ والأقذار والغبار، وكل ما يؤذي النظر من مناظر.

وليلحظ المسلم لتحقيق النظافة ما يلي :

أولاً : أن يُعَوِّدَ المسلم نفسه وأهل بيته ألّا يلقوا شيئاً من الأوراق أو المستعملات إلا في سلال المهملات وخاصة الأوراق التي يستعملها للطهارة فلا يلقيها داخل الحمام إلا في سلة المهملات.

ومما يحسن أن يلاحظ بألاّ تلقى أوساخ المطبخ إلا في المكان المخصّص لها وضمن صندوق خاص ذي غطاء بعيداً عن متناول أيدي الأطفال، وأن ينظّف الصندوق ومكانه دائماً ويعقمان.

ومن المناسب ألا تلقى أوساخ الأواني المستعملة في مصارف المياه لئلا تؤدّي إلى انسدادها، ويُستحسن أن تتلقّى بمصفاة توضَع تحت صنابير المياه عند التنظيف، ثم تُلقى بقايا الطعام وغيرها في مكان آخر مناسب لها.

ثانياً : أن تنظّم المرأة أوقات غسيل الثياب وغسيل أدوات الطعام وكل ما يتّسخ في البيت في مواعيد محدّدة.

ثالثاً : يُلاحظ أهل البيت الأشياء التي يتجمّع فيها الغبار فيخصّونها بالنظافة.

رابعاً : أن تكون هناك مواعيد محدّدة لكنس البيت بما يتفق مع وضع أهل البيت.

خامساً : أن ينظّم أهل البيت غسل أجسامهم حيث لا يمرّ أسبوع بدون اغتسال ومن السنة الاغتسال كل يوم جمعة، واستعمال السواك لتنظيف الأسنان وتقوية اللثّة فإن لم يكن فاستعمال الفرشاة مع المعجون وهذا ممّا يحافظ على الأسنان من التسوّس والتلف ويساعد على بقاء رائحة الفم طيّبة واستعمال السواك سنة يستحسن إتباعها والمحافظة عليها.

سادساً : أن ينظّم أهل البيت أمر التخلّص من النفايات بحيث لا تؤذيهم ولا تؤذي غيرهم.

وأهم ما يلاحظ في النظافة : المطبخ والحمام والعفونات التي تصيب البيت بسبب إهمال تهويته.

سابعاً : وقد يُصاب أحد من أفراد البيت المسلم بالوسوسة بنظافة أو طهارة فيغلو في ذلك، وقد يُصاب بالتساهل فيفرط وكل منهما يحتاج إلى علاج، والعلاج في العلم، ولكن علاج الوسوسة يختلف عن علاج التساهل، فالموسوس يُعرّف على رخص المذاهب في الطهارة، والمتساهل يعرف على ما ورد من السنة في التشديد في الطهارة، والوسوسة تضييع للمال والجهد والوقت، فهي تدخل أصحابها في دائرة الإسراف لذلك كان علاجها ضرورياً وذلك من خلال التعريف برخص المذاهب، ومن رخص المذاهب أن هناك قولاً قويًا عند المالكية بأن الطهارة من النجاسة الحسية في الثوب والجسم والمكان سنة وليست فريضة، ومن الرخص في مذهب المالكية أن الماء ولو كان قليلاً إذا أصابته نجاسة فلم تغير لونه أو طعمه أو ريحه يبقى طاهراً.

ومن رخص مذهب الحنفية أن حبل الغسيل ولو كان نجساً إذا كان جافاً ونُشر عليه الغسيل فإن الغسيل لا يتنجّس.

ومن رخص مذهب الحنفية أن سجاد (الموكيت) إذا كان ملصقاً بالأرض فله حكم الأرض، فجفاف النجاسة وزوال أثرها مطهر له.

ومن رخص مذهب الحنفية أنه إذا أصيب ثوب أو مكان بنجاسة ولم يعرف مكانها، فأي مكان غلب عليه الظن أنه هو وغسل طهر به الشيء.

ومن رخص مذهب الحنفية أن السجاد أو الحصير إذا كان نجساً وجفّ وداس عليه المتوضئ برجله المبلولة ولم يظهر أثر النجاسة على رجله، فإن ذلك لا ينجّسها.

ومن رخص مذهب الشافعية أن ورود الماء على النجاسة الحكمية كالبول الناشف يطهّر النجاسة ويبقى الماء طاهراً، وفروع هذه المسألة كثيرة، فإذا أصيب حصير او سجاد ببول مثلاً، ونشف فإنه يكفي أن يصب عليه الماء، فيطهر المكان ويبقى الماء طاهراً، فإذا ترك المكان للجفاف يطهر تلقائياً، ولو أن ثوباً أصيب بنجاسة حكمية فصبّ على المكان ماء، فالمكان طهر والماء طاهر، فما تناثر منه على بقيّة الجسد أو الثوب فهو طاهر، ولو أن امرأة وضعت ثياب طفلها في الغسّالة الخالية ثم صبّت عليها ماءً، فالثياب تطهّر والماء طاهر، فما أصابها منه طاهر لا يُنجّس، وإذا فاض الماء في إناء فيه ثياب نجسة بحيث صبّ من جوانب الإناء طهر الإناء وما فيه عند الحنفية.

إن معرفة رخص المذاهب نوع علاج للوسوسة.

ومن رخص المذاهب أن الكحول أو الخمرة أو ما ينتج عن الكحول من عطور وأدوية ليست نجسة نجاسة حسيّة، فالخمر نفسها عند هؤلاء نجسة نجاسة معنوية، لكن مثل هذه المسائل نعرف عليها من أصيب بالوسوسة ليشفى منها، أمّا المتساهل فندرّبه على المحافظة العملية على طهارته ونظافته.

القانون الثاني

في الترتيب وحسن الهندام والهيئة

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في أعين الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحّش»[1].

لاحظ قوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في أعين الناس» فإصلاح الرحل يقابل في عصرنا إصلاح السيارة، وهي بيت الإنسان الخارجي، وإصلاح اللباس يدخل فيه ما يحسن منظر الإنسان للآخرين، هذا أدب المسلم مع رحمه وإخوانه وهو أدبه داخل بيته، فمَن دخل بيتك لا ينبغي أن يقع بصره على شيء مستنكر ولا مستقبح، وهذا يقتضي ترتيباً وتجميلاً وحسن هندام، وينبغي أن يكون هذا أدب أهل البيت جميعاً، فالمرأة أمام زوجها وأمام أولادها ينبغي أن تكون قدوة وكذلك الرجل بالنسبة لأهل بيته، وكذلك سكان البيت ينبغي أن يُؤدَّبوا على ذلك، إلّا لعارض أو لعمل، فالمسلم يلبس لكل حالة لبوسَها. لقد اعتدنا من بعض شيوخنا سواء جئناهم في ليل أو نهار أن يكونوا على أحسن هيئة، وأن يكون كل شيء عندهم مرتّباً، فهم كالجندي في حسن ترتيبه وفي استعداده الدائم للقيام بالواجب، وقد اعتاد كثيرون من الناس الفوضى في حياتهم وعدم المبالاة في مظاهرهم، تجد الطاولة بغير نظام

---

(١) أخرجه: أبو داوود وهو حديث حسن.

والمكتبة بغير نظام، واللباس مبعثراً أو ليس في محلّه المُتعارف عليه، وتقع العين هاهنا على فوضى وهاهنا على منظر غير مريح، وتجد أحياناً امرأة تبقى في لباس نومها بعد الاستيقاظ، وتجد طفلاً في فوضاه وفي أوساخه وكل ذلك يتنافى مع الأدب.

هذا رسول الله ﷺ ينظّف أسامة وهو طفل لأنه رآه على غير نظافة وهذه عائشة تنصح المرأة بأن تحسن منظرها في عين زوجها، وهذا ابن عباس يأمر الرجل أن يتزيّن لزوجته كما تتزيّن المرأة لزوجها.

وبالجملة فإن أدب الرجل في بيته وخارج بيته : حسنُ الترتيب وحسنُ الهندام إلّا لعارض.

ومن أجل حسن الترتيب وحسن الهندام داخل البيت، فليلاحظ أهل البيت المسلم ما يلي :

أولاً : أن يكون كل شيء في البيت مرتّباً، وأن يرتّب كل شيء بعد نوم أو عمل، وأن يكون لكل شيء محلّه الخاص به، وإذا استعمل فإنه يُرجَع إلى محلّه بعد الاستعمال.

ثانياً : أن يعتاد كل فرد في البيت ألّا يبعثر أغراضه وأن يضع كل غرض من أغراضه الخاصة في المحلّ المعتاد.

ثالثاً : أن تُعطى كل غرفة حقّها في الترتيب بما يناسب حالها سواء في ذلك غرفة الضيوف أو غرفة النوم أو المكتبة أو المطبخ.

رابعاً : أن يكون كل ما على الطاولات من كتب أو أوراق أو غيرها مرتباً.

خامساً : أن يسارع أهل البيت بعد الاستيقاظ من النوم إلى لباسهم المعتاد وأن يُرتب أمر الأولاد بما يعوّدهم الترتيب وحسن الهندام وحسن الهيئة.

لاحظ أن فقهاء المسلمين لم يولوا الترتيب حقّه فحسب بل أعطوا الترتيب مستحقّه، فمثلاً : يجعلون كتب العربية تحت كتب العلوم الشرعية، وكتب العلوم الشرعية تحت المصحف، فلا يكتفون بالترتيب، بل يلحظون حق الأشياء في الترتيب.

ومن المهم أن نتذكر أن ترتيب أمر النوم ضروري وخاصة بالنسبة للصغار مع ما يتفق مع الواجبات الدينية والدنيوية والقواعد الصحية، وينبغي أن يُراعى في النوم التفريق بين الأولاد وخاصة التفريق بين الذكور والإناث.

القانون الثالث

في خفض الصوت وكتمان الأسرار وعدم الإزعاج

ان أهل البيت الواحد جيران وزيادة، وخلطاء وزيادة، وأرحام وزيادة، ومن هٰهنا يتأكد في حقّهم ألّا يزعج بعضهم بعضاً، وألّا يؤذي بعضهم بعضاً، ومن أهم المزعجات والمؤذيات الضجيج في البيت، ورفع الصوت.

فإذا كان رسول الله ﷺ يقول: « ولا يجهر بعضكم على بعض في القرآن »[1]، فمن باب أولى ألّا يشوّش بعضنا على بعض فيما سوى ذلك، فالبيت المسلم لا يسمع أهلُه ما يؤذيهم أو يشوّش عليهم أو يزعجهم، ولا يسمع منه جيرانه مثل ذلك، وتطبيقات ذلك كثيرة. فأحياناً يفتح أحدهم الراديو والتلفزيون بما يشوّش على الآخرين في الدار وخارجها، وأحياناً يقرأ أحدهم بصوت عالٍ مما يشوّش على أهل الدار وعلى الناس في الخارج، وأحياناً يفتح أحدهم المكبّر أو المذياع بما يشوّش على مجمع الناس، وأحياناً يتناقش أهل البيت مع بعضهم أو مع غيرهم بصوت عالٍ بما لا تفهم منه حكمة وبما يتنافى مع أدب الجلسات، وأحياناً يترك للصغار أن يبكوا والضيوف جلوس ولا يهتمّ أهل البيت بذلك، وأحياناً ترفع المرأة صوتها داخل البيت والضيوف جلوس والجيران يسمعون، وكل ذلك مستنكر مستغرب مخل بالأدب.

(١) أخرجه: مالك وأبو داوود، حديث صحيح.

لقد قال الأستاذ البنا في إحدى وصاياه : « لا ترفع صوتك فوق ما يحتاجه السامعون فإنه رعونة وإيذاء »، فرفع الصوت بالنقاش أو بالضحك والقهقهة أثر عن رعونة النفس ودليل على أنها لم تتهذّب ولم يستطع صاحبها أن يضبطها بالضوابط الشرعية، كما أن رفع الصوت فيه إيذاء للغير لأنه يدلّ على عدم الحشمة وعلى عدم احترام السامعين وهو خروج عن أدب الكلمة وعن طريقة أصحاب رسول الله ﷺ في الكلام.

وهناك أدب عظيم ينبغي أن تنتبه إليه المرأة خاصة : وهو ضرورة التحكّم في صوتها وفي كلامها، فمن المعروف أن بعض العلماء يعتبرون صوت المرأة عورة إذا تكلمت لغير ضرورة أو حاجة، أو تكلمت بلهجة خاضعة، قال الله تعالى : ﴿ **فلا تخضعنّ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾[1]

وقد دأب أهل الفضل والمروءات أن يُربّوا النساء على ألّا يسمع الضيوف أصواتهن وألّا يسمع الجيران أصواتهن، وقد دأبت فضليات النساء على مراعاة هذا المعنى، بل اعتادت بعض الفضليات أن يكتفين بنقر الباب إذا جاءهم طارق ليتكلم ويسمعن دون أن يتكلمن، وهذا أدب صعب ولذلك لم يأخذ طابع التعميم، ولكنه مستحسن عند أهل الكمال.

وممّا يحدث عادة بين الجيران أن يتشاجر الأطفال، فينتقل الشجار إلى النساء ثم إلى الرجال، وقد يكون ذلك بين الأقارب فتتقطّع بذلك الأرحام وذلك كله من نقصان العقول ونقصان التربية، فلو كانت تربية الأطفال كاملة ما تشاجروا ولو كانت العقول كاملة ما انتقل الشجار الى الكبار.

وإيذاء الجوار كبيرة تدخل صاحبها النار، وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رجل يا رسول الله فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير انها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول الله فان فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وانها تصدق بالأثوار من الأقط[2] ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في الجنّة »[3].

وإيذاء الجوار يتصور بالتشويش عليهم، ووضع الأذى في طريقهم أو عند بيوتهم،

---

(١) سورة الأحزاب: (٣٢).

(٢) الأقط لبن جامد مستحجر والأثوار جمع ثور وهي هنا القطعة من هذا اللبن.

(٣) أخرجه: الإمام أحمد (٢ / ٤٤٠).

أو في عدم مراعاة أوضاعهم كإظهار الفرح حين يحزنون وعدم المبالاة حين يمرحون، إلى غير ذلك مما يتنافى مع راحة الجار.

وبناءً على ما مرّ فليلاحظ أهل البيت المسلمون ما يلي :

أولاً : إذا أرادت المرأة حاجةً من رجال البيت وهم مع ضيوفهم فلتقرع الباب بدلاً من النداء.

ثانياً : إذا قرع الباب وكان في البيت ذكور فهم الذين يتولون الردّ وإلَّا فلتجب النساء بأقل قدر ممكن من الكلام وبصوت لا يظهر فيه أثر لضعف.

ثالثاً : إذا تحاور الكبار فيما بينهم أو الصغار فيما بينهم أو الكبار مع الصغار فليكن ذلك بخفض صوت.

وإن مما ينبغي أن يعتاده أهل البيت المسلم الكلام الهامس بحيث يقابلون باستغراب أي رفع للصوت سواء في ذلك المناقشات أو الحوار أو الطلب.

رابعاً : أن يتجنّب أهل البيت كل ما يزعج من تشويش أو إيذاء أو رفع صوت.

خامساً : ألَّا يستعمل أحد خاجيات البيت مع ضجيج ممكن اجتنابه.

سادساً : ألَّا يعامل الأطفال بعدم مبالأة إذا بكوا.

سابعاً : وإن مما ينبغي أن يعتاده أهل البيت المسلم كتمان الأسرار، فكل ما يجري في البيت لا ينبغي أن يتحدث عنه أهله ومن أهم ما ركّز عليه رسول الله ﷺ في ذلك ألَّا يتحدث الزوجان عمّا يدور بينهما، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم وأبو داود « شرّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرّهما ».

إن هذا الحديث الشريف معلم من معالم تربية البيت المسلم، لقد جرت عادة بعض النساء أن يتحدّثن إذا اجتمعن بما لا ينبغي من أمور الحياة الزوجية الخاصة، وبما يدخل في دائرة اللغو أو السفه وهذا عيب كبير، كما جرت عادة بعض أهل البيوت أن يفضحوا ما يجري في البيت مما يسيء إلى سمعته، وقد يتحدّثون عن بعض أهليهم مما يسيء إلى سمعتهم وهذا مما ينبغي أن يحتاط فيه أهل البيت المسلم، فكما أن خفض الصوت مطلوب، فكتمان الأسرار مطلوب.

القانون الرابع

في تنظيم العلم والعبادة

ليس هناك أهم من قضيتين في حياة البيت المسلم هما: تنظيم العلم وتنظيم العبادة، وأهم ما يدخل في باب العلم العلوم المفروضة والعلوم المطلوبة، وأهم ما يطالب به المسلم في باب العبادات إقامة الفرائض والواجبات والسنن والآداب، وينبغي أن يتعاون أهل البيت على إقامة هذين المطلوبين ليكون أهل ذلك البيت مذكورين عند الله في الملأ الأعلى ينطبق عليهم قول الله تعالى في الحديث القدسي: ﴿ **ومَن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منه** ﴾[1]. قال تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿**واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾[2]. فهٰهنا مفهوم ومضمون، أما المفهوم: فيدل على أن هناك تالياً يتلو عليهم القرآن والحكمة، فهناك إذن تعليم، وأما المضمون: فهو أمرهن بالتذكّر فهناك إذن تعلم. ومن هٰهنا كان لا بدّ من تنظيم العلم والتعلم الشرعيّين بأن يكون لأهل البيت جلسات علمية تفقّهية.

وقد يكون البيت المسلم مقرًّا لدروس نساءٍ ورجالٍ من غير أهل البيت، وقد يكون لأهل البيت حضور في مجالس للعلم في المسجد أو في بيوتٍ أخرى. المهم هو تنظيم العلم داخل البيت بحيث يشمل كل سكانه: الأطفال والرجال والنساء، وينبغي أن يكون هناك طموح عند أهل البيت بأن يحصل كل منهم ثقافة إسلاميّة، وثقافة معاصرة، وثقافة تخصّصية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الأحزاب: (٣٤).

ومِمَّا يدخل في تنظيم العلم أن يكون في كل بيت مكتبة، وأن يكون هناك اعتياد على المطالعة، وأن يكون هناك دفع نحو تلقّي العلم. ومع تنظيم العلم فلا بدّ من تنظيم العبادة وخاصة الصلوات وقراءة القرآن وشغل الأوقات بالاذكار والدعوات، واعتياد صيام الفرائض والنوافل، وأهم شيء يحتاج الى مزيد تذكير وتركيز هو اعتياد إقامة الصلوات في أوقاتها، واعتياد إقامة الجماعة في البيت لمَن فاته حضور الجماعة في المسجد.

ومن المناسب أن يشعر أهل البيت جميعاً بمزيد الاهتمام بالمناسبات الأسبوعية كأن يظهر اهتمام الجميع بيوم الجمعة في الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ فيه، وغسل الجمعة، والتبكير إلى الصلاة فيه، وأن يذكر بسنية صيام يومَي الاثنين والخميس وصيام يوم عرفة وتاسوعاء وعاشوراء.

ومن المستحسن التذكير بالمناسبات الإسلامية في بعض الشهور كفتح القدس في رجب وحادثة الاسراء والمعراج فيه، ومن المناسب الاحتفالات بالمناسبات الإسلامية والابتهاج بها كذكرى المولد النبوي.

وينبغي أن تخصّ المناسبات السنوية بمزيد عناية كصوم رمضان وقيامه وإقامة سننه ونوافله والاهتمام بأشهر الحج.

والمناسب أن تربط العبادة بالعلم الخاص بكل مناسبة كأن تقرأ السيرة للشمائل في شهر المولد، وكان أحد زملائنا يبعث مَن يدرس السيرة والشمائل بعد كل صلاة في شهر المولد.

ولعلّه من المناسب أن تزداد الدروس العلمية في المساجد أو في البيوت في بعض المناسبات.

القانون الخامس

في الاقتصاد في الطعام والشراب والللباس والمعيشة

ما من سنةٍ ولا فريضة تترك إلّا ويترتّب على تركها عقوبة فطرية، وما من محرّم يرتكب إلّا وتترتّب عليه عقوبة فطرية، فترك سنة السواك عقوبته تلف الأسنان، وعقوبة عدم الاعتدال في الطعام والشراب تلف الأجسام، وهكذا في كل مخالفة لدين الفطرة توجد عقوبة فطرية.

والمسلم مكلّف بالنسبة للطعام والشراب :

أولاً : بعدم الإسراف : ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾[1]

ثانياً : بألّا يأكل أو يشرب ما يضرّه وبالأخص المحرّم.

ثالثاً : بأن يأكل ويشرب باعتدال، قال رسول الله ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطنه حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبته نفسه فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »[2].

رابعاً : ألّا تظهر فيه السمنة، وقد وصف رسول الله ﷺ جيلاً في معرض الإنكار

(١) سورة الأعراف: (٣١).

(٢) أخرجه: الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وهو صحيح.

فقال : « ويظهر فيهم السِّمن »[1] فالمسلم مكلّف في نفسه وفي أهل بيته أن يراعي هذه الأمور. وهذا يقتضي مراعاةً لما يدخل للبيت من طعام أو شراب ويقتضي تنظيماً للأكل والشرب، ولنوعيّة الطعام والشراب، وتنظيماً لوجبات الطعام وكميتها.

فالسمنة أثر عن أخذ الجسم طعاماً فيه حريرات كثيرة ومن هٰهنا فلا بدّ أن يراعى في نوعية الطعام وكميته ألّا تكون أكثر من حاجة الجسم، والعبرة للمحصلة النهائية لمقدار الحريرات. والاكتفاء بإقامة الصلب تقتضي أن يكون الطعام والشراب فيهما ما تمسّ حاجة الجسم إليه من أنواع البروتينات والفيتامينات وهذا يقتضي تخيّر نوع الطعام.

ولا بدّ أن يُلاحظ في الطعام والشراب الأثمان المعقولة والمقدار المعتدل، وأن يكون طيب المنبت طيب المطعم فلا ضرر ديني ولا دنيوي.

وهكذا فإن تنظيم الطعام والشراب يدخل في باب السياسات اليومية المهمّة، ولا بدّ من رعاية أهل البيت صغاراً وكباراً في هذا الموضوع المهم. وممّا تجدر ملاحظته أن يبعد البيت وأهله عن الدخان فضلاً عن غيره من المأكولات أو المشروبات المحرّمة، وأن تعالج قضية النهم، وأن يعوّد أهل البيت على مجاهدة النفس في الطعام والشراب بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط، ومع تنظيم الطعام والشراب في البيت لا بدّ أن تنظم الرياضة، فهي المكمّلة لدور الطعام والشراب وهي التي يمكن أن تزيل الآثار الضارّة للطعام والشراب.

والرياضة طريق من طرق الوصول إلى القوة التي ندب إليها المسلم. ففي الحديث الصحيح : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[2].

وعلى هذا فينبغي أن تدخل الرياضة في البرنامج اليومي لأهل البيت، بحيث لا يمر يوم على أهل البيت إلاّ وللقادر فيه رياضته اليومية، وأبسط أنواع الرياضة رياضة المشي، وينبغي أن يُخص الأطفال بمزيد عناية في الرياضة، فقد جاء في الأثر : « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً »، فالرشاقة وأنواع الرياضات التي توصل إلى القوة، كل ذلك مطلوب ويجب أن يربى أهل البيت عليه. إنه كما ينظّم أهل البيت أورادهم في الذكر وتلاوة القرآن ينبغي أن ينظّموا أوقات الرياضة، وينبغي على رب الأسرة أن يوجّه أولاده نحو اكتساب المهارات

---

(١) أخرجه: الإمام أحمد والبخاري.

(٢) أخرجه: الإمام أحمد ومسلم.

في أنواع من الرياضة خاصة الرياضات التي تجعل الجسم رشيقاً وقويًّا، وأن يختار لأولاده النوادي الأمينة على أجسادهم وأخلاقهم.

وقد جرت عادة بعض الناس أن يبدأوا يومهم بالصلاة وبالأوراد وتلاوة القرآن وبالمشي الطويل أو غيره من أنواع الرياضات، وتلك عادة حسنة أن يبدأ الإنسان يومه بما يفيد الروح والقلب والجسد.

وكما يجب على المسلم أن يراعي عدم الإسراف في الطعام والشراب فإنه ينبغي أن يراعي ذلك في لباسه وفي كل معيشته، فتكديس اللباس والحاجيات غير الضرورية مَضْيَعَة للمال، مَفْسَدَة للنفس، فاللباس بقدر الحاجة، والأثاث بقدر الحاجة، وكل حاجة تشترى للبيت ينبغي أن يفكر فيها ما إذا كانت ضرورية أو لا. فكل ما يُستغنى عنه ينبغي ألّا يدخل البيت فالاقتصاد نصف المعيشة، ولا شك أن الاقتصاد شيء والشح شيء آخر. فالمسلم منهي عن البخل والشح، ولا شك أن ضرورات عصر تختلف عن ضرورات عصر آخر وضرورات بيت تختلف عن ضرورات بيت آخر.

والعبرة ألّا يشترى شيء إلّا وهو ضروري للاستعمال. وكما يلاحظ ما يدخل إلى البيت، فإنه يلاحظ الاستعمال داخل البيت، فلا يستعمل شيء إلا بقدر وبالضرورة، فلا تُضاء الأنوار إلا لحاجة، ولا يسرف في استعمال الماء، ولا يُلقى طعام إلا لحيوان وينبغي أن يعتاد أهل البيت جميعاً على أن يحاسب بعضهم بعضاً على كل ما هو إسراف ولكن بأدب ولطف.

وكما يلاحظ أهل البيت ما يستعملونه في البيت وما يدخلونه إليه فإنهم يحافظون على مبدأ الاقتصاد خارج البيت وخاصةً ما له علاقة بشراء السيارات واستعمالاتها.

وممّا نلفت إليه النظر خاصةً ألّا يتورّط الإنسان بالدخان أو المسكر أو القمار إلى غير ذلك مما لا ينبغي للمسلم أن يقاربه.

ومن جوانب الاقتصاد المهمّة تعامل الإنسان مع أغراض البيت عامةً والقابلة للكسر خاصةً، فالتعامل الحسن مع الثياب والستائر يطيل أمد استعمالها وفي ذلك اقتصاد، وتجنّب إسراف، والتعامل اللطيف مع أدوات المطبخ يطيل حياتها، والتعامل اللطيف مع الأواني الزجاجية يجنّب الإنسان إسرافاً، وقد جرت عادة الكثيرين أن يتساهلوا فيضعوا الأواني الزجاجية بين يدي الأطفال فيكسرونها وهم يضحكون ويضحك الأهل وذلك سوء أدب من الولد ومن الأهل. صحيح أننا لا نعاقب الطفل إذا كسر معه شيء بشكل اضطراري ولكنا نعاتبه ونجنّبه تكرار مثل ذلك.

القانون السادس

في العلاقات وآداب التعامل

إن الأسرة والبيئة والمدرسة هي محاضن التربية الأساسية في حياة الإنسان، ومن الأسرة يأخذ الإنسان الكثير الكبير، فهو في الغالب يأخذ دينه وأخلاقه وأدبه وأدب التعامل، ولذلك كان من الأهمية بمكان أن يلحظ البيت المسلم ترتيب العلاقات وأدب التعامل بحيث يكون الأدب يحكم البيت ويسري من البيت نحو الخارج.

إن كثيرين من الناس يكونون أسوأ الناس أخلاقاً داخل البيت ويحاولون أن يكونوا مثاليين خارجه، وقد وردت نصوص تصف رجلاً بأنه يطيع زوجته ويعصي أمه، ويبرّ صديقه ويعق أباه، إن ميزان الخيرية هو حسن المعاملة مع الأقرب فالأقرب، فخيركم خيركم لأهله، « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك » أخرجه البخاري ومسلم.

ومن هٰهنا ينبغي أن يُعتنى داخل البيت المسلم بأدب العلاقات وحسن العشرة.

فالأدب مع الأبوين واحترامهما وطاعتهما وبرّهما وتخصيصهما بمزيد من العناية، وحسن العشرة بين الزوجين بأن يتعاملا بالحلم والحكمة وغض الصوت وترك الجدل والخصومة، والطاعة للزوج، ورعايةالأبناء والبنات بالرحمة والشفقة وحسن التأديب في أمر الدين والدنيا من الأهمية الكبيرة ومن المستحسن أن نسجّل هذه الملاحظات :

أولاً : إنه لا يصحّ أن يسكت على سوء أدب أو سوء خلق أو سوء تصرّف

في البيت، ولكن لا بدّ من تخيّر الأسلوب المناسب للمعالجة، ولا بدّ من تخير الوقت المناسب للنصيحة.

ثانياً : لا بدّ أن يلحظ عبث الأطفال مع بعضهم بعضاً، وعبثهم مع أولاد الجيران، ولا بدّ أن يُعَوّدوا على أن هناك حدوداً لا يصحّ أن تتجاوز وأن هناك حدوداً لا يصح أن تقرب.

ثالثاً : لا بدّ من تعويد الأطفال على أن يحترم الصغير مَن هو أكبر منه، وعلى احترام الصغار للكبار في المعاملة وغض الطرف وغض الصوت وعدم الإيذاء إلى غير ذلك.

رابعاً : إن الطفل عنده نوع إدراك منذ ولادته وبالتالي فلا يصحّ أن يقول قولاً أو يتصرف تصرّفاً أو يعتاد عادةً إلا وقد حُسِّنَ له الحسن وقبِّح له القبيح.

خامساً: ينبغي أن يعتاد كل أهل البيت أن يبادر كل منهم إلى الخدمة وألا ينتظر من غيره أن يخدمه، وليقلّل كل من أهل البيت الطلب من الآخرين إلّا لحاجة أو ضرورة.

سادساً : ينبغي أن يربّى كل فرد في البيت على التواضع لغيره من سكان البيت وعلى التواضع للآخرين من ضيوف البيت، ويُراعى ذلك في كل مكان في المجلس وغيره.

سابعاً : ينبغي أن يعتاد كل فرد من أفراد البيت على الكلمة الطيّبة مع بعضهم بعضاً ومع الجيران ومع كل الناس.

ثامناً : ينبغي أن يعتاد كل فرد في البيت على القيام بحق الضيوف وحسن استقبالهم والاستبشار بهم وبحسن الإقبال عليهم وبضيافتهم.

تاسعاً : لا ينبغي أن يعتاد الأطفال على الدخول على الضيوف، وإن حدث ذلك فلفترة قصيرة ودون أن يكون هناك إزعاج.

عاشراً : ينبغي أن يعتاد كل فرد في البيت على ألا يتصرّف تصرّفاً أو يقول قولاً يخل بالذوق العام أو المروءات جدًّا أو هزلاً.

القانون السابع

في العناية بالصحة والرياضة

لقد حضّ الإسلام على القوة ولفت النظر إلى أهمية العافية ومن هٰهنا كان الاهتمام بالرياضة وبالصحة جزءًا من تربية المسلم وقانوناً من قوانين البيت. ففي الحديث: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[1] وفي الحديث: « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير »[2] ومن دعاء المسلم: « اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل... »[3] ومن دعائه: « اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم عافني في بدني، لا إله إلا أنت »[4] وفي الحديث: « إن لجسمك عليك حقًّا »[5].

وعلى هذا فلا بدّ من تدبير أمر الصحة، وذلك يلحظ بالدواء والغذاء والنظافة والهواء والتعرّض للشمس، والوقاية من الأمراض لتوقّي أسبابها.

فلا بدّ لربّة البيت من أن تلاحظ رطوبته وعفونته وروائحته فتعرّضه للتهوية والشمس وتتابع تنظيفه، ولا بدّ من ملاحظة العلاج إذا مرض أحد من أهل البيت، ولا بدّ

(١) أخرجه: البخاري.
(٢) أخرجه: الإمام أحمد ومسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه: الترمذي وهو حديث حسن.
(٥) متفق عليه.

من ملاحظة الغذاء فيكون نافعاً غير ضار، وينبغي أن يعتاد كل فرد في البيت أن تكون له رياضته الخاصة، فلا يمرّ يوم إلا وقد مارس نوعاً من أنواع الرياضة كالمشي أو الجري ولو في المحل، أو الحركات الرياضية أو القفز على الحبل إلى غير ذلك.

المهم أن يعتاد كل فرد في البيت أن يكون له حظ من الرياضة فإن اجتمع له مع برنامجه الرياضي شيء من الأذكار والدعوات يكون قد جمع خيراً الى خير.

القانون الثامن

في حماية البيت وأهله من الشذوذ والانحراف والحرام والمكروه والضرر

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾[1]وقال تعالى: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة﴾[2]وقال تعالى: ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾[3]

فلم يزل المسلم حريصاً أن يقيم المطلوبات في نفسه وأهله، وأن يجنّب نفسه وأهله المنهيات. وقد مرّ معنا أن تنظيم العبادة والعلم قانون من قوانين البيت المسلم، وهٰهنا نذكّر بما ينبغي أن يبعد عنه البيت المسلم من كل ما يتنافى مع المروءات فضلاً عن المندوبات والواجبات والفرائض أو يوقعه في المكروهات والمحرمات فقد درج المسلمون على اعتبار أن داخل البيت عورة ينبغي أن تصان من نظر الآخرين، فليحتط أهل البيت المسلم من أن يرى الخارج ما بداخل بيوتهم، وليحتاطوا عند الدخول والخروج، وخاصة بالخروج بسبب الأعمال البيتية من نشر غسيل أو جمع غسيل، وليلاحظ أن هناك نوعاً من الثياب لا يصلح أن ينشر بحيث يراه الناس، فذلك خلاف المروءة، وليحتط أهل البيت، فلا يكون في غرفة الضيوف لباس نسوي، فذلك يتنافى مع الذوق العام، والفوضى والبعثرة تتنافى مع الذوق العام. والتصرّف الشاذ أو القول

(١) سورة التحريم: (٦).

(٢) سورة طه: (١٣٢).

(٣) سورة مريم: (٥٥).

الشاذ لا يليقان بأهل البيت المسلم سواء مع أنفسهم أو مع بعضهم أو مع غيرهم، ومما يُحمى عند البيت المسلم كشف العورات حتى بالنسبة للصغار ليعتادوا على الستر.

وممّا ينبغي أن تعتاد عليه البنات في سن مبكّرة عدم الظهور أمام الرجال.

ومما يُحمى عند البيت المسلم صور الحيوان والتماثيل وكل ما حكم العلماء عليه بالكراهة أو التحريم ولو وجد خلاف في ذلك.

ومما ينبغي أن يحمى البيت المسلم منه ما يدخل في دائرة اللغو أو الكراهة أو التحريم من البرامج الإذاعية أو التلفزيونية أو أشرطة الفيديو أو المسجلات.

ولا يغيب عن المسلم ما هو الحسن وما هو القبيح، فيفعلُ الحسن ويجتنب القبيح، ومما ينبغي أن يعتاد عليه أهل البيت المسلم كتمان أسرارهم وأمن تصرّفاتهم وأمن بيتهم وأمن أبنائهم، وفضح الأسرار يترتّب عليه ضرر، من هٰهنا ينبغي أن يعتاد كل مَن في البيت أن لا يتحدّثوا عن شؤون البيت إلّا حيث تترجّح المصلحة وكما يلحظ الضرر المادي في فضح الأسرار يلحظ الضرر الشرعي وتلحظ المروءات، فلا ينبغي أن يتحدث الزوج والزوجة بأسرارهما أو بما يخلُّ بالمروءة، وينبغي أن تغلق الأبواب ويحترس من اللصوص والجواسيس، وكل ما يخلّ بأمن البيت ويجعله معرّضاً للشبهة وينبغي أن يلحظ ما يمكن أن يسبّب حريقاً أو يؤذي داخل البيت وخارجه، وينبغي أن يلحظ عدم النوم في مكان يحتمل منه السقوط وألّا يسمح للأولاد بأن يلعبوا في مكان يتوقّع منه سقوطهم وأذاهم، ولا يصح أن يوضع بين يدي الأطفال ما يؤذيهم من دواء أو آلة حادّة، أو وعاءٍ قابل للكسر.

وهكذا ينبغي أن يُحمى البيت من كل مظهر مخالف للشريعة أو مخالف للأمن.

ومن أهم ما ينبغي أن يعتاده البيت المسلم التفريق بين دائرتين من النساء : دائرة المحرّمات حرمة مؤبدة أو مؤقتة، فالدائرة الأخيرة لا تصح مصافحتها ولا لمسها ولا الخلوة لأفرادها ولا التكشّف أو التبرّج أمامها، وقد غلب على بعض البيئات التساهل في ذلك، والحلّ أن يعرف الجميع الحكم الشرعي وينضبط به.

وقد اعتاد بعض الناس أن يتزوجوا وأن يعيشوا مع بعضهم وفي هذه الحالة فان زوجة الأخ لا يصح أن تظهر بلا سترة كافية أمام أخ زوجها ولا تجوز مصافحته أو أن تخلو به.

وكذلك لا ينبغي أن تظهر زوجة الأخ على زوج أختها إلّا بالحجاب الشرعي ولا ينبغي أن تصافحه ولا أن تخلو به.

القانون التاسع

الإحسان إلى الجار وإكرام الضيف وصلة الأرحام

البيت المسلم بيت مضياف كريم، إلّا أنه كرم في محلّه، فهو ليس كرم على حساب الأهل، فإذا كان الكرم على حساب مؤونة الأهل فذلك لا يصحّ بدون رضاهم، وإذا كان الكرم على حساب جهد لا يُطاق بالنسبة لهم، فذلك لا يصح إلّا برضاهم.

ومن آداب المسلم في الضيافة ألّا يتكلّف، فالكلفة هي مقدمة البخل، فإذا رافقت الكلفة الضيافة لم يتحمّل ذلك جيب الأخ ولا أهله.

فإكرام الضيف بلا كلفة مالية ولا مشقّة على الأهل هو أدب المسلم، فالمسلم يهيئ نفسه وبيته وأهله لاستقبال الضيف وإكرامه وعلى الضيف أن يلحظ الحدود التي يستطيع أهل البيت أن يقوموا بها، فإذا كان هناك شيء يرهقهم أو يعنتهم أو يشق عليهم أو يثقل عليهم عرف الضيف كيف يتصرّف بحكمة، وعندما يكون كل بيت مسلم جاهز للضيافة، فإن الضيف باستطاعته أن يتخيّر لنفسه البيت الذي ينزل فيه. ولا شك أن النوم عند العزاب والطعام عند المتزوجين هو الأنسب للضيف والمضيف.

وكما أن البيت المسلم بيت مضياف فإنه بيت صلة للأرحام. فهو يزور الأرحام ويزوره الأرحام، ويقوم بحق الأرحام بالإكرام والهدية والرسالة وحسن الاستقبال وكثرة

الاحترام. وأما جيران البيت المسلم فهم مرتاحون معه حريصون عليه محبّون لأهله، لأن البيت المسلم يكفّ الأذى ويعرف الحقوق.

ومن أهم ما يلحظه أهل البيت المسلم مع جيرانهم أن يفطنوا للقيام بحقوق المناسبات من حزن أو فرح، ومن أهم ما يفطن له أهل البيت المسلم مع جيرانهم أن يحفظوا أولادهم، فلا يصطدموا مع أولاد الجيران، وإذا اصطدموا كانوا مع أولاد الجيران على أولادهم.

ومن أهم ما يحرص عليه أهل البيت المسلم عدم التشويش على جيرانهم، فإذا كانوا فوقهم في البناء مثلاً راعوا ذلك، وهم في كل الأحوال لا يُسمعون جيرانهم ما يؤذيهم سواء في ذلك خصوماتهم أو الأصوات التي تنبعث من دارهم، وإذا كان لأهل البيت المسلم شركة مع غيرهم أدّوا الحقوق كاملة، فهم ينظفون المدخل المشترك مثلاً، ويحاسبون أنفسهم فلا يظلمون جيرانهم في تعامل.

القانون العاشر.

في مراعاة الأدب في الدخول والخروج

أول ما يلاحظه المسلم أو المسلمة في دخوله وخروجه تطبيق سنن الدخول والخروج في الدعاء وتقديم إحدى الرجلين والتسليم على الأهل فالسنة أن يدخل الإنسان برجله اليمنى وأن يخرج برجله اليسرى. ومن السنّة التسليم على الأهل في الدخول والخروج.

ومن السنة أن يدعو الإنسان إذا خرج من بيته بما يلي : « بسم الله توكّلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمْ أو أُظْلَم أو أجهل أو يُجْهَلَ عليَّ ». رواه أبو داود والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصحّحه النووي.

ومن السنة أن يدعو الإنسان إذا أراد الدخول بما يلي : « اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكّلنا ثم ليسلم على أهله ». أخرجه أبو داود.

وقبل أن يخرج الإنسان من بيته يحدّد نيّته ووجهته ويحاسب نفسه، ويتفقّد هندامه، والمرأة تتفقّد هندام زوجها، وعلى المرأة أن تلاحظ نفسها إذا أرادت الخروج، فلا تشم منها رائحة عطر، وتدقّق في حجابها بحيث لا تتعرّض لتكشف بسبب رياح أو بسبب غلط، وقد اعتادت بعض النساء أن يسمع الناس صوت حذائها وذلك يلفت النظر إليها، وليس هذا من الأدب الإسلامي. فالمرأة الجاهلية كانت تضرب برجلها

الأرض ليسمع صوت خلخالها، فنهيت المرأة المسلمة عن ذلك. قال تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾[1]

---

(١) سورة النور: (٣١).

خاتمة

هذه قوانين عشرة جمعناها إلى بعضها لنذكر بها وما نظن أن شيئاً منها أو أنها بمجموعها تغيب عن المسلم ولكنها الذكرى التي هي أدب المسلم تدفعنا لتذكير أنفسنا وتذكير أهلينا وإخواننا.

ويلاحظ قارىء هذه الرسالة لغتها العفوية وإيجازها، وإنما كانت كذلك لتنسجم مع طبيعتها فهي تذكرة وعملية وأثر عن قصتها : فلقد كنا نذكر أرحامنا وأبناءنا بها صغاراً وكباراً بعفوية ودون تكلّف فجمعت كما هي لتكون أدعى إلى التأثير والقبول. نسأل الله أن يتقبّلها وأن ينفع بها.



فهرس الرسالة الثامنة

قوانين البيت المسلم



الرسالة التاسعة :

السِّيرة بلُغَةِ الحُبِّ وَالشِّعْر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ألقيت مرة محاضرة في حفل كريم، وجاء دور الأسئلة والمناقشة، فوقف بعض الحاضرين واعترض على حرارة العاطفة التي تحدثت بها، مع أن المحاضرة كانت موضوعية جداً وهي جزء من هذا الكتاب، وهي رسالة منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة. ولم أردّ وقتذاك، ووقف الأستاذ يوسف العظم ــ حفظه الله ــ وكان حاضراً، فردّ وأجاد ــ جزاه الله خيراً ــ.

ولم يكن الاعتراض غريباً، فإن الفكر الإستشراقي والمؤسسات الأكاديمية وكثيراً من النشاطات الفكرية ركزت على ضرورة العرض الكمبيوتري لكل شيء. والإنسان يحتاج إلى مثل هذا في بعض الأمور، ولكنه لا يسعه هذا في كل الأمور. ومن ههنا كان هناك شيء آخر في حياة البشر هو الأدب نثراً وشعراً وقصة ومسرحية للتعبير عن قضايا عقلية أحياناً، وعاطفية أحياناً، وعنهما معاً في حالات أخرى.

وقد شعرت بأن لغة الكمبيوترات وحدها خطيرة في قضيتين :

القضية الأولى : في الحديث عن رسول الله ﷺ.
القضية الثانية : في الحديث عن العلاقات بين المسلمين.

لقد هالني أن بعض المسلمين نسوا إلى حدّ كبير إخاءهم الإسلامي العام وإخاءهم

الإسلامي الخاص، وأحياناً نسوا الإخاء العام لصالح الإخاء الخاص، وأحياناً وَجِدَت أنواع من العداء الحاد بين أبناء الإسلام، وأحياناً وجد صراع حزبي بين مسلمين نسوا في غمرة الصراع الحزبي إخاءهم، وأحياناً تَجِدُّ التنافسات الإدارية والمماحكات الحزبية داخل الحزب الواحد فتنسي اصحابه الأصل الكبير الذي اجتمعوا عليه، بل تجعلهم كما ورد في بعض الآثار (أعداء السر إخوان العلانية) مما دعاني إلى أن أذكر مسلمي عصرنا في رسالة « أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر » بتعميق الإخاء الإسلامي، وبالمحبة بين المسلمين، وبالخدمة لكل المسلمين، وأمثال هذه القضايا.

إنه لمن أخطر الأمور أن ينقلب الاختلاف في الاجتهاد في الدين إلى عداء بين أبناء الدين، إلا إذا كان هناك شذوذ اعتقادي أو أخلاقي، فههنا يأتي دور النصيحة المشفقة ثم يتدرج الأمر في مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن ما دامت شهادتا التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) غير منقوضتين فلا يصح أن ننسى الإخاء الإسلامي، ولا ينبغي أن نفتقد حرارة الحب في علاقات المسلمين بعضهم ببعض ولا في مخاطبتهم بعضهم بعضاً، ألا ترى إلى قوله تعالى في الحديث القدسي :

« وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، وَالمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ »[1]، فأي مقام أرقى من هذا المقام.

وإذا كنت في هذا الكتاب أحاول أن أذكّر بما وَهَى أو بما ضعف مما هو مطلوب، فقد رأيت أن أكتفي بالنسبة للإخاء الإسلامي بما ذكرته في رسالتي المذكورة آنفاً، وأخصص هذه الرسالة للغة الحب في الحديث عن رسول الله ﷺ. وقد كنت تقدمت بهذه الرسالة إلى (المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية) المنعقد في قطر،ونشرت مع أبحاثه، فأضفت إليها بعض إضافات وجعلتها جزءاً من هذا الكتاب.

إن التركيز على محبة رسول الله ﷺ فريضة، وعلينا أن نلجأ إلى كل الوسائل المشروعة أو المباحة لتأكيد هذا الحب. فإذا تكلمنا عنه فبلغة الحب، وإذا قرأنا سيرته فبلغة الحب بل إن جلسات الإنشاد المختارة ألفاظه ومعانيه، والمحررة عباراته ومبانيه ينبغي أن نكثر منها لتعميق الحب، بل علينا أن نستفيد من كل مناسبة نستطيع فيها أن نعمق الحب لرسول الله ﷺ ولا شيء يقوي الحب لرسول الله ﷺ ككثرة الصلاة

---

(١) أخرجه: مالك في موطئه.

عليه ؛ ولذلك اعتبرها العارفون بالله أعظم الوسائل للوصول إلى النور الكامل. وحجتهم في ذلك قوية، فالله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾[1]. والرسول ﷺ يقول : « من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشراً ».

فمن الأسباب التي جعلها الله وسيلة ليصلي علينا صلاتُنا على رسوله ﷺ. والصلاة على رسول الله ﷺ ذكر وزيادة، والله عز وجل جعل الذكر الكثير وسيلة الاقتداء برسول الله ﷺ قال تعالى :

﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[2] لاحظ قوله تعالى : ﴿ **وذكر الله كثيراً** ﴾.

فمن أكثر الذكر فقد أصبح عنده استعداد للاقتداء، والاقتداء أثر المحبة ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[3].

والاتباع يقتضي علماً، فمن اجتمع له الذكر والعلم اقتدى، فدخل في محبة الله، وتلك أول صفات حزب الله :

﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾[4].

المهم أنني أعتبر التذكير بمثل هذه المعاني إحدى احتياجات هذا العصر فكانت هذه الرسالة :

(السيرة بلغة الحب والشعر).

---

(١) سورة الأحزاب: (٤٣).

(٢) سورة الأحزاب: (٢١).

(٣) سورة آل عمران: (٣١).

(٤) سورة المائدة: (٥٤).

بين يدي الكلام

يا أيها الكاتبون عن حبيبي !!
لا تفصلوا بين الزهور والعبير ..
فحبيبي ليس مثله بين البشر ..
فاجعلوا الحديث عنه ..
حديث فكر وقلب ..
حديث روح وحب ..

يا أيها الباحثون في الأوحال عن كمال!!!
رويدكم لا تتعبوا ..
وارتفعوا قليلاً ..
وحدقوا المقل ..
في الأفق البعيد ..
وقلبوا النظر ..
فإنكم واجدون الكمال ..
بل كمال الكمال ..
في بطل الأبطال ..
في محمد ﷺ.

يا أيها الباحثون عن سعادة !!
يا أيها الغارقون في شقاوة ..
إلام تجهلون ؟!

علام تدبرون ؟!
دليلكم قريب ..
وشأنه عجيب ..
إنه الإنسان ..
إنه محمد ﷺ.
يا أيها الكاتبون عن حبيبي !!
اجمعوا وانتم تكتبون ..
بين عبير الفكر ..
ورحيق الزهر ..
وروعة البيان ..
وسحر اللسان ..
فإن حبيبي سيد الأكوان ..
سماحة نفس كَرَوْحِ الصَّبا ..
ورقة طبع كعهد الصِّبا ..
وحسن بيان كزهر الربا ..
وروعة خلق كبيض الظبا ..
فمن ذا يساميه في العالمين ؟!
من أي النواحي يفيه المقال ؟!
وقد جمّع الله فيه الكمال ..
وألقى عليه رداء الجلال ..
ففاق الملائك روحاً ونفساً ..
ورقت حواشيه لطفاً وأنساً ..
وحاز الكمالات طهراً وقدساً ..
فمن ذا يقول ؟! ومن ذا يبين ؟!
فيا أيها الكاتبون !
املأوا القلب ببرد اليقين !
وأطلقوا الأشواق في الآفاق ..
وأنطقوا الأكوان بالأشواق ..
فلغة الحب أقوى ..
ولغة العقل أبقى ..
فليكن عقل وحب ..

وبعد

فلقد كثر الكلام في عصرنا ــ وذلك طيب ــ عن رسولنا ــ عليه الصلاة والسلام ــ وتكلم الكثيرون ــ مسلمون وغير مسلمين ــ عنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ وذلك شيء طيب، ولقد صدر كتاب قريب لكاتب غير مسلم يجعل فيها رسولنا ــ عليه الصلاة والسلام ــ أعظم رجل أثّر في أحداث التاريخ.

ولكن أكثر ما انصب الكلام عليه في هذا الشأن لا يخرج عن كونه إما عرضاً لأخباره وإما تدليلاً على رسالته، وإما تحليلاً لبعض أحداث هذه السيرة، وكل ذلك طيب. ولقد كتبت كتابي (الرسول) وكنت فيه واصفاً لشخصيته ــ عليه الصلاة والسلام ــ، ومبرهناً على أنه رسول الله حقاً، أقول هذا لأنفي أن يكون احتراسي هنا نوع نقد لجهد بذله إنسان لتجلية شيء له صلة برسول الله ﷺ.

ولكنّ هناك شيئاً آخر يحتاجه الكلام عن رسول الله ﷺ.

فلئن كان الإخبار والتحليل والتدليل قضايا لا بدّ منها، فإن هناك شيئاً آخر لا بدّ منه ولا بدّ من الإشارة إليه ولا بدّ من ذكره ولا بدّ من تبيانه.

هذا الشيء يأتي وراء المعرفة ووراء حديث العقل ذلك هو **حديث الحب والوجدان.**

إن هناك المرحلة التي يتعرف بها العقل على رسول الله ﷺ فيتعرف بها على شخصيته وعلى رسالته، وهي مرحلة تنقدح بها مباشرة شرارة الإيمان في القلب، لتنقلب المعرفة إلى محبة ووجد، وعندئذ توجد لغة جديدة، وعوالم جديدة، وآفاق جديدة، ينظر بها المسلم إلى شخصية رسول الله ﷺ، وأحداث سيرته، وأحداث العالم كلها على ضوء ذلك.

إن المسلم مطالب بمعرفة رسول الله ﷺ، وبعض المسلمين مطالبون بالتحليل والتدليل. وهناك شيء وراء ذلك يطالب به كل مسلم **هو الحب**.

إن التذكير بهذا هو الذي دعاني إلى أن أكتب هذا البحث مذكراً بأن الكتابة عن رسول الله ﷺ ينبغي أن تكون بلغة العقل وبلغة العاطفة، وأن ذلك واجب مسلّم به. وإن ذلك لا يعني الكتابة غير الموضوعية عن شخص رسول الله ﷺ.

لقد كثر الكلام عن ضرورة الموضوعية في الأبحاث التي يراد بها الطريقة العلمية في البحث والعرض، وأصبحت الموضوعية في كثير من الأحيان تعني الحياد والتجرد والموقف الجاف البارد من القضية المعروضة. وهذا إذا صح في الكلام عن الأشياء فإنه يصطنع في الكلام عن الأحياء، والمسلم يأباه وهو يتحدث عن الحق ؛ فهو لا يستطيع أن يتكلم بلغة باردة أو محايدة، ولكنه يتكلم بحرارة الحب وكهربائية الإخلاص، وهو في هذا كله في منتهى الموضوعية والعلمية والعقلية، فهو على علم وعقل وموضوعية ولكنه في الوقت نفسه مؤمن تجاوز مرحلة التصديق إلى مرحلة التفاعل والدعوة إلى الحق الذي يعتقده.

ذلك شأنه في عرض قضية الحق كله، وكذلك في حديثه عن رسول الله ﷺ. إنه في كثير من الأحيان قد توجد المعرفة مصحوبة ببرودة العاطفة، ولكن معرفة رسول الله ﷺ تقتضي إيماناً، والإيمان يقتضي حباً، وبالتالي فإن المسلم الحق إذا تكلم عن رسول الله ﷺ فإنه لا يستطيع أن يتكلم إلا بلغة العقل والحب.

وإذا وجد مسلم لا تجتمع له حرارة العاطفة مع تصديق العقل فإنه مريض.

وإذا وجد مجتمع إسلامي لا تجتمع له حرارة التصديق وحرارة العاطفة فإنه مجتمع مريض، وعلى الأطباء أن يعالجوه.

فحيثما وجد إيمان برسول الله ﷺ فإنه لا بدّ أن يوجد حب. والحب أحياناً يعبر عن نفسه بلغة الشعر، ومتى وجد الشعر وجد الحداء والغناء والإنشاد، وهكذا كان.

عبر المسلمون عن كل شيء له صلة برسول الله ﷺ بلغة الحب، وعبروا عنه بلغة الشعر، وترنموا بهذا الشعر. بدأ ذلك في حياة رسول الله ﷺ ولا زال.

فحدا الحداة، وتغنى المغنون، وأنشد المنشدون، وأصبح كل شيء له صلة برسول الله ﷺ محل وجد : الأرض التي وطئها، والأعمال التي عملها، والأقوال التي قالها، والأيام التي عاش فيها..

والشعر بطبيعته يعتمد المجاز والاستعارة والكناية والرمز، ولغة العاطفة بطبيعتها غير لغة القانون، وكثيراً ما تجر لغة الشعر إلى مبالغات في الخيال أو شطحات في الفكر يتجاوز معها صاحبها الحدود، ذلك في كل شيء، وقد كان ذلك في الشعر الذي تحدث فيه أصحابه عن رسول الله ﷺ حتى في حياته، ترى ذلك كما في قول القائلة أمام رسول الله ﷺ : وفينا نبي يعلم ما في غد.

مما جعل رسول الله ﷺ يقول لها : « دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين » الحديث أخرجه البخاري.

وهكذا وجد الشعر، ووجد الخطأ، ووجد ردّ الفعل، وتوضّحت حول هذه الأمور معان، وقامت معارك، ونشأت عادات، وبسبب من لغة الشعر والحب، وجدت فكرة عرض السيرة بلغة الحب والشعر، فوجدت فكرة المولد النبوي، وقامت حولها معارك، وكل ذلك دعانا إلى كتابة هذا البحث، الذي سنكتب فيه مجموعة فصول :

الفصل الأول : في فرضية حبه ــ عليه الصلاة والسلام.
الفصل الثاني : عندما ينقص الحب أو يضعف أو يموت.
الفصل الثالث : في محل الشعر والغناء في تكوين العواطف، وما هو الحكم الشرعي في الشعر والغناء ؟
الفصل الرابع : في استماع النبي ﷺ الشعر وإنشاده في المسجد.
الفصل الخامس : في بعض ما تمثل به النبي ﷺ من الشعر.
الفصل السادس : الشعر في خدمة المعركة.
الفصل السابع : فيما يحمل عليه ما ورد في ذمّ الشعر أو النهي عنه أو النهي عن الترنم به.
الفصل الثامن : السيرة بين لغتين : لغة الرواية ولغة الشعر، ونماذج على ذلك.
الفصل التاسع : في خطاب رسول الله ﷺ بعد وفاته.
الفصل العاشر : في الرمز.
الفصل الحادي عشر : مهمة العلماء : التصحيح الرفيق لا الرفض المطلق للغة الحب والشعر.
الفصل الثاني عشر : في إحياء المناسبات.
الفصل الثالث عشر : في معركة المولد.
فصل : في بعض أقوال الصلحاء في المولد.
الفصل الرابع عشر : في الحذر من أخطاء المحبين والشعراء.

الفصل الخامس عشر: في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ.
الفصل السادس عشر: في الأسباب الحاملة على كتابة هذه الفصول.

الفصل الأول

في فرضية حبه عليه الصلاة والسلام

أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ».

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين ».

وللنسائي في رواية : « حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله والناس أجمعين ». وأخرج البخاري والنسائي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده ».

وقال تعالى : **﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾**[1] لاحظ قوله تعالى : **﴿ أحب إليكم من الله ورسوله ﴾**.

---

(١) سورة التوبة: (٢٤).

وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحب الله إياي... » أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب.

من هذه النصوص ندرك أن محبة رسول الله ﷺ فريضة، وأن هذه المحبة ليست محبة عقلية فحسب بل هي محبة عاطفية، فالإنسان يحب ابنه وأهله ووالده ونفسه، ليس مجرد حب عقلي بل هناك شيء وراء ذلك، والمسلم مطالب بأن يحب رسول الله ﷺ أكثر من ماله وولده وأهله وعشيرته ومسكنه وتجارته ونفسه، وتلك فريضة من فرائض الله على الإنسان.

الفصل الثاني

عندما ينقص الحب أو يضعف أو يخمد أو يموت

وفي الصحيح من حديث عبد الله بن هشام، قال عمر : يا رسول الله ! لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي. فقال : « لا ..

والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ». فقال عمر : فأنت الآن والله أحبّ إليَّ من نفسي. فقال : « الآن يا عمر ».

من هذا الحديث ندرك أن الإنسان إذا آنس من نفسه ضعف محبة، أو انس غلبة محبة شيء آخر على حب رسول الله ﷺ فعليه أن يداوي نفسه. وإذا كان هذا واجب كل مسلم، فإن واجب العلماء والدعاة والمربين أن يفطنوا لهذا الأمر، وأن يعرفوا كيف يربونه ويوجدونه، وأن يوجدوا الأجواء التي تساعد عليه. ولعل أصل الاجتماع على الإنشاد وعلى ذكرى المولد كان الهدف منه مثل ذلك. ولذلك فطن ابن تيمية ــ رحمه الله ــ إلى ما يترتب على الاجتماع على المولد من إثارة لمثل هذه العواطف، فاعتبر أهل ذلك من أجل ذلك مأجورين، وإن كان أصل الاجتماع على المولد لم يفعله السلف (ولنا عودة إلى هذا الموضوع).

والمهم أن نعرف أن على كل مسلم أن يبذل جهداً لتحقيق هذه الفريضة، وأن على الدعاة والمربين والعلماء أن يضعوا هذا نصب أعينهم ؛ لتبقى شعلة الحب في القلب متقدة. فالإيمان تصديق يستتبع أشياء كثيرة بعضها الحب.

الفصل الثالث

في محل الشعر والغناء في تكوين العواطف وما هو الحكم الشرعي في الشعر والغناء ؟

إنه لا شيء يؤثر في تشكيل العواطف مثل الشعر والغناء، لأن النفس البشرية أكثر تفاعلاً مع الشعر، وهي تستقبل الغناء باسترخاء، فتدخل إليها المعاني وتتفاعل معها بلا مقاومة.

ومن ثم وجد الشعر عند الصحابة في حياة الرسول ﷺ ووجد الحداء والإنشاد، وفي بعض الحالات سمع رسول الله ﷺ الغناء من جُوَيْرياتٍ، وسمع أصحابه كذلك.

وفي مسيرة المسلمين التاريخية فصل بين الغناء والإنشاد، فأصبح سماع الغناء ــ وبخاصة الذي ترافقه الموسيقى ــ عَلَماً على أهل المجون، وأصبح سماع الإنشاد عَلَماً على ترخص أهل الفضل. واستعمل الإنشاد في كثير من دوائر الإسلاميين كوسيلة لتربية العواطف الخيرة، أو لتهييج عواطف الوجد الراقية.

وقد لخص الشيخ محمد الحامد ــ رحمه الله ــ أقوال الفقهاء في الغناء فقال : أما ما يحل وما يحرم فإليك خلاصة ما قاله الفقهاء فيه : يباح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل أو لترويح النفس أثناء قطع المفاوز كالارتجاز، فقد ارتجز النبي ﷺ وأصحابه في بناء المسجد وحفر الخندق، وكالحداء الذي يحدو به الأعراب إبلهم، وكالشعر السالم من الفحش ووصف الخمر وحاناتها والتشبيب بامرأة حية معينة، والخالي أيضاً من هجاء مسلم أو ذمي، فإن الغناء بهذه المحترزات حرام.

فإن كان التشبيب بغير معيَّن جاز، فقد أنشد كعب بن زهير بحضرة النبي ﷺ :

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت	كأنه منهل بالراح معلول

وقد سمع النبي ﷺ أيضاً قصيدة حسان التي أولها :

تبلت فؤادك في المنام خريدة	تسقي الضجيع بارد بسام

ومن هذا النوع المباح غناء النساء لينام الصغار.

ومنه الغزل البرىء مما ذكرناه كالذي يقوله النساء في الأعراس، ولا رجال يسمعونهن، فقد أذن النبي ﷺ أن يقلن :

أتيناكم أتيناكم	فحيانا وحياكم

ومنه الزهريات المجردة، مما فيه وصف الرياض والرياحين والأزهار والأنهار المطّردة، فهذا كله جائز إن لم يُقَل على آلة لَهْو محرمة، فإن قيل عليها كان محظوراً ولو وعظاً وحِكَماً ؛ لمكان الآلة لا لذات التغني بالمباح.

وإذا كان غناء المتغني في خلوته لدفع الوحشة عن نفسه ففيه اختلاف الفقهاء، أجازه فريق بغير كراهة ؛ لأنه ليس على سبيل اللهو، احتجاجاً بما روى أنس بن مالك أنه دخل على أخيه البراء بن مالك ــ وكان من زهاد الصحابة ــ فوجده يتغنى. وكرهه آخرون وحملوا تغنيه على إنشاد الشعر المباح الذي فيه حِكَم ومواعظ ليس بمعناه المشهور، فهو كالذي في قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن ».

وقد قسم الغزالي السماع إلى محبوب كما إذا غلب على السامع حب الله تعالى ولقائه ليستخرج به أحوالاً من المكاشفات والملاطفات، وإلى مباح كأن كان عنده عشق مباح لزوجته، أو لم يغلب عليه حب الله تعالى ولا الهوى، وإلى محرم بأن غلب عليه هوى محرم.

وخالفه سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام فيمن لم يغلب عليه حب الله تعالى ولا الهوى فحكم بكراهة السماع في حقه.

وهذا التفصيل كله فيما إذا لم يكن الغناء لرجل من امرأة أجنبية ؛ إذ يحرم عليه سماعه منها ؛ لأن صوتها عورة. وقال بعض الفقهاء ليس بعورة، ولكن لا أثر لهذا الخلاف هنا

لاتفاق الكلّ على وجوب غضه. نعم، بحث بعضهم في أنه قد يكون له أثر في الصلاة إذا رفعت صوتها فقد تفسد صلاتها في قول القائلين إنه عورة، لكن نقل الرافعي في تقريراته على ردّ المحتار عن السندي : إنه ليس بعورة على الصحيح وإلا فسدت صلاتهن بالجهر ولا قائل به.

وقال ـــ رحمه الله ـــ : (ذِكْرُ الله تعالى ورسوله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ في الأغاني الفاسقة حرام، أما إنشاد الأقوال الحماسية النافعة في إزكاء روح الدفع عن الدين والكيان فحميد لا ضير فيه، بعد أن يكون « رجلاً » لا امرأة ولا أمرد جميلاً « وبشرط أن لا تصحبه آلات اللهو المحرمة ») أهـ. كلام الشيخ الحامد ـــ رحمه الله ـــ.

الفصل الرابع

في استماع النبي ﷺ الشعر وإنشاده في المسجد

عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت : « كان رسول الله ﷺ يضع لحسَّان منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح، ويقول رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد حَسَّان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله » أخرجه البخاري. وفي رواية أبي داود : فيقوم عليه (أي : على المنبر) يهجو من قال في رسول الله ﷺ وقال رسول الله : روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله » أخرجه الترمذي بنحو الأولى.

وعن عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي عن أبيه قال : « ردفت رسول الله ﷺ يوماً، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم. قال : هيه، فأنشدته بيتاً، فقال : هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال : هيه، حتى أنشدته مائة بيت ». وفي رواية قال : « استنشدني رسول الله ﷺ... وذكر نحوه، وزاد فقال : ـــ يعني النبي ﷺ ـــ : « إن كاد ليسلم » وفي رواية « فلقد كاد يسلم في شعره » أخرجه مسلم.

وعن جابر بن سمرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال : « جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تبسم معهم ». أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن عمر : « مر بحسان وهو ينشد في المسجد، فلحظ إليه شزراً، فقال: قد كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي

هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول : أجب عني، اللهم أيده بروح القدس ؟ فقال : اللهم نعم » أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلــوا بنــي الكفــار عن سبيلــه اليــوم نضربكــم علــى تنزيلــه
ضربــاً يزيــل الهــام عن مقيلــه ويذهــل الخليــل عن خليلــه

فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ؟! فقال رسول الله ﷺ : خَلِّ عنه يا عمر، فَلَهِيَ أسرع فيهم من نضح النَّبْل » أخرجه الترمذي والنسائي، قال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث « أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وكعب بن مالك بين يديه » وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك.

وعن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : « كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو فقال له رسول الله ﷺ. ويحك يا أنجشة ! رويدك سوقك بالقوارير » قال أبو قلابة : يعني النساء. وفي رواية قال : « كان للنبي ﷺ ــ حادٍ يقال له أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ : رُوَيْدك يا أنجشة ! لا تكسر القوارير » قال قتادة : يعني النساء. أخرجه البخاري ومسلم. وللبخاري قال : « كانت أم سليم في الثقل، وأنجشة غلام النبي ﷺ يسوق بهن، فقال النبي ﷺ: يا أنجشة ! رويدك سوقك بالقوارير ».

وللبخاري أيضاً قال : « كان النبي ﷺ في مسير فحدا الحادي فقال ﷺ : أرفق يا أنجشة ! ويحك بالقوارير ». ولمسلم بنحو الأولى ولم يذكر (حسن الصوت) وله في أخرى قال : « كانت أم سليم مع نساء النبي ﷺ، ويسوق بهن سواق، فقال النبي ﷺ : يا أنجشة ! رويدك سوقك بالقوارير » أخرجه البخاري ومسلم.

الفصل الخامس

في بعض ما تمثل به النبي ﷺ من الشعر

عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ﷺ : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ». أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قيل لها : « هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويتمثل ويقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد » أخرجه الترمذي.

وعن جندب بن عبد الله البجلي ـــ رضي الله عنه ـــ قال : « بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ أصابه حجر، فعثر فدميت أصبعه، فقال : هل أنت إلا اصبع دميت ؟! وفي سبيل الله ما لقيت » أخرجه البخاري ومسلم.

* * *

الفصل السادس

الشعر في خدمة المعركة

عن البراء بن عازب ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال يوم قريظة لحسان : « اهج المشركين فإن جبريل معك » أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : « استأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ في هجاء المشركين فقال رسول الله ﷺ : فكيف بنسبي ؟ فقال حسان : لأسُلَّنَّك منهم كما تسل الشعرة من العجين ». أخرجه البخاري ومسلم.

الفصل السابع

فيما يحمل عليه ما ورد في ذم الشعر أو في النهي عنه أو في النهي عن الترنم به

ورد في الشعر ذم وورد في الشعر مدح، وقد استثنى الله ــ عز وجل ــ في سورة الشعراء من المذمومين من اجتمع له إيمان وعمل صالح وذكر كثير وانتصار بعد ظلم، قال تعالى : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا** ﴾[1].

وقد رأينا أن الشعر كان في خدمة المعركة، ورأينا أن رسول الله ﷺ كان يستمع، وقد قصت علينا السيرة أن رسول الله ﷺ كان يجيب على خطيب بخطيب، وعلى شاعر بشاعر.

وكل ذلك يجعلنا نقول : إن ما ورد من ذم في شأن الشعر فإنه يحمل على نوع من الشعر، وما ورد من مدح في شأن الشعر فإنه يحمل على نوع من الشعر. يدل على هذا قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « إن من الشعر حكمة » أخرجه البخاري وأبو داود.

ومما ورد في ذَمّ الشعر ما رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلىء شعراً » أخرجه

(١) سورة الشعراء: (٢٢٤ ــ ٢٢٧).

البخاري ومسلم والترمذي وأخرجه أبو داود ولم يذكر « حتى يريه ». وما رواه عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — : أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً » أخرجه مسلم والترمذي، وما رواه أبو سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال : « بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ : خذوا الشيطان، لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً »[1] فهذا — والله أعلم — محمول على نوع من الشعر، من مثل شعر أهل الشرك أو أهل الفسوق، أو أنه كان يقال في غير الوقت المناسب.

---

(١) أخرجه: مسلم.

الفصل الثامن

في السيرة بين لغتين : لغة الرواية ولغة الشعر والحب ونماذج على ذلك

متى دخل الإنسان في الإسلام فقد وجبت عليه فرائض، ومن الفرائض التي تفترض على المسلم حب رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ». ومن الفرائض على المسلم أن يحب في الله ويكره في الله، وأن تكون عواطفه مع المسلمين وأن يحب ما أحب الله ورسوله، وأن يكره ما كره الله ورسوله، وأن يعظم شعائر الله. ومن ثَمَّ فإن الإسلام بالنسبة للمسلم لا يكوّن عقله فقط، بل يكوّن عواطفه.

وعلى هذا فالمسلم في أي قضية من القضايا له موقف قلبي وجداني، كما أن له موقفاً عقلياً فهو يكره الشرك والمشركين، والكفر والكافرين، والنفاق والمنافقين، كراهية عقلية وكراهية وجدانية. وهو ذو موقف عملي وعقلي ووجداني من أي قضية من قضايا الصراع بين الكفر والإيمان.

هذا موضوع مهم جداً يغفل عنه الكثيرون. وبناءً على هذا فالمسلم بالنسبة لسيرة رسول الله ﷺ ليس موقفه عقلياً فقط بل هو موقف وجداني كذلك.

فمولد رسول الله ﷺ عنده ونشأته وطفولته وشبابه وخلوته ودعوته وموقف الناس منه وإسراؤه ومعراجه وهجرته وغزواته وأحواله وأقواله ووفاته، كل ذلك له جانب عاطفي وجداني يتجاوز جوانب المعرفة المحض.

ترى لو أن إنساناً كانت عواطفه مع المشركين يوم بدر هل يمكن أن يكون مسلماً ؟ حتماً لا ؛ وإذن فالجانب العاطفي والوجداني من أحداث السيرة هو جزء من أجزاء الإيمان ولازم من لوازمه. ومن ثم فإن أي مسلم في العالم لا ينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ نظرته إلى بقية السير، ولا يتكلم عنها بلغة منفصلة عن لغة الحب، حتى وهو يعرض هذه السيرة عرضاً إخبارياً محضاً، فإن الجانب الآخر موجود ضمناً.

ولئن وجد من المسلمين من عرض للسيرة بلغة الأخبار أو التحليل أو التدليل دون أن تظهر القضايا العاطفية في كلامه فإن آخرين تكلموا بلغة الحب فقط عن كل قضية في السيرة. وحيثما وجد الحب وجد الشعر. ومن ثَمَّ فقد عبر المعبرون عن قضايا السيرة بلغة الحب شعراً، وهو جانب يعتبر مكملاً لأي حديث عن سيرة رسول الله ﷺ. فلئن كان خطاب الكافرين يقتضي تحليلاً وتعليلاً وتدليلاً، فإن خطاب المسلمين وكلام المسلمين عن رسولهم عليه الصلاة والسلام يقتضي حباً ووجداً.

ونحب في هذا الفصل أن نذكر نماذج على تكميل لغة الشعر والحب، للغة الرواية في تأدية حق رسول الله ﷺ.

— ١ —

قالت لغة الراوية : إن رسول الله ﷺ ولد في ربيع الأول وأن له نسباً يصل إلى إبراهيم — عليه السلام —.

وقالت لغة الحب والشعر :

لم تزل في ضمائـــر الكـــون تختـــار لك الأمهـــات والآباء

* * *

يقـــول لنـــا لسان الحـــال منـــه وقـــول الحـــق يعـــذب للسميـــع

* * *

فوجهي والزمـــان وشهـــر وضعـــي ربيـــع في ربيـــع في ربيـــع

* * *

إنمـــا موكب الربيـــع احتفـــاء كل عام بعيـــد مولـــد أحمـــد

ما كان ميلاد الرسول المصطفى إلا الربيع نضارة وتضوعا

* * *

يوم أغر كفاك منه أنه يوم كأن الدهر فيه تجمعا

* * *

يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه بمحمد وضاء

* * *

— ٢ —

وتحدثت الرواية عن رضاعه من حليمة وفصاله، وقالت لغة الشعر:

فأتته من آل سعد فتاة قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها وبنيها ألبانهن الشاء
أخصب العيش عندها بعد محل إذ غدا للنبي منها غذاء
وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء
وأتت جده وقد فصلته وبها من فصاله البرحاء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الأحشاء
فارقته كرهاً وكان لديها ثاوياً لا يمل منه الثواء

— ٣ —

وحدثتنا لغة الرواية عن حياته قبل البعثة، وعن زواجه بخديجة ــ عليها رضوان الله ــ وقالت لغة الشعر :

ألف النسك والعبادة والخلوة طفلاً وهكذا النجباء
وإذا حلّت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاء
ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء
فدعته إلى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكياء

— ٤ —

وحدثتنا لغة الرواية عن غار حراء ونزول الوحي على رسول الله ﷺ فيه، وقالت لغة الشعر :

يا مغاني حراء إذا مسها أول وحي أتى به جبريل
هزت ﴿ اقرأ ﴾ شماريخ ذراها ورجّها التنزيل
وتلقت جبال مكة أمر الله ﴿ اقرأ ﴾ أصداؤها تهليل
أيّ أمر هذا الذي اهتز منه السهل والوعر والفلا والتلول

— ٥ —

وحدثتنا لغة الرواية عن دعوة رسول الله ﷺ قومه وما عانى فيها، وقالت لغة الشعر :

ثم قام النبي يدعو إلى الله وفي الكفر نجدة وإباء
ويح قوم جفوا نبيّاً بأرض ألفته ضبابها والظباء

— ٦ —

وحدثتنا لغة الرواية عن الهجرة إلى الحبشة، وقالت لغة الشعر :

زاد طغيان قريش حدة فتباروا في اضطهاد المسلمين
فرأى بعضهم أن يخرجوا ويقروا عند قوم مؤمنين
عيسويين نصارى فمضوا للنجاشي فباتوا آمنين
هاجروا خوفاً على دينهم وهو فيض الله رب العالمين

— ٧ —

وحدثتنا لغة الرواية عن الإسراء والمعراج، وقالت لغة الشعر :

فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء

وترقى به إلى الرب قاب قوسين وتلك السيادة القَعْساءُ
فطوى الأرض سائراً والسموات العلا فوقها له إسراء
رتب تسقط الأماني حسرى دونها وما وراءهن وراء

— ٨ —

وحدثتنا لغة الرواية عن الهجرة كيف كانت، وقالت لغة الشعر :

ويمضي رسول الله والبيد حوله تطالعه أسرابها وسرابها
كاد أراه ثاني اثنين أمسيا على خطة ليست تهون صعابها
يقول له لا تخش فالله فوقنا ورحمته يهمي علينا انسكابها
وفي مكة تضري قريش وتغتلي بأضغانها مخزومها وكلابها
عدت مذاكيها وسلّت سيوفها وضجت بمحموم الحقود غضابها
واصوا على حطم النبي ودينه وتلك مُنّى أعيا قريشاً طلابها
نفا الأسد من أهليه عنه وسالموا عليه فهبت تبتغيه ذئابها
بي جلاه الله للخلق رحمة يضيء دياجير الوجود شهابها
ضاء به الأكوان شرقاً ومغرباً إلى يوم يطوى كالزمان كتابها
ى يثرب يهفو مجداً محاذراً فلما توفاها اطمأن اضطرابها
حاشد أقطاب القبائل حوله وخف إليه شيبها وشبابها

— ٩ —

وحدثتنا لغة الرواية عن استقبال الأنصار للرسول ﷺ المهاجر، وحدثتنا عن آثار هجرة، وقالت لغة الشعر :

لعذارى قد تجمعن له من كل حي
اطرات طائفات كالمها حول النبي
ن والدُّف بأيديهن في صوت ندي

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

بدأ التاريخ في الدنيا بملقى رحلِهِ
حل في أهل فأنسوه تجني أهْلِهِ

اعْلُ دين الله واطرق كل حيّ كل باب
واقطع الصحراء للمدن وبشر بالكتاب
أنت في المأمن فاهْدِ الخلق للحق اللباب

— ١٠ —

وحدثتنا لغة الرواية عما كان من تراحم بين المهاجرين والأنصار، وقالت لغة الشعر :

يا هجرة فجّرت حبّاً ومرحمة ... فالقوم فيها الأحباء الأخلاء
تقاسموا نعمات العيش وائتلفوا ... كما تآلف في الأجساد أعضاء
كل يرى لأخيه الخير أجمعه ... والخير موطنه الرهط الأعزاء
جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا ... فاستعذبوه ودنيا الود فيحاء
وطيبة الخير بيت ضم شملهم ... جلا له الدهر أبناء وآباء

— ١١ —

وتحدثنا لغة الرواية عن عودة الرسول ﷺ المهاجر فاتحاً، وتقول لغة الشعر :

هذا المهاجر لم ينم يوماً على ... ضيم .. ولم يخلد إلى الخذلان
هذا المهاجر عاد يوماً .. حوله ... خفق البنود وصولة الفرسان
ليقول للتاريخ : إنّها أمّة ... لم نرض بالتفريط في الأوطان

— ١٢ —

وتحدثنا لغة الرواية عن بدر، وقالت لغة الشعر :

وقف الحق وقفة عند بدر ... شحذت في الغيوب القضاء
وقريش في جيشها اللجب تسعى ... بين وهج القنا وزهو الحداء
وعيون النبي شاخصة ترقب ... في هدبها طيوف الرجاء
قُضِيَ الأمر يا قريش فسيري ... واندبي على الأشلاء
يوم بَدْرٍ يوم أغَرّ على الأيام ... باقٍ إن شِئْتِ أو لم تشائي

* * *

إيه يا بدر أطلقي واستعيدي ... ذكريات العلا رموز الخلود
وانفحينا من الهدى بعبير ... عبقري الشذى زكي الورود
إيه يا بدر فاصعدي بالمعاني ... وَلْيَبُدَّكِ الفرقان كل جحود

هذه نماذج على تكامل لغة الرواية والشعر في تأدية حق رسول الله ﷺ وحق سيرته من أجل إيجاد المعرفة الصحيحة والعاطفة الصحيحة، وكلاهما مرغوب، ولكل منهما محله.

الفصل التاسع

في خطاب الرسول ﷺ بعد وفاته

كثيرون ممن يهمهم تحرير التوحيد مما يخدشه لا يرتاحون أن يُخاطب رسول الله ﷺ في الشعر أو في النثر ؛ مخافة أن يكون في الخطاب معنى الوثنية أو الشرك، والحساسية في هذا الموضوع طيبة، فإن البعد عما يخدش التوحيد من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلمون.

غير أن علينا أن نلاحظ في هذا المقام أموراً :

أولاها : أنه ليس كل خطاب للرسول ﷺ ولو بعد وفاته يعتبر شركاً، بدليل أننا نقول في كل صلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

ثانيها : أن من أساليب العرب في التعبير : التخييل والتجسيم، فهي تفترض الميت حيّاً وتخاطبه، وتفترض الجماد حيّاً وتخاطبه، فإذا سلمت العقيدة وعرفت الحدود فلم تتجاوز فلا حرج.

ثالثها : أن العرب تستعمل في أساليبها التشبيه والاستعارة والكناية، فما كان واضحاً فيه مثل هذه المعاني واستعمل في حق رسول الله ﷺ فلا حرج.

رابعها : أن الشعر الذي رُثِيَ فيه رسول الله ﷺ من قبل أصحابه كان فيه بعض الخطابات له ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقد ذكر ابن هشام من شعر حسان في رثاء رسول الله ﷺ هذه الأبيات :

يا خيـــر من وطـــيء الـــحصى لا تبعـــد
وجهـــي يقـــيك التـــرب لهفـــي ليتنـــي
غيـــبت قبـــلك في بقيـــع الغرقـــد

* * *

أمسى نساؤك عطلن البيـوت فمـا يضربـن فوق قفـا ستـر بأوتـاد
يا أفضل النـاس إني كنت في نهـر أصبحت منه كمثـل المفـرد الصادي

* * *

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيهـا الرشيـد الـمسدّد
وبورك لحـد منك ضمّـن طيبـاً عليـه بنـاء من صفيـح منضد

إن هذه المعاني كلها تجعل الطريق مفتوحاً أمام الشعراء أن يبدعوا، وأن يتفننوا في القول، مع ثلاث ملاحظات :

أن يعرفوا أن الدعاء لا يجوز أن يتوجه به مسلم إلا لله، ذلك صريح بقوله تعالى : **﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ﴾**[1].

وأن يعرفوا أنه لا يصح أن يتجاوز برسول الله ﷺ الحدود التي نهى رسول الله ﷺ عن مجاوزتها.

وأن يبتعدوا عن أي معنى يمكن أن يُوجِد لبساً، وعليهم مع هذا كله :
أن يعرفوا حدود الأدب مع رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الرعد: (١٤).

الفصل العاشر

في الرمز

اعتاد الكثيرون من شعراء الحب والوجد أن يرمزوا بالكأس والخمرة لمعان، وأن يتحدثوا بلغة التأنيث إشارة إلى المحبوب ولو كان ذكراً، وقد سرى هذا إلى المحبين الإسلاميين من شعراء الوجد، وثارت حول ذلك معارك، فكم أنكر فقيه على شاعر، وما أكثر ما أنكر قلب الحكيم شطحات الشعر. ومع أننا نميل إلى أن تبقى هذه الأمور عند حدود، إلا أننا ندرك أن لهذه الاتجاهات أصلاً في زمن النبوة، فقد ذكر ابن هشام القصيدة التي أرسل بها كعب بن زهير إلى أخيه بجير عندما أسلم وفيها :

سقاك بها المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

وفي رواية :

شربت مع المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال ابن هشام :

((وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها فقال رسول الله ﷺ لما سمع (سقاك بها المأمون) : صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون)).

أقول : فههنا استعمل كعب كلمة الكأس وسقياها ولم يكن من رسول الله ﷺ إنكار

على ذلك ؛ وعندما أصابت زيد الخير الحمى، وعاده الناس، قال شوقاً إلى رسول الله ﷺ وأصحابه :

فليت اللواتي عدنني لم يعدنني ... وليت اللواتي غبن عني عُوَّدي

فهذا صحابي يستعمل لغة التأنيث إشارة إلى الذكور.

وهذا موضوع توسع به المتوسعون وضيق فيه المدققون ولقد أشار « إقبال » إلى مثل هذا رامزاً ومعاكساً الفقهاء :

أفتني أيها الفقيه وقل لي ... خمرة شربها علينا حلال

هل يجوز شربها في عرفات

إنه يريد شراب المحبة.

ولكن كم من الناس يدركون مثل هذا ؟

إن عمر الخيام لم يشرب خمراً قط فيما نعلم ــ كما حقق ذلك العالم العظيم سليمان الندوي ــ وكل كلامه عن الخمرة إنما المراد به الرمز، ولكن الغربيين ترجموه على ظاهره ونحن نقلناه عنهم فكان من آثار ذلك ما انطبع في أذهان الكثيرين عن عمر الخيام.

الفصل الحادي عشر

مهمة العلماء التصحيح الرفيق لا الرفض المطلق للغة الحب والشعر

أخرج البخاري عن الرُّبيع بنت معوّذ قالت : جاء النبي ﷺ فدخل حين بني عليّ، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن الدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن « وفينا نبي يعلم ما في غد » فقال : « دعي هذه الأمور وقولي بالذي كنت تقولين ». من هذا الحديث ندرك أن أدب العالم إذا حضر جلسة سماع ذكر فيه خطأ أن يصحح الخطأ دون أن يغير جو المناسبة، وقد كان شيخنا الشيخ محمد الحامد ــ رحمه الله ــ يحضر أحياناً جلسات السماع والإنشاد، ولكنه لا يسكت على خاطىء ولا على خطأ، وكثيراً ما كان يطلب من المنشد أن يستبدل كلمة بكلمة، وكثيراً ما كان يطلب منه أن يغير بيتاً أو عجز بيت، بينما يخرج البيت عن لبس أو توهم، حرصاً على عقيدة الناس وسلامة تصوراتهم.

الفصل الثاني عشر

في موضوع إحياء المناسبات

في عصرنا خمدت جذوة الكثير من المعاني، سواء في ذلك معاني الجهاد أو معاني الفرار إلى الله ومن ثَمَّ فقد اعتمدت الحركة الإسلامية الحديثة مبدأ إحياء المناسبات التاريخية لتحريك عواطف الخير عند المسلمين.

ففي السابع عشر من شهر رمضان يحتفلون بيوم بدر؛ لتذكير المسلمين بهذه المعركة؛ ولتحريك عواطف الجهاد وفي المحرم يحتفلون بالهجرة؛ لتذكير المسلمين بهذه الصفحات من السيرة؛ ولتحريك عواطف المسلمين نحو معرفة أن حب الإسلام فوق حبّ الأوطان. وفي شهر ربيع الأول يحتفلون، للتذكير بشمائل رسول الله ﷺ وميلاده وآثار الرسالة إلى غير ذلك.

ولم تنظر الحركة الإسلامية إلى هذا الموضوع إلا من زاوية احتياج المسلمين إلى مثل ذلك، فهو كالدواء وهو جزء من حركة البعث الإسلامي. وتحاول الحركة الإسلامية أن تتجنب في مثل هذا الموضوع ما يؤخذ على بعض الجهات فيما تقوله أو تعتمده في مثل هذه المناسبات.

وكثيراً ما كان لهذه الأمور بركتها في الدعوة والعمل والحركة.

وإذا كان هناك من أصل لمثل هذا الاتجاه فقد يكون في مثل اعتماد رسول الله ﷺ صوم عاشوراء، وفي مثل قوله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ عن يوم الإثنين: « ذاك يوم فيه ولدت » ولكن الحركة الإسلامية لا تحب أن تدخل في جدل في هذا الموضوع، فالأصل

في الأشياء الإباحة وإحياء هذه المناسبات بالكلمة العليمة، والتذكير الحكيم، والشعر السليم من الأخطاء، مما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين، فهو لا يخرج عن كونه اجتماعاً على خير، والاجتماع على الخير مشروع.

إن أحداً لا ينكر أن تدعو جهة من الناس لسماع صفحة من كتاب أو لقراءة شيء من العلم أو لليلة شعرية فذلك كذلك.

لقد كان الأستاذ البنا رجل صدق وثاقب نظر وإماماً في العلم، وكان يرى إحياء المناسبات الإسلامية في عصر مضطرب مظلم قد غفل فيه المسلمون وجهلوا فيه كثيراً من أمور دينهم، ومن كلامه ــ رحمه الله ــ في مذكراته :

« إحياء جميع الليالي الواجب الاحتفال بها بين المسلمين سواء بتلاوة آي الذكر الحكيم وبالخطب والمحاضرات المناسبة » ص ١٦٦

« وفي ذكرى الهجرة سنة ١٣٤٨ ... وقد ألقيت كلمة في هذا الحفل » ص ١١١

« وفي ليلة من ليالي الإسراء والمعراج كنت ألقي محاضرة بهذه المناسبة » ص ١٠٨

إن هذا الاتجاه الذي اتجهه الأستاذ البنا وغيره من دعاة عصرنا له أصله الكبير، فقد قال الله ــ عز وجل ــ لموسى :

﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾[1] وأيام الله هي أيام نعمه وابتلاءاته، أيام نصره وقهره، والمسلمون في عصرنا بحاجة إلى أن يتذكروا أيام الله التي مرت على هذه الأمة من مثل معارك رسول الله ﷺ، ومعارك الخلافة الراشدة، ومعارك المسلمين الخالدة، كمعركة حطين وعين جالوت والزلاقة وملاذكرد، فذلك يذكرهم بتاريخهم، ويحضهم على الاقتداء، ويرفع هممهم إلى الاقتداء، ويزيد من تصميمهم على تجاوز الواقع المؤلم، ويجعلهم أكثر جرأة في صراعهم مع أعدائهم المتكالبين عليهم.

وهذه تدخل في المباحات التي تنقلب إلى عبادات بالنية الحسنة، والمتشددون في مثل هذه الشؤون تشددهم في غير محله، فليس الأصل في الأشياء الحرمة، بل الأصل فيها الإباحة حتى يرد النص بالتحريم، وفهمهم لحديث « كل ما ليس عليه أمرنا فهو رد » فَهْمٌ خاطىء، فأمر المسلمين هو صريح الكتاب والسنة أو ما استنبط من الكتاب والسنة من خلال القياس أو الإجماع، والقياس على نوعين، قياس على علة ظاهرة وقياس على علة

---

(١) سورة إبراهيم: (٥).

خفية، والقياس على علة خفية تقتضيه روح الشريعة. وقد قال السيوطي في الحاوي للفتاوي : قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : البدعة في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد : البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة، وقال : والطريق في ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة. وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة إلى أن قال: وللبدع المندوبة أمثلة، منها أحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوف وفي الجدل، ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

الفصل الثالث عشر

في معركة المولد

مما استحدث خلال العصور الاحتفال بيوم ميلاد الرسول ﷺ وتوضّع حول هذا الموضوع عادات تختلف باختلاف البلدان. وقد تحدث ابن الحاج في مدخله عن كثير مما أنكره من عادات توضّعت حول المولد، ووجدت بسبب من ذلك وبسبب من غيره ردود فعل كثيرة حول هذا الموضوع فمن محرّم ومن مدافع، وقد رأينا أن لابن تيمية — رحمه الله — رأياً في غاية الإنصاف، فهو يرى أن أصل الاجتماع على المولد مما لم يفعله السلف ولكن الاجتماع على ذلك يحقق مقاصد مشروعة.

والذي نقوله : أن يعتمد شهر المولد كمناسبة يذكر بها المسلمون بسيرة رسول الله ﷺ وشمائله، فذلك لا حرج. وأن يعتمد شهر المولد كشهر تهيج فيه عواطف المحبة نحو رسول الله ﷺ فذلك لا حرج فيه، وأن يعتمد شهر المولد كشهر يكثر فيه الحديث عن شريعة رسول الله ﷺ فذلك لا حرج فيه.

وأن مما ألف في بعض الجهات أن يكون الاجتماع على محاضرة وشعر أو إنشاد في مسجد أو في بيت بمناسبة شهر المولد، فذلك مما لا أرى حرجاً فيه على شرط أن يكون المعنى الذي يقال صحيحاً.

إن أصل الاجتماع على صفحة من السيرة أو على قصيدة في مدح رسول الله ﷺ جائز ونرجو أن يكون أهله مأجورين، فأن يخصص للسيرة شهر يتحدث عنها فيه بلغة الشعر والحب فلا حرج.

ألا ترى لو أن مدرسة فيها طلاب خصصت لكل نوع من أنواع الثقافة شهراً بعينه فهل هي آثمة ؟ ما نظن أن الأمر يخرج عن ذلك.

فصل

في بعض أقوال العلماء في المولد

ــ من المعروف أن ابن الحاج في مدخله كان من أشد الناس حرباً على البدع، ولقد اشتد ــ رحمه الله ــ بمناسبة الكلام عن المولد على ما أحدثوه فيه من أعمال لا تجوز شرعاً من مثل استعمال لآلات الطرب، ثم قال : فآلة الطرب والسماع أيّ نسبة بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي منّ الله علينا فيه بسيد الأولين والآخرين. فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير، شكراً للمولى سبحانه وتعالى عَلَى ما أولانا من هذه النعم العظيمة، وإن كان النبي ﷺ لم يزد فيه عَلَى غيره من الشهور شيئاً من العبادات، وما ذاك إلا لرحمته ﷺ بأمته ورفقه بهم، لأنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان يترك العمل خشية أن يفرض عَلَى أمته رحمة منه بهم، كما وصفه المولى ــ سبحانه وتعالى ــ في كتابه حيث قال : ﴿ **بِالمؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[1] لكن أشار ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ للسائل الذي سأله عن صوم يوم الإثنين، فقال له ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « ذلك يومٌ ولدتُ فيه ». فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه.

فينبغي أن نحترمه حق الاحترام، ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة، وهذا منها لقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « أنا سَيِّدُ وَلَد آدم ولا فَخْر »، ولقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « آدم ومن دونه تحت لوائي » أ هـ.

---

(١) سورة التوبة: (١٢٨).

وفضيلة الأزمنة والأمكنة تكون بما خصها الله تعالى به من العبادات التي تفعل فيها لما قد علم أن الأمكنة والأزمنة لا تتشرف لذاتها، وإنما يحصل لها التشريف بما خصت به من المعاني.

فانظر ــ رحمنا الله وإياك ــ إلى ما خص الله تعالى به هذا الشهر الشريف ويوم الإثنين.

ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم، لأنه ﷺ ولد فيه. فعلى هذا فينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به وذلك بالاتباع له ﷺ في كونه ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات.

ألا ترى إلى قول البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ : « كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان »، فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله ــ عليه الصلاة والسلام ــ على قدر استطاعتنا) أ هـ.

٢ ــ ومعروفة شدة ابن تيمية وتشدده، ومع ذلك كان كلامه ليّناً في قضية المولد. ومن كلامه في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » : (وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى ــ عليه السلام ــ، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له. والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع. وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على أمثال هذه البدع، مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة، تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه.

واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع، وفيه أيضاً شر من بدعة وغيرها، فيكون ذلك العمل شرّاً بالنسبة إلى الإعراض عن الدين بالكلية، كحال المنافقين والفاسقين.

وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة. فعليك هنا بأدبين :

أحدهما : أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يعطيك، وأعرف المعروف، وأنكر المنكر.

الثاني : أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان. فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شرٍ منه، فلا تدعو إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرُّ من فعل ذلك المكروه. ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير فعوض

عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء. ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله، أو إلى خير منه. فإنه كما أن الفاعلين لهذه البدع معيبون قد أتوا مكروهاً، فالتاركون أيضاً للسنن مذمومون.

فتعظيم المولد واتخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم، لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد؛ ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: دعه. فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال) أهـ

٣ ـ وللسيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي رسالة مطولة أسماها: « حسن المقصد في عمل المولد » وهذه بعض فقراتها: عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، وأول من أحدث فعل ذلك صاحب أربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون، قال ابن كثير في تاريخه: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً ـ رحمه الله وأكرم مثواه ـ قال: وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلداً في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير النذير فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

وقال ابن خلكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية: كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق، واجتاز باربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زيد الدين يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب « التنوير في مولد البشير النذير » وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار. قال: وقد سمعناه على السلطان في ستة مجالس في سنة خمس وعشرين وستمائة، انتهى

وروى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي عن الشافعي قال: المحدثات من الأمور ضربان، أحدهما: ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة. والثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير

مذمومة وقد قال عمر ـــ رضي الله عنه ـــ في قيام شهر رمضان : نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لـم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى ـــ هذا آخر كلام الشافعي.

وهو (أي المولد وما يكون فيه من طعام) من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول، فإن إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان فهو من البدع المندوبة كما في عبارة ابن عبد السلام ..

ثم أتم السيوطي كلامه راداً على من أنكر المولد: وقوله: والثاني إلى آخره هو كلام صحيح في نفسه، غير أن التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التي ضمت إليه لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلاً لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة كما هو واضح، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع في ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح فهل يتصور ذم الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التي قرنت بها ؟! كلا، بل نقول أصل الاجتماع لصلاة التراويح سنة وقربة، وما ضم إليها من هذه الأمور قبيح وشنيع، وكذلك نقول أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، وما ضم إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع، وقوله مع أن الشهر الذي ولد فيه إلى آخره جوابه أن يقال أولا : أن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار شكر النعم، والصبر والسكون والكتم عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره، بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته، وقد قال ابن رجب في كتاب اللطائف في ذم الرافضة ـــ حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل قتل الحسين : لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً فكيف ممن هو دونهم.

ثم نقل الشيخ السيوطي كلام ابن الحاج وقال :

وحاصل ما ذكره أنه لم يذم المولد، بل ذم ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات، وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسناه فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن وإطعام الطعام وذلك خير وبر وقربة.

وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر عن عمل المولد

فأجاب بما نصه : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا. قال : وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا : « ويوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى ». فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله.

وأما ما يعمل فيه : فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً، بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى. انتهى.

قال السيوطي تعليقاً على كلام ابن حجر :

وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك، فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات، ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه المسمى « عرف التعريف بالمولد الشريف » ما نصه : قد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له : ما حالك ؟ فقال : في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي ماء بقدر هذا ــ وأشار لرأس أصبعه ــ وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبارضاعها له، فاذا كان ابو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ يسر

بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم.

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى « مورد الصادي في مولد الهادي » : قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثويبة سروراً بميلاد النبي ﷺ ثم أنشد :

إذا كان هذا كافـــراً جاء ذمـــه ... وتـــبت يداه في الجحيـــم مخلـــداً
أتـى أنـــه في يوم الاثنيـــن دائمـــاً ... يخفـــف عنـــه للسرور بأحمـــدا
فمـا الظـن بالعبـد الـذي طول عمـره ... بأحمـــد مسروراً ومـــات موحـــداً

قال الكمال الأدفوي في الطالع السعيد : حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود ابن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي نزيل قوص أحد العلماء العاملين كان يجوز بالمكتب في اليوم الذي فيه ولد النبي ﷺ فيقول : يا فقيه ! هذا يوم سرور، اصرف الصبيان فيصرفنا، وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره، وهذا الرجل كان فقيهاً مالكياً متفنناً في علوم متورعاً، أخذ عنه أبو حيان وغيره، ومات سنة خمس وتسعين وستمائة.

(فائدة) قال ابن الحاج : فإن قيل : ما الحكمة في كونه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول ويوم الإثنين ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر، ولا في الأشهر الحرم، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة وليلتها ؟ فالجواب من أربعة أوجه :

الأول : ما ورد في الحديث من أن الله خلق الشجر يوم الإثنين وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتد به بنو آدم ويحيون وتطيب بها نفوسهم.

الثاني : أن في لفظة ربيع إشارة وتفاؤلاً حسناً بالنسبة إلى اشتقاقه، وقد قال أبو عبد الرحمن الصقلي : لكل إنسان من اسمه نصيب.

الثالث : أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها، وشريعته أعدل الشرائع وأسمحها.

الرابع : أن الحكيم ـــ سبحانه ـــ أراد أن يشرف به الزمان الذي ولد فيه، فلو ولد في الأوقات المتقدم ذكرها، لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها. أهـ كلام السيوطي.

الفصل الرابع عشر

في تأكيد التحذير من أخطاء المحبين والشعراء

إذا كانت نشأة لغة الحب والشعر بالنسبة للسيرة النبوية وأحداثها عاديًا، بل شيئاً مرغوباً فيه ومطلوباً حدوثه، فإنه قد حدث خلال العصور أن وجد شعر فيه أخطاء شرعية، ووجدت لغة ادعت الحب وخرجت عن الشرع، ذلك ينبغي أن يصفى ويحرر ويحذر، ولكن علينا ألا ننسى أن لغة الشعر فيها مجاز وكناية واستعارة، وأن علينا أن نضع هذا في حسابنا ونحن نسير في عملية التصفية والتحقيق.

ولقد ذكرنا أن شيخنا الشيخ محمد الحامد كان يسمع الإنشاد ويستعذبه، وإذا حضر مجلساً من مجالسه بشكل عرضي فإنه كان يصحح للمنشدين، فتراه ينبه على أن هذا البيت لا يجوز قوله أو لا يجوز حمله على شأن معين، وهذه كلمة ليست صحيحة في محلها وكان ــ رحمه الله ــ شاعراً فكان يستبدل بيتاً ببيت وكلمة بكلمة ؛ لكي يستقيم المعنى على مقتضى الشرع، ولم نزل نوصي إخواننا أن يتخيروا لإنشادهم ما لا ينكره عليهم محقق مدقق ولا فقيه متعمق، وأن يبتعدوا عن المشتبهات والملتبسات، وأن يقللوا من جلسات الإنشاد، وأن يجمعوا معها ذكراً وعلماً. وإنما تساهل الشيوخ في نوع من الإنشاد في بعض مجالسهم أسوة برسول الله ﷺ، فلقد كان يسمع الحداء في السفر والعمل، ويسمع الشعر في بعض أوقاته، ولأن الشعر المنتقى يحرك في القلب معاني طيبة كالشوق والمحبة لله ولرسوله ﷺ ثم إنه يشكل البديل المباح للغناء المحرم أو المكروه، والإنسان مفطور على حب الصوت الحسن والمعنى الجيد، وللأمم طرائقها في الأداء الغنائي، ومن ههنا وجدت الأنغام المستعذبة التي يلحظها المنشدون، ونحن لم نُقيّد إلا

في القرآن بأن نؤديه على طرائق العرب في الأداء، وهذا الذي استقرأه علماء القراءات والترتيب وضبطوه ـــ فجزاهم الله خيراً ـــ إذا ذكروا ما هو محل الحرج في ذلك.

الفصل الخامس عشر

في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ

قلنا في مقدمة هذا الكتاب : إن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب من أسباب التنوير الذي يخرج قلب المسلم من كل ظلمة، سواء في ذلك ظلمة الحيرة أو الشك أو الشهوة أو الفسوق، وذلك لأن من صلى على رسول الله ﷺ صلى الله عليه، ومن صلى الله عليه أخرجه من الظلمات إلى النور.

﴿ الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾[1]

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾[2]

ولقد قال كبار العارفين : إن من فاته أن يتتلمذ على المرشدين الكمل فإن الصلاة على رسول الله ﷺ تكفيه مع طلبه العلم الشرعي من أهله.

ولقد كان شيخنا الشيخ محمد الحامد يوصي تلاميذه بألا يمر على الواحد منهم يوم إلا وصلى على رسول الله ﷺ ألف مرة كحد أدنى. ولقد ندب رسول الله ﷺ بعض الصحابة أن يلازم الصلاة على رسول الله ﷺ فذلك يكفيه ما أهمه من أمر دنياه وأخراه.

وهذه نصوص عن رسولنا ﷺ تحض على ذلك :

---

(١) سورة البقرة: (٢٥٧).

(٢) سورة الأحزاب: (٤٣).

(أبو هريرة) رفعه : « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ». أخرجه أبو داود وسكت عنه وأيضاً المنذري.

(أبو سعيد) قلنا : يا رسول الله ! هذا السلام عليك، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم » (للبخاري والنسائي).

(طلحة) أن رجلاً قال : كيف نصلي عليك يا نبي الله ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد » (للنسائي).

(أبو حميد الساعدي) قالوا : يا رسول الله ! كيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » (للستة إلا الترمذي).

(أنس) رفعه : « من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات » (للستة إلا النسائي).

(أبو مسعود البدري) : « أتانا النبي ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك ؟ فسكت حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم ».

وفي رواية : « وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد »، وفي أخرى : « اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد » (للستة إلا البخاري).

(ابن أبي ليلى) « لقيني كعب بن عجرة، فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله ! قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك ؟ فقال قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد

مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد ». (للستة إلا مالكاً).

(أبو طلحة) « أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا إنا لنرى البشرى في وجهك، قال : إنه أتاني الملك فقال يا محمد ! إن ربك يقول : أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً » (للنسائي. رواه أيضاً أحمد، وابن أبي شيبة، ورمز السيوطي لصحته).

(ابن مسعود) رفعه : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة » رواه البخاري في التاريخ، وابن حبان وصححه، وقال الترمذي : حسن غريب وفيه موسى الزمعي، قال النسائي : ليس بقوي لكن وثقه ابن معين وأبو داود.

(علي) رفعه : « البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليّ » للترمذي، وقال : حسن صحيح غريب. وقد صححه ابن حبان والحاكم.

(ابن مسعود) رفعه : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام » للنسائي. رواه أيضاً أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. وقال العراقي : الحديث متفق عليه دون قوله سياحين.

(عبد الله بن دينار) : « رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر » لمالك.

(محمد بن يحي بن حبان) عن أبيه عن جده : « أن رجلاً قال : يا رسول الله أجعل ثلث صلاتي عليك ؟ قال : نعم إن شئت. قال : الثلثين ؟ قال : نعم. قال : فصلاتي كلها ؟ قال : إذاً يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك » للكبير. وإسناده حسن

(كعب بن عجرة) : أن النبي ﷺ خرج يوماً إلى المنبر فقال : حين ارتقى درجة : آمين، ثم رقي أخرى فقال : آمين، ثم رقي الثالثة فقال : آمين، فلما نزل عن المنبر وفرغ، قلنا : يا رسول الله ! لقد سمعنا منك كلاماً اليوم، قال : وسمعتموه ؟ قلنا : نعم، قال : إن جبريل عرض لي حين ارتقيت درجة، فقال : بَعُد من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما ولم يدخل الجنة. قلت : آمين وقال : بَعُد من ذُكِرْتَ عنده فلم يصل عليك فقلت : آمين، ثم قال : بَعُد من أدرك رمضان فلم يغفر له.فقلت : آمين ».

إن من أكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ صَفَا قلبه، واطمأن ببرد اليقين لُبُّه، واستقرت في قلبه معاني محبته ﷺ فأصبح أقرب إلى الاقتداء والتأسي، بل يحدث

لبعضهم أن يستشعر من قوة الوجد ما لا تغيب عنه شخصية رسول الله ﷺ، وتكثر رؤاه لرسول الله ﷺ في نومه، وهذه بركة ما بعدها بركة.

(أبو هريرة) رفعه : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو فكأنما رآني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي » للشيخين وأبي داود والترمذي.

(أبو قتادة) رفعه : « من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتراءى بي » للشيخين.

الفصل السادس عشر

في الأسباب الحاملة على كتابة هذه الفصول، وماذا نريده بها ؟

إن عصرنا جفت فيه العواطف الراقية، وقامت للعواطف الأخرى أسواق وأسواق، ومن جملتها أسواق الغناء، وللغناء تأثير في تكوين النفوس لا ينكره إلا خاطىء، وإذا كان الغناء الشهواني هو الذي يغلب على الإذاعات والحفلات وتتلقاه الأنفس، فإن آثار ذلك خطيرة، وخلال التاريخ الإسلامي حاول الحكماء أن يوجدوا البديل، فكان البديل هو الإنشاد المتميز في الأسلوب والمعنى، فأصبح الغناء علماً على الفسوق، وأصبح الإنشاد طريقاً لمن يحب الصوت الحسن من أهل التقوى. وككُلّ شيء لا يضبطه العلم ويرافقه التصحيح الدائم توضّع حول السماع من الخطأ والبدع الكثير فقامت ردود فعل علمية عنيفة ضده وضد أهله، فاختلطت الأوراق وأصبحت تحتاج إلى فرز وتصفية.

نحن بحاجة إلى شِعْرٍ يحرّك العواطف الخيرة، وبحاجة إلى إنشاد يهيج عواطف الوجد والمحبة والخير والجهاد، وبحاجة إلى أن ينضبط ذلك كله بضوابط لا تخرج هذا الأمر عن حدّه.

ومن هذه الضوابط ألا يصبح مثل هذا شغلنا الشاغل، بل أن يبقى مثل هذا كالملح بالنسبة للطعام. وأن يبقى سماعنا الرئيسي للقرآن، ومن تأمل في حياة الأصحاب عرف مثل هذا، وفي الحديث الذي ذكره ابن كثير وعزاه إلى ابن مردو يه وإلى النسائي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجليه على

الأخرى يتغنى ويدع البقرة يقرأها ، فإن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصغر البيوت الصفر من كتاب الله ».

وأخيراً :

إن الحديث عن رسول الله ﷺ بلغة العقل مطلوب ابتداء. وإن الإيمان العقلي برسول الله ﷺ مطلوب ابتداء وانتهاء، ولكنه لا يكفي، فلا بدّ من إيمان عاطفي، ولا بدّ من حب. ومتى وجد الحب فقد وجد الشعر ومن أجل التذكير بهذه المعاني كتبنا هذه الفصول القصيرة للتذكير بهذ الجانب.

فكتبنا فَصْلاً عن محل حب رسول الله ﷺ في قضية الإيمان، وكتبنا فصلاً عن الشعر في الإسلام وفي حياة رسول الله ﷺ، وكتبنا فصلاً عن الحديث العقلي والحديث العاطفي، وأن المسلم عقلاني في قضية الإيمان ولكنه عاطفي كذلك، وأن الدعوة خطاب للعقل وللعاطفة وحديث عنهما.

كما كتبنا فصلاً عن نماذج من لغة الحب والشعر. والحديث عن لغة الحب والشعر جرنا إلى الحديث عن الواقع وكيف أن العاطفة فاترة والجهل كثير وهذا يقتضي علاجاً، وهذا جرنا إلى الحديث عن إحياء المناسبات وضرورتها، وهذا جرنا إلى الكلام عن المولد وما رافقه والحكم الشرعي فيه، ولقد كتبنا هذا البحث المختصر في زحمة من الأعمال ففاتنا فيه الكثير مما نحرص عليه فيه ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الرسالة التاسعة

السيرة بلغة الحب والشعر

الرسالة العاشرة :

الإجابات



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

لا تتاح لي بسبب ظروفي المتقلبة أن أختلط بالناس كثيراً أو أن أوجد شبكة من العلاقات المنتظمة معهم، كما لا تتيح لي ظروفي أن أراسل من يرغبون في مراسلتي أو الاستفسار منّي عن موقف أو رأي أو مناقشتي في خطأ أو تصرّف، إلا أنّني أتتبّع ما يقال مما يوجّه إليّ أو إلى كتبي من نقد، ونتيجة لهذه التتبعات فقد قررت أن أكتب مذكّرات وأن أكتب هذه الإجابات، المذكّرات لتوضيح المواقف والإجابات للرد على الاعتراضات، وقد اخترت هذه الصيغة ــ صيغة السؤال والجواب في رسالة الإجابات ــ حتّى لا يظن ظان أنّني كتبت بردود فعل، فذلك ما أحاول أن أمنع نفسي منه.

وقد لاحظت أنّ كثيراً من الذين يهاجمونني يتهجّمون على شخصي الضعيف بعنف يحوي في طيّاته كثيراً من الشحناء، وهذا الذي أتجاوزه عنهم وأرغب فيه إليهم أن ينزّهوا أنفسهم عنه فإنّه من مخاطر الطريق إلى الله ومزالقه، فطريق أهل الإيمان مع بعضهم رفق ولين ومحبّة ومودّة، وإذا قرّرت أن أتجاوز أي إساءة لشخصي فلا أقف عند هذه الملاحظة.

أما ملاحظتي على ما يوجه لكتبي من نقد فهي :

أولاً : إنّ كثيراً من الناس يهاجمونني بما لم أقله، فإذا تحدّثت عن فكرة ما متبنياً لها

جاءوا بفكرة أخرى بجانبها لا أتبناها وهاجموا الفكرة الثانية، وكأنّني أتبناها، موهمين بذلك القارىء أنّني صاحب الفكرة الثانية وهذا النوع من التدليس والتمويه والخداع لا أرضى لنفسي به ولا لإخواني المسلمين.

ثانياً : نجد بعضهم يدافع عن قضيّة ويهاجمني على نقيضها موهماً أنّني لا أقول بما يدافع عنه بل أقول بنفيه وواقع الحال أنّني لا أختلف وإيّاه على النقطة التي يدافع عنها وهذا كذلك خداع وتمويه.

ثالثاً : كثيراً ما يحشد بعض هؤلاء أدلّة على شيء ليس هو محلّ البحث، فمن قرأ لهم أدلّتهم ظنّ أنهم مستوعبون لما يناقشون، وأن حجّتهم فيه تسندها النصوص والأصول، وواقع الحال أنهم يتكلمون عن شيء آخر لا أكون متعرّضاً له أصلاً.

رابعاً: كثيراً ما أفتقد الدقّة عند هؤلاء الذين يتهجمون عليّ، دقّة الفهم عني، ودقة النقاش فيما يهاجمونني فيه، فأنا بفضل الله أتخيّر عباراتي بما لا يؤاخذني عليه فقيه عليم وهم يفهمون من عباراتي ما لا تحتمله ثم يناقشونني بما فهموه لا بما هو فحوى العبارة ونصها. والحقيقة أنّ بعضاً من هؤلاء هالهم أن يوجد في ساحة العمل الإسلامي من يقول الكلمة المعتدلة التي تردّ الناس من الغلو إلى القصد، وقد دأبوا على الغلو فاندفعوا بغلوهم المعهود في هجوم غال مسرف لا يقبله منهم إلا أمثالهم، ولذلك فكرت طويلاً في ألا أردّ على هؤلاء ثم وجدت المصلحة الإسلامية تقتضي كلاماً فكتبت هذه الرسالة ليعرف من اطلع على كلامهم أو سمعه أين نحن وأين هم ؟ وأن الخلاف ليس بيني وبينهم بل هو خلاف بينهم وبين هذه الأمّة فيما استقر عليه ضميرها وإلا فإن أمثال هؤلاء عندما يهاجمونني ويهاجمون معي أمثال حسن البنا والغزالي في قضايا نرى فيها نفس الرأي الذي رآه أمثال النووي والسيوطي، فإن أي عاقل يعرف أين مثل هؤلاء المهاجمين؟ وأن الهجوم عليّ مادمت في صف هؤلاء العلماء الفقهاء لا يضيرني.

إنني أعتقد أن هناك نقاطاً ليست محلّ خلاف بيني وبين هؤلاء، وإن حاولوا أن يجعلوها نقاط خلاف، أمّا نقاط الخلاف الرئيسيّة التي اشتدّ عليّ هؤلاء فيها في الحقيقة هي :

أولاً : هل يحقّ للمسلم أن يتفقّه على مذهب إمام أو لا ؟

ثانياً : هل يسع المسلم غير المجتهد أن يمشي على مذهب إمام من الأئمة ولو لم يعرف دليله أو لا ؟

ثالثاً : هل يصح الاجتماع على الذّكر أو لا يصح ؟ ..

رابعاً : هل يجوز أن يذكر الإنسان الله باسمه « الله » أو لا يجوز ؟

خامساً : هل أمثال النووي والسيوطي من الراسخين في العلم إذا أولوا آيات الصفات كَفَرَةٌ أو ضلّال أو لا ؟

سادساً : هل يسع المسلم في آيات الصفات وأحاديثها الإيمان والتسليم مع التنزيه أو لا ؟ وهل هي من المتشابه كما يقول حسن البنا وكغيره من العلماء أو لا ؟

سابعاً : هل الإخوان المسلمون في الإطار الذي أقامهم عليه حسن البنا يعتبرون من الطائفة الظاهرة على الحقّ أو لا ؟

ثامناً: هل يجوز تحسين الظن والثناء على جماعة الدعوة والتبليغ أو لا ؟

تاسعاً : هل كل صوفي كافر أو أن الصوفية أنواع فمنهم من هو على خير ومنهم من ليس كذلك ؟

عاشراً : هل كل كلمة قالها الصوفية ضلال أو أن هناك هدى في أقوالهم فإن تخيرناه، نستطيع الاستفادة منه ؟

حادي عشر : هل التصوف علم من العلوم أو لا ؟

ثاني عشر : هل هناك ضرورة لدراسة العقائد الإسلامية فيما استقرت عليه كي لا ينهج المسلم نهج فرقة ضالة أو لا ؟

ثالث عشر : هل العمل الإسلامي المعاصر يحتاج إلى إطار تنظيمي وحركي واجتهادات تناسب العصر أو لا ؟

رابع عشر : هل في إحياء علوم الدين للغزالي والرعاية للمحاسبي خير كثير يمكن الاستفادة منه أو لا ؟

خامس عشر : هل الطائفة الظاهرة على الحق هم أهل الحديث وحدهم أو يدخل فيهم غيرهم، وهل هم الجماعة وحدهم أو يدخل فيهم علماء الدراية من أهل السنة والجماعة ؟

سادس عشر : هل يجوز الثناء على أهل الفضل بما هو فيهم أو لا ؟

إن هذه النقاط تقريباً هي لباب الخلاف، وهي التي بسبب موقفي منها اشتد هؤلاء عليّ ولم يشتدوا إلا بسبب غلوّ نشأوا عليه وفهم قاصر دأبوا عليه وعصبيّة عمياء ربّوا عليها وكلمات من الحق أرادوا بها باطلاً عاشوا عليها ويشوشون على الأمّة بها، فهم كغيرهم من أصحاب الشعارات البراقة يأتون إلى مسلّمة من المسلمات فيطرحونها ثم يحاولون أن يسيروا بالمسلم بعد ذلك إلى متاهات.

يرفعون شعار الكتاب والسنة ــ أفديهما بنفسي ــ ثم يحاولون أن يشككوا المسلم بكل ما استقر عليه ضميره من الثقة بالأئمة والعلماء والأولياء والصالحين والدعاة، حتى لو

أنّك أخذت كلامهم لوصلت إلى نتيجة أنه لا يدخل الجنّة من المسلمين إلا هم وأفراد في كل عصر من أمثالهم، إنني أتمنى من كلّ مسلم سمع كلامهم أن يأخذ كتبي ويقرأها ليرى هل لهؤلاء من حجّة. فليقرأ كتابنا : جولات في الفقهين الكبير والأكبر، وكتابنا : تربيتنا الروحيّة. ثم ليحكم بعد ذلك على الأفق الذي ننطلق منه والأفق الذي ينطلقون منه.

وهذه الرسالة التي صغناها على طريقة السؤال والجواب تعطيه تصوراً عن محل الخلاف، وتعطيه تصوراً عن موقفنا وموقفهم وما نريد وما يريدون، وهي في الوقت نفسه توضح كثيراً ممّا يشغل بال المسلم ويجب أن يطمئن إليه، ولولا إيماننا بفائدتها ما عرجنا على الرد، فالله عز وجلّ يدافع عن الذين آمنوا :

﴿ **فأمّا الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾[1]. ولم تزل أعلام الشبهة منكوسة ولم يزل أعداء العلماء والأولياء وجوههم مظلمة فسيماهم تدل عليهم.

إنّني بفضل الله عز وجل لا أتّجه إتجاهاً إلا إذا كان له دليل في الكتاب أو السنّة أو كليهما، وأعرف دوائر الاختلاف الجائز، وفي أي قضية هي محلّ خلاف لا أتجه إلا حيث وجدت أمامي إماماً من أئمة الفتوى المعتبرين ممّن هم محل القدوة، ولذلك فإنّني مطمئن إلى أن ما أدعو إليه هو محلّ القبول إن شاء الله عز وجل، وإذا كان هناك من لا يعجبه شيء فحسبي أن هناك من يستفيد في الله ولله.

ونستطيع أن نجمل ما هُوجِمنا به تحت أربعة أبواب :

فبعضه له علاقة بأفكارنا حول جماعة المسلمين وجماعة الإخوان المسلمين والطائفة المنصورة وحول حسن البنا رحمه الله وشيخنا الحامد.

وبعضه له علاقة بالذكر والاجتماع عليه.

وبعضه له علاقة بموقفنا من الفقه والتصوّف.

وبعضه له علاقة بكتبنا ومكتبتنا.

فاقتضى منّي هذا أن أجعل هذه الرسالة في أربعة أبواب :

الباب الأول : في الجماعة والطائفة وفي الإخوان وحسن البنا.

الباب الثاني : في الذكر والاجتماع عليه وما يحيط به.

الباب الثالث : في الصوفيّات والفقهيّات.

الباب الرابع : في الدفاع عن كتبنا.

---

(١) سورة الرعد: (١٧).

الباب الأول

توضيحات في قضايا الجماعة والطائفة المنصورة وفي أمر الإخوان المسلمين وحسن البنا وشيخنا الحامد رحمهما الله

مقدمة الباب

أثار بعضهم زوابع حول كلامنا عن الإخوان المسلمين وعمّن هم جماعة المسلمين وحول ثنائنا على الأستاذ البنا رحمه الله وعلى شيخنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله، وقد رأينا أن نوضح ذلك، فإن كان كلامنا في الأصل ملتبساً أو غير واضح فهذا التوضيح يشفي الغليل، وإن كان من تهجم قد ظلم فليعرف المسلمون وجهة نظرنا، وقد اضطرنا الدفاع للكلام عن بعض وجهات نظر كنّا نتجنّبها لما في الحديث فيها من مراق قد لا يستطيع أن يصعد لها كلّ أحد ممّا يؤدي إلى فتنة القارىء ولكنّا لمسناها اضطراراً برفق ونسأل الله الحفظ من الزلل والعفو والمغفرة وها نحن نبدأ عرض الأسئلة والأجوبة في هذا الباب :

س ١ ــ يثور جدل حول فكرة جماعة المسلمين من هي ؟ أرجو البيان :

جـ ١ ــ من أهم الأمور التي يجب أن يعرفها المسلم في عصرنا وفي كل عصر فكرة الجماعة ومن هم الطائفة المنصورة ومن هم أهل الحق ؟ لما يترتّب على الجهل في ذلك من مفاسد ولما في ذلك من إشكالات.

إن هناك نصوصاً تذكر أن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فمن هذه الفرقة ؟ بالاتفاق هي التي تسمّى أهل السنة والجماعة. فمن يدخل في أهل السنّة والجماعة ؟

يدخل في أهل السنة والجماعة كل من آمن بالكتاب والسنّة ولم يسر على متشابه ويترك المحكم، فبنص القرآن علمنا أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه:
﴿ فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾[1].
وبإجماع أهل السنة والجماعة على اختلاف من يدّعي بالنسبة إلى هذا الإسم، فإن المعتزلة والخوارج والشيعة والمرجئة وفرق الباطنية والمشبهّة من الفرق الضالّة.

وعلى هذا فكل نص اتكأ عليه هؤلاء ممّا يعارض محكماً فبالإمكان اعتباره متشابهاً ومن ههنا نقول : لا إنكار على حسن البنا وأمثاله من العلماء إذا اعتبروا آيات الصفات من المتشابه لأن المشبّهة اتبعوها وتركوا النصوص المحكمة التي تفيد التنزيه، وكذلك لا محل للإنكار على المسلم الذي يرى الإيمان والتسليم والتفويض والتنزيه في الآيات والأحاديث التي تتحدثّ عن الذات الإلهية وظاهرها التعارض مع غيرها من النصوص، فالنصوص التي ظاهرها التعارض إما أن يكون موقفك منها ما مر وإمّا أن تؤول هذه أو هذه من مثل قوله تعالى : **﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾**[2]. ومعه مثيل قوله تعالى : **﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾**[3]. فمن قال : نؤمن بالاستواء وأنّه ليس كمثله شيء ونؤمن بالمعية وأنّها ليس كمثلها شيء أخذاً من قوله تعالى : **﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا ﴾**[4]. فذلك لا حرج عليه، كما أنه لا حرج على الراسخين في العلم من أمثال النووي والسيوطي إذا أوّلوا أخذاً من قوله تعالى : **﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾**[5]. وعلى هذا فكل هؤلاء من أهل السنة والجماعة لأنّهم آمنوا بالكتاب والسنة واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه وحملوه على المحكم، بينما الفرق الضالة سارت وراء المتشابه وعطلت المحكم وعندي أن كل فهم ضال لنص من

---

(١) سورة آل عمران: (٧).
(٢) سورة طه: (٥).
(٣) سورة الحديد: (٤).
(٤) سورة آل عمران: (٧).
(٥) سورة آل عمران: (٧).

النصوص نستطيع معه أن نسمّي هذا النصّ بالنسبة لهؤلاء متشابهاً فكأنّ المتشابه قضية نسبيّة فقد يكون نصّ بالنسبة لجميع الفرق محكماً إلا فرقة ضالّة فهمته فهماً خاطئاً فضلّت بذلك فيكون هذا النص في حقّها متشابهاً، فمثلاً ممّا ضلّ به ناس في عصرنا أن حملوا قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمّة أخرجت للناس ﴾[1]. على تأكيد العصبيّة للقوميّة العربية، بينما هذا النص في المسلمين من العرب وغيرهم فهذا النصّ الذي موّهوا به على بعض العامّة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله يمكن أن تعتبره متشابهاً في حق هؤلاء بالنسبة لنصوص أخرى.

فأهل السنة والجماعة هم المؤمنون بالكتاب متشابهه ومحكمه، ولا يسيرون وراء متشابه تاركين بسببه المحكم، ويدخل في أهل السنة والجماعة كل من كان كذلك من أهل الرواية والدراية ومن تابعهم، ويدخل في ذلك حملة القرآن ويدخل في ذلك أهل الحديث ويدخل في ذلك العلماء والفقهاء والأئمة، ويخرج من ذلك بعض أهل الحديث وعلماء الفرق الأخرى.

وقد استقر ضمير هذه الأمّة على أن أبا حنيفة والشافعي ومالكاً وأحمد بن حنبل والنووي والسيوطي وابن حجر العسقلاني من أئمّة أهل السنة والجماعة، كما استقر ضمير الأمّة المسلمة على أن هناك دوائر من الاختلاف لا تخرج أصحابها من كونهم من أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة يدخل فيهم أئمتهم وعامتهم الذين يتابعون هؤلاء الأئمّة، ومع أنهم هم الفرقة الناجية في الجملة لكن بعضهم يواقع المعاصي الظاهرة والباطنة، فقد يوجد في أفراد منهم الحسد والكيد كما يوجد في أفراد منهم الزنا وشرب الخمر، لكن هذا لا يخرجهم من حيث الاعتقاد عن أنهم من الفرقة الناجية وإن استحقوا دخول النار بسبب من ذنوبهم.

فهذا أوّل ما يدخل في كلمة الجماعة في الاصطلاح.

فإذا كان لأهل السنة والجماعة خليفة راشد فمن بايعه ودخل في إمرته فهو من الجماعة وذلك اصطلاح ثان لكلمة الجماعة وحتّى لو كان للمسلمين خليفة جائر فلهم الالتفاف حوله ما دام يعترف لله بالحاكميّة ويقيم الصلاة، فالجماعة في الاصطلاح يدخل فيها مثل هذا لكنه اصطلاح ثان لكلمة الجماعة.

---

(١) سورة آل عمران: (١١٠).

وهذان الاصطلاحان مهمان في المعرفة والتطبيق لما يترتّب على الدخول في الجماعة بهذين المصطلحين أو عدم الدخول ما يترتب من أحكام دنيوية وأخروية، فمن لم يكن من أهل السنة والجماعة وكان على مذهب فرقة هالكة فهو من أهل النار إلا أن يتجاوز ربنا سبحانه وتعالى عنه، ومن لم يدخل في بيعة الإمام الراشد فهو ظالم ويستحق بذلك دخول النار إلا أن يعفو ربنا عنه، ومن لم يدخل في بيعة الإمام الظالم فالأمر في حقه واسع لكن الأفضل له الدخول والطاعة.

وهناك اصطلاح ورد في حديث يكاد أن يصل إلى حدّ التواتر :
« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ». فمن هي هذه الطائفة ؟ الملاحظ أن أئمة الحديث أدخلوا هذا الحديث تحت عناوين مختلفة فمنهم من أدخله في باب العلم ومنهم من أدخله في باب الجهاد وهذا الذي جعلني أقول :

إن كل من حمل الحق وجاهد من أجله يدخل في هذه الطائفة فيدخل في ذلك علماء الحديث والمفسرون والفقهاء والعلماء والدعاة والوعاظ والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمجاهدون في سبيل الله فكل من هؤلاء يدخل في هذه الطائفة.

وفي عصرنا حيث فقدت الخلافة فما هو المطلوب من الإنسان ؟

لا شك أنه يطالب أن يكون من أهل السنة والجماعة متنكبا آراء الفرق الضالة وأن عليه أن يكون من الطائفة الظاهرة على الحق، وابتداء أقول :

إن العلماء والدعاة والمجاهدين والقائمين في الخدمة الإسلامية ما داموا على مذهب أهل السنة والجماعة وما داموا قائمين بأمر العلم وخدمته والدعوة والنصيحة والجهاد فهؤلاء من الطائفة المنصورة على الحق.

وعندي أنه يدخل في ذلك من أهل عصرنا إخوان مسلمون وصوفيّون وسلفيّون وجماعة دعوة وتبليغ ومجاهدون وجمعيات إصلاحية وجمعيات خيرية فكل هؤلاء مظنة أن يكونوا من هذه الطائفة الظاهرة على الحق.

وقد يستحق بعض من هؤلاء دخول النار إما بسبب إثم ظاهر أو باطن أو بسبب ابتداع في العقيدة والعمل أو بسبب موقف ظالم من بعضهم أو بسبب غلو أو تطرف.

وهذا الكلام ليس جديداً فمن قرأ كتبنا لم ير تناقضاً بين ما أذكر هنا وبين ما ذكرته من قبل فأنا لا أقول : إنه لا يدخل في الطائفة الظاهرة على الحق الجهة الفلانية وحدها وإنما أذكر أن هذه الجهة أو تلك تدخل في هذه الطائفة.

ومن عادتي أن أركز كثيراً على فكر الأستاذ البنا وعلى جماعة الإخوان المسلمين، أما فكر حسن البنا فلاعتقادي أنه قدم أحسن اجتهاد للمسلمين من أجل أن يتحركوا لإقامة الإسلام في هذا العالم، ولقد أخرج الأستاذ البنا جماعته من إطار العصبية ووضع أقدامهم على الطريق الصحيح في التعامل مع الغير من المسلمين، كما شرحناه في أكثر من مكان، فاجتمع له اجتهادات صحيحة في الغالب وأقام جماعته على ضوئها، وجعل موقف جماعته من بقية المسلمين هو الموقف الأمثل ــ وكلامي هذا عن فكر الأستاذ البنا بالذات ــ أمّا مواقف من انتسب له فلا أدعي أنها دائماً تمثل اجتهاده، فها هو يجعل موقفه من المسلمين الآخرين الحب والدعم لكل ما هو إسلامي والحرص على الوحدة والاتحاد في الخير.

وأما تركيزي على دعوة الإخوان المسلمين فلأنه اجتمع في هذه الدعوة من الميزات الكثير لكن لم أقل : إنها جماعة المسلمين التي من خرج منها أو خرج عليها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن حمّلني ذلك يكون قد خلط بين كلامي عن جماعة المسلمين وبين كلامي عن جماعة الإخوان المسلمين، لقد انشقَّ عن الأستاذ البنا جماعة شباب محمد وأسسوا جمعيّة، فتوجه الأستاذ البنا وسجل نفسه في هذه الجمعيّة وبقي على مودّة لهم وكان يحاضر عندهم فلا هو ولا أحد من فقهاء الدعوة المعتمدين ادّعى أن جماعة الإخوان المسلمين هي جماعة المسلمين التي يفترض فريضة على كل مسلم أن يدخل فيها، أنا أدعو المسلمين ألا يتحسسوا منها وألا يمنعهم مانع من حسد أو كبر من الدخول فيها، لكن كان بعض شيوخنا ومنهم الشيخ محمد الحامد نفسه يرون أن المصلحة الإسلامية تقتضي من بعض الناس ألا يدخلوها بل أقول : إن هناك فروضاً كفائية لا تتحقق من خلال الإخوان فإذا تعين بعض الناس لهذه الفروض حرم عليهم أن يكونوا من الإخوان المسلمين.

المطلوب من مسلمي عصرنا أن يكونوا من أهل السنة والجماعة وأن يكونوا من الطائفة المنصورة وأن يتعاونوا من أجل إقامة فروض العين وفروض الكفاية من خلال الحب والإخاء والتنسيق ولا أشترط الوحدة التنظيمية، فقد يترتب على الوحدة التنظيمية في بعض الظروف ضرر ... وأحياناً قد تكون متعذره وحتى الآن لم تنجح وحدة العمل الإسلامي في أي قطر من الأقطار لأنها تحتاج إلى شروط كثيرة لا يدركها الراغبون فيها، وإذا أدركوها فنادراً ما يستطيعونها أو يستطيعون الاستمرار فيها.

أقول : ومن جملة فروض العين والكفاية العمل للوصول إلى الجماعة في المفهوم الثاني أي بأن يضم المسلمين كيانٌ جامعٌ وإمام مطاع، ومن هذه الحيثية أذكر أن الإخوان

المسلمين في الإطار الذي وضعهم فيه الأستاذ البنا ــ وأصر على هذا القيد ــ هم أقرب الجماعات لأن تكون جماعة المسلمين من حيث إنهم أقرب الجماعات القادرة من خلال نظريات الأستاذ البنا أن تصل إلى هذا الهدف، ولكن إذا فرط الإخوان في نظريات الأستاذ البنا أو لم يستطيعوا تمثلها أو لم يكونوا حجة على الخلق فيها أو دخلوا في خصومات مع الدعاة بدلاً من الحب أو أسرتهم العصبية الحزبية عن الانفتاح على المسلمين أو كانت نظراتهم السياسية قاصرة وحركتهم بطيئة فالذنب ذنبهم، والغيب لا يعلمه إلا الله، وأما من الذي سيكرمه الله عز وجل بالوصول إلى شرف الدنيا والآخرة فيحقق للإسلام نصراً بإذن الله، فهذا علمه عند الله عز وجل.

نقول في حديث الطائفة :

أخرج الحاكم حديث (لا تزال طائفة) بالنص التالي :

« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم الدجّال » وقد أخرج أبو داود حديث الطائفة تحت عنوان (باب في دوام الجهاد) فأشار بذلك إلى أن هذه الطائفة المنصورة هم المقاتلة المجاهدة وعند أحمد جاء قوله عليه السلام « لعدوهم قاهرين » وعند مسلم عن أبي أمامة « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » وقد ذكره مسلم في كتاب الإمارة خلال أبواب الجهاد، وهناك روايتان للدارمي لهذا الحديث أدخلهما الدارمي في كتاب الجهاد وترجم لهما « لا يزال طائفة من هذه الأمة يقاتلون على الحق » وجعل البيهقي هذا الحديث تحت عنوان « باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان » وفي حديث عن أبي هريرة في الأوسط للطبراني : « يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس.. » وقد عنون البخاري للحديث في موطن من كتابه « وهم أهل العلم » كل هذا جعلنا نقول : إن الطائفة المنصورة يدخل فيها كل من حمل الحق وجاهد من أجله سواء كان جهاد لسان أو جهاد سنان، ولذلك أدخلنا فيها في عصرنا الدعاة والعلماء والمجاهدين، فأدخلنا فيهم المحدثين وجماعة الإخوان المسلمين والعلماء وجماعة الدعوة والتبليغ والجمعيات الخيرية، فكل هؤلاء يحمل حقاً ويعمل من أجله وفي كل خير إن شاء الله، وما منهم أحد إلا على ثغرة من ثغور الإسلام لو أنه تركها لما استطاع الآخرون أن يملؤوها، ألا ترى أن الإخوان المسلمين يصلون إلى المثقفين أكثر من غيرهم، وأن جماعة الدعوة والتبليغ يصلون إلى أوطان وبيئات لا يصل إليها غيرهم، وأن بعض الأعمال الخيرية من فروض الكفايات لو تخلّى عنها أهلها لقصر المسلمون في شأنها.

نُقل عن الترمذي والشاطبي في تفسير الفرقة الناجية :

بعض الناس يستشهدون بما هو حجة عليهم ومثال ذلك أنه قد استشهد بعض الناس على حصر الجماعة والطائفة بأنهم أهل الحديث بتعليقين للترمذي والشاطبي وهما حجّة فيما ذهبنا إليه من تفسير الجماعة ابتداءً.

قال الترمذي : « وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث »[1].

وقال الشاطبي رحمه الله في تبيان من هي الفرقة الناجية : « وذلك أن الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يضموا إليهم فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم، فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبع لأنهم غير عارفين بالشريعة، فلا بدّ من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تمالأوا على مخالفة العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد أن اتباع جماعة العوام هو المطلوب وأن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث، بل الأمر بالعكس وأن العلماء هم السواد الأعظم وإن قلوا، والعوام هم المفارقون للجماعة وإن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم »[2].

فتمسّك أخي بمذاهب أهل العلم من أهل الرواية والدراية على ضوء ما ذكرناه تكن من أهل السنّة والجماعة، وأعظم أهل العلم أئمة الاجتهاد فتمسّك بغرزهم تنج.

تعليق :

هذان النقلان في موضوع الطائفة والجماعة يوصلاننا إلى اصطلاح ثالث لكلمة الجماعة نجدها في كلمة ابن مسعود التي رواها ابن عساكر بإسناد صحيح :

« الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك »

ونجدها في كلمة عبد الله بن المبارك كما أخرجها عنه الترمذي في سننه ٤/٤٦٧ : سئل عبد الله بن المبارك : من الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعمر. قيل له قد مات أبو بكر وعمر. قال : فلان وفلان. قيل له : قد مات فلان وفلان ؟ فقال عبد الله بن المبارك : أبو حمزة السكري جماعة. قال الترمذي : وأبو حمزة هو محمد بن ميمون وكان شيخاً صالحاً وإنما قال هذا في حياته عندنا.

أقول : إن هناك ناساً من حملة الحق من أهل العلم والصلاح تتمثل بهم صيغة الحق

(١) سورة سنن الترمذي (٤ / ٤٧٦).

(٢) الشاطبي في تبيان من هي الفرقة الناجية.

المتوارثة في الأمة علماً وعملاً فهؤلاء علم على الجماعة فحيثما كانوا تكون الجماعة، وهذا من فضل الله على هذه الأمة أن جعل لها من تعرف بهم الحق، وإن كان الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق، ولكن الله عز وجل جعل في هذه الأمة أعلاماً للهداية :

﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ :
« لو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكت شِعْبَ الأنصار ».

وإن الأمة الإسلامية لم تخل من أعلام هدى يطمئن الناس من خلال الاقتداء بهم على أنهم سائرون في الطريق الصحيح من مثل الأئمة الأربعة والغزالي في عصره والنووي في عصره وابن كثير في عصره وابن حجر في عصره والسيوطي في عصره وحسن البنا في عصره وشيوخ كثيرون في أقطارهم كالإمام السرهندي في الهند وشيخنا الحامد وشيخنا عبد الفتاح أبو غدة وشيخنا عبد الكريم الرفاعي وشيخنا حسن حبنكة في سورية المعاصرة.

وعلى هذا فكل من عرف الحقَّ وآمن به وحمله دون تقصير أو فسوق، فإنه يدخل في الجماعة بالمفهوم الأخير، ومن الفسوق أن يظلم المسلمون بعضهم بعضاً بالغيبة والتجريح الظالم، ومن الفسوق أن يبغض بعضهم بعضاً دون سبب شرعي، ومن الفسوق والتقصير ألا ينصر بعضهم بعضاً حيث يستطيعون النصرة.

س ٢ ــ عندما نتحدث عن الجماعة في عصرنا فبأي مفهوم نتحدث عنه ؟

جـ ٢ ــ رأينا أن كلمة الجماعة تطلق على ثلاثة اصطلاحات :

أولاً : الجماعة بما يقابل أهل الأهواء والمذاهب الفاسدة والفرق المنشقة.
ثانياً : الخليفة الراشد ومن اجتمع عليه.
ثالثاً : من تمثّل بهم الحق عقيدة وسلوكاً.

فأما الجماعة في المفهوم الأول فيطالب به كل مسلم.
وأما الجماعة في المفهوم الثاني فليست موجودة لفقدان منصب الخلافة.

---

(١) سورة النحل: (١٢٠).

وأما الجماعة في المفهوم الثالث فهو الذي ندندن حوله ولا نعطي لجهة أو لأفراد هذه الصفة إلا إذا توافرت شروط وأصبحت هذه الشروط متمثّلة في الأفراد أو في الجهة كأفراد وكمجموع وقد حاولت أن أستقرىء هذه الشروط في بعض كتبي وقد رأيت أن هذه الشروط متمثلة في الإطار النظري الذي دعا إليه حسن البنا رحمه الله فلولا أن إخوانه تمثلوا دعوته سلوكاً وتنظيماً وحركة وظهرت فيهم هذه المعالم فإنهم أقرب إلى معنى الجماعة في الفهم الثالث، وكونهم أقرب ما يكون إلى الجماعة في المفهوم الثالث لا يعني أنهم وحدهم هم الجماعة بل كل من أصبح علماً على الهدى اعتقاداً وصلاحاً فإنه كذلك.

س ٣ ــ هل تعتبرون جماعة الإخوان المسلمين هي جماعة المسلمين التي من فارقها يخلع ربقة الإسلام من عنقه ومن لم يدخل فيها ويعطها البيعة يموت ميتة جاهلية ؟

جـ ٣ ــ لعلك أخذت الجواب مما مر ومع ذلك نزيد الأمر وضوحاً :

إن مثل هذا الكلام لم يخطر على بال أحد من فقهاء دعوة الإخوان المسلمين وهؤلاء مرشدو الجماعة، بمن في ذلك مؤسسها حسن البنا رحمه الله لم يقل ذلك ولم يتعاملوا مع الذين انفصلوا عن الجماعة على أن الأمر كذلك لم يحكموا على من لم يدخل في الجماعة أي حكم يشير إلى ما ذكر.

كل ما في الأمر أنني أعتبر جماعة الإخوان المسلمين في الإطار الذي أقامها فيه الأستاذ البنا أقرب الجماعات إلى أن تتوافر فيها شروط جماعة المسلمين في المفهوم الثالث لكلمة الجماعة.

وإنما كانت جماعة الإخوان المسلمين في الإطار الذي أقامها فيه الأستاذ البنا أقرب الجماعات من الناحية النظرية إلى أن تتوافر فيها شروط الجماعة لأن من جملة نظريات الأستاذ البنا أن الفرد داخل الجماعة يقدم لبقية المسلمين الحب وأن الإخوان يؤيدون كل عمل يعتبر جزءاً من منهاجهم.

وهذا وحده كاف لمعرفة أن الأستاذ البنا لم يعتبر أن العمل الإسلامي محصور في الإخوان ولم يعتبر أن من لم يدخل في الإخوان غير مؤمن، بل قد يكون هو الجماعة.

لقد ذكرت في كتبي أن هناك علماء عاملين وصديقين صالحين غلب عليهم اجتهاد ألا يكونوا في الجماعة فهؤلاء قد يكونون عند الله في مقام القربى، وقد يكون هناك أناس في الجماعة هم محل الإبعاد وكيف لا أقول ذلك وشيخنا الحامد نفسه الذي أفتاني بوجوب

العمل مع الإخوان قد اختار لنفسه من مرحلة مبكرة في حياته ألا يكون عضواً في الإخوان مع المحبّة لهم والحرص عليهم وموالاة نصحهم. ومذهبي تفصيلاً أن وجود الإخوان المسلمين فريضة لأن كثيراً من فروض الكفاية تقوم بهم.

لكنّ كثيراً من فروض الكفاية الأخرى لا تقوم بهم أو لا تقوم من خلال الانتساب إليهم فإذا تعين أناس لمثل هذه الفروض في مثل هذه الصورة فقد حرم على أمثال هؤلاء الانتساب للإخوان المسلمين، فالانتساب للإخوان المسلمين في حق بعض الناس فريضة وفي حق بعض الناس مباح وفي حق بعض الناس إثم فأنا لا أعتبر أنه يفترض في كل الأحوال على كل مسلم أن ينتسب إلى الإخوان، نعم قد توجد أحوال أو ظروف يكون الأمر كذلك إذا توافرت شروط معينة، أما قولي : (ينبغي على كل مسلم أن يضع يده بيدهم) فوضع اليد يفيد التعاون والتنسيق كما يفيد الالتزام.

ثم إن البيعة التي تعطى للجماعة ليست هي البيعة التي تعطى لأمير المؤمنين حال وجود الخلافة أو السلطان المسلم فتلك تجعل أمر الحاكم واجب الاتباع حتى في المباح إذا كان فيه مصلحة أمّا البيعة داخل الإخوان ـــ وقل مثل ذلك في المجموعات الإسلامية الأخرى ـــ فليس لها مثل هذه الصفة الإلزامية من الناحية الفقهية، فأمر القائمين على العمل الإسلامي في أوضاعنا لا يخرج الحكم الشرعي عما هو في الأصل، فالمباح يبقى مباحاً والواجب يبقى واجباً، والحرام يبقى حراماً، والعبرة للفتوى، ولمذهب العضو الفقهي احترامه والبيعة على الطاعة تحكمها أحكام اليمين وهذا الكلام أشرت إليه في أكثر من مكان من كتبي فليس جديداً بل إنني أعتبر في هذه المرحلة أنه لا بدّ من أعمال مكملة لأعمال جماعة الإخوان المسلمين حتى تقوم مجموعة فروض الكفايات المفروضة على هذه الأمة.

فجماعة التبليغ تكمل عمل الإخوان وشيوخ العلم والفقه والتربية يكملون عمل الإخوان وكثير من أعمال وزارات الأوقاف وأعمال الجمعيات الخيرية، وأعمال الحكومات تكمل عمل الإخوان وكثير من المبادرات الدعوية والجهادية الفردية أو الجماعية تكمل عمل الإخوان.

والذي أحلم به أن يفهم العاملون للإسلام جميعاً بعضهم بعضاً فيتذاكروا الإيجابيات ويتناصحوا في السلبيات ويجتمعوا على خير ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه مما للاجتهاد فيه نصيب.

ولقد أحصيت في الرسائل السابقة على هذه الرسالة مجموعة من الأعمال يجب أن

تؤدى، ولم أشترط لذلك أن تنبعث عن الإخوان المسلمين، بل إنني لأتمنى أن ينطلق بعضها دون أن يكون للإخوان علاقة بها لأن ذلك وحده هو الذي يجعلها تؤتي ثمارها، ولكن هذا شيء وأن يدخل أحد مع الإخوان في مشاكسات ومهاترات شيء آخر.

فالأصل أن أهل الإيمان إخوة وأن عليهم أن يحب بعضهم بعضاً.

أما أن يقول قائل :

إن من لم يدخل في الإخوان المسلمين آثم باغ بإطلاق، أو من خرج منهم فإنه فاسق أو ضال أو مرتد فما أظن أن عالماً يمكن أن يقول هذا الكلام لا عن الإخوان ولا عن غيرهم في أوضاعنا، فهناك علماء أولياء كأمثال الجبال اختاروا لأنفسهم العزلة أو عملوا بالقدر الذي استطاعوه دون أن يرتبطوا بأحد، ثم إن هذا لم يقله أحد من أئمة الجماعة ولا من فقهائها وكلامي في ذلك صريح وواضح، ولكن دخل اللبس على هؤلاء من عبارات، فمثلاً تحدّثت في كتابي (من أجل خطوة إلى الأمام) عن جماعة المسلمين مثلاً ولا أقصد بذلك جماعة الإخوان المسلمين وهذا واضح من كلامي ففهم بعضهم أني أقصد جماعة الإخوان المسلمين.

وبعضهم رآني أتحدث عن توافر شروط جماعة المسلمين النظرية في الإخوان المسلمين في أحد مفاهيم كلمة الجماعة وفي الإطار الذي أقامها فيه حسن البنا، ولكن هذا لا يعني أنني أعتبر من الناحية العملية الإخوان المسلمين هم وحدهم جماعة المسلمين في المفهوم الأول أو الثالث وأما أنهم هم جماعة المسلمين في المفهوم الثاني فذلك لا يكون إلا بعد الدولة وبشروط. إنني أقول إن وجود الإخوان المسلمين فريضة شرعية لأنهم يحققون كثيراً من فروض الكفايات، والمسلم الذي يحقق فروض كفايات أخرى تحول دون انتسابه إليهم هو على خير وإلى خير، وهذا صريح في كلامي وإلا فلماذا أثنيت على جماعة التبليغ، ولماذا ذكرت أن هناك أولياء وعلماء قد يكونون أفضل من الإخوان المسلمين غلبت عليهم اجتهادات تبعدهم عن الإخوان.

لكنّي أقول : إن من اقتنع بخط الإخوان المسلمين ورأى أنه يستطيع من خلالهم أن يحقق فروضاً مع استطاعته أن يتحمل عبء العمل في هذه الجماعة، فالانتساب في حق هذا من الناحية الشرعية يختلف عن إنسان لا يستطيع التحمل أو أنه يستطيع أن يحقق فروضاً عينية أو كفائية لا تتحقق من خلال الجماعة.

وإنما يأثم الإنسان إذا لم ينتسب إلى الجماعة إذا تعين لإقامة فروض عينية وكفائية من خلال الإخوان المسلمين، ومنعه الكبر عن ذلك ولم يكن له عذر. ولقد كان شيخنا

الحامد ــ رحمه الله ــ يرى أنه يفترض عليّ فرضاً عينيّاً أن أعمل في الإخوان المسلمين، بينما هو نفسه كان يرى أنه لا يصح أن يشارك في عمل الإخوان المسلمين، لأن ذلك يحول دون تحقيقه فروضاً كفائية.

ولعل هذا أبلغ رد على من يتهمني أنني أعتبر جماعة الإخوان المسلمين بالمفهوم الثاني، كيف هذا وشيخي الأول تخلى عن الانتساب للجماعة في مرحلة متقدمة من حياته.

ولكن ألا ينتسب الإنسان للجماعة شيء وأن يكرهها شيء آخر، ألا ينتسب إليها شيء وأن يحارب منهجها فذلك شيء آخر.

فمنهج الأستاذ البنا في علمي يتضمن الفهم الصحيح للإسلام والحركة الصحيحة من أجله، كما يتضمن الموقف الصحيح من الآخرين إسلاميين وغير إسلاميين، فمنهج الأستاذ البنا أعتبره هو المنهج الصحيح لجماعة المسلمين في هذا العصر سواء كانوا إخواناً مسلمين أو كانوا علماء ربانيين أو كانوا سلفيين أو صوفيين، وأعتبر القرب والبعد من هذا المنهج للإخوان وغيرهم هو ميزان القرب والبعد من جماعة المسلمين في أحد مفاهيمها لأنني أعتبر هذا المنهج هو الفهم الأصح لنصوص الكتاب والسنة في عصرنا.

فمثلاً في منهج الإخوان المسلمين اعتراف بالإسلاميين الآخرين بحبهم وإجازة لأفراد الإخوان أن ينتفعوا منهم وأن يساندوهم في الخير إذا لم يحاربوا منهج الإخوان المسلمين، فإذا حارب الإخوان المسلمون أهل العلم والفضل ومنعوا إخوانهم من الإستفادة منهم، وإذا حاربوا الإسلاميين الآخرين ومنعوهم الحب والود فإنهم عندئذ يكونون بعيدين عن منهج حسن البنا وقل مثل ذلك في الصوفيين والسلفيين والإسلاميين الآخرين.

ومن منهج الإخوان المسلمين فهم الإسلام على ضوء الأصول العشرين للأستاذ البنا. وأنا أرى أنه بمقدار البعد والقرب من هذا الفهم يكون البعد والقرب من جماعة المسلمين بالمفهوم الثالث.

س ٤ ــ أنكر بعضهم على حسن البنا أنه وقف بالنسبة لآيات وأحاديث الصفات موقفاً اعتبره بعضهم كمذهب المفوضة فما تعليقك على ذلك ؟

جـ ٤ ــ المفوضة والمعطلة والمؤولة كلمات يتهم بها أهلُ السنة والجماعة الفرقَ الإسلامية المنشقةَ، وبعض الناس يروق لهم أن يتهم بهذه التهم أهلَ السنة والجماعة أنفسهم، وهم منزهون عن الجانب الذميم من ذلك بإذن الله.

فالتفويض المذموم أن تأتي إلى محكم القرآن وتقول أنا أفوض علمه إلى الله، والتعطيل المذموم أن تصرف ظاهر نص عن معناه المتبادر دون مبرر شرعي.

والتأويل المذموم هو أن تأوّل دون أن تكون مستهدياً بالمحكم وعلوم اللغة العربية التي أنزل بها القرآن، وحتى الذين يحملون الحملات المنكرة على التفويض والتأويل لا يسعهم أمام بعض النصوص إلا أن يفوضوا وإلا أن يؤوّلوا.

فالتفويض موجود عند الجميع والتأويل موجود عند الجميع حتى الذين ينكرون التأويل :

أليس هذا الذي يقول بالفوقية المكانية للذات الإلهية مضطرّاً لتأويل قوله تعالى : **﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾**[1] . **﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾**[2] . **﴿ وهو الله في السمٰوات وفي الأرض ﴾**[3] .

أليس هو مضطرّاً حتى لأن يؤول النصوص التي يستشهد بها على صحة دعواه: من مثل ما ورد في الحديث « قالت في السماء » أليست (في) في اللغة العربية تفيد الظرفية فهل يقول هؤلاء : إن السماء تحيط بالله عز وجل ؟ إذن هم مضطرون في هذا النص إمّا إلى التأويل وإما إلى التفويض.

وإذاً فليس التفويض على إطلاقه مذموماً وليس التأويل على إطلاقه مذموماً بل التفويض العليم محمود في كتاب الله، والتأويل من أهل الرسوخ في العلم محمود في محله وهذا نص القرآن الكريم.

ولكن لدقة هذه المقامات فقد كثر الإنكار على الخائضين فيها، وهناك مقام لا ينكر فيه أحد على أحد، هذا المقام هو إثبات آيات وأحاديث الصفات مع تنزيه الله عما لا يليق بمقامه من التشبيه والنقص، فهذا القدر لا ينكر فيه أحد على أحد، ومن ههنا وقف الأستاذ البنا عند هذا الحد، لأن هذا وحده هو محل الإجماع، ومتى تجاوزنا ذلك فقد وصلنا إلى الخلاف والاختلاف ولقد سبقه رحمه الله إلى تفضيل هذا الموقف أئمة أعلام. انظر إلى النووي رحمه الله في مقدمته للمجموع ماذا يقول :

« اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا فقال قائلون تتأول

---

(١) سورة الحديد: (٤).

(٢) سورة الواقعة: (٨٥).

(٣) سورة الأنعام: (٣).

على ما يليق بها وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين، وقال آخرون لا تتأول بل يمسك عن الكلام في معناها ويوكل علمها إلى الله تعالى ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه، فيقال مثلاً نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به مع أنا نعتقد أن الله تعالى (ليس كمثله شيء) وأنه منزه عن الحلول وسمات الحدوث وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم وهي أسلم إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك فإذا اعتقد التنزيه فلا حاجة إلى الخوض في ذلك والمخاطرة فيما لا ضرورة بل لا حاجة إليه، فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا والله أعلم ».

إنني أكره الخوض في هذا الموضوع، وعقيدتي فيه كما سجّلتها في أكثر من مكان الاثبات مع التنزيه في كل آيات وأحاديث الصفات، لكني لا أنكر التأويل العليم من أهله الراسخين في العلم، لأن التأويل يضطر إليه العليم إذا انتشرت البدع، ألا ترى إلى المعتزلة استدلوا بقوله تعالى : ﴿ **إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون** ﴾[1] على خلق القرآن لأن اللفظ القرآني (جعل) قد جاء في مواطن أخرى في القرآن بمعنى خلق ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾[2] ألا ترى أهل السنة والجماعة لا بدّ أن يردوا ولا بدّ أن يؤوّلوا، وهذا الإمام أحمد وهو أبعد الناس عن التأويل نقل عنه كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية تأويله لقوله تعالى ﴿ **وجاء ربك ...** ﴾[3] فقد روى البيهقي عن أبي عمر بن السماك أن أحمد بن حنبل تأوّل قول الله تعالى (وجاء ربّك) أنّه جاء ثوابه. قال البيهقي وهذا إسناد لا غبار عليه. راجع البداية والنهاية لابن كثير في ترجمة أحمد / ١٠ ــ ٣٢٥ /.

إن المواجهة مع المشبهة والمعطلة والفرق الضالة تجبر الراسخين في العلم على التأويل فإذا جاء التأويل العليم من أهله فلا محل للإنكار، وهذا مقتضى قوله تعالى ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم** ﴾[4] ولكن هذا التاريخ شاهد على أنه حيث حدث تأويل في صفات الذات الإلهية فقد فتحت معارك فإذا حاول الأستاذ البنا رحمه الله أن يثبت على التنزيه وأن يغلق باب الخوض في هذه الشؤون فلأنه أدرك ما يترتّب على هذا الخوض من معارك لا نهاية لها هذا مع أن الإثبات مع التنزيه لا يتناطح فيه عنزان،

---

(١) سورة الزخرف: (٣).

(٢) سورة الأنعام: (١).

(٣) سورة الفجر: (٢٢).

(٤) سورة آل عمران: (٧).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا الشيخ محمد أمين الشنقيطي وهو ممن يعتد بكلامه عند من يشتدون على التأويل، يقول رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار** ﴾[1] هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله تعالى ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾[2] ونحو ذلك أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه ــ سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك كله ــ والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح ولم يترك فيه أي لبس أو إشكال وحاصل تحرير أن الله تعالى بيّن أن الحق في آيات الصفات متركب على أمرين :

أحدهما : تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. **والثاني** : الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله تعالى أحد أعلم بالله من الله ﴿ **أأنتم أعلم أم الله** ﴾[3] ولا يصف الله تعالى بعد الله أحد أعلم من رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى فيه ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[4] فمن نفى عن الله تعالى وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز أو أثبته له رسوله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله عز وجل فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق به سبحانه. ثم قال : ومن اعتقد أن وصف الله تعالى يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الخلق فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال والتنزيه عن مشابهة الخلق سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. والآية التي أوضح الله تعالى بها هذا هي قوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[5] فنفى عن نفسه عز وجل مماثلة الحوادث بقوله (ليس كمثله شيء) وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله (وهو السميع البصير). فصرح في هذه الآية بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال).

لا يخرج كلام الأستاذ البنا ــ رحمه الله ــ عن هذا، وهذا ما أقف عنده.

---

(١) سورة الأعراف: (٥٤).

(٢) سورة الفتح: (١٠).

(٣) سورة البقرة: (١٤٠)

(٤) سورة النجم: (٣، ٤).

(٥) سورة الشورى: (١١).

س ٥ ــ إتَّهم بعض الناس الإخوان المسلمين بأنهم يهمهم التجميع ولو على حساب الحق، ولا تهمهم العقيدة وأنهم لا يبدأون بتصحيح العقيدة وأنهم يسكتون على الباطل.

جـ ٥ ــ أقول : هذه تهم عجيبة : فَمَنْ مثل الإخوان المسلمين صحح عقائد الناس وأرجع الناس إلى فهم شمول الإسلام وإلى الالتزام بالكتاب والسنة، ولكن السياسة النبوية تقضي أن نبدأ بالأهم فالمهم، ألا ترى إلى حديث معاذ رضي الله عنه عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمره أن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد فإذا تمت الاستجابة فليدعهم إلى الصلاة ثم إلى الزكاة.. فالداعية ينبغي أن يكون حكيماً يبدأ بالأهم فالمهم، وأمّا أن الإخوان لا يفضحون سبيل المجرمين ولا يعالجون الشذوذات فهذا ليس صحيحاً ولكنهم يقولون بما يقول علماء الإسلام ومنهم ابن تيمية رحمه الله أنه إذا أدّى النهي عن المنكر إلى منكر أكبر يترك النهي عن المنكر، فمعالجة الشذوذ والبدع بالطرق الحكيمة أدب من آداب الإسلام، وإلا فمن تحمّل من أهل عصرنا في صراع مع الجاهلية ما تحمله الإخوان المسلمون وهؤلاء شهداؤهم يشهدون.

أمّا اتّهامهم من قبل بعض الكتّاب بأنّهم لا يركزون على العقيدة فسببه واضح : أن هؤلاء يعنون بالعقيدة نقطتين : القول بالفوقيّة المكانيّة للذات الإلهية والقول بتكفير وتضليل من توسّل بالرسول ﷺ بعد وفاته، فالأستاذ البنا جعل المسألة الثانية من باب الفروع الفقهيّة لأن القائلين بجوازها يستندون إلى حديث صححه أئمّة في الحديث كالمنذري وغيره وكفى بهما قدوة وأسوة، وأمّا القضيّة الأولى فلم يتكلّم بها الأستاذ البنا رحمه الله لأنّ الصراع حولها شديد بين طرفين كلّ منهما يضلّل الآخر ويكفره، وكل من الطرفين في الذروة من العلم، ويكفي أن يعرف القارىء أنه لو طبقنا مذهب ابن خزيمة لحكمنا على الإمام النووي بالإعدام وألقينا جثته في مقابر اليهود، فقضيةٌ هذا لازمها وهذا شأنها في الحساسيّة لم ير الأستاذ البنا أن يكون للإخوان فيها موقف سوى الموقف الذي أدبنا الله به.

﴿والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا﴾[1]. فالله عز وجل القائل : **﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾**[2] . هو القائل **﴿ وهو معكم أينما**

---

(١) سورة آل عمران: (٧).

(٢) سورة طه: (٥).

كنتم﴾[1] . وهو القائل ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾[2] . وهو القائل ﴿ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾[3] . وهو القائل ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾[4] . والقرآن نفسه يستعمل الفعل (علا) وتصريفاته للتعبير عن علو المكانة لا المكان:

﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[5] . ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾[6] . ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴾[7] . فالأمر عند المختلفين على غاية من الحساسية فإذا وقف الأستاذ البنا عند الاثبات والتنزيه فذلك لا غبار عليه وذلك الذي يسع كل مسلم، ولن يعمى الناس عن معرفة الراسخين في العلم الذين تطمئن قلوبهم لمتابعتهم.

س ٦ ــ من الواضح أنك مغرم بشخصين غراماً كبيراً : حسن البنا ومحمد الحامد حتى اعتبر ذلك بعض الناس مأخذاً عليك، واعتبروا الإطراء عليهما مأخذاً شرعياً. واستدل بحادثة موسى والخضر على دعواه في تخطئتك واستدل بحادثة الثناء على عثمان بن مظعون على خطئك في الثناء عليهما، فما الجواب ؟

جـ ٦ ــ أما حبي لهما فقد تغلغل في سويداء قلبي وكنت كتبت لشيخنا الحامد رسالة قبيل وفاته بعد نبأ شاع أنه أجريت له عملية ونجحت، من قرأها يعرف شدة الحب والوجد الذي رزقني الله إياه للشيخ، ومن لامني على حب الشيخ أو حب حسن البنا فهو الملوم وكما قال ابن عمر رضي الله عنهما :

يلومونني في سالم وألومهم   وجلدة بين العين والأنف سالم

وفي الحديث : « يحشر المرء مع من أحب » فاللهم فأحشرني معهما.

وأمّا أن في كلامي تزكية لهما دون احتراس فمن المعلوم أن الإنسان إذا تكلم فإطلاقات كلامه محمولة على تخصيصاته أو على اعتقاده، وأهل السنة والجماعة

---

(١) سورة الحديد: (٤).
(٢) سورة البقرة: (١١٥).
(٣) سورة ق: (١٦).
(٤) سورة الواقعة (٨٥).
(٥) سورة الزخرف: (٤).
(٦) سورة طه: (٦٨).
(٧) سورة آل عمران: (١٣٩).

مجمعون على أن كل إنسان مات وليس في شأن عاقبته وحي فهو إلى مشيئة الله صائر فإذا أطلقوا في حقه كلاماً فكلامهم محمول على ذلك، ولم تزل الأمة جيلاً بعد جيل تثني على أهل الفضل من علمائها وأوليائها دون نكير، فمن أنكر فقد بعد، وفهم بعض النصوص وغاب عنه بعضها الآخر، انظر إلى النووي رحمه الله وهو المحدّث الفقيه، في رياض الصالحين كيف وضع هذا العنوان (إجراء أحكام الناس على الظاهر) وكيف عنون لموضوعنا بهذا العنوان اللطيف : (باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه وجوازه لمن أمن ذلك في حقه) وقد ذكر رحمه الله في هذا الباب الأحاديث التي تنهى عن المدح في الوجه ثم قال :

فهذه الأحاديث في النّهي، وجاء في الإباحة أحاديثُ كثيرة صحيحة، قال العلماء : وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال : إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ورياضة نفس ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن، ولا يغتر بذلك، ولا تلعب به نفسه فليس بحرام ولا مكروه، وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور، كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك.

ومما جاء في الإباحة قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : « أرجو أن تكون منهم »، أي من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها.

وفي الحديث الآخر « لست منهم » أي لست من الذين يسبلون أُزرهم خيلاء وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ».

والأحاديث في الإباحة كثيرة، وقد ذكرت جملة من أطرافها في كتاب الأذكار.

ولعل ثناءنا على الشيخين بعد وفاتهما يدخل في معنى الحديث الذي ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة وهو :

حديث : « اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم » أبو داود في الأدب والترمذي في الجنائز من حديث معاوية بن هشام عن عمران بن أنس المكي عن ابن عمر رفعه بهذا، وقال الترمذي والطبراني إنه غريب، وقال الحاكم : إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي البخاري عن مجاهد عن عائشة مرفوعاً : لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا، ولأبي داود من حديث وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عنها مرفوعاً: إذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه، وكذا هو عند الطيالسي في مسنده عن عبد الله بن عثمان بن هشام، وللنسائي من حديث منصور ابن صفية عن أمه عنها قالت :

ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال : لا تذكروا هلكاكم إلا بخير، وفي الباب عن غير واحد من الصحابة.

ألا يحقّ لي أن أخاطب هؤلاء المنكرين عليّ بما قاله الشاعر :

فقل لمن يدّعي في العلم معرفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وليعلم الناقد أنني لست وحدي الذي يثني على البنا والحامد فما أعرف أحداً عرفهما إلا وأثنى عليهما وذلك عندي علامة على ولايتهما، وهذه نصوص أضعها بين يدي الناقد لعله ينتفع بها :

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قيل لرسول الله ﷺ : « أرأيت الرجل يعمل من الخير، ويحمده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمن » أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت فقال النبي ﷺ : إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وعن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الى اليمن فقال : تساندا وتطاوعا وبشرا ولا تنفرا، فخطب الناس معاذ فحثهم على الإسلام والتفقه والقرآن وقال أخبركم بأهل الجنة وأهل النار إذ ذكر الرجل بخير فهو من أهل الجنة وإذا ذكر بشر فهو من أهل النار. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون.

وعن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ بالنباوة أو بالنبأة يقول يوشك أن يعرفوا أهل الجنة من أهل النار قالوا : بما يا رسول الله قال : بالثناء الحسن والثناء السيىء. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن عرفة وهو ثقة.

عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : إن المقة من الله عز وجل — قال شريك هي المحبة — والصيت من السماء فإذا أحب الله عبداً قال لجبريل : إني أحب فلاناً فأحبوه قال : فتنزل له المحبة في الأرض وإذا أبغض عبداً قال لجبريل : إني أبغض فلاناً فأبغضوه قال : فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلاناً فأبغضوه قال فيجرى له البغض في الأرض. رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله وثقوا.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

ما من عبد إلا وله صيت في السماء فإن كان صيته حسناً وإن كان صيته في السماء سيئاً وضع في الأرض رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

ألا ترى أن الصيت الحسن والثناء الطيب علامتان نتعرّف بهما على خيارنا ؟ وهل عليّ من حرج أن أثني على من كان الثناء عليهما علامة على الفضل ؟

س ٧ ــ هل بالإمكان أن تعطينا صورة عن الشيخ محمد الحامد رحمه الله ؟

جـ ٧ ــ كان رحمه الله من أورع خلق الله فيما نعلم، شهد بذلك كل من عرفه، ولقد قال عصام العطار في خطبة ألقاها في ألمانيا الغربية بتاريخ ١٩٨٢/٨/١ : إن الشيخ الحامد رحمه الله هو شيخ حماة وشيخ سورية ولا أعرف ولا أعلم ولم أسمع عن شخص في مشرق الدنيا ومغربها أورع من الشيخ الحامد.

ابتدأ حياته سلفياً فقرأ الكثير لأبن تيمية ثم استقر على مذهبية سلفية تتمسك بالنصوص، وعلى تصوف فقهي يتقيّد بالفقه، كان آية في التحقيق العلمي وكان متشدداً في الفتوى وكان لا يفتي إلا إذا درس ودارس واطمأن وكان ناصحاً مشفقاً يحس كل المسلمين بشفقته ورحمته وخلوص نصيحته، لا يقابل السيئة بمثلها وكم كان حريصاً على وحدة المسلمين، فهو لا يرى أن هناك تناقضاً بين المسلمين يبيح لهم أن يدخلوا في خصومات مع بعضهم وينسوا الردة والمرتدين، وكان بحراً في العلوم كلها لا تطرق باباً من العلم إلا وقد أخذ بذؤابته ويعرف دخنه وينبه على الأخطاء المحتملة فيه، كان بحراً في العقائد وفي الفقه وفي التصوف وفي الأصول وفي التفسير والحديث والتاريخ، وكان عارفاً بعصره عارفاً بأنواع الضلال فيه هذا مع أدب لا يبارى ولا يجارى، كان شاعراً فصيحاً إذا خطب لا تمسك عليه غلطة، وكان قريباً بعيداً حسّاس النفس، كريمها، عفّ اللسان، متأدباً مع العلماء، انظر نقاشه للدكتور السباعي وردّه عليه في اشتراكية الإسلام فإنك لا تجد أروع من ذلك يرد وهو في أعلى درجات الحب وكم أرجو أن يأخذ كل مسلم من ذلك درساً، وكان يخشى على عقائد الناس وسلوكهم فإذا رأى خاطئة لم ينم حتى يطمئن أنه قام بواجبه نحو الله فيها فإذا قرأ جريدة فرأى خطأ أو جاءته رسالة تشعره بخطأ أو عرف أن هناك خطأ ينتشر صال وجال وكثيراً ما كادت مواقفه تودي بحياته أو بوظيفته، وكم من مفاهيم صححها وضلالات دفنها في الاعتقاد أو في السلوك وساعد على ذلك ثقة لا حدود لها فإذا قال للإخوان المسلمين شيئاً قالوا سمعاً وطاعة وإذا قال للصوفيين شيئاً أخذوا به أو تركوا ما ينبههم عليه، وإذا قال للسلفيِّين شيئاً كان محل قبول لأنه يأتي مع الكلمة بدليلها، وكان لا يسكت على مخطىء يقول أمامه كلمة بل كان ينصح ويصحح، فكم صحح لغة وكم صحح بيت شعر فيه غلو أو خطأ يقوله منشد، وكان مع المذهبية ومع التحقيق، كان يخشى من دعوى الاجتهاد وما يترتّب على ذلك من فوضى في الفتوى، خاصّة وهو يرى أنّ من تصدّر للاجتهاد كانوا يخالفون الإجماع

في فتاواهم، كان ذلك منه شفقة على الإسلام والمسلمين لا سدّاً لباب مفتوح فهو يرى التحقيق ويحترم أهله، أمّا عبادته وتقواه فحدّث بها ولا حرج فقد كان دائم التلاوة لكتاب الله مداوماً على الذكر اليومي مقيماً لحلقات الذكر مع تحرير ذلك كله مما يقره أهل العلم.

ولقد صاغ مدينته حماة صياغة جعلها مؤهّلة لكل خير ومن ههنا وجد في حماة جيل يشكل النموذج لما ينبغي أن يكون عليه أبناء العالم الإسلامي، جيل اجتمع فيه العلم الصحيح المنبثق عن عقيدة سليمة وتقوى عارمة تملأ القلب ورغبة في رضوان الله تحرّك روح الجهاد فاجتمع لشباب حماة علم وتقوى وجهاد ولولا الشيخ ما كان شيء من ذلك وما خرج على يد إخوانه وتلامذته من خير فإن ذلك أثر عنه، وكان مع جلالته وهيبته ذا دعابة صادقة وفكاهة نادرة تأتي في محلها تطييباً وتطبيباً بشكل يحار فيه من لا يعرف الشيخ، لقد ربى إخوانه على التمسك بالنصوص وعلى احترام أهل العلم والفقه وعلى الأخذ من الأولياء والتلقي منهم مع التمسك بالنصوص والفقه وربى إخوانه على حب حسن البنا وحب الإخوان المسلمين وحب جميع المسلمين وكان يربي إخوانه على أن يضعوا يدهم بيد كل مسلم مهما علا من أجل أن تقمع هذه الردّة، وكان مع هذا كله جميل الهيكل وضيء الوجه من نظر إليه نظرة أدرك أنه أمام وليّ لله عز وجل.

وهو مع هذا غزير العبرة كثير البكاء ولم أر بين علماء المسلمين ممن رأيت وقابلت من يطلق عليه قوله تعالى ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾[1] إلا شيخنا الحامد وشيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

لقد كان رحمه الله مستوعباً لمذاهب أهل السنة والجماعة في العقائد والفقه والسلوك كما كان مستوعباً لعقائد الفرق الضالّة عارفاً دقائقها وكان درّاكاً لضلالات العصر عارفاً ببدع الاستغراب عارفاً بوجهات المستشرقين والمستغربين ولذلك كان كثير التصويب لمن يسمع لهم لأنه كان يعرف القول ولازمه ولازم لازمه فإذا أحسّ بشيء ما من الخطأ في القول أو بلازم أو بلازم لازمه كان يصحّح ومن ههنا كان لا يستغرب من عايشه أن يصحح له في الجلسة الواحدة الكثير، ومن ههنا تأتي القصّة التي رواها بعض الناس على لساني وحملها ما تحتمل من أنّه سجّل الشيخ إحدى عشرة ملاحظة على محاضرة من محاضرات الأستاذ البنا، فالذي يعرف شيخنا الحامد ويعرف دقته لا يستغرب أن يسجّل الملاحظات الكثيرة على كل من يتكلّم أمامه فلقد كان دقيق التدقيق على الكلام وعلى

(١) سورة مريم: (٥٨).

لازمه ولازم لازمه، وكان رحمه الله يذكر لنا هذه الحادثة مزكيّاً حسن البنا، وكيف أن حسن البنا أعلن في محاضرة لاحقة عن أن الشيخ الحموي لاحظ عليه كيت وكيت وأن الحق معه في كيت وكيت، كان الشيخ يقص علينا هذه القصة من باب أن حسن البنا على عظمته لم يكن يستنكف أن يعلن أمام الملأ أجمع عن أنه أخطأ إذا كان فعلاً قد وقع في الخطأ.

وقد اجتمع له رحمه الله مع الاستقامة الكرامة، وقد عرفت له الكرامة من شبابه وقد رأى إخواننا في مصر من كراماته وقد رأى تلامذته من كراماته الكثير وبعض كراماته مشهورة في حماة معروفة. وما ذكرته وهو بعض ما فيه فهل يلومني في حبه إلا سفيه.

وكان الشيخ رحمه الله على وزنه العلمي وعلى قوّة شخصيّته يرى أن حسن البنا رحمه الله مجدد قرون وليس مجدداً لهذا القرن فحسب وقد واطأه على ذلك الأستاذ الندوي حفظه الله وقد فهم بعضهم من ذلك أنه نفي لوجود مجدد دين في القرون الخالية وليس هذا صحيحاً بل نوعية التجديد كانت من السعة في دعوة الأستاذ البنا بحيث شملت جوانب واستهدفت أهدافاً لم تتطرق إليها دعوات التجديد في بعض القرون السالفة.

الباب الثاني

في الذكر والاجتماع عليه وما يحيط به

مقدمة الباب الثاني

جواذب الدنيا في كل عصر كثيرة كبيرة. والله عز وجل قال : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾[1] لكن عصرنا برزت فيه زينة الحياة الدنيا أكثر من أي عصر مضى، وغلبت فيه الماديات، وتبرجت فيه الشهوات، مما يقتضي حسن معالجة لأدوائه، وحسن تأت لأمراضه، وهذا الذي جعلني أركز كثيراً على الجانب القلبي والروحي، وما ينعش هذا الجانب، وكان من آثار ذلك أن دعوت إلى تجديد فكرة الاجتماع على الذكر وتحريرها مما يؤخذ عليها، كإحدى الوسائل لإنعاش القلب وإيقاظ الهمم للإقبال على الله عز وجل، كما دعوت إلى الإكثار من الذكر كثرة لا يقيدها إلا احتياج القلب، والقلوب ليست واحدة في الاحتياج لأن القلوب تختلف فيحتاج كل قلب إلى علاج. قال النووي رحمه الله في مقدمة المجموع :

« أما علم القلب وهو معرفة أمراض القلب كالحسد والعجب وشبههما فقال الغزالي : معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين، وقال غيره : إن رزق المكلف قلباً

---

(١) سورة الأعلى: (١٦، ١٧).

سليماً من هذه الأمراض المحرمة كفاه ذلك ولا يلزمه تعلم دوائها وإن لم يسلم نَظَرَ إن تمكن من تطهير قلبه من ذلك بلا تعلم لزمه التطهير كما يلزمه ترك الزنا ونحوه من غير تعلم أدلة الترك وإن لم يتمكن من الترك إلا بتعلم العلم المذكور تعين حينئذ والله أعلم ».

وعلى كل فقد حمل عليّ بعضهم لأنني دعوت إلى الاجتماع على الذكر واعتبر الاجتماع على الذكر منكراً وإباحتي ذكر اسم « الله » منكراً ومع أن القلب المسلم بفطرته يدرك الحق في هذا وذاك فقد رأيت أن أناقش هذا الذي أنكر لماذا أنكر :

س ٨ ــ لقد دعوت إلى اعتماد الاجتماع على الذكر ومنه الصلاة على رسول الله ﷺ في كتاب تربيتنا الروحية كوسيلة من وسائل النهوض بالهمة، مع العلم بأن بعضهم يعتبر ذلك بدعة فما دفاعك عن مثل هذا ؟ خاصّة وهم يستشهدون بموقف ابن مسعود من مثل ما دعوت إليه :

فقد أخرج الدارمي (٦٨/١) بسند صحيح، والإمام أحمد في « الزهد » وأبو نعيم في « الحلية » : « أن نفراً من التابعين كانوا جالسين على باب عبد الله بن مسعود، فجاء أبو موسى الأشعري فجلس معهم، فلما خرج ابن مسعود قال له أبو موسى الأشعري : « يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً »، قال : ما هو ؟ فقال : « إن عشت فستراه، رأيت في المسجد آنفاً قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول : كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول : هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول : سبحوا مائة، فيسبحون مائة » قال ابن مسعود : فماذا قلت لهم ؟ قال أبو موسى : ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال : فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم؟ هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة ؟ قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال : وكم مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله حدثنا : « إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم » وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة : « رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج ».

جـ ٨ ــ إن مذهب الصحابي إذا تعارض مع النصوص الصحيحة الصريحة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ فإنه يترك، وهذا الذي يستشهد بحادثة ابن مسعود من أكثر الناس إقراراً بذلك وأخذاً له، وههنا الأمر كذلك فقد ورد حديث صحيح صريح في الاجتماع على الذكر، وفهمه ابن حجر وهو من أئمّة الحديث بأن المراد منه الاجتماع على التسبيح والتحميد لا كما حاول بعضهم أن يحمله على العلم، وها أنذا أذكر لك الحديث وأذكر لك بعد ذلك كلام ابن حجر في الفتح ثم أعقب على ذلك بكلام السيوطي وهو محدث فقيه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنَّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عزَّ وجلّ تنادوا : هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم ــ وهو أعلم ــ : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجّدونك ؛ فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك. فيقول : كيف لوْ رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوْك كانوا أشدّ لك عبادة، وأشدّ لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة. قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها. قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنّهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً، وأشدّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال : فممَّ يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار، قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها. فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً، وأشدّ لها مخافة، قال : فيقول : فأشهدكم أنّي قد غفرت لهم قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة قال : قال : هُم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » متفق عليه. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل ــ وهو أعلم ــ : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض : يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك. قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنّتك. قال : وهل رأوا جنّتي ؟ قالوا : لا أي ربِّ. قال : فكيف لو رأوا جنّتي ؟ قالوا : ويستجيرونك قال : ومم يستجيروني ؟ قالوا : من نارك يا ربِّ. قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا. قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ؟ فيقول : قد غفرت لهم،

وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا. قال : يقولون ربِّ فيهم فلان عبد خطّاء إنما مر فجلس معهم. فيقول : وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله :

قوله (يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك) زاد إسحق وعثمان عن جرير « ويمجدونك » وكذا لابن أبي الدنيا، وفي رواية أبي معاوية « فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك » وفي رواية الإسماعيلي « قالوا ربنا مررنا بهم وهم يذكرونك الخ » وفي رواية سهيل « جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك » وفي حديث أنس عند البزار « ويعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم » ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة فحسب، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى.

وقال رحمه الله : وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ؛ وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر. وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه من المسئول لإظهار العناية بالمسئول عنه والتنويه بقدره والإعلان بشرف منزلته. وقيل إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فكأنه قيل لهم : انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان، وكيف عالجوا ذلك وضاهوكم في التسبيح والتقديس، وقيل إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ووجود الصوارف وصدوره في عالم الغيب، بخلاف الملائكة في ذلك كله ».

وقد ذكر السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) سؤالاً وأجاب عليه وهذه صيغة السؤال والجوّاب.

سألت أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه أو لا ؟ الجواب ــ أنه لا كراهة في شيء من ذلك وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر. وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن [والأحاديث] الواردة باستحباب الإسرار بها وها أنا أبين ذلك فصلاً فصلاً.

(ذكر الأحاديث الدالة على استحباب الجهر بالذكر تصريحاً أو التزاماً)

(الحديث الأول) أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر.

(الحديث الثاني) أخرج البزار، والحاكم في المستدرك وصححه عن جابر قال : « خرج علينا النبي ﷺ فقال : يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله ».

(الحديث الثالث) أخرج مسلم، والحاكم واللفظ له عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الأرض فإذا أتوا على مجلس ذكر حف بعضهم بعضاً بأجنحتهم إلى السماء، فيقول الله : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك فيقول ما يسألون ؟ وهو أعلم، فيقولون : يسألونك الجنة فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا يا رب فيقول : فكيف لو رأوها ؟ ثم يقول : ومم يستجيروني ؟ وهو أعلم بهم فيقولون : من النار، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا، فيقول : فكيف لو رأوها ثم يقول : اشهدوا أني قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوني وأجرتهم مما استجاروني فيقولون : ربنا إن فيهم عبداً خطاء جلس إليهم وليس منهم فيقول : وهو أيضاً قد غفرت له هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

(الحديث الرابع) أخرج مسلم، والترمذي عن أبي هريرة. وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ».

(الحديث الخامس) أخرج مسلم، والترمذي عن معاوية « أن النبي ﷺ خرج على

حلقة من أصحابه فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده فقال : إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ».

(الحديث السادس) أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ».

(الحديث السابع) أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الجوزاء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون » — مرسل، ووجه الدلالة من هذا والذي قبله أن ذلك إنما يقال عند الجهر دون الإسرار.

(الحديث الثامن) أخرج البيهقي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا : يا رسول لله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر ».

(الحديث التاسع) أخرج بقي بن مخلد عن عبد الله بن عمرو « أن النبي ﷺ مر بمجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يعلمون العلم فقال : كلا المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر ».

(الحديث العاشر) أخرج البيهقي عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات ».

(الحديث الحادي عشر) أخرج البيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « يقول الرب تعالى يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : مجالس الذكر في المساجد ».

(الحديث الثاني عشر) أخرج البيهقي عن ابن مسعود قال : إن الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم لله ذاكر ؟ فإن قال نعم استبشر ثم قرأ عبد الله (لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه) الآية وقال أيسمعون الزور ولا يسمعون الخير.

(الحديث الثالث عشر) أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله : (فما بكت عليهم السماء والأرض) قال : إن المؤمن إذا مات بكى عليه من الأرض الموضع الذي كان يصلي فيه ويذكر الله فيه، وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عبيد قال : إن المؤمن إذا مات نادت بقاع الأرض عبد الله المؤمن مات فتبكي عليه الأرض والسماء فيقول الرحمن : ما يبكيكما على عبدي فيقولون : ربنا لم يمش في ناحية منا قط إلا وهو

يذكرك. وجه الدلالة من ذلك أن سماع الجبال والأرض للذكر لا يكون إلا عند الجهر به.

(الحديث الرابع عشر) أخرج البزار، والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : عبدي إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكثر ».

(الحديث الخامس عشر) أخرج البيهقي عن زيد بن أسلم قال : قال ابن الأدرع « انطلقت مع النبي ﷺ ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته قلت : يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً ؟ قال : « لا ولكنه أواه » وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر « أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين إنه أواه وذلك أنه كان يذكر الله »، وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإنه أواه ».

(الحديث السادس عشر) أخرج الحاكم عن شداد بن أوس قال : « إنا لعند النبي ﷺ إذ قال : ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله ففعلنا فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فإن الله قد غفر لكم ».

(الحديث السابع عشر) أخرج البزار عن أنس عن النبي ﷺ قال : « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم فيقول الله تعالى : غشوهم برحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم ».

(الحديث الثامن عشر) أخرج الطبراني، وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال : الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم ».

(الحديث التاسع عشر) أخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال : « كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي ﷺ فكفوا فقال : ما كنتم تقولون ؟ قلنا نذكر الله قال إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال : الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم ».

(الحديث العشرون) أخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي رزين العقيلي « أن رسول

الله ﷺ قال له الا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خيري الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى، قال : عليك بمجالس الذكر وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله ».

(الحديث الحادي والعشرون) أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي والأصبهاني عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها ».

(الحديث الثاني والعشرون) أخرج الشيخان عن ابن عباس قال : إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ قال : ابن عباس كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته.

(الحديث الثالث والعشرون) أخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً في الجنة » وفي بعض طرقه « فنادى ».

(الحديث الرابع والعشرون) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه، والنسائي وابن ماجه عن السائب أن رسول الله ﷺ قال : « جاءني جبريل فقال : مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير ».

(الحديث الخامس والعشرون) أخرج المروزي في كتاب العيدين عن مجاهد أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة كانا يأتيان السوق أيام العشر فيكبران لا يأتيان السوق إلا لذلك، وأخرج أيضاً عن عبيد بن عمير قال : كان عمر يكبر في قبته فيكبر أهل المسجد فيكبر أهل السوق حتى ترتج منى تكبيراً، وأخرج أيضاً عن ميمون بن مهران قال : أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر حتى كنت أشبهها بالأمواج من كثرتها.

(فصل) إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحاً أو التزاماً كما أشرنا إليه، وأما معارضته بحديث « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة، وقد جمع النووي بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذي به مصلين أو نيام والجهر أفضل من غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد النشاط ».

وقال الأستاذ البنا رحمه الله :

٤ ـ الذكر في جماعة :

ورد في الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر ففي الحديث الذي يرويه مُسلم :

« لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده ».

وكثيراً ما ترى في الأحاديث أنه ﷺ خرج على جماعة وهم يذكرون الله في المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم.

والجماعة في الطاعات مستحبة في ذاته ولا سيما إذا ترتب عليها كثير من الفوائد مثل : تألف القلوب، وتقوية الروابط، وقضاء الأوقات فيما يفيد، وتعليم الأمي الذي لم يحسن التعلم وإظهار شعيرة من شعائر الله تعالى.

نعم إن الجماعة في الذكر تكره إذا ترتب عليها محظور شرعي كالتشويش على مصلّ، أو لغو وضحك، أو تحريف للصيغ، أو بناء على قراءة غيره، أو نحو ذلك من المحظورات الشرعية، فحينئذ تمنع الجماعة في الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة في ذاتها، وخصوصاً، إذا كان الذكر في جماعة بالصيغ المأثورة الصحيحة، كما في هذه الوظيفة التي جمعها الأستاذ البنا من السنة النبوية فحبذا لو اجتمع الإخوان على قراءتها صباحاً ومساء في ناديهم أو في مسجد من المساجد مع اجتناب هذه المكروهات. ومن فاتته الجماعة فيها فليقرأها منفرداً ولا يفرِّط في ذلك.

لقد رأيت فيما ذكرناه لك كلام ابن حجر، وكلام السيوطي، وكلام حسن البنا وهم من أعلام الهدى فهل ترى عليّ من حرج فيما بنيت عليه من كلامهم؟

على أن حادثة ابن مسعود يمكن أن تحمل على معنى آخر، فقد رأينا أن أكثر هؤلاء الذين كانوا مجتمعين قد قتلوا على الخارجيّة فلربما توسم فيهم ابن مسعود معنى اجتمعوا من أجله، أو توسم فيهم أنهم على أبواب غلو فأنبأهم، أو أنهم فعلوا هذا من عند أنفسهم دون دليل، وعلى كل حال فقد يكون مذهب ابن مسود مذهب من يفهم هذا النوع من النصوص التي نقلناها أنها في العلم وهو مذهب مرجوح كما رأينا وعصرنا أولى العصور باعتماد المذهب الراجح لما في الاجتماع على الذكر من فوائد قلبية وروحية تغسل بها الأوضار وتمحى بها الذنوب وتستجاش بها عواطف الإيمان.

س ٩ ـــ يتهجم عليك بعضهم لأنك ذكرت الاجتماع على الذكر وعلى الصلاة على النبي ﷺ وأشرت إلى إمكانية أن يكون ذلك يوم الجمعة، واعتمد في هجومه عليك على نهي الرسول ﷺ أن يخص يوم الجمعة بصيام أو قيام ثم أتى بحديث فيه نهي عن التحلق يوم الجمعة وإنشاد الشعر في المسجد، فجمع في إنكاره عليك في هذه المسألة ثلاثة أشياء:

١ ـــ تخصيص يوم الجمعة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم ».

٢ ـــ التحلّق قبل صلاة الجمعة، وفيه حديث صحيح تضمن نهياً صريحاً.

٣ ـــ إنشاد الشعر في المسجد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه ضالة، وأن ينشد فيه شعر، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة ».

فماذا عندكم حول هذه الإنكار ؟

جـ ٩ ـــ أقول : إن هذا الإنكار لعجيب، لقد استشهدوا بنصوص تطلب ألا يخص يوم الجمعة بصيام أو قيام، وكان المفروض أن يأتوا بأحاديث تنهى أن يخص يوم الجمعة بالصلاة على رسول الله ﷺ وهو محل البحث فإذا علمت أن النصوص جاءت في الحض على تخصيص يوم الجمعة بالصلاة على رسول الله ﷺ تدرك أن هؤلاء يوجهون سهامهم دون وعي :

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين :

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه ؛ فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ (أي بليت) قال : (إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء) رواه أبو داود بإسناد صحيح وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة ما يقوي هذا المعنى.

قال رحمه الله حديث : أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الزهراء، واليوم الأغر، فإن صلاتكم تعرض عليّ، الطبراني في الأوسط من حديث أبي مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المدني، عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رفعه بهذا، وقال لا يروى عن

محمد عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد تفرد بهذا أبو داود، وله شواهد بينتها في « القول البديع »، منها ما رواه ابن بشكوال بسند ضعيف أيضاً عن عمر بن الخطاب مرفوعاً به بزيادة : فأدعو لكم وأستغفر، والليلة الزهراء ليلة الجمعة واليوم الأغر يومها.

أمّا النهي عن إنشاد الشعر في المسجد فانظر ما يقوله في ذلك صاحب الفتح الربّاني، مفسراً إنشاد الشعر والحلق المنهي عنها :

أي المذمومة كالمباهاة والافتخار، لا ما كانت في الزهد وذم الدنيا والدفاع عن الإسلام كما فعل حسان، فقد ثبت عند البخاري والإمام أحمد وغيرهما وسيأتي في الباب التالي أنه أنشد الشعر في المسجد يدافع عن رسول الله ﷺ بل قال له النبي ﷺ أجب عن رسول الله ﷺ ودعا له فقال اللهم أيده بروح القدس (وقوله وعن الحلق) بكسر الحاء وفتح اللام جمع حلقة بفتح الحاء وسكون اللام أي القعود حلقاً حلقاً لأنه يقطع الصفوف مع كونهم مأمورين يوم الجمعة بالتكبير والتراص في الصفوف فيكره فعل جميع المذكورات والله أعلم.

وأمّا المناوي فقد ذكر في شرح الحديث الذي استشهد به المنكر :

(وأن ينشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر) وورد في غير ما خبر الترخيص فيه وجمع بحمل النهي على التنزيه والرخصة على بيان الجواز وبأن المرخص فيه الشعر المحمود كالذي في الزهد ومكارم الأخلاق والمنهي عنه خلافه مر رجل بالمسجد يبيع فقال له عطاء عليك بسوق الدنيا فإنما هذا سوق الآخرة (ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة) لأنه ربما قطع الصفوف مع كونهم مأمورين يوم الجمعة بالتبكير والتراص في الصفوف الأول فالأول.
فأنت ترى أن هذه الإنكارات ليست في محلّها.

س ١٠ ــ أنكر عليك بعضهم إباحتك أن يذكر الله عز وجل باسم « الله » فما رأيك في هذا الإنكار ؟

جـ ١٠ ــ لا أظن أن شيئاً أوضح في التمثيل لرؤية المعروف منكراً والمنكر معروفاً من هذا الإنكار. قال ابن عابدين رحمه الله وهو من فقهاء الحنفية المشهورين.

والجمهور على أنه (أي لفظ الجلالة الله) عربي علم مرتجل ومنهم أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والشافعي والخليل وروى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه اسم الله

الأعظم وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء وأكثر العارفين حتّى أنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما في شرح التحرير لإبن أمير حاج.

ومن عرف أن فتوى الأئمة بإباحة شيء تخرجه عن كونه بدعة سيئة أدرك خطأ الإنكار علينا وحسبي أني أدعو إلى ما أجازه أئمة الفتوى.

ومن احتج عليّ بقول عالم فلا عليّ من ذلك، لأن الحجّة إنما تقوم على من خرق إجماع أهل العلم أمّا من رجح قول بعضهم فأخذ به فلا عليه من حرج، وقد ذكرت وجهة نظري في هذا الشأن وما استندت عليه في هذا الشأن في كتاب تربيتنا الروحية فليراجع.

الباب الثالث

صوفيات وفقهيات

مقدمة الباب الثالث

لقد دعوت إلى دراسة العقائد الإسلامية والفقه والتصوف وأصول الفقه على مذاهب أهل السنة والجماعة كدراسات اختصاص في علوم انبثقت عن الكتاب والسنة وفرضتها المسيرة العلمية للأمة الإسلامية.

ودعوتي لدراسة هذه العلوم لا أعني بالضرورة التسليم بكل ما كتب فيها ولا أعني بالضرورة تزكية لكل كلمة في كتبها بل نبهت في أكثر من مكان من كتبي إلى أن كتب المتأخرين فيها شيء من دخن وطالبت أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة من اجتمع لهم وعي وعلم وتخصص أن يكتبوا في هذه العلوم لينقوها وينقحوها ويقدّموها للناس غضّة طريّة.

ولما كان أخطر العلوم علم التصوّف فقد كتبت فيه كتاب (تربيتنا الروحيّة) وسأصدر كتابين آخرين كل ذلك لشعوري أن هذا العلم قد داخله ما داخله، وحاولت أن أحرر هذا العلم وظني أن من قرأ كتبنا لا يجد عليها مأخذاً ينكره أهل العلم.

ولقد تهجم عليّ ناس بسبب دعوتي لدراسة هذه العلوم أو بسبب دلالتي على كتب فيها يمكن الرجوع إليها أو بسبب كلامي في موضوعات لغيري كلام فيها فتهجم عليّ

وكأنني أنا القائل بذلك الكلام، ومن دقق في عباراتي وجد أنها متسقة مع كلام أهل العلم ومع ما استقر عليه ضمير الأمة الإسلامية، وهذه وقفات عند بعض الاعتراضات.

س ١١ ــ لقد دافعت عن الغزالي رحمه الله بالنسبة لإهماله الكلام عن الجهاد في إحيائه بأنه ذكر أبحاث الجهاد حيث ينبغي أن تذكر وهي كتب الفقه فوجد من رد عليك أن الغزالي تحدّث في إحيائه عن الفقه، ثم ذكر أن تربية الغزالي كانت عاملاً من عوامل إضعاف روح الجهاد في الأمة ؟

جـ ١١ ــ الذي أقوله : إن الغزالي لم يتعرّض في الإحياء لتفصيلات فقهية إلا في الحدود التي يحتاجها الفرد ولم يتعرض في الإحياء للقضايا التي هي من اختصاص الدولة كالقضاء والقصاص والجهاد وإقامة الحدود لكنه تعرض لهذا في كتبه الفقهية، وهذا كتابه الوجيز في الفقه فإنك تجد فيه كلاماً عن الجهاد من صفحة ١٨٦ إلى ٢٠٥، أما الحروب الصليبية فقد كانت مفاجأة في مرحلتها الأولى ولو أنك قرأت تاريخ ابن كثير لرأيت أن ردّة الفعل تجاهها قد وجد حوالي خمسمائة وخمس أي في العام الذي توفي فيه الغزالي، ثم هو لم يكن في بلاد الشام وقتذاك على القول الراجح، فالمفروض أنه غادر بيت المقدس حوالي /٤٩٠/ هـ بينما سيطر الصليبيون على القدس سنة /٤٩٢/ هـ.

أما أن التربيةالغزالية تضعف روح الجهاد فهذا ليس صحيحاً فالمعروف أنه بقدر ما يرتقي الإنسان قلبياً وروحياً تكون استعداداته للتضحية في سبيل الله أكثر، وهذا القرآن حكم فالله عز وجل عندما ذكر بيع النفس له وصف أهل ذلك بصفات من مثل التوبة والعبادة والحمد قال تعالى :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[١].

ثم وصف الذين يشرون أنفسهم فقال :

﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾[٢].

(١) سورة التوبة: (١١١).

(٢) سورة التوبة: (١١٢).

وكتاب الإحياء يرتقي بالإنسان في هذه المعاني كلها، واقرأ كلام الغزالي عن التوبة والعبادة والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإحياء فإنّك لا تجد أقوى منه. ثم إن الغزالي الذي ركّز على الإخلاص والتوكّل، والخوف من الله عزّ وجلّ لا يمكن أن يكون كلامه إلا لصالح الجهاد الخالص.

ولو أنك تأملت الحركات الجهادية التي قامت في العصور المتأخرة فإنك تجد أكثرها كان متأثراً بالفكر الصوفي الفقهي فحركة الشيخ شامل النقشبندي في تركستان وحركة الشيخ سعيد الكردي في تركيا وحركة السنوسيين في ليبيا وحركة الدراويش في السودان وحركة حسن البنا في مصر وخارجها، كل ذلك كان متأثراً بهذا النوع من التصوف.

س ١٢ ـــ يحاول بعضهم أن يعتبر الصوفية بإطلاق فرقة من فرق الضلالة كالخوارج والمعتزلة والمرجئة فما الموقف من ذلك ؟

جـ ١٢ ـــ أقول : إن التصوف أنواع، والحكم على التصوف حكم على شيوخه وأفكارهم، فهناك من شيوخ التصوف من هو من أكابر أهل السنة والجماعة كالجنيد والقشيري. والشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يقول عنه ابن تيمية رحمه الله : إن كراماته منقولة تواتراً، فحيثما وجد الصوفي الذي يتبنى في العقائد مذهب أهل السنة والجماعة ويلزم نفسه بفقههم فهذا من أكابر أهل السنة والجماعة، وإذا تأملت حال علماء الأمة الإسلاميّة منذ قرون فإنّك تجدهم كذلك أو تتلمذوا على من كان كذلك، فإذا استثنيت هؤلاء وأدخلتهم في أهل السنة والجماعة فإنّك تستطيع أن تقول : إنّه وجد عند بعض الصوفيّة غلو وانحراف تجعل بعضهم يدخل في الفرق الهالكة، بل إنّ بعض الصوفيّة يقول كما نقل ذلك الشيخ أحمد الزروق في كتابه قواعد التصوف : احذر هذا الطريق فإن أكثر الخوارج منه، وإنما هو طريق الهلك أو الملك، فمن حقّق علمه وعمله وحاله فقد نال عز الأبد وإلا فقد هلك مع من هلك.

إن هناك بعض الصوفيّة وصلوا إلى سقوط التكليف فاستباحوا المحرمات وتركوا العبادات، وبإجماع أهل الحق من الصوفيّة وغيرهم إن هؤلاء كفرة، فهذه فرقة صوفيّة تستطيع أن تسميها (الإباحية) وهي فرقة هالكة.

وبعض الصوفيّة قالوا بوحدة الوجود بمعنى أن الخلق جزء من الخالق وهذا كفر بنص القرآن : ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين** ﴾[1] فهذه فرقة كافرة

---

(١) سورة الزخرف: (١٥).

بإجماع أهل الحق وقد أشرت إلى مثل هذا في كتابنا (تربيتنا الروحية) وإذن فهناك من انتسب إلى التصوف وتستطيع أن تصنفه في الفرق الهالكة، ولكن أهل الحق منهم هم من كبار الفرقة الناجية بفضل الله.

والخلاصة أن من التزم الصوفية بالكتاب والسنة وبعقائد أهل السنة والجماعة ومذاهبهم الفقهية وفتاوى الأئمة فأمثال هؤلاء هداة مهديون عند أهل التحقيق والإنصاف من أهل العلم أمّا القائلون بسقوط التكليف أو القائلون بوحدة الوجود أو الذين يأتون نقضاً من نواقض الشهادتين أو الذين يفعلون ما لا يجيزه أهل الفتوى فكل من هؤلاء له حكمه الخاص به والثلاثة الأولون يعتبرون من الفرق الخارجة الهالكة، أمّا الآخرون فأهل بدعة، ولم يزل العلماء يفرّون من التسرع بالتكفير والتضليل، ومتى رأيت إنساناً يهجم على التكفير والتضليل دون ضوابط فاعلم أنّه داخل في دائرة الغلو.

س ١٣ ــ بمناسبة التهجم على كتبك تهجم بعضهم على من أثنيت عليهم من أمثال الجنيد رحمه الله والغزالي، كما تهجم على « أفراخ الخلف » دون تفصيل فما الموقف من ذلك ؟

جـ ١٣ ــ لم يزل المسلمون يتحامون الهجوم الظالم على العلماء والأولياء وفي الحديث الصحيح : « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » فلحوم العلماء والأولياء مسمومة، والملاحظ أن بعض الناس بحجّة الجرح والتعديل ينبشون ما قاله أهل العصور ببعضهم لملابسات معيّنة ويحاولون أن يعمموه مع أن الذي استقر عليه علم الجرح والتعديل أن الأئمة تجاوزوا القنطرة ثم إن بعضهم يتهجمون على الخلف، وبالتحقيق فإنهم يريدون أمثال النووي والسيوطي فلو أنّك أتيت إلى هؤلاء وقلت لهم : من تقصدون بفراخ الخلف فإنّهم يقولون : ذلك الذي يقول كيت وكيت فإذا قلت لهم : الغزالي والنووي والسيوطي وابن الجوزي وأمثالهم يقولون بهذا الكلام، فإنّهم عندئذ يصرحون، ولو أنّك تأمّلت كلام هؤلاء لوجدت أنهم بقدر ما يوافقون على الاجتهاد والتجديد يحاربون أهل الاجتهاد والتجديد على مر العصور وإنما يدافعون عن هذه الأمور ليصلوا بالناس إلى نتيجة هي أنهم هم المجتهدون وهم الأئمة فسلموا لنا.

ويكفيني لتعرف غلو هؤلاء أن تقرأ كلامهم عن الجنيد وتقارنه بما قاله أعلام العلماء ممن لا يتهمون كالذهبي وابن كثير فهذان لا يتهمهما إلا ظالم جائر غال، قال بعض المتهجمين :

(إن التصوف يشتمل على أساس التقية دون أن يعلن ذلك على الملأ وذلك حين بدأ يتخذ سبيله إلى عقائد دونها قطع الرقاب فقد كان الجنيد عاملاً بالتقية...)

(وأما اتهامهم للقائلين بالعقائد الضالة بأنهم زنادقة فليس كما يتوهم بعض المسلمين أنهم تبرؤوا منها ومن أصحابها بل هو مدح لهم واعتزاز بمواقفهم وهو تطبيق واقع للتقية فهذا الجنيد يحدثنا عن ذلك...).

(وآخرون قالوا: إن شيوخ التصوف الذين ذكرتهم أسندوا الحديث ووثقهم علماء الجرح والتعديل ومثال ذلك إبراهيم بن أدهم والجنيد، إن هذه المقولة التي تضع بيننا وبين الحقيقة ستاراً كثيفاً من الشك سرعان ما يذوب ويتلاشى أمام نور الحقيقة...)

« لقد فرق جمهور علماء الحديث بين المبتدع الداعية والمبتدع غير الداعية.. إذا علمنا هذه القاعدة المهمة والتي سار عليها علماء الحديث يتضح لنا لماذا أخرج هؤلاء العلماء لهؤلاء المتصوفة ورووا عنهم وقد مر معنا أن الجنيد كان يستتر بالفقه حتى مات... »

« لذلك سارع السذج من المسلمين وعامة المقلدين إلى الصوفيين ليتعلموا العلوم بسرعة البرق... وهذا الأمر تتضح صحته وتظهر أدلته إذا عدنا إلى التاريخ واستقرأنا حياة المتصوفة... الجنيد بن محمد : فارسي من نهاوند توفي عام ٢٩٧ هـ وهو من أئمّة القوم ويسمى سيد الطائفة وقد كان فقيهاً على مذهب أبي ثور... »

« ولو استقصينا سيرة أعلام التصوف لوجدناهم ينتسبون إلى مذهب من المذاهب الأربعة...» هذا بعض الكلام الذي قاله هؤلاء في الجنيد، قارن كلامهم عن الجنيد بما ترجم له الذهبي وابن كثير لتعلم أن كلام هؤلاء سم يجب أن يتحاشى، وأن دورهم في المجتمع الإسلامي دور المشوّش الذي لا يعرف كيف يبني ويحاول أن يهدم كل بناء.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته للجنيد / المجلد ١٤ ص ٦٦ من طبعة الرسالة :

الجُنيد

ابن محمَّد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، والده الخزّاز.

هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، وتفقّه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضاً الحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألّه وتعبّد، ونطق بالحكمة، وقل ما روى.

حدث عنه : جعفر الخلدي، وأبو محمد الجريري، وأبو بكر الشبلي، ومحمد ابن علي بن حبيش، وعبد الواحد بن علوان، وعدّة.

قال ابن المُنادي : سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق الذّكاء وصواب الجواب. لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا.

قيل لي : إنه قال مرة : كنت أفتي في حلقة أبي ثور الكلبي ولي عشرون سنة.

وقال أحمد بن عطاء : كان الجنيد يفتي في حلقة أبي ثور.

عن الجنيد قال : ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلا، إلا وقد جعل لي فيه حظاً.

وقيل : إنّه كان في سوقه ووِرده كل يوم ثلاثة مئة ركعة، وكذا كذا ألف تسبيحة.

أبو نعيم حدثنا عليُّ بن هارون وآخر قالا : سمعنا الجنيد غير مرة يقول : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يُقتدى به.

قال عبد الواحد بن علوان : سمعت الجُنيد يقول : علمنا ــ يعني التصوف ــ مُشَبَّك بحديث رسول الله.

وعن أبي العباس بن سريج : أنه تكلّم يوماً فعجبوا ! فقال : ببركة مُجالستي لأبي القاسم الجنيد.

وعن أبي القاسم الكعبي أنه قال مرة : رأيت لكم شيخاً ببغداد، يقال له الجنيد، ما رأت عيناي مثله ! كان الكتبة ــ يعني البلغاء ــ يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه، والمتكلّمون يحضرونه لزمام علمه، وكلامه بائن عن فهمهم وعلمهم.

قال الخلدي: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علمٌ وحال غير الجنيد. كانت له حال خطيرة، وعلم غزير، إذا رأيت حاله رجّحته على علمه، وإذا تكلّم رجّحت علمه على حاله.

أبو سهل الصعلوكي : سمعت أبا محمد المرتعش يقول : قال الجنيد : كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين، فتكلّموا في الشكر، فقال : يا غلامُ ما الشكر ؟ قلت : أن لا يعصى الله بنعمه، فقال : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد : فلا أزال أبكي على قوله.

السُّلمي حدثنا جدِّي ابن نجيد قال : كان الجنيد يفتح حانوته ويدخل، فيسبل الستر ويصلي أربع مئة ركعة.

وعنه قال : أعلى الكبر أن ترى نفسك، وأدناه أن تخطر ببالك ــ يعني نفسك.

أبو جعفر الفرغاني : سمعتُ الجنيد يقول : أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان.

قيل : كان نقش خاتم الجنيد : إن كنت تأمله فلا تأمنه.

وعنه : من خالفت إشارته معاملته، فهو مدع كذاب.

وعنه : سألت الله أن لا يعذبني بكلامي وربما وقع في نفسي : أن زعيم القوم أرذلهم.

وعنه : أعطيّ أهل بغداد الشطح والعبارة وأهل خراسان القلب والسخاء، وأهل البصرة الزهد والقناعة، وأهل الشام الحلم والسلامة، وأهل الحجاز الصبر والإنابة.

قال أبو محمد الجريري : سمعت الجنيد يقول : ما أخذنا التصوُّف عن القال والقيل، بل عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات.

قال الذهبي : هذا حسن، ومراده : قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوع بلا إفراط. أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس، من الغذاء والنوم والأهْل، فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السَّمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والسعادة في متابعة السُّنن، فزن الأمور بالعدل، وصم وأفطر، ونم وقم، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثل الجنيد في علمه وحاله ؟

قال ابن نجيد : ثلاثةٌ لا رابع لهم، الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام.

وقال ابن كثير رحمه الله الجنيد بن محمد بن الجنيد :

أبو القاسم الخزاز، ويقال له القواريري، أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها، وسمع الحديث من الحسين بن عرفة. وتفقه بأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي، وخاله سري السقطي، ولازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة،

وتكلم على طريقة الصوفية، وكان ورده في كل يوم ثلثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش، فتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه، وكان يعرف سائر فنون العلم، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال، وكذلك في التصوف وغيره. ولما حضرته الوفاة جعل يصلي ويتلو القرآن، فقيل له : لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال ؟ فقال : لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طيّ صحيفتي، قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبي ثور ويقال : كان يتفقه على مذهب سفيان الثوري، وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه، وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال، ويقال : إنه سأله مرة عن مسألة. فأجابه فيها بجوابات كثيرة، فقال : يا أبا القاسم لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت، فأعدها عليّ. فأعادها بجوابات أخرى كثيرة. فقال : والله ما سمعت هذا قبل اليوم، فأعده. فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك، فقال له : لم أسمع بمثل هذا فأمله عليّ حتى أكتبه. فقال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه، أي إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم، وإنما هذا من فضل الله عز وجلّ يلهمنيه ويجريه على لساني. فقال : فمن أين استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثوري وطريقه والله أعلم.

وسئل الجنيد عن العارف ؟ فقال : من نطق عن سرك وأنت ساكت. وقال : مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في مذهبنا وطريقتنا. ورأى بعضهم معه مسبحة فقال له : أنت مع شرفك تتخذ مسبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه. وقال له خاله السري : تكلم على الناس. فلم ير نفسه موضعاً. فرأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له : فتكلم على الناس. فغدا على خاله فقال له : لم تسمع مني حتى قال لك رسول الله ﷺ. فتكلم على الناس، فجاءه يوماً شاب نصراني في صورة مسلم، فقال له : يا أبا القاسم ما معنى قول النبي ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ؟ فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه إليه وقال : أسلم فقد آن لك أن تسلم : قال فأسلم الغلام » البداية والنهاية مجلد ١١/١١٣ ـــ ١١٤.

هذا هو الجنيد الذي يحملون عليه، وقس على ذلك.

س ١٤ ـــ أنكر عليك بعضهم تركيزك على تسمية التصوف علماً وعلى بعض كلامك في هذا الشأن ؟

جـ ١٤ ـــ إن من قرأ كتابي (تربيتنا الروحية) واطلع على ما يقوله هؤلاء يعرف أنهم

ظالمون في الإنكار، ومن اطلع على كتابي (جولات في الفقهين الكبير والأكبر) أدرك أن هؤلاء ظالمون في إنكارهم عليّ دعوتي لدراسة العقائد والفقه والتصوف، ولذلك فإنني أحيل القارىء إلى هذين الكتابين ثم هو يحكم بنفسه، والنقطة الوحيدة التي دندنوا حولها كثيراً هي ذكري لما يجري على يد أبناء الطريقة الرفاعية من خارقات، فهم يعتبرونها سحراً وأنا لا أعتبرها كذلك، ولم أذكر هذا الموضوع لتأييد تصوف، وإنما ذكرته كشيء يفيد في الرد على من أنكر معجزات الأنبياء في عصر أصبح لنشر الفكر المادي مؤسساته، وكنت قد طلبت من شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز أن يرسل لنا ملاحظاته على الكتاب ووعدته أن أنشرها في أول طبعة لاحقة، ليرى المسلم الرأي والرأي الآخر، كما ذكرت له وجهة نظري في تأليفي للكتاب، وإذا تركت التشويش والتهويش فإنك لا تجد أحداً تقدم بنقد واضح على نقطة من نقط الكتاب، بل يحملني بعضهم ما لا أقول ويهاجمني على ضوء ذلك أو يهاجمني على شيء لا تقوم به حجّة.

أمّا اسم التصوف فإنني لا أرى الحساسية منه، والعبرة بالمضمون، وفي كتابي (تربيتنا الروحية) شدة على انحرافات المنحرفين من أهل التصوف، وكنت أتعجب من بعض الناس أنهم يهاجمون ما أهاجم، ولكنهم يوردون ذلك في سياق يفهم منه أنني أقول بما يهاجمون فالمشتكى إلى الله. وبمناسبة ما يجري على يد أهل الطريقة الرفاعية ذكرت هناك أن رأيي في هذا الموضوع هو رأي الفقهاء لكني لا أعتبر ما يجري على يدهم من باب السحر وطالبت بعض المسلمين أن يندبوا أنفسهم لدراسة هذه الظاهرة فهي ظاهرة جديرة بالتأمل، وأنا أعتبر ما يجري على يد فساقهم استدراج ولكنه في الوقت نفسه نوع كرامة للشيخ الأول، وهذه محاولة مني لتفسير ظاهرة تعتبر من أغرب ظواهر العالم، ومن هاجمهم من العلماء ليس معصوماً، إنني أدعو إلى التحقيق في هذا الموضوع فإذا كانت مجرد الدعوة إلى التحقيق في شأن فيه اختلاف كثير يعتبر خطأ فإنني لا أرى ذلك، دعنا نحقق لإنقاذ الذين لا زالوا يؤمنون بما عليه هؤلاء ومن يحسن الظن بهم على الأقل ؟ والذي دعاني إلى فتح باب التحقيق أن زميلين لنا من مدرّسي التربية الإسلامية اجتمعت لهما نزعة عقلانية ويغلب على أحدهما الطابع السلفي تابعا هذا الشأن فخرجا بنتائج أقلّها أن هذا لا يمكن أن يكون سحراً وقد استشهد أحدهما ولا زال الآخر حيّاً، إن فتح باب التحقيق في هذا الشأن قد يوصلنا إلى أشياء جديدة.

س ١٥ ــ أنكر عليك بعضهم دعوتك إلى التفقه على مذهب إمام من الأئمة فما الرأي في هذا ؟

جـ ١٥ ــ إن هذا ليس إنكاراً عليّ، بل هو إنكار على ملايين العلماء من هذه الأمة،

ولو أنك تأمّلت لعرفت قيمة هذا الإنكار، دعني أفترض أن أصحاب المذاهب مؤلفون إسلاميون عاديون، ودعني أعتبر أن من خدم مذاهبهم من هذا القبيل، فهل يحرم على أحد أن يقرأ كتاباً من هذه الكتب، وإذا وثق بدقة المأخذ فهل عليه حرج إذا تابع من وثق بدينه وعلمه ؟ ودعك ممّن يزعم أن هؤلاء ساروا في طريق والدليل كان في طريق آخر ؟ فهذا إتهام لهؤلاء في ديانتهم، وعلى كل فقد ناقشت هذه المسائل كلها في كتابي (جولات)، وظنّي أن المنصف لا يسعه إلا أن يسلم بما ذكرته هناك.

لقد تحدث بعضهم في هذه الشؤون موهماً وكأنني مختلف مع الذين يأخذون بالحديث الصحيح إذا خالف مذهب إمام، وناقشني وكأنني أدعو إلى مذهبيّة مغلقة، بينما أنا أدعو إلى قراءة السنة وشروحها وتحقيق العلماء وأدعو إلى دراسة كتب الفقه، ومن الذي يحرم على الإنسان أن يقرأ لأبي حنيفة أو الشافعي أو مالك أو أحمد ومن يدّعي أن من سار على فتوى هؤلاء فإنه ضال مضل ؟ إلا أن من يدّعي مثل هذه الدعوة عليه أن يراجع نفسه.

لقد اشتد بعضهم على دعوتي إلى التفقه على مذاهب الأئمة، وكأنني أدعو إلى التفقّه على كارل ماركس ولينين، يا هذا أترى أنه يجوز للناس أن يقرأوا كتبك ويأخذوا بما فيها ولا يجوز لهم أن يقرأوا فقه أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وأن يأخذوا بما فيه، فإن قلت أنا لا أقول بلا دليل، فكأنّك اتّهمتهم وزكيت نفسك، وإن قلت أنا أنكر على التفقّه على كتب تلامذتهم وأبناء مدارسهم فاعلم أن ابن حجر شافعي والنووي شافعي والطحاوي حنفي والزيلعي حنفي والعيني حنفي وأي واحد من هؤلاء لا ترقى إلى بعض شأنه.

إنه من المعروف أن أخذ الإمام المجتهد بحديث يعتبر تحسيناً للحديث وتقوية له، ولقد ذكرت هذا في بعض كتبي وأشرت إلى أن بعض الأحاديث التي أخذ بها الأئمة ولم تصلنا من طريق صحيح أو حسن لا تؤثر على أصل توجه الإمام، فهناك احتمال أن بعض العلم قد فاتنا أو لا زال مدفوناً. وأنا أسأل متى طبع صحيح ابن خزيمة وعثر عليه، ومتى طبع معجم الطبراني الكبير وأين مسند بقي بن مخلد وإنما أذكر ذلك في قضية توثيقها منها، وإنما أحتمل زيادة التوثيق مع أن ما اتجه إليه الأئمة كلّه مناقش ومحرّز ولهم في توجهاتهم أعذارهم وحتى عندما يتركون حديثاً صحيحاً من جهة السند على أنني أفتح الباب واسعاً أمام الأخذ من أقوال أهل الحديث، كما أدعو إلى العمل بالحديث الصحيح إذا قال به إمام ولو خالف المذهب.

فهذا نوع من الهجوم الظالم الذي يحاول صاحبه أن يوهم الناس أن فلاناً يقول بكذا

ويهاجمه فيه وهو أبعد الناس عنه، كما تهجم بعضهم عليّ، بسبب أنني أدعو إلى دراسة علم العقائد، وينقل بهذه المناسبة ذم العلماء لعلم الكلام والذي يعرفه العام والخاص، إن دعوتي لعلم العقائد غير الدعوة إلى علم الكلام المذموم، ومن العجيب أن يهاجمني بذلك ويهاجم الإخوان المسلمين بأنهم لا يركزون على العقائد.

س ١٦ ــ لقد أشرت إلى علم المنطق ودعوت إلى دراسات فيه فأخذ عليك بعضهم ذلك لما ورد من ذم العلماء لهذا العلم، فما جوابكم ؟

جـ ١٦ ــ أقول : إن قسماً كبيراً من المعرفة البشرية الحالية للمنطق دخلٌ فيها، فمعرفة قوانين الكون وتقدم علم الرياضيات إنما هما أثران عن الاستنتاج والاستقراء، ولكل من الاستنتاج والاستقراء ضوابط، ومحل هذين العلمين هو كتب المنطق الاستقرائي والاستنتاجي، فأن تستنكر دراسة أصول المعرفة وضوابط المعرفة الكونية، وأن تستنكر معرفة قوانين العقل والمعرفة العقلية فذلك نوع من البعد عن الزمان والمكان، هناك المنطق الجدلي وهو مذموم، وهناك المنطق السوفسطائي وهو مذموم، وهناك تحكيم الألفاظ المنطقية في الحقائق وذلك مذموم، وهناك المنطق المزخرف لإبطال حقيقة أو حجة أو معنى صحيح وهو مذموم، أما المنطق الذي تعرف به الحكم العقلي أو الحكم العادي فلا حرج فيه، وهذا هو الحد الذي أرى أن يكون لبعض الدارسين دراسة فيه.

س ١٧ ــ هاجمك بعضهم لدعوتك أن يتخذ الإنسان مربياً مرشداً فما رأيك ؟

جـ ١٧ ــ هؤلاء المهاجمون استغلوا هذه المناسبة فهاجموا أفكاراً لم أذكرها ولم أتعرض لها بل ذكرت ما ينقضها، وإن هذا الهجوم لظالم فلم يزل المسلمون كابراً عن كابر يتتلمذون على أهل العلم والفضل والتربية دون نكير، ولقد هاجم هؤلاء حسن البنا بهذه المناسبة على شيء لا يمكن أن يكون مأخذاً، فالتربية على التقوى والطاعة سنة المرسلين « فاتقوا الله وأطيعون » فأن يربي الأستاذ البنا حملة الإسلام على التقوى والطاعة للقيادة الراشدة فأي حرج في هذا، أما ذكر التصوف من قبل الأستاذ البنا فله في ذلك أسوة بملايين العلماء الذين لا يتحسسون من ذكر اسم التصوف.

س ١٨ ــ هاجمك بعضهم على تأكيدك صعوبة وجود المجتهد المطلق فما رأيكم ؟

جـ ١٨ ــ ما أظن أن عاقلاً يشك في أن وجود المجتهد المطلق من الصعوبة بالمكان العظيم، وحتّى هؤلاء الذين هاجموني في ذلك أشاروا إلى أنواع من الاجتهاد في سياق

ذلك موهمين أنني أنكرها مع أنّني في الأبواب التي ذكروها أفتح الباب على مصراعيه بل إن الأستاذ البنا ــ وقد حاولت أن أدافع عن كلامه ــ يرى التدرّج العلمي ليصل المسلم إلى أن يكون من أهل النظر ولكن بعد أن يتفقّه على مذهب إمام ويتعرّف على أدلّة إمامه، فإذا كان الهدف هو الوصول إلى الاجتهاد فكيف يزعم أنني أغلق باب الاجتهاد، ولكني أقول مع العلماء : إنّ من ادعى منصب الاجتهاد وليس أهلاً له فإنه ضال مضل، لأنه على شفا تحريم الحلال وتحليل الحرام.

س ١٩ ــ اعترض عليك بعضهم أنك نسبت لرسول الله ﷺ القول : (لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو الفضل) قال : والذي عليه أهل العلم بالحديث الشريف أن هذا الحديث موضوع ولا تصح نسبته إلى الرسول ﷺ، فمن أين أتى به الأستاذ، أم أنها قلة الزاد في علم الحديث ؟

جـ ١٩ ــ أقول : وهذا الكلام نموذج على التسرع في الإنكار علينا دون مبرر، فلقد ذكر السخاوي هذا الحديث في المقاصد الحسنة، وذكر أن ابن عساكر قد رواه عن ثلاثة من الصحابة كما ذكره غيره، والحديث وإن كانت كل رواية من رواياته ضعيفة فإن معناه صحيح، كما ذكر السخاوي.

قال السخاوي رحمه الله :

« ٢١٢ ــ إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل، العسكري في الأمثال، والخلعي في تاسع فوائده واللفظ لأولهما من طريق محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن بكار حدثنا عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة عن أنس قال : بينما النبي ﷺ في المسجد إذ أقبل عليّ فسلم، ثم وقف ينظر موضعاً يجلس فيه، فنظر النبي ﷺ في وجوه أصحابه أيهم يوسع له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال : ههنا يا أبا الحسن، فجلس بين النبي ﷺ وبين أبي بكر، فعرف السرور في وجه النبي ﷺ، وقال : يا أبا بكر، إنما يعرف وذكره، وهو عند الديلمي في مسنده من جهة حسين بن الفضل حدثنا مأمون بن سعيد بن يوسف حدثنا سليمان عن سليم عن أبي سعيد رفعه : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لذوي الفضل أهل الفضل وفي ترجمة العباس من تاريخ دمشق من حديث عائشة أن النبي ﷺ، كان جالساً مع أصحابه وبجنبه أبو بكر وعمر فأقبل العباس فأوسع له أبو بكر فجلس بين النبي ﷺ وبين أبي بكر. فقال النبي ﷺ وذكره وهما ضعيفان ومعناه صحيح، ولا يخدش في إجماع المسلمين على تقديم أبي بكر وفضله على سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ».

س ٢٠ ــ لقد أنكر عليك بعضهم أنك ذكرت كتاب /مراقي الفلاح/ في فقه العبادات عند الحنفية مشيراً به على من أراد التفقه في فقه الحنفية بحجة أن في هذا الكتاب سقطة ذوقية علمية فما الجواب ؟

جـ ٢٠ ــ ترى هل هناك كتاب في العالم بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا وعليه ملاحظات، فإذا كان الأمر كذلك فمن الغوغائية أن يقال أنظروا إلى هذه السقطة في ذلك الكتاب وانظروا أن فلاناً يدعو إليه، لقد حاولنا في كل ما كتبنا أن نضع بيد المسلم ميزاناً دقيقاً ليأخذ العلم وهو يزن ما يأخذه على ضوء منهج محدد، وعلى ضوء ذلك نشير بكتاب، مع أننا ذكرنا أن في كتب المتأخرين بعض الدخن كما طالبنا بكتابة جديدة في كل علم، وأما كتاب مراقي الفلاح فهو متوفر في الأسواق، ومجموع المسائل التي تعرض لها في فقه الصلاة خاصة ندر أن تجدها في كتاب ميسر، أما أن الكتاب فيه مسائل لم يهضمها ذوق بعضهم فالمسألة ترجع إلى فهم قضية الفقه أصلاً، فالفقه مهمته التفصيل لدقائق حياتية، ومهمته الإجابة على التساؤلات الكثيرة والافتراضات المحتملة، وكنت قد ذكرت حكمة ذلك في كتابي /جولات/ ومسائل الحياة فيها الشاذّ وفيها وفيها، فإذا ما توسع الفقيه في التفصيل فلا حرج عليه، ومَن مِن البشر لا يزيد أو ينقص عن الحد اللازم، فمن يريد أن يسقط كتب أهل العلم بسبب مسألة لا تناسب ذوقه، أو بسبب مسألة لم ير فيها حاجة إلى التفصيل، أو حتّى بسبب مسألة غلط فيها المؤلف، وقد تكون مدسوسة عليه فكأنّه يريد أن يسقط الكتب كلها ما عدا كتاب الله، لأنه لا يوجد كتاب لمؤلف إلا ويمكن أن يوجد فيه شيء من ذلك. ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[1]. لا شك أن المسألة التي ذكرها صاحب مراقي الفلاح ليست مناسبة ولكن لا أرى أن تسقط الكتاب بسبب ذلك.

---

(١) سورة النساء: (٨٢).

الباب الرابع

دفــاع خجــل

مقدمة

تهجم بعض الناس على كتبي هجوماً شديداً ممّا اقتضاني أن أذكر شيئاً عن الأسباب التي أدّت بي إلى كتابة ما كتبت :

إنني أعتبر أن نقطة البداية في استقامة الإنسان وفي النهوض بالأمة هي الثقافة ومن ههنا انصب تفكيري منذ مرحلة مبكّرة في حياتي على التفكير في المناهج الثقافية للمسلم المعاصر، وقد كان الكثيرون من أبناء الحركة الإسلامية ينادون بضرورة وجود « منهج » لكن هذه الكلمة كانت تأخذ طابعاً غائماً غير واضح فبعضهم كان يتكلّم عن المنهج ويريد به المناهج العلمية التي ينبغي أن يأخذها كل مسلم ليعرف إسلامه ويحقّق فروض عينه ويحدّد طريقه، وبعضهم يعتبر المنهج هو الإطار الحركي الذي ينبغي أن تسير عليه الحركة الإسلامية لتحقيق أهدافها وبعضهم يتحدث عن المنهج ويريد به وجهات نظر الحركة الإسلامية في صياغتها للحياة المعاصرة وفي خضم هذه الفهوم لقضية المنهج يبقى هناك شعور عام بأن الحركة الإسلامية في صياغتها للحياة المعاصرة وفي خضم هذه الفهوم لقضية المنهج يبقى هناك شعور عام بأن الحركة الإسلامية تحتاج إلى منهاج، وتجد الناس من ههنا وههنا كل يقول : نريد منهجاً، ومن ههنا اتجهت همتي لتحقيق هذا المطلب المهم، فحاولت أن أوجد منهجاً يحقق الهدف الدراسي لكل مسلم، ويحقق بآن واحد في طيّاته التعرّف على منهج الحركة للعاملين في الإسلام، والمنهج الذي يريده

أبناء الإسلام للتطبيق، وعلى ضوء ذلك كانت كتاباتنا ومؤلفاتنا، وإذ كان الكثير المطلوب موجوداً فقد اتجهت للاستفادة من الموجود وصياغة المفقود.

كنت أرى أن المسلم المعاصر يحتاج إلى ثقافة إسلامية متوارثة، وثقافة معاصرة، ويحتاج إلى تكامل في سلوكياته وأخلاقيّاته، ويحتاج إلى تركيز على قضايا القلب والروح، وكأثر عن ذلك اتجهت إلى أن تكون كتاباتي مراعية ذلك.

لقد كتب الكثير في الثقافة المتوارثة وما على الإنسان إلا أن يختار وجاءت الدراسات الإسلامية المعاصرة مكملة، وكانت هناك نقاط بحاجة إلى تركيز ومن ههنا اقتضى وضع العصر التركيز على الإيمان بالله والإيمان بالرسول ﷺ وشرح الإسلام وشرح أنظمته، فنظام يقابل نظاماً، فهناك النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي والاعتقادي ونظام العبادات، فهذه الأمور اقتضاها وضع العصر والإسلام يكافح، ومن ههنا قلنا : إنه لا بدّ من ثقافة إسلامية متوارثة وثقافة معاصرة وكأثر على استقراءاتي وتجربتي فقد أصبحت أرى أنه من الناحية الثقافية يحتاج المسلم المعاصر إلى أن يلمّ بثلاث عشرة وحدة دراسية وقد حاولت أن أكتب في كل ما أعتبره احتياجاً لا بدّ منه ولي فيه نظرة خاصة. وهذه الوحدات الدراسية التي أرى ضرورتها وخاصّة للذين يتصدرون للدعوة والقيادة هي :

أولاً : كتب الإسلاميين المعاصرين والمجلات الإسلامية المعاصرة.

ثانياً : ثقافة وأخلاق الربانيين جنداً وقادة. وقد كتبت في ذلك.

جند الله ثقافة وأخلاقاً، من أجل خطوة إلى الأمام، جولات في الفقهين الكبير والأكبر في آفاق التعاليم، كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر.

ثالثاً : الأصول الثلاثة. وقد كتبت في ذلك الكتب التالية :

الله جل جلاله، الرسول، الإسلام.

رابعاً : علوم القرآن، وتلاوته، ومعرفة مفرداته، والكتب في هذا كثيرة ولذلك لم أكتب فيها شيئاً.

خامساً : علوم الحديث والتعرّف على مكتبته والكتب في هذا كثيرة ولذلك لم أشأ أن أكتب فيه ولكنني كتبت في السنّة كما سأعرض.

سادساً : علوم اللغة العربية والكتب في ذلك كثيرة ولذلك لم أشأ أن أكتب في هذا.

سابعاً : أصول الفقه والكتب في هذا كثيرة فلم أشأ أن أكتب فيه.

ثامناً : الفقه والكتب فيه كثيرة فلم أشأ أن أكتب فيه.

تاسعاً : العقائد والكتب فيها كثيرة فلم أشأ أن أكتب في ذلك.

عاشراً : التصوّف والكتب المحرّرة التي تناسب العصر فيه قليلة لذلك كتبت فيه الكتب التالية :

تربيتنا الروحيّة، المستخلص في تزكية الأنفس، مذكّرات في منازل الصدّيقين.

حادي عشر : فقه الدعوة، وقد كتبت فيه :

المدخل، دروس في العمل الإسلامي.

وأنصح فيه بدراسة مذكّرات حسن البنا ورسائله، ولي مذكرات هي خلاصة تجربتي سأنشرها إن شاء الله تعالى.

ثاني عشر : المنهج، وهو معرفة الكتاب والسنة، وقواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص. وقد كتبت فيه الكتب التالية :

الأساس في التفسير.

الأساس في السنّة وفقهها.

الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.

ثالث عشر : التاريخ وسأكتب فيه الوجيز في التاريخ الإسلامي واستقراءات أحداثه.

وإنّني أرى أن كل مسلم يحتاج إلى أن يأخذ حظّه التدريجي من هذه الوحدات الدراسية، ولتنظيم هذا المعنى كتبت رسالة إحياء الربانية ودعوت إلى إنشاء جمعيات الربانية وما تستتبعه من مؤسسات لتنظيم إيصال هذه الثقافة وإيجاد الأجواء التي تساعد على إيصال الأخلاقية الربانية والحياة الروحيّة والقلبيّة لكل مسلم.

وإذا اتضح هذا أكون قد أجبت علمياً على الكلام الذي ألقاه بعضهم حول كتبي والذي أجيب عليه من خلال إجابتي على الأسئلة اللاحقة.

س ٢١ ــ هل الكتابة عندك تجارة أو مبادرة ؟ وهل تنطلق في التأليف من خلال نظرية أو من خلال عشوائية ؟

جـ ٢١ ــ لولا أن بعض الناس ذكروا التجارة لما كان يصح أن أتكلم، أما وقد ذكرها بعضهم فإن المعروف أنني حاولت ألا أدخل جيبي قرشاً واحداً من ريع التأليف وقد استمررت على ذلك حتّى قطع راتبي ولم يبق لي مصدر رزق فعندئذ بدأت آخذ من ريع كتبي، وإخواني يعلمون أنّ طريقي في الحياة ألّا أكنز مالاً بفضل الله، أمّا مؤلفاتي فجميعها بفضل الله تنبثق عن نظرية متكاملة.

لقد تقدمت للإخوان المسلمين في سورية بمشروع لنظرية تربوية ثقافية في عام

١٩٦٤ وقد أجمعت الجماعة على قبولها وقتذاك بمؤسساتها كلها وكلفتني أن أضع هذا المشروع موضع التنفيذ وكل كتاباتي فيما بعد كانت أثراً عن ذلك.

لقد انطلقت في التأليف من خلال نظرية تلحظ احتياجات المسلم في هذا العصر، وما من كتاب تقدمت به أو سأتقدّم إلا وله محله في هذه النظرية، ولذلك فإنني أعتبر كل كتاب طرحته أو سأطرحه يشكل احتياجاً من احتياجات العصر، ولا يعني هذا أنه كل ما يحتاجه المسلم، ولكن عادتي ألا أعمل في مشروع كتاب إلا إذا وجدت ضرورة لذلك.

س ٢٢ ــ ماذا أنجزت ؟ وماذا تعمل ؟ وما محل كل من كتبك في النظرية الثقافية التربوية التي يحتاجها العصر ؟

جـ ٢٢ ــ لقد أنجزت سلسلة الأصول الثلاثة (الله) (الرسول) (الإسلام) وهي مادة رئيسية في الثقافة الإسلامية المعاصرة فالمسلم بحاجة إلى أن يتعرف على أدلة وجود الله وعلى إيجابيات الاعتقاد الإسلامي في باب الألوهية، كما أنه بحاجة إلى معرفة لرسول الله ﷺ ومعرفة بأدلة رسالته، وهو كذلك بحاجة إلى أن يعرف الإسلام عقيدة وعبادة ومناهج حياة ومؤيدات وهذا الذي أبرزته في سلسلة الأصول الثلاثة، ولا أعرف أنه يوجد في المكتبة الإسلامية مثلها، ولقد عملت فيها على أساس أخذ الموجود واستكمال المفقود، فيها أبحاث أخذتها من غيري وفيها الكثير الذي كتبته، ولقد شكلت من الجميع عقداً من اللؤلؤ تحتاجه المكتبة الإسلامية، وقد استفدت في كتاب (الله جل جلاله) من أهم الكتب العلمية التي كانت موجودة في السوق من مثل (قصة الإيمان) لنديم الجسر (مصير البشرية) لليوكونت دي نوي و(الله يتجلّى في عصر العلم) لمجموعة من علماء الكون و(العلم يدعو إلى الإيمان) لكريسي موريسون و(الله والعلم الحديث) لعبد الرزاق نوفل (الله) لعباس العقاد و(مع الله في السماء) لأحمد زكي، وغير ذلك من المؤلفين المحدثين، ومزجت هذا مع كلام الإسلاميين من قدامى المؤلفين ونقلت بعد ذلك نقولاً عزوتها لأصحابها وأمّا كتابي (الرسول) و(الإسلام) فكل نقل فيهما قد عزوته لأصحابه، وقديماً كان بعض المؤلفين يجمع بين كتابين أو أكثر أو يكتفي بالاختصار ومع ذلك لا يسأل لماذا فعلت ؟ إذا كان فعله فيه مزيد فائدة، أليس عجباً أن يوجد ناس يقولون لماذا ألفت هذه السلسلة.

ولقد أنجزت كتاب (تربيتنا الروحية) و(المستخلص في تزكية الأنفس) وأنا الآن أعمل في كتاب (مذكرات في منازل الصدّيقين) ومحل هذه الكتب الثلاثة يأتي في فقرة

السلوك إلى الله وتزكية الأنفس، ومن قرأ الكتب الثلاثة عرف أنه لا يوجد لها مثيل في المكتبة الإسلامية المعاصرة في كونها ركزت وأكدت وحررت هذا العلم حتى غدا صافياً محرراً على الأصول العلمية والفقهية.

ولقد أنجزت كتاب جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأعتبره من أقوى كتب العصر وهو يصلح أن يكون تمهيداً لدراسة أصول الفقه، والفقه، والعقائد، والتصوف، وعلوم اللغة العربية.

ولقد أنجزت : جند الله ثقافة وأخلاقاً، ومن أجل خطوة إلى الأمام والمدخل وفي آفاق التعاليم ودروس في العمل الإسلامي وكي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر وفصول في الإمرة والأمير وظنّي أنه ما من كتاب من هذه الكتب إلا وله ميزة لا توجد في غيره من الكتب المطروحة في السوق هذا إذا كان لنا فيه مشارك.

ولقد أنجزت كتاب الأساس في التفسير وهو كتاب يطرح لأول مرة في تاريخ الأمة الإسلامية نظرية متكاملة في الوحدة القرآنية.

وأنا الآن أعمل في كتاب (الأساس في السنة وفقهها) وسأعمل إن شاء الله في كتاب : قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.

وعندي مشروع كتابة موجز للتاريخ الإسلامي مع استقراء أحداثه.

وظني أن كل جهد بذلته كان أثراً عن رؤية متكاملة للنظرية الثقافية والتربوية المعاصرتين وأنه يشكل احتياجاً لثقافة المسلم المعاصر، ودعني من الذي ينكر علي أن أقدم شيئاً لعصري بحجة أنه لا جديد يحتاجه العصر.

س ٢٣ ــ يلاحظ أنك تكرر بعض المعاني في كتبك فما السر في ذلك ؟

جـ ٢٣ ــ تتكرر بعض المعاني باختلاف السياق، وهذا القصص القرآني يتكرر بسبب من تعدد السياقات التي يرد بها، ومن ثم فإنني لا أعتبر مثل هذا التكرار مأخذاً، وأحياناً أكرر بعض المعاني لمناسبة تقتضيها، وأحياناً أكرر لمجرد التأكيد وخاصة في القضايا التي أصابها نسيان أو إهمال، وسأحاول في طبعة لاحقة لكتبنا أن أحذف من المكرر كل ما يمكن الاستغناء عنه إن شاء الله تعالى.

س ٢٤ ــ نشرت مجلة سيارة كلمة ذكر فيها كاتبها : إن في كتابك (تربيتنا الروحية) ما يتنافى مع الإسلام الصحيح واستضعف كتابك (دروس في العمل الإسلامي).

جـ ٢٤ ــ ليس لي حيلة أن يقول قائل ما يقول، وأتمنى على كل من يضع نفسه قاضياً وحاكماً أن يتأنى في الحكم، أما أن في تربيتنا الروحية ما يتنافى مع الإسلام فستجد الجواب عليه في هذه الرسالة، وأما أن كتاب (دروس في العمل الإسلامي) ضعيف فأظن أن الكثيرين ممن قرأوه لا يشاركون الكاتب رأيه ولنا أعذارنا في أننا لم نتوسع، أما أنه يمكن أن يكون أحسن فما من كتاب بشري إلا ويمكن أن يكون أحسن، ولكن عذري الواضح أن موضوعات ذلك الكتاب تحتاج إلى التلميح أكثر مما تحتاج إلى تصريح وإلى إيجاز أكثر مما تحتاج إلى إطناب.

وأخيراً فقد قال قائلون :

إن هناك أقلاماً تستعد للهجوم عليك وألسنة قد انطلقت تهاجم ولا أقول إلا :

﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾[1].

﴿ ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة الأعراف: (٨٩).



فهرس الرسالة العاشرة

الإجابات



الرسالة الحادية عشرة :

الخمينية :
شذوذ في العقائد والمواقف



بين يدي الرسالة

جعلنا هذه الرسالة جزءاً من هذا الكتاب لأن كثيراً من الناس قد يتوهم أن الثورة الإيرانية هي التي تعتبر حلاً لمشكلات العصر، وقد كنا نتمنى ذلك لولا أن القائمين عليها تبنّوا أفكاراً خالفوا فيها الإجماع، واتخذوا مواقف لا تصلح لهذا العصر فاضطررنا لكتابة هذه الرسالة، وأملنا في الله كبير أن تعود الثورة الإيرانية إلى رشدها فتتبنى تشيّعاً سنياً تلحظ فيه عدم مخالفة الإجماع، وتلحظ فيه الرأي العام العالمي فيما يعتبر مباحاً.



مقدمة

إن حبّ آل بيت رسول الله ﷺ فريضة شرعية على كل مسلم، ولكن مَنْ هم أهل بيته، وما هي مظاهر الحب الصحيح؟ لا شك أن آل البيت هم ذوو قرباه المستجيبون لهدايته، ولا شك أن المظهر الأرقى للحب هو المودة القلبية والاتباع الظاهري. ولم تزل الأمة الإسلامية تتقرب إلى الله بحب آل بيت رسول الله ﷺ ؛ ولكنه عبر شعار حب آل البيت وجد التشيع الشاذ الذي ظهر عبر التاريخ بعقائد فاسدة ومواقف خطيرة خائنة.

وعندما انتصر الخميني ظن المخلصون في هذه الأمة أن الخمينية إرجاعٌ للأمر إلى نصابه في حب آل بيت رسول الله وتحرير التشيع من العقائد الزائفة والمواقف الخائنة، خاصة، وأن الخميني أعلن في الأيام الأولى من انتصاره أن ثورته إسلامية وليست مذهبية، وأن ثورته لصالح المستضعفين ولصالح تحرير شعوب الأمة الإسلامية عامة ولصالح تحرير فلسطين خاصة. ثم بدأت الأمور تتكشف للمخلصين، فإذا بالخميني هذا يتبنى كل العقائد الشاذة للتشيع عبر التاريخ، وإذا بالمواقف الخائنة للشذوذ الشيعي تظهر بالخميني والخمينية، فكانت نكسة كبيرة وخيبة أمل خطيرة.

لقد ظهرت ولا زالت تظهر كتابات ومقولات عن بعض أئمة الشيعة تعبر عن عودة صادقة للأصول يتطابق فيها التشيع العلوي بالتسنن النبوي كتلك الكتابات التي نقدت الكليني في كتابه الكافي والتي كان بالإمكان أن تكون مقدمة لتحقيقات ومدارسات ومذاكرات يلتقي فيها المخلصون من الشيعة وأهل السنة والجماعة على كلمة سواء، وكان المفترض بالخميني أن يشجع هذا الاتجاه، ولكنه بدلاً من ذلك تبين للمخلصين أنه

يقاوم هذا الاتجاه، ويتبنى ما يخالفه مما يعمق الشذوذ والانحراف ويؤكد الخلاف والاختلاف، فكان لا بدّ لأهل العلم في هذه الأمة أن يبينوا للمسلمين خطورة الخميني والخمينية، وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله : « يحملُ هذا الدين من كلّ خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ». أما وقد دخل الخميني في زمرة الغلاة المحرِّفين والمنتحلين المبطلين والمؤوِّلين الجاهلين، فلا بدّ لأهل العلم في هذه الأمة أن يقولوا فيه ما يفضح أمره ويبين حاله كي لا يغتر أحد به، ولكي لا يهلك فيه أحد إلا وقد قامت عليه الحجة وظهر له من البينات ما يدعوه إلى اجتناب هذا الخطر العظيم الذي هو مقدمة لسخط الله واستحقاق عذابه ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾[1] .

هذا هو الذي دعانا لكتابة هذه الرسالة، وخلاصة السبب هو أن المسلمين استبشروا في مشارق الأرض ومغاربها بتيار الصحوة الإسلامية المعاصرة، آملين أن تعيد إليهم مجدهم الغابر وسلطانهم الزائل ووحدتهم العقدية التي بها يواجهون تحديات عصرهم التي صارت تحيط بهم من كل حدب وصوب وجهة ومكان.

وقد تحقق أعداء الإسلام من خطورة هذه الصحوة الإسلامية الرشيدة على مصالحهم، وأنها القاضية الماحقة لغاياتهم التي خططوا لها زماناً ؛ فأعادوا لعبتهم القديمة الجديدة، وتشاور كهنة المجوس وأحبار اليهود يريدون الكيد للإسلام وأهله، وبان لهم بأن تشويه هذه الصحوة الواعية وحرفها عن مقاصدها النبيلة الكريمة أفضل وسيلة وأنجع طريق لضربها وإخراجها من مضمونها الإسلامي السليم تحريفاً لغاياتها وتدميراً لأسسها، فسلطوا عليها من المتظاهرين بالإسلام قوماً، علَّهم يحققون لهم ما خططوا له وبيتوا من سوء، ليغتالوا الوليد في مهده وأول نشأته ونمائه.

وهكذا كان الأمر، جاءت الخمينية المارقة تحذو حذو أسلافها من حركات الغلو والزندقة التي جمعت بين الشعوبية في الرأي والفساد في العقيدة تتاجر بمشاعر جماهير المتعلقين بالإسلام تاريخاً وعقيدة وتراثاً، فتتظاهر بالإسلام قولاً وتبطن جملة الشذوذ العقدي والحركي الذي كان سمة مشتركة وتراثاً جامعاً للهالكين من أسلافها من الأبامُسلمية والبابكية والصفوية، فيعيدوا إلى واقع المسلمين كل نزعات الشر والدمار التي جسدتها تلك الحركات المشبوهة الساقطة في شرك الكفر والزندقة والعصيان، وتعيد إلى الأذهان كل مخططات البرامج الباطنية القائمة على التدليس والتلبيس، فتدعي نصرة

---

(١) سورة الكهف: (٢٩).

الإسلام وهي حرب عليه عقيدة ومنهجاً وسلوكاً، وتتظاهر بالغيرة على وحدة الصف الإسلامي وهي تدق صباح مساء إسفيناً بعد إسفين في أركان الأمة الواحدة، متوسلة إلى ذلك بنظرة مذهبية شاذة، وتزعم نصرة المستضعفين في الأرض وهي تجند الأطفال والصغار وتدفعهم قسراً وإلجاءً إلى محرقة الموت الزؤام، ثم هي لا تكتفي بكل هذا الشر الأسود بل تقيم فلسفتها جملة وتفصيلاً على قراءة منحرفة قوامها التلفيق والتدليس لكل تاريخ المسلمين، فتأتي على رموزه وأكابر مؤسسيه هدماً وتشويهاً وتمويهاً، وتجدد الدعوة بإصرار إلى كل الصفحات السلبية السوداء الماضية في التاريخ، والتي ظن المخلصون أنها بادت فليس من مصلحة المسلمين ولا في صالح الإسلام إعادة قراءتها من جديد، فلقد قاسى الجميع من شرها ما لا يحصره كتاب.

وهكذا أيضاً خلطت الخمينية في منهجها الحركي الفاسد المدمر كل توجهات الحركات السرية الباطنية ومناهجها القائمة على التلقين السري والاعتصام بالتقية والاستمداد من المجوسية لتتحول في الغاية والنهاية ــ كأخواتها في التاريخ ــ إلى مدرسة ممتازة للغدر والمخاتلة، وإلى منهجية شريرة ذات شعب ثلاث: إفساد للعقيدة، وطمس لمعالم الإسلام، وتشويه لمقاصده النبيلة، ورغبة في السيطرة والهيمنة قد غُلفت بشعارات خادعة.

وستتضمن هذه الرسالة فصلين وخاتمة، الفصل الأول في العقائد الشاذة وتبنّي الخميني لها، والثاني في مواقف الخمينية الشاذة. أما الخاتمة فستكون حديثاً إلى أبناء هذه الأمة في ضرورة التمسك بعقائد أهل السنة والجماعة لأنها الحق والعدل، ولأن الإنحراف عنها هو الطريق إلى سخط الله والنار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

بعض عقائد الشيعة الشاذة
وتبني الخميني لها

توطئة

لقد ظهرت خلال التشيع آراء شاذة كثيرة، ودخلت باسم التشيع عقائد زائفة كثيرة، ولقد كان التشيع سبيلاً لمرور كثير من الأفكار الكافرة، فانبثقت عنه فرق غالية كالإسماعيلية والنصيرية والدرزية، وهي فرق باطنية اجتمع على تكفيرها الشيعة الإثني عشرية وأهل السنة والجماعة سواء بسواء.

ولكن الشيعة الاثني عشرية ــ وإن كفّروا هؤلاء ــ فإن لهم من العقائد الزائفة الكثير، وهم مع تكفيرهم لهذه الفرق الغالية يمدون أيديهم لها ضد أهل السنة والجماعة، فهذه الفرق وإن اختلفت عن الشيعة الاثني عشرية في أصول وفروع، فإن الشيعة الاثني عشرية يرون أن هذه الفرق ــ مع أنها تقول بألوهية الإنسان وغير ذلك من العقائد الزائفة ــ هي أقرب إليهم من أهل السنة والجماعة، وهذا وحده دليل انحراف خطير.

وسوف لا نُفصل في وجوه هذا الإنحراف كثيراً، ونكتفي بذكر بعض العقائد الشاذة التي تبناها الشيعة الاثني عشرية والتي تبناها الخميني وأعلن عنها.

أولاً : الغلو في الأئمة

قال تعالى : ﴿ **اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم**﴾[1]، المعروف ان النصارى قد اتخذوا المسيح رباً، وقد فسَّر رسول الله ﷺ كيفية اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله بأنهم أحلُّوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

والشيعة غلوا هذا الغلو فأسبغوا العصمة على أئمتهم، فجعلوا القول بعصمة الإمام أصلاً من أصول مذهبهم كما أثبت ذلك الكليني في « الكافي » وابن بابويه القمي في « عقائد الشيعة الإمامية » والشيخ المفيد في كتابيه « أوائل المقالات » و« تصحيح عقائد الشيعة الإمامية »، فإجماع أئمتهم من المتقدمين والمتأخرين يفيد أن الإمام معصوم عن الخطأ والسهو والإسهاء والنسيان عن قصد أو عن غير قصد، وأن الإمامة أعلى مرتبة من النبوة[2]، وأن لهم حرية الاختيار في التحليل والتحريم، فقد جاء في أصول « الكافي » لإمامهم الكليني القول بأن الله خلق محمداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون[3].

فهذا غلو من الشيعة في الأئمة جعلهم يشاركون الله سبحانه في القدرة على تدبير هذا الكون وتسخيره، والله عز وجل جعل لذاته التدبير فقال تعالى : ﴿ **يُدبر الأمر** ﴾.

كما غلا بعض الشيعة فجعلوا الأئمة يشاركون الله في علم الغيب وفي علم كل شيء، فقد أورد الكليني في « الكافي » باباً بعنوان : « إن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء »[4]. وهذا كله نقيض قوله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول**﴾[5]، ونحن لا ننكر أن يطلع الله عباده على شيء من غيبه كرامة له، ولكنا ننكر أن يكون هذا هو الأصل في حق أي مخلوق.

إن هذه الضلالات فتحت الباب على مصراعيه لكل مهووس ودجال أن يدعي مقاماً

---

(١) سورة التوبة (٣١)

(٢) حياة القلوب للعلامة المجلسي: ٣/١٠.

(٣) أصول الكافي: ص ٢٨٧. وقد صحح الخميني هذا الحديث في كشف الأسرار.

(٤) أصول الكافي: ١٦٠، ولمزيد من التفاصيل انظر كتاب « الباب الحادي عشر » وكتاب « كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد » لابن المطهر الشيعي.

(٥) سورة الجن: (٢٦، ٢٧).

لبعض البشر يفوق مقام الأنبياء، وأن ينسخ من شريعة الإسلام ما شاء كما أراد، في حين أن عقيدة أهل الحق أن النبوة مرتبة مخصوصة واجتباء واصطفاء من الله تعالى لمن شاء وأراد لقوله تعالى : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس** ﴾.[1]

وجاء الخميني ليؤكد هذا الغلو ويعمقه، وذلك جحود لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو كفر بواح، فانظر إلى الخميني وهو يغلو في حق أئمته فيعطيهم العصمة والتدبير والعلم الإلهي ويرفعهم فوق مقام الأنبياء، فيقول في كتابه « **الحكومة الإسلامية** » :

« إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين. وقد ورد عنهم عليهم السلام : إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل »[2].

وقال في موضع آخر من كتابه هذا : « إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصًّا وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها »[3] و« إنه لا يتصور فيهم (أي الأئمة) السهو والغفلة »[4].

ثانياً : قولهم بتحريف القرآن الكريم

من المعلوم من الدين بالضرورة أن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله سبحانه، وأن ما قبله من الكتب موكول إلى حفظ أهله، ولذلك حُرِّف ما قبله من الكتب السماوية، أما هو فمحفوظ، قال تعالى عن التوراة : ﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** ﴾[5] فهذا يدل على

---

(١) سورة الحج: (٧٥).

(٢) الحكومة الإسلامية: ص ٥٢ (ط. القاهرة ١٩٧٩)، وطبعة طهران مكتبة برزك الإسلامية، وراجع تفاصيل أخرى في كتاب العلامة أبي الحسن الندوي: صورتان متضادتان: ص ٧٧ فما بعد.

(٣) الحكومة الإسلامية: ١١٢.

(٤) المصدر نفسه: ٩١.

(٥) سورة المائدة: (٤٤).

أن حفظ التوراة قد وكل إلى من أنزلت عليه وأما القرآن فإنه محفوظ بحفظ الله، قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1]، فهذا القرآن بقراءاته المتواترة قد أجمعت عليه الأمة منذ عهد الصحابة حتى اليوم.

أما الشيعة الإمامية الاثني عشرية فإن غلاة متقدميهم ومتأخريهم مجمعون على أن القرآن قد حرف وبدل وجرت عليه الزيادة والنقصان ؛ منهم كبير مؤلفيهم ومحدثيهم وأوثقهم عندهم الكليني في كتابه « الكافي »، وخاتمة محدثيهم محمد باقر المجلسي في كتابه « مرآة العقول » وموسوعته الكبرى « بحار الأنوار »، فقد أورد الكليني مجموعة من الروايات تؤكد إيمانهم بالتحريف، منها رواية نسبها إلى جعفر بن محمد الصادق قال فيها : « إن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة.. مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد »[2]. وقد نسب الشيخ المفيد، شيخ علماء الشيعة الإمامية في القرن الرابع الهجري، القول بالزيادة في القرآن والنقص فيه إلى جماعة كبيرة من أعيان متكلمي الإمامية وأهل الفقه منهم والاعتبار[3].

وقال خاتمة محدثي الشيعة محمد باقر المجلسي : « إن كثيراً من الأخبار صريحة في نقص القرآن وتغييره، متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل أظن أن الأخبار في هذا الباب لا تقصر عن أخبار الإمامة »[4]. ومعلوم أن الإمامة عندهم ثابتة بالنص والتعيين وجاحدها كافر باجماعهم.

وقد حاول بعض معتدلي الشيعة تجاوز هذا الرأي وإسقاطه عن المذهب، فتصدى لهم غير واحد من علماء الشيعة، فسفهوا رأيهم، وحملوا قولهم بذلك على التقية، وكان من أبرزهم نوري الطبرسي الذي أثنى عليه الخميني غير مرة[5]، والذي ألف كتابه الضخم في أواخر القرن الثالث عشر الهجري : « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب »، وأورد فيه أكثر من ألفي رواية من الروايات الشيعية المعتمدة في كتبهم تفيد القول بالتحريف والنقص، وأن لا اعتماد على هذا القرآن الذي بين أيدي المسلمين

---

(١) سورة الحجر: (٩).

(٢) الكافي: ١/٢٣٩ ـــ ٢٤١ ط. طهران، كتاب الحجة، باب: ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة.

(٣) أنظر أوائل المقالات في المذهب والمختارات: ٩٣.

(٤) مرآة العقول: ٢٥٣.

(٥) الحكومة الإسلامية: ٦٦.

اليوم، ونقل عن السيد المحدث نعمة الله الجزائري قوله في كتاب « الأنوار » : « إن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن : كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها »[1] .

وهذا كله كفر محض، لأنه مناقض لما هو معلوم من الدين بالضرورة، أي ميزة تكون للإسلام إذا كان كتابه محرفاً أو مغيراً أو ناقصاً.

وكنا نأمل أن يتصدى الخميني لمثل هذه الكفريات وينزه كتاب الله سبحانه عنها ويلعن القائلين بها ويصرح بكفرهم وخروجهم عن ملة الإسلام، إلا أنه عاد فأكد كل هذا الشذوذ العقدي في كتابه « كشف الأسرار » حينما قال : « لقد كان سهلاً عليهم (يعني: الصحابة الكرام) أن يخرجوا هذه الآيات من القرآن ويتناولوا الكتاب السماوي بالتحريف ويسدلوا الستار على القرآن ويغيبوه عن أعين العالمين. إن تهمة التحريف التي يوجهها المسلمون إلى اليهود والنصارى إنما تثبت على الصحابة »[2] .

وهذا من خميني كفر بواح ونقض للإسلام كله، فهذا القرآن المعجز الذي حوى معجزات كثيرة إذا تُجرىء عليه فأي سند في الإسلام يبقى له مكانة وأي سند للإسلام يبقى بعد ذلك.

ثالثاً : موقف الشيعة من السنة النبوية المطهرة

من المعروف المجمع عليه عند علماء الشيعة، بل من أصول مذهبهم، أن الأمة قد كفرت بعد وفاة رسول الله ﷺ وارتدت عن دين الله ــ والعياذ بالله ــ إلا ثلاثة أو أربعة[3] ، ولذلك فإنهم لا يعتمدون عليهم ولا يثقون بأخبارهم ويطرحونها جملة وتفصيلاً باعتبارها ساقطة مكذوبة موضوعة.

ولذلك فإن الشيعة أجمعين ــ حتى المعتدلين منهم ــ لا يحتجون من السنة إلا بما

---

(١) فصل الخطاب: ٣٠، ٢٣٨ ــ ٣٢٩.

(٢) كشف الأسرار: ص ١١٤ بالفارسية نقلاً من كتاب العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي: صورتان متضادتان ص ٩٤ (طبعة عمان).

(٣) انظر ما يأتي: الموقف من الصحابة ففيه تفصيل.

صح لهم عن طريق أهل البيت[1] ، يقول الشيخ محمد حسن آل كاشف الغطاء ــ وهو من معتدليهم ــ : « أما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس له عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر »[2] .

وقد درس الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي المتوفي سنة ٩٨٤هـ في كتابه المشهور « وصول الأخيار إلى أصول الأخبار » ــ وهو من كتب مصطلح الحديث المشهورة المرموقة عندهم ــ هذا الأمر، فتوصل إلى الحكم العام في كتب حديث أهل السنة حينما قال : « فصحاح العامة كلها وجميع ما يروونه غير صحيح »[3] .

وقد صرَّح الخميني في كتابه « كشف الأسرار » أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد وضع حديث : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »، في معرض حديثه عن مخالفة أبي بكر للقرآن الكريم[4] ، كما صرح في كتابه « الحكومة الإسلامية » أن الصحابي الجليل سمرة بن جندب كان يضع الحديث أيضاً[5] .

هذا هو رأي الشيعة وزعيمهم الخميني في السنة النبوية المطهرة التي رواها عن رسول الله ﷺ أصحابه الأتقياء البررة. وإن من المعلوم عند علماء الحديث أنه من أنكر حديثاً صحيحاً مع الأدب فقد فسق ومن أنكره مع سوء الأدب فقد كفر، وكذلك من أنكر حديثاً متواتراً. وقد تبين مما تقدم أن الخميني وشيعته ينكرون كل السنة التي رويت لنا بأسانيد صحاح، وفي ذلك إنكار لأحاديث صحيحة كثيرة، وبعض ما أنكروه يبلغ مبلغ التواتر، وجميع ما أنكروه يدخل ضمناً في حد التواتر، وهم بذلك ينقضون الأساس الثاني لهذا الدين وهو السنة، وهم بدلاً عن السنة الثابتة يعتمدون روايات عن أئمة الكذب والوضع مما جمعه الكليني وغيره. وقد بلغنا أن بعضهم نقد رجال الكليني فذكر عدداً كبيراً منهم بأنهم كذابون، وتلك شهادة الشيعة أنفسهم على ما في كتبهم المعتمدة من

---

(١) انظر كتاب أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين كاشف الغطاء: ٧٩ (ط. مؤسسة الأعلمي ببيروت).

(٢) المصدر السابق.

(٣) وصول الأخيار: ٩٤ (قم ــ طبعة سنة ١٤٠١ هـ). والصحاح هي كتب الحديث المعتمدة عند أهل السنة مثل صحيح البخاري ومسلم..

(٤) كشف الأسرار: ١١٢.

(٥) الحكومة الإسلامية: ٧١.

دس عند كثير من المنصفين منهم. أما نحن فلا نقبل رواياتهم أصلاً لأنهم منحرفون في العقيدة يستحلون الكذب في نصرة أهوائهم. وقد ثبت أن الخميني الذي يقول بارتداد الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ ويتهمهم بوضع الحديث، ويطعن في رواة الأمة الثقات، لا يستدل في بحوثه إلا بكتب فرقته، وهو أمر مشهور.

رابعاً : الموقف من الصحابة

من المعلوم أنه لم يبق بعد وفاة رسول الله ﷺ من المنافقين إلا نزر يسير، وهذا النزر اليسير قد أعطي سرهم لحذيفة بن اليمان كي لا يلعبوا أي دور خسيس في الأمة الإسلامية، ومن ذلك نشر الأكاذيب عن رسول الله ﷺ، لذلك فإن علماء هذه الأمة اعتبروا كل الصحابة في الرواية عدولاً، ونظرت الأمة إلى جيل الصحابة الذين أكرمهم الله عز وجل بصحبة نبيه ونصرة دينه وحمل أمانته نظرة احترام وتقديس، لأن الله عز وجل شهد لهم فقال تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾[1]، وقال تعالى عن هؤلاء : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾[2]. وقد فهم أهل السنة والجماعة أن الصحابة لا يجترىء عليهم إلا زائغ وذلك من قوله تعالى : ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** ﴾[3]، وبعض الشيعة كفروا بموقفهم من عائشة رضي الله عنها واتهامهم إياها وقد برأها الله عز وجل، وبعض الشيعة لا يكتفون ببغض الصحابة وتفسيقهم وتضليلهم بل يزيدون على ذلك ويجهرون بالسوء في حق الصحابة ويخصون بمزيد من اللعن والسب أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأبا عبيدة وعبد الرحمن بن عوف، فإذا كان العشرة المبشرون بالجنة لا يسلمون منهم فما بالك بغيرهم ؟! وأي اعتبار للإسلام يبقى بعد الوقوع بأصحاب رسول الله ﷺ ؟ فإذا كانت تربية الرسول ﷺ لم تصل بالناس إلى الكمال فما حال تربية غيره ؟ أنظر إلى الكليني صاحب « الكافي » وهو يسوق رواية موثقة عندهم منسوبة إلى جعفر بن محمد الصادق تقول : « كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت : من الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي »[4].

---

(١) سورة الفتح: (١٨).
(٢) سورة الفتح: (٢٦).
(٣) سورة الفتح: (٢٩).
(٤) أصول الكافي: ٣/٨٥.

ويسوق في موضع آخر رواية ينسبها إلى الباقر وقد سأله أحدهم عن الشيخين : « ما تسألني عنهما، ما مات منا ميت إلا ساخطاً عليهما يوصي بذلك الكبير منا الصغير، إنهما ظلمانا حقّنا وكانا أول من ركب أعناقنا، والله ما أُسست من بلية ولا قضية تجري علينا أهل البيت إلا هما أسسا أولها، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[1] .

ويقول الكشي في كتابه « الرجال » : « سأل الكميت بن زيد الإمام الباقر عن الشيخين فقال: يا كميت بن زيد! ما أُهريق في الإسلام دم ولا اكتسب مال من غير حِله ولا نكح فرج إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا »[2] .

وهذا الأمر مستفيض عند علمائهم وثقات محدثيهم من المتقدمين والمتأخرين أمثال ابن بابويه القمي وشيخ الطائفة الطوسي، والشيخ المفيد، وابن طاووس، والأردبيلي، وأبو الحسن القمي ومحمد باقر المجلسي الملقب عندهم بخاتمة المحدثين، والذي أسهب الخميني في الثناء عليه في كتابه « كشف الأسرار »[3] ، وقد أورد المجلسي في كتبه « زاد المعاد » و« حق اليقين » و« بحار الأنوار » من الأكاذيب والحكايات في حق سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهم ما نتأدب عن نقله.

أما الخميني الذي نادى في أول حركته بتوحيد الأمة الإسلامية فقد كان من المفروض أن يسدل الستار على مثل هذه الضلالات بحق أطهار هذه الأمة ويعلنها حرباً على من يقول بها، ويمنع الكتب المؤلفة في سبهم وتكفيرهم، لكنه بدلاً من كل ذلك تبنى أعتى الشذوذ الشيعي في هذا المجال.

وكان الخميني قد كتب فصلين في كتابه « كشف الأسرار »، أحدهما في بيان مخالفة أبي بكر للقرآن[4] ، والآخر في مخالفة عمر لكتاب الله[5] ، فيهما من الكذب والافتراء والحقد على أئمة المسلمين ما لا يتصور وصفه من رجل يدعي العلم والمعرفة والدين، فقال في حق الشيخين : « إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات للقرآن ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حلّلاه وما حرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين.. إن مثل

---

(١) أصول الكافي: ٣/١١٥.
(٢) رجال الكشي: ١٣٥.
(٣) كشف الأسرار: ١٢٠.
(٤) كشف الأسرار: ١١١ — ١١٤.
(٥) كشف الأسرار: ١١٤ — ١١٧.

هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى والأفاقون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موضع الإمامة، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر »[1] .

ووصف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن أعماله : « نابعة من أعمال الكفر والزندقة والمخالفات لآيات ورد ذكرها في القرآن الكريم »[2] ، بل ذكر في خلاصة كلامه على سبب عدم ورود ذكر الإمامة في القرآن الكريم وما قام به الشيخان في زعمه من اغتصاب للخلافة ما نصه : « من جميع ما تقدم يتضح أن مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئاً مهمّاً جداً. وأن المسلمين إما كانوا داخلين في حزب الشيخين ومؤيدين لهما، وإما كانوا ضدهما ولا يجرؤون أن يقولوا شيئاً أمام أولئك الذي تصرفوا مثل هذه التصرفات تجاه رسول الله وتجاه ابنته، وحتى إذا كان أحدهم يقول شيئاً فإن كلامه لم يكن ليؤخذ به. والخلاصة : حتى لو كانت لهذه الأمور ذكر صريح في القرآن فإن هؤلاء لم يكونوا ليكفوا عن منهجهم ولم يكونوا ليتخلوا عن المنصب »[3] .

ومع أننا نعتقد أن خميني كتب كتابه « الحكومة الإسلامية » وفيه الكثير من المدارة والتقية باعتباره برنامجاً حركيّاً له ولأتباعه، فإنه حرص كل الحرص على أن لا يذكر اسم الشيخين وعثمان بن عفان رضي الله عنهم كلما اضطرته ضرورة التسلسل التاريخي، بل يقفز من ذكر الرسول ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4] . ولكن الواضح من عقيدته التي نسوق نصوصها من كتابه « الحكومة الإسلامية » والتي معناها أن الرسول ﷺ قد عين عليّاً رضي الله عنه وصيّاً وخليفة من بعده تقضي بالنتيجة أن الصحابة عصوا أمر الرسول وخالفوه واغتصبوا الخلافة وعينوا أبا بكر بدلاً منه.

يقول خميني : « نحن نعتقد بالولاية ونعتقد ضرورة أن يعين النبي خليفة من بعده، وقد فعل »[5] ، ويقول بعد قليل : « وكان تعيين خليفة من بعده عاملاً ومتمماً ومكملاً

---

(١) كشف الأسرار: ١٠٧ — ١٠٨.

(٢) كشف الأسرار: ١١٦.

(٣) كشف الأسرار: ١١٧. وقد نقل هذه الأقوال قبلنا مجموعة من العلماء نذكر منهم: محمد إبراهيم شقرة في كتابه « شهادة خميني في أصحاب رسول الله » ط. دار عمار في عمان / الأردن، ومحمد منظور نعماني في كتابه « الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام »، ونقل بعضها أبو الحسن الندوي في كتابه « صورتان متضادتان ».

(٤) انظر الحكومة الإسلامية: ٢٦، ٧١.

(٥) الحكومة الإسلامية: ١٨.

لرسالته »[1]، ثم يوضح ذلك فيقول : « بحيث كان يعتبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لولا تعيين الخليفة من بعده غير مبلغ رسالته »[2].

وهذا هو الشذوذ الذي يخرج قائله عن دائرة الإسلام، فإن هؤلاء وقعوا في الضلال والإضلال وشاركوا أهل الكتاب فيما نهاهم الله عز وجل بقوله : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** ﴾[3].

خامساً : انتقاصهم لرسول الله ﷺ

لم تزل كتب الشيعة مليئة بانتقاص الرسول ﷺ سواء بذلك انتقاصهم من خلال الطعن في أزواجه أو من خلال الطعن في أصحابه أو من خلال الطعن في كمال رسالته، وجاء الخميني ليزيد على ذلك بأن ينتقص من مقام رسول الله فيذكر أنه لم يحقق الإنصاف الإلهي مع أن الله عز وجل قال : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾[4]، فالرسول ﷺ حقق الإنصاف الإلهي بما لا مزيد عليه وكل من حقق شيئاً من الإنصاف بعده فإنما حققه مقتدياً به، بينما الخميني ينتقص رسول الله ﷺ في تصريح له نشرته مجلة امباكت انترناشنل في لندن[5] بالإنكليزية، ومجلة إيشيا الصادرة بلاهور في باكستان باللغة الأوردية[6]، وهما مجلتان كانتا صديقتين لخميني إلا أنهما استفظعتا منه هذا القول وردتا عليه بمقال عنوانه : « هذا نفي للإسلام وتاريخ الإسلام ».

سادساً : مخالفتهم الإجماع

لقد نص القرآن على أن إجماع المسلمين حجة قال تعالى : ﴿ **ويتبع غير سبيل**

---

(١) الحكومة الإسلامية: ١٩.

(٢) الحكومة الإسلامية: ٢٣.

(٣) سورة المائدة: (٧٧).

(٤) سورة النساء: (١٠٥).

(٥) مجلة امباكت. لندن ١٩٨٤/٨/٢٤.

(٦) عدد ذي الحجة ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٨٤ م.

المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾[1] ولم يحفل بعض الشيعة بالإجماع قط، وكذلك شأن الخميني، وأفظع مثال على مخالفتهم الإجماع إباحتهم لنكاح المتعة الذي لا زال قائماً في إيران بعهد الخميني، وما نكاح المتعة إلا زنا صريح بعد انعقاد الإجماع على تحريمه. وممن قال بتحريمه علي بن أبي طالب نفسه. صحيح أن الإسلام لم يحرم نكاح المتعة في أول الأمر، لكن الثابت عن رسول الله ﷺ أنه حرمه أخيراً، ثم أجمعت الأمة على ذلك، وها هو نكاح المتعة الذي يهدم نظام الأسرة ويهدم أحد مقاصد الإسلام العظيمة في حفظه للأعراض والأنساب وفي رعايته للأبناء كي ينشؤوا في وسط عائلي ما أمكن ذلك، كل ذلك يهدمه هؤلاء الشيعة، وها هو نظام الخميني يشجعه، وكفى بذلك علامة على أنهم لا يبالون بالإجماع كحجة شرعية، والأمر في ذلك خطير وكبير، فهم يخالفون الإجماع في كثير من أمورهم في العقيدة والعبادة ومناهج الحياة، ألا تراهم يخالفون الإجماع في الصلوات وفي الصوم وفي الحج وفي غير ذلك من شعائر الإسلام وشرائعه، والخميني يؤكد هذه المخالفة، بل يكرسها في دستوره، عندما يعتمد مذهب الاثني عشرية كمذهب وحيد وإلى الأبد، ويجعل هذه المادة غير قابلة للبحث والتعديل (المادة ١٢).

سابعاً : الموقف من أهل السنة والجماعة

إن الشيعة الاثني عشرية تعد كل من لا يؤمن بالأئمة وعصمتهم ناصبيّاً تحرم عليه الجنة ويدخل النار. ومن مقولاتهم التي ذكروها في كتبهم وتبناها الخميني في كتبه ضرورة مخالفة أهل السنة والجماعة. صحيح أن هذا جاء في سياق ضرورة اتّباع الكتاب والسنة أولاً، ولكن أي كتاب والكتاب عندهم محرف، وأي سنة والسنة عندهم ما تناقلته الشيعة وحدهم. انظر إلى الخميني ناقلاً ومتبنياً في رسالته « التعادل والترجيح » وهو يبحث في الأخبار الواردة في مخالفة العامة (أي أهل السنة والجماعة. فيقول[2]: « وهي طائفتان : إحداهما : ما وردت في خصوص الخبرين المتعارضين، وثانيهما : ما يظهر منها لزوم مخالفتهم وترك الخبر الموافق لهم مطلقاً »، وبعد أن ساق الخميني مجموعة من الروايات المختلفة المنسوبة إلى آل البيت الكرام في وجوب مخالفة أهل

---

(١) سورة النساء: (١١٥).

(٢) التعادل والترجيح: ٨٠ ــ ٨١، وأصل الرسالة بالعربية مطبوعة ضمن رسائل له في طهران.

السنة والجماعة استطرد قائلاً : « ولا يخفى وضوح دلالة هذه الأخبار على أن مخالفة العامة مرجحة في الخبرين المتعارضين مع اعتبار سند بعضها، بل صحة بعضها على الظاهر واشتهار مضمونها بين الأصحاب، بل هذا المرجح هو المتداول العام الشائع في جميع أبواب الفقه وألسنة الفقهاء »، وقد انتهى الخميني في بحثه الفقهي في هذه المسألة بقوله : « فتحصل في جميع ما ذكرنا في أول البحث إلى هنا أن المرجح المنصوص ينحصر في أمرين، موافقة الكتاب والسنة ومخالفة العامة » [1].

ألا فليعلم شباب أهل السنة والجماعة من هذه الأمة رأي الخميني في أهل السنة والجماعة عامة وليتنبهوا إلى خداعه ومراوغته وخداع أتباعه فما هم إلا دعاة ضلالة وما هم إلا دعاة إلى النار فالله تعالى يقول : ﴿ **واتّبع سبيل من أناب إليّ** ﴾ [2] وهؤلاء يأمرون أتباعهم بوجوب مخالفة فتوى أئمة الاجتهاد من أمثال الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي بل يأمرون أتباعهم بمخالفة أي عالم من علماء أهل السنة والجماعة ويعتبرون ذلك علامة على صحة السير وسلامة المقصد، فهؤلاء بالنسبة لأهل السنة والجماعة يرون أن يعامل أهل السنة والجماعة كمعاملة اليهود والنصارى في ضرورة المخالفة حيث لا نص في الكتاب والسنة والإجماع.

ثامناً : غلوهم في فاطمة الزهراء رضي الله عنها

إن محبتنا لفاطمة رضي الله عنها جزء من محبتنا لأبيها وزوجها وأولادها فلا غرابة أن نحبها ونحترمها، ولكن الغرابة أن ينسب إلى فاطمة ما ليس لها، وأن تُرفع فوق قدرها، وهذه كتب الشيعة تنص على أن الوحي تنزل على فاطمة بعد أبيها عليه الصلاة والسلام، وزاد الخميني فرفعها إلى مقام فوق مقام الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، يقول في خطابه (الذي ألقاه في حسينية جماران ظهر يوم الأحد المصادف ١٩٨٦/٣/٢ بمناسبة عيد المرأة وهو يوم مولد سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها)، يقول تعليقاً على رواية وردت في كتاب الكافي للكليني ما نصه : « إن فاطمة الزهراء عاشت بعد وفاة والدها خمساً وسبعين يوماً قضتها حزينة كئيبة، وكان جبرائيل الأمين يأتي إليها لتعزيتها وإبلاغها

(١) التعادل والترجيح: ٨٢.

(٢) سورة لقمان: (١٥).

بالأمور التي ستقع في المستقبل، ويتضح من الرواية بأن جبرائيل خلال الـ ٥٠ يوماً كان يتردد كثيراً عليها، ولا أعتقد بأن رواية كهذه الرواية وردت بحق أحد باستثناء الأنبياء العظام. وكان الإمام علي يكتب هذه الأمور التي تنقل لها من قبل جبرائيل، ومن المحتمل أن تكون قضايا إيران من الأمور التي نقلت لها.. لا نعرف من الممكن أن يكون ذلك، أي أن الإمام علي كان كاتب وحي مثلما كان كاتب وحي رسول الله. فقضية نزول جبرائيل على شخص ما ليست بالقضية السهلة والبسيطة، ولا تعتقدوا بأن جبرائيل ينزل على كل شخص، إذ لا بدّ من تناسب بين روح الشخص الذي ينزل عليه جبرائيل وبين جبرائيل الذي يعتبر الروح الأعظم، وهذا التناسب كان موجوداً بين جبرائيل وأنبياء الدرجة الأولى مثل الرسول الأعظم وعيسى وموسى وإبراهيم وأمثالهم، ولم ينزل جبرائيل على أحد غير هؤلاء، حتى إنني لم أجد رواية تشير إلى نزول جبرائيل على الأئمة.. إذن فهذه الفضيلة لم يحظ بها أحد من بعد الأنبياء غير فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذه من الفضائل الخاصة بالصديقة فاطمة الزهراء ».

إن مثل هذه الأقوال تخرج صاحبها من الدين الإسلامي بإجماع المسلمين بمختلف مذاهبهم.

وبعد فهذه بعض عقائد الشيعة الاثني عشرية وهذه بعض العقائد الخمينية، ذكرناها لك باختصار، وفي كتب الشيعة أنفسهم وفي كتب الخميني المزيد الذي يدهشك بشذوذه وانحرافاته، وقد كتب الكثيرون من قبل ومن بعد في شذوذات المذهب الاثني عشري والشذوذات التي تطالعها في كتبهم كثيرة وغريبة، وإن من ألف عقائد أهل السنة والجماعة وعرف صفاءها ونقاءها وعرف مذاهبهم الفقهية وطرائقهم في التحقيق والجرح والتعديل لا يستطيع أن يتحمل ما يجده من شذوذ وغرائب، ولكن بعض شباب أهل السنة والجماعة خُدعوا بذلك وغُرر بهم، لأن عندهم فراغاً استغله هؤلاء المخادعون الخادعون، فحاولوا أن يقدموا لهم الخمينية على أنها تمثل الأصالة والحيوية، وما هي إلا مقبرة للإسلام الصحيح ومحاولة لدفن الإسلام وأهله فيا شباب الأمة الإسلامية انتبهوا.

الفصل الثاني

في المواقف الشاذة للخمينية

لقد ذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته : أن الصراع بين الصفويين والعثمانيين لم يكن لصالح الأمة الإسلامية ؛ بل كان لصالح الكفر والكافرين، وكنا نطمع أن يتعقل الشيعة والسنة هذا المعنى فلا تتجدد الحروب بين عالم السنة والشيعة، ولكن الخميني فرض هذا الصراع فرضاً مما أدّى إلى انتكاس في الصحوة الإسلامية، وتحالفات مع الكفر والكافرين، وإجهاض للتنمية في العالم الإسلامي، وتحويل وجهة العالم الإسلامي.

وقد تحدث التاريخ عن حالات كثيرة كانت فيها عواطف بعض الشيعة مع الكافرين ضد المسلمين، بل جمعوا إلى العواطف أعمالاً ؛ فهؤلاء الشيعة ساعدوا الهولنديين في القضاء على دولة اليعاربة في شرقي الجزيرة العربية، وهذا نصير الدين الطوسي يقنع هولاكو في إنهاء الخلافة العباسية، وها هو ابن العلقمي يخون خليفته فيساعد التتار في القضاء على الدولة العباسية، وها هم الحشاشون يحاولون اغتيال صلاح الدين، وكم من مرة أظهر فيها بعض الشيعة عواطفهم نحو الكفر والكافرين ضد الإسلام والمسلمين. وكنا نتمنى ألا تتكرر هذه الظاهرة، ولكنها ظهرت من جديد بالخمينية وأتباعها، ولئن كان حب العرب مركوزاً في فطرة كل مسلم، فإن كثيراً من الشيعة خلال العصور لم يستطيعوا أن يخفوا كرههم للعرب، وخاصة الفرس منهم، وهكذا كان كثير من الشيعة الفرس دعاة ورعاة للشعوبية الحاقدة على كل ما هو عربي ومسلم، وكنا نأمل أن تكون الشعوبية قد انتهت إلى الأبد، ولكن الخميني أثارها من جديد، وهكذا يجتمع في الخمينية عقائد شاذة ومواقف شاذة فيحيي بذلك الشذوذ العقدي عند الشيعة والمواقف الشاذة

عندهم وكل ذلك على حساب الإسلام والمسلمين، ومن ها هنا أصبحت المواقف الخمينية خطراً ماحقاً على هذه الأمة، لا يجوز لأهل الرأي والفكر أن يسكتوا عنها وعن أهدافها القذرة وأساليبها الماكرة، ولقد ظهرت المواقف الشاذة للخمينية في أمور متعددة آن الأوان للتنبيه عليها والتحذير منها، وهاك أخطر ما في هذه المواقف :

أولاً : روح السيطرة على العالم الإسلامي ومحاولة تشييعه

إن ما يجري في تركيا وفي لبنان وفي سوريا وفي السند، وإن الحرب العراقية الإيرانية والدعاية الهائلة والأموال الطائلة التي تبذلها الخمينية ما هي إلا مقدمات لسيطرة الشذوذ الشيعي على الأمة الإسلامية، فها هي « حركة أمل » و« حزب الله » يتعاونان على القضاء على الفلسطينيين في لبنان بمساعدة سوريا، وها هي أمل بالتعاون مع سوريا تصفي الوجود السني في بيروت، وها هي النصيرية في طرابلس متعاونة مع النظام السوري تصفي شوكة السنيين في طرابلس، وها هي سوريا بنظامها الباطني تعمل على تقويض سلطان السنة في تركيا فتمد اليسار والأرمن وتدفع بالنصيرية نحو التغلغل في الأحزاب المتطرفة، وها هي سوريا تتحالف مع إيران مساعدة كل منهما الأخرى في كل شيء، وها هم الشيعة في السند يركبون موجة بعض الأحزاب ليقوضوا استقرار باكستان، وما هي إلا أن يسقط العراق في حربه مع إيران ــ لا سمح الله ــ حتى يسري التهديد الشيعي الإيراني إلى كل جزء في الخليج، بل إلى كل قطر في الجزيرة العربية، لتقوم بذلك نواة لدولة قادرة على السيطرة على العالم الإسلامي، تمتد من السند إلى إيران إلى العراق إلى سوريا إلى لبنان إلى أجزاء في الجزيرة العربية إلى تركيا. وها هي ليبيا جاهزة للتعاون في إفريقيا مع هذه الدولة النواة لتشكل هي وإيران ومن يدور في فلكهما وإسرائيل والجهات المسيطرة على طمس معالم الإسلام فيه. ومن هنا كان لنا موقف لا بدّ منه من الحرب العراقية الإيرانية ؛ هذا الموقف يتمثل في وجوب إيقاف هذه الحرب، لأن إيقاف الحرب هو الذي ينهي التطلعات الخمينية الجنونية للسيطرة الخطرة على الأمة الإسلامية.

ثانياً : تحالفات استراتيجية مرفوضة

كان لا بدّ للتطلعات الخمينية من تحالفات تحقق بها مآربها ومطامعها، ولقد أدركت دوائر كثيرة أن عليها أن تراعي التطلعات الخمينية وأن تتعاون معها لما يترتب على هذا

التعاون من تحقيق مقاصد مشتركة سننبّه عليها في الفقرات التالية. ومن ها هنا وجدنا تحالفاً عجيباً بين إيران وليبيا وبين إيران وسوريا وأمل من جهة وإسرائيل من جهة أخرى، ووجدنا تحالفاً بين إيران والغرب، ووجدنا وفوداً من الاتحاد السوفياتي تأتي إلى إيران، ووجدنا وفوداً من إيران تذهب إلى الاتحاد السوفياتي، وكل ذلك يتناقض مع كل ما صرح به الخميني ابتداء، وإنما جرّه إلى هذا التناقض الذي أفقده مصداقيته تطلعاته للسيطرة على الأمة الإسلامية، ولو كان ذلك لحساب كل جهة معادية للإسلام والمسلمين.

ثالثاً : تنمية الأمة الإسلامية وأموالها في خطر

لقد أصبحت أموال الأمة الإسلامية قبل انتصار الخميني كثيرة كثرة تؤهلها للسيطرة الإقتصادية على العالم وتؤهلها لتطوير نفسها، وكانت الأمة الإسلامية تتطلع إلى دول الخليج في تنميتها، فأقدم الخميني على تهديد أمن العراق الذي كان مقدمة للحرب الشاملة، وبذلك فإن أموال دول الخليج ذهبت ضحية لهذه الحروب، ففقدت الأمة الإسلامية بذلك قدراتها الاقتصادية وتنميتها، وهكذا ساعد الخميني العالم غير الإسلامي في سلب الأمة الإسلامية أموالها وتطويرها إلى أمد بعيد لأنه حتى في حالة انتهاء الحرب فإن العالم غير الإسلامي هو الذي سيعيد إعمار العراق وإيران، وهكذا فإن الحكومات الكافرة هي التي ربحت في الحرب وفي ما بعد الحرب وكل ذلك بسبب السياسات الخاطئة للخمينية الراغبة في السيطرة.

رابعاً : انتكاس الصحوة الإسلامية

لقد كان العالم الإسلامي قبل ظهور الخميني في طريقه إلى العودة إلى الإسلام، وبدأت شعوب العالم تستمع إلى كلمة الإسلام الصافية، فجاء التطبيق الخميني أسوأ مثل لنموذج تطبيقي للإسلام على أرض الإسلام، وخاطب العالم بخطاب غير معقول، ودعاهم إلى إسلام عجيب، رأينا نماذجه في الفصل الأول، فكان لذلك آثار على صحوة الشعوب الإسلامية، وكان لذلك آثار على استعداد غير المسلمين لسماع كلمة الحق، فكانت

الخمينية انتكاسة للصحوة الإسلامية، وكانت تحطيماً لتطلعات دعاة الإسلام إلى عالم جديد. وهكذا وبعد أن كادت جهود المصلحين والمجددين أن تؤتي ثمارها، هزّ الخميني فطرة الإنسان فأحدث بها اهتزازاً وارتباكاً، لأنه خاطب هذه الفطرة بغير المعقول وبغير المقبول ؛ فجعل المذهبية مادة في دستوره، وحرم الأقلية السنية في تطبيقه أبسط حقوق الإنسان، فإذا عرفت أن طهران كلها ليس فيها مسجد واحد لأهل السنة والجماعة عرفت مدى ما يمكن أن ينظر إليه العالم إلى ضيق الأفق في التطبيق الإسلامي الذي لا يعطي فرصة حتى للمخالفين في المذهب أن يقيموا مساجدهم فما بالك بغير المسلمين. وإذا عرفت أن الخمينية جددت عادة الصفوية في زج من هم دون البلوغ في مقدمة الجيش المقاتل، عرفت إلى أي حد لا تراعي الخمينية الطفولة البريئة التي يعتبرها كل إنسان أنها هي البقاء لجنس الإنسان، وإذا عرفت أن الخمينية تسد أذنيها عن كل نداء للسلام مع تعادل القوى مجافية لقوله تعالى ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكّل على الله** ﴾[1] إذا عرفت ذلك أدركت كم سينظر العالم بازدراء إلى تطبيق الإسلام ؛ هذا العالم الذي ذاق مرارة الحروب وأصبح عاشقاً للسلام.

خامساً : التقية والبندقية

بعض الشيعة يستعملون التقية بأكثر من الحد الذي تجيزه شريعة الله عز وجل، وكنا نتصور أنه بعد انتصار الخميني في إيران أن الشيعة قد تجاوزوا التقية، ولكننا من خلال الواقع وجدناهم يستعملون التقية مع البندقية، فهم سواء في ذلك النظام الحاكم في سوريا أو حركة أمل أو إيران يتعاونون مع إسرائيل سرّاً ويعطونها الذي تريد ويتظاهرون بخلاف ذلك، وهم يحاربون حرباً طائفية في كل مكان ويتظاهرون بشعارات سوى ذلك، وهم يتخيرون لخطاب شباب الإسلام عبارات وخطابات يلبسونها ثوب الخداع ويتسترون على حقيقتهم ويقدمون للناس في إيران زاداً ويقدمون لشباب الإسلام كلهم زاداً آخر. كانوا بالأمس يستعملون التقية حماية لأنفسهم والآن يستعملون البندقية للسيطرة ويستعملون التقية لخداع الآخرين، فيلبسون لكل حالة لبوسها، يتحالفون مع اليسار إذا رأوا أن ذلك يقربهم من أهدافهم ويدخلون في الأحزاب اليسارية، ويعلنون شعاراتها التي تناقض مبادئهم وهم يكتمون أهدافهم الحقيقية. أنظر إليهم في سوريا وفي تركيا وفي

---

(١) سورة الأنفال: (٦١).

باكستان وفي أفغانستان وفي غيرها فإنك حيث ما رأيتهم، هنا وهناك، تجدهم يلبسون لباساً حزبياً في الظاهر ويكتمون مخططاتهم الخفية في الباطن حتى يصلوا إلى مرادهم، فاجتمع لهم في بعض البلدان التقية والبندقية، ولا زالوا في بعض البلدان يظهرون التقية ويبحثون معها عن البندقية، وقد آن الأوان لشباب الإسلام أن يدركوا خداع هؤلاء، وأن يعرفوهم على حقيقتهم. فهناك عقيدة صحيحة واحدة هي عقيدة أهل السنة، وهي التي ينبثق عنها كل خير، أما هؤلاء فعقيدتهم زائفة ولا يُجتنى من الشوك العنب ولا من الحسك تيناً، فمن حسَّن ظنه بالخمينية فقد وقع بالغلطة الكبرى وجنى على نفسه في الدنيا والأخرى وجانب حذر المؤمن الذي لا يلدغ من جحر مرتين.

هذه بعض مواقف الخمينية الشاذة، ومن قبل ذكرنا بعض العقائد الشاذة، وما الخمينية إلا تبنٍّ لعقائد الشيعة الشاذة ولمواقفهم التاريخية الشاذة وإعطائها زخماً جديداً، وساعد على وجود هذا الزخم تطلع شباب أهل السنة والجماعة وحنينهم لدولة الإسلام، فخالوا السراب ماء وظنوا الخمينية هي دولة الإسلام، وبالخداع وقعوا وبالوهم سقطوا، وإن حنيننا إلى دولة الإسلام لا يوقعنا في الكفر أو في الضلال ولا ينبغي أن تنطلي علينا الحيلة فمجتمع الخميني ليس « مجتمع حق » وهو أحد شعارات الحركة الإسلامية الحديثة، وليس « مجتمع حرية » وهو أحد شعارات الحركة الإسلامية الحديثة، وليس « مجتمع قوّة »، وأول القوة عندنا قوة الاعتقاد الصحيح، والقوة إحدى شعارات الحركة الإسلامية الحديثة.

فيا شباب هذه الأمة تطلعوا إلى دولة الحق والقوة والحرية، ولا تخدعنكم الخمينية فهي دولة الباطل والانحطاط والعبودية، وهي عودة بالأمة الإسلامية إلى الوراء، وكفى الخمينية فضيحة صفقات السلاح مع إسرائيل وتعاونها الكامل معها فتلك علامة أنه لن يخرج عن إيران الشيعة إلا الدمار والولاء لأعداء الله، ولأمر ما ذكر رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحة أن الدجال يخرج من خراسان وأنه يخرج مع الدجال سبعون ألفاً من يهود أصفهان عليهم الطيالسة، ولهذا أيضاً أجمع مؤرخو التراث الإسلامي بأن خراسان عش الباطنية السوداء الحاقدة.



الخاتمة

لقد ذكر ابن عمر رضي الله عنهما في أثر صحيح محدّثاً عن حال الصحابة قال : لقد عشنا برهة وإن أحدنا يُؤتى الإيمان قبل القرآن. وقد ذكر الله في سورة الفاتحة العقائد أولاً، ثم ثنى بالعبادة، ثم ذكر مناهج الحياة، مما يدل على أن مناهج الحياة الصحيحة تكون أثراً عن عبادة وعقيدة صحيحة، ومن ها هنا فنحن نركز على العقيدة أولاً، ثم على العبادة ثانياً، ثم على مناهج الحياة. وينص الحديث الصحيح : « تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة »، فنحن نبحث عن عقائد هذه الفرقة الناجية ونتمسك بها، وعن عاداتها وقيمها وعن مناهج الحياة فيها فنسلكها ونتمسك فيها. والخمينية وعقائدها غير عقائدنا وعباداتها غير عباداتنا، ومناهج حياتها غير مناهج حياتنا، لأن الأصل عندهم هو أن يخالفونا، فما بال الناس في الفرقة الناجية يفرون من الجنة إلى النار ويسلكون غير سبيل المؤمنين ؟ إن بعض من نفترض عندهم الوعي غاب عنهم الوعي فلم يدركوا خطر الخمينية، وإن بعض من نفترض عندهم العلم قصروا عن إبراز خطر الخمينية فكادت بذلك تضيع هذه الأمة، ولذلك فإننا نناشد أهل الوعي أن يفتحوا الأعين على خطر هذه الخمينية، ونناشد أهل العلم أن يطلقوا أقلامهم وألسنتهم ضد الخمينية. لقد آن لهذا الطاعون أن ينحسر عن أرض الإسلام، وآن للغازي أن يكون مغزوّاً، فالأمة الإسلامية عليها أن تفتح إيران للعقائد الصافية من جديد، كما يجب عليها أن تنهي تهديدها الخطير لهذه الأمة، وليعلم أصحاب الأقلام المأجورة والألسنة المسعورة الذين لا يزالون يضللون الأمة بما يكتبونه وبما يقولونه أن الله سيحاسبهم على ما ضلوا وأضلوا، فليس لهم حجة في أن ينصروا الخمينية، فنصرة الخمينية خيانة لله والرسول والمؤمنين،

ألم يروا ما فعلته الخمينية وحلفاؤها بأبناء الإسلام حين تمكنوا، ألم يعلموا بتحالفات الخمينية وأنصارها مع كل عدوٍ للإسلام، لقد آن لكل من له أذنان للسمع أن يسمع، ولكل من له عينان للإبصار أن يبصر، فمن لم يبصر ولم يسمع حتى الآن فما الذي يبصره وما الذي يسمعه، فهؤلاء أنصار التتار والمغول وأنصار الصليبيين والاستعمار يظهرون من جديد ينصرون كل عدو للإسلام والمسلمين، وينفذون بأيديهم كل ما عجز عنه غيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين، ألا فليسمع الناس وليبصروا ولات ساعة مندم. إنه لا يزال للعذر مكان لمن أراد الإعتذار، وسيأتي يوم لا يقبل فيه من أحد الأعذار، فالساكتون عن الحقيقة لن يُعذروا، والناكبون عن الحق لن يعذروا، والذين ضلوا وأضلوا لن يعذروا، فهذا رسول الله ﷺ يحدث عن الله فيقول :

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب »، وهؤلاء الخمينيون يعادون أولياء الله من الصحابة فمن دونهم فكيف يواليهم مسلم وكيف تنطلي عليه خدعتهم وكيف يركن إليهم والله تعالى يقول : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾[1].

وهؤلاء الخمينيون ظالمون ومن بعض ظلمهم أنهم يظلمون أبا بكر وعمر، فكيف يواليهم مسلم والله تعالى يقول : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾[2]، إنه لا يواليهم إلا ظالم، ومن يرضى أن يكون ظالماً لأبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة وطلحة والزبير ؟ ومن يرضى أن يكون في الصف المقابل للصحابة وأئمة الاجتهاد من هذه الأمة ؟ ومن يرضى أن يكون أداة بيد الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ؟ ألا يرى الناس أنه مع أن ثلث أهل إيران من السنة لا يوجد وزير سني ؟ألا يرى الناس ماذا يُفعل بأهل السنة في لبنان سواء في ذلك اللبنانيون أو الفلسطينيون ؟ ألا يرى الناس ماذا يفعل حليف إيران بالإسلام والمسلمين ؟ أليست هذه الأمور كافية للتبصير ؟ وهل بعد ذلك عذر لمخدوع ؟ ألا إنه قد حكم المخدوعون على أنفسهم أنهم أعداء لهذه الأمة وأنهم أعداء لشعوبهم وأوطانهم وأنهم يتآمرون على مستقبل أتباعهم فهل هم تائبون ؟؟ اللهم إني أبرأ إليك من الخميني والخمينية ومن كل من والاهم وأيدهم وحالفهم وتحالف معهم اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة هود: (١١٣).

(٢) سورة الأنعام: (١٢٩).

فهرس الرسالة الحادية عشرة

الخمينية



للمؤلف

أولاً : سلسلة الأصول الثلاثة :

١ ــ الله جلّ جلاله.

٢ ــ الرسول ﷺ.

٣ ــ الإسلام.

ثانياً : سلسلة الأساس في المنهج :

١ ــ الأساس في التفسير.

٢ ــ الأساس في السنّة وفقهها.

٣ ــ الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.

ثالثاً : سلسلة التربية والتزكية والسلوك :

١ ــ تربيتنا الروحيّة.

٢ ــ المستخلص في تزكية الأنفس.

٣ ــ مذكّرات في منازل الصديقين والربّانيين.

رابعاً : في فقه الدعوة والبناء والعمل الإسلامي :

١ ــ جند الله ثقافةً وأخلاقاً.

٢ ــ من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك.

٣ ــ المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين.

٤ ــ جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما.

٥ ــ في آفاق التعاليم.

٦ ــ دروس في العمل الإسلامي المُعاصر.

٧ ــ فصول في الإمرة والأمير.

٨ ــ رسائل : (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر) وهي إحدى عشرة رسالة :

أ ــ منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة. ب ــ فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً : فروض العين وفروض الكفاية ولمَن تدفع صدقتك. ج ــ أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري. د ــ إحياء الربّانية. هـ ــ الإجابات. و ــ السيرة بلغة الحب والشعر. ز ــ عقد القرن الخامس عشر الهجري. ح ــ الخمينية : شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف. ط ــ إجازة تخصّص الدعاة. ي ــ قوانين البيت المسلم. ك ــ غذاء العبوديّة.

٩ ــ هذه تجربتي وهذه شهادتي.

١٠ ــ جند الله تخطيطاً.







